

البيان في التواريخ

في التواريخ

للإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

البيان في التواريخ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فصل

﴿ في ذكر شيء من سيرته العادلة وسيرته الفاضلة ومواعظه وقضاياه ﴾

الفاصلة وخطبه السكاملة وحكمه التي هي إلى القلوب واصله ﴿

قال عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء عن أبيه قال : خطب على الناس فقال : أيها الناس ! والله الذي لا إله إلا هو ما زريت من مالكم قليلا ولا كثيرا إلا هذه - وأخرج قارورة من كم قيصه فيها طيب - . فقال : أهداها إلى الدهقان - . وفي رواية بضم الدال - ، وقال : ثم أتى بيت المال فقال : خذوا وأنشأ يقول :

أفلح من كانت له قوصرة * يأكل منها كل يوم ثمرة

وفي رواية : مرة . وفي رواية طوبى لمن كانت له قوصره . وقال حرملة عن ابن وهب عن ابن طبيعة عن ابن هبيرة عن عبد الله بن أبي رزين الغافقي قال : دخلنا مع علي يوم الأضحى فقرب إلينا خنيرة فقملنا : أصاحك الله لو قدمت إلينا هذا البط والأوز ، فان الله قد أكثر الخير فقال : يا ابن رزين إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان ، قصعة يأكلها

هو وأهله ، وقصة يطعمها بين الناس » . وقال الامام أحمد : حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بنى هاشم
قالا : ثنا ابن طبيعة ثنا عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن رزين أنه قال : دخلت على بن أبي
طالب ، قال حسن يوم الأضحى : فقرب إلينا خزيرة ، فقلنا : أصلحك الله لو أطعمتنا هذا البط ؟
- يعنى الأوز - فان الله قد أكره الطير ، قال : يا ابن رزين إني سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان ، قصعة يأكلها هو وأهله ، وقصعة يضعها بين يدي الناس »
وقال أبو عبيد : ثنا عباد بن العوام عن مروان بن عنترة عن أبيه قال : دخلت على بن أبي طالب
بالخو رنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك
نصيباً في هذا المال وأنت ترعد من البرد ؟ فقال : إني والله لا أرى من مالكم شيئاً ، وهذه القطيفة
هى التى خرجت بها من بيتي - أو قال من المدينة - وقال أبو نعيم : سمعت سفیان الثوري يقول :
ما بنى على لبنة ولا قصبة على لبنة ، وإن كان ليؤتى بمحبوبه من المدينة في جراب . وقال يعقوب بن
سفيان : ثنا أبو بكر الحميدى ثنا سفیان أبو حسان عن مجمع بن سمعان التميمي قال : خرج على بن أبي
طالب بسيفه إلى السوق فقال : من يشتري منى سيفي هذا ؟ فلو كان عندي أربعة دراهم اشتري بها
إزاراً ما بعته . وقال الزبير بن بكار : حدثني سفیان عن جعفر قال - أظنه عن أبيه - إن علياً كان
إذا لبس قميصاً مديته في كمه فما فضل من الكم عن أصابعه قطعه وقال : ليس لكم فضل عن
الأصابع . وقال أبو بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس قال : اشترى
على قميصاً بثلاثة دراهم وهو خليفة وقطع كمه من موضع الرسغين ، وقال : الحمد لله الذي هذا من ريشه .
وروى الامام أحمد في الزهد عن عباد بن العوام عن هلال بن حبان عن مولى لأبي غصين قال :
رأيت علياً خرج فأتى رجلاً من أصحاب الكرايس فقال له : عندك قميص سنبلاي ؟ قال : فأخرج
إليه قميصاً فلبسه فاذا هو إلى نصف ساقيه ، فنظر عن يمينه وعن شماله فقال : ما أرى إلا قدراً
حسناً ، بكم هذا ؟ قال : بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين ، قال : فخلها من إزاره فدفعها إليه ثم انطلق .
وقال محمد بن سعد : أنا الفضل بن دكين أنا الحسن بن جرموز عن أبيه قال : رأيت علياً وهو يخرج
من القصر وعليه قبطيتان إزار إلى نصف الساق ورداء مشمر قريب منه ، ومعه درة له يمشي بها في
الأسواق ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع ويقول : أوفوا الكيل والميزان ، ويقول : لا تنفخوا
الحجم . وقال عبد الله بن المبارك في الزهد : أنا رجل حدثني صالح بن ميثم ثنا يزيد بن وهب
الجهني قال : خرج علينا على بن أبي طالب ذات يوم وعليه بردان متزر بأحداهما مرتد بالآخر قد
أرخی جانب إزاره ورفع جانباً ، قد رفع إزاره بخرقه فرببه أعرابي فقال : أيها الانسان البس من
هذه الثياب فانك ميت أو مقتول . فقال : أيها الأعرابي إنما ألبس هذين الثوبين ليكونا أبعد لي

من الزهو ، وخيراً لي في صلاتي ، وسنة المؤمن . وقال عبيد بن حميد : ثنا محمد بن عبيد ثنا المختار بن
تافع عن أبي مطر قال : خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي : ارفع إزارك فإنه أبقي لشوبك
وأتى لك ، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً ، فشتيت خلفه وهو مؤتزر بإزار ومرتد برداء ومعه الدرة
كأنه أعرابي بدوي قتل : من هذا ؟ فقال لي رجل : أراك غريباً بهذا البلد . فقلت : أجل أنا رجل
من أهل البصرة ، فقال : هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين حتى انتهى إلى دار بني أبي معيط وهو
يسوق الابل ، فقال : يمعوا ولا تحملوا فان العيين تنفق السلعة وتمحق البركة ، ثم أتى أصحاب النمر
فإذا خادم تبكي فقال : ما يبكيك ؟ فقالت : باعني هذا الرجل تمرّاً بدرهم فردّه موالى فأبى أن يقبله ،
فقال له علي : خذ تمرّك واعطها درهمها فإنها ليس لها أمر ، فدفعه ، فقلت : أتدري من هذا ؟ فقال :
لا فقلت : هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، فصبرت تمره وأعطاهما درهمها . ثم قال الرجل : أحب
أن ترضي عني يا أمير المؤمنين ، قال : ما أَرْضائي عنك إذا أوفيت الناس حقوقهم ، ثم مرّ مجتازاً بأصحاب
التمر فقال : يا أصحاب التمر اطعموا المساكين يرب كسبكم . ثم مرّ مجتازاً ومعه المساكون حتى انتهى إلى
أصحاب السك فقال : لا يباع في سوقنا طافي . ثم أتى دار فرات . وهي سوق الكرايس - فأتى شيخاً
فقال : يا شيخ أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم ، فلما عرفه لم يشتري منه شيئاً ، ثم آخر فلما عرفه لم
يشتري منه شيئاً ، فأتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم وكفه ما بين الرسغين إلى الكعبين
يقول في لبعه : الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس ، وأواري به عورتى . فقيل له :
يا أمير المؤمنين هذا شيء ترويه عن نفسك أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال : لا ! بل شيء
سمعته من رسول الله ﷺ يقولُه عند الكسوة . فجاء أبو الغلام صاحب الثوب فقيل له : يا فلان قد باع
ابنك اليوم من أمير المؤمنين قميصاً بثلاثة دراهم ، قال : أفلا أخذت منه درهمين ؟ فأخذ منه أبود
درهماً ثم جاء به إلى أمير المؤمنين وهو جالس مع المسلمين على باب الرحبة فقال : امسك هذا الدرهم .
فقال : يا شأن هذا الدرهم ؟ فقال إنما من الفميص درهمين ، فقال : باعني رضاي وأخذ رضاه . وقال
عمر بن شمر عن جابر الجعفي عن الشعبي قال : وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني
فأقبل به إلى شريح يخاضه ، قال : فجاء علي حتى جلس جنب شريح وقال : يا شريح لو كان خصمي
مسالمًا ما جلست إلا معه ، ولكنه نصراني وقد قال رسول الله ﷺ : « إذا كتم وإياهم في طريق
فأطروهم إلى مضائقه ، وصغروا بهم كما صغر الله بهم من غير أن تطفوا » ثم قال : هذا الدرع درعي
ولم أبيع ولم أعب ، فقال شريح للنصراني : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ فقال النصراني : ما الدرع
إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب ، فالتفت شريح إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين هل من
بينة ؟ فقامت علي وقال أصاب شريح ، مالى بينة ؟ فقضى بها شريح للنصراني ، قال فأخذ النصراني

ومشى خطا ثم رجع فقال : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه
يقضى عليه ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الدرر والله درعك يا أمير المؤمنين
انبعث الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق . فقال : أما إذا أسألت فمى لك ،
وحمل على فرس . قال الشعبي : فأخبرني من رآه يقاتل الخوارج يوم النهروان . وقال سعيد بن عبيد
عن علي بن ربيعة : جاء جمدة بن هبيرة إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين يأتلك الرجلان أنت أحب
إلى أحدهما من أهل وماله ، والاخر لو استطيع أن يذهبك لذهبك ، فتعاضى هذا على هذا ، قال :
فلهزمه علي وقال : إن هذا شيء لو كان لي فعلت ، ولكن إنما ذا شيء لله . وقال أبو التمام البغوي :
حدثني جدي ثنا علي بن هاشم عن صالح بن أبي يحيى عن جده قالت : رأيت علياً يشترى تمرأ
بدرهم فحملته في ملاءته فقال رجل : يا أمير المؤمنين ألا تحببنا عنك ؟ فقال : أبو الميال أعق بحمله .
وعن أبي هاشم عن زاذان قال : كان علي يمشي في الأسواق وسدده وهو خليفة يرشد الضال ويمن
الضيف ويمر بالبيع والبيع فيفتح عليه القرآن ويقرأ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علواً في الأرض ولا فساداً) ، ثم يقول : نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل
القدرة من سائر الناس . وعن عباد بن زياد بن صالح بن أبي الأسود عن حدثه أنه رأى علياً قد
ركب حماراً ودلى رجله إلى موضع واحد ثم قال : أنا الذي أمنت الدنيا . وقال يحيى بن معين عن علي
ابن الجهم عن الحسن بن صالح قال : تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال قائلون : فلان ،
وقال قائلون : فلان ، فقال عمر بن عبد العزيز : أزهده الناس في الدنيا علي بن أبي طالب . وقال هشام
ابن حسان : بينا نحن عند الحسن البصري إذ أقبل رجل من الأزارقة فقال : يا أبا سعيد ما تقول في
علي بن أبي طالب ؟ قال : فاحترت وجمت الحسن وقال : رحمه الله علياً ، إن علياً كان سهماً لله صاعياً
في أعدائه ، وكان في محبة العلم أشرفها وأقربها إلى رسول الله ﷺ ، وكان رهباني هذه الأمة ، لم
يكن لمال الله بالسروقة ، ولا في أمر الله بالنومة ، أعطى القرآن عزاءه وعمله وعلمه ، فكان منه في
رياض مونة ، وأعلام بينة ، ذاك علي بن أبي طالب يا لكم . وقال هشيم عن يسار عن عمار . قال :
حدث رجل علي بن أبي طالب بحديث فكذبته فما قام حتى عمي : وقال أبو بكر بن أبي الدنيا . حدثني
شرح بن يونس ثنا هشيم عن إسماعيل بن سالم عن عمار الحفصمي عن زاذان أبي عمر أن رجلاً حدث
علياً بحديث فقال : ما أراك إلا قد كذبتني ، قال : لم أفعل قال : ادعوك عليك إن كنت كذبت ،
قال : ادع ! فدعا فما برح حتى عمي . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا خلف بن سالم ثنا محمد بن بشر عن
أبي مكين قال : مررت أنا وخالى أبو أمية على دار في محفل حتى من مراد ، قال : ترى هذه الدار ؟
قلت : نعم ! قال : فان علياً . وعليها وهم يبنونها فسقطت عليه قطعة فشجته فدعا الله أن لا يكمل

بنائها ، قال : فما وضعت عليها لبنه ، قال : فكنت فيمن يمر عليها لا تشبه الدور . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني عبد الله بن يونس بن بكير الشيباني عن أبيه عن عبد الغفار بن القاسم الأنصاري عن أبي بشير الشيباني . قال : شهدت الجبل مع مولاي فما رأيت يوماً قط أكثر ساعداً نادراً وقديماً نادراً من يومئذ ، ولا مررت بدار الوليد قط إلا ذكرت يوم الجبل قال : لحدثني الحكم بن عيينة أن علياً دعا يوم الجبل فقال : اللهم خذ أيديهم وأقدامهم .

ومن كلامه الحسن رضي الله عنه . قال ابن أبي الدنيا : حدثنا علي بن الجهم أنما عمرو بن شعبر حدثني إسماعيل السدي سمعت أبا أركمة يقول : صليت مع علي صلاة الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال : والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً بين أعينهم كأشبال ركب المهزى ، قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يتراوون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فذكروا الله ما دوا كما يمد الشجر في يوم الريح ، وعملت أعينهم حتى تبليل ثيابهم ، والله لكان القوم باتوا غافلين ، ثم نهض فما روى بعد ذلك مفترأ يضحك حتى قتله ابن ملجم غدو الله الفاسق . وقال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دهم عن علي بن أبي طالب أنه قال : تعلموا العلم تعرفوا به ، واعملوا تكونوا من أهله ، فإنه يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق قسمة أعشاره ، وإنه لا ينجو منه إلا كل أبواب منيب ، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالمعجل المذابيح البذر ، ثم قال : ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد أتت مقابلة ، ولكل واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا وإن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً ، والتراب فراشاً ، والماء طيباً ، ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ، ألا إن الله عباداً كن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين ، وأهل النار في النار معدنين ، شروهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوالجتهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة لمعني راحة طويلة ، أما الليل فصافون أقدامهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى الله في فسكك رقابهم . وأما النهار فظلمات حلاء بررة أفتياء ، كأنهم القنأح ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ، وخوطلوا ولقد خانط القوم أمر عظيم . وعن الأصمعي بن نباتة قال : سمعت علي ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال : عباد الله الموت ليس منه فوت ، إن أقيم له أخدمكم ، وإن فررت منه أدركم ، فالتجنا النجاة ، والنوحا الوحى ، إن وراءكم طالب حثيث القبر فاحذروا ضعفته وظلمته ووحشته ، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار ، أو روضة من رياض

الجنة ، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول : أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الدود ، أنا بيت الوحشة ، ألا وإن وراء ذلك يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير ، (وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه ، نار حرها شديد ، وقمرها بعيد ، وحلها ومقامها حديد ، وماؤها صديد ، وخازنها مالك ليس لله فيه رحمة . قال : ثم بكى وبكى المسلمون حوله ، ثم قال : ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، جعلنا الله وإياكم من المتقين ، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم . ورواه ليث بن أبي سليم عن مجاهد حدثني من سمع علياً فذكر نحوه . وقال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دهم قال : خطب على فقال : أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بدواع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المضيأ اليوم وغداً السباق ، ألا وإنكم في أيام أمل من وراءه أجل ، فمن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله فقد خاب عمله ، ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة ، ألا وإنه لم أر كالجنة نام طالبها ، ولم أر كالنار نام هاربها ، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال ، ألا وإنكم قد أمرتم بالظن ، وذاتكم على الزاد ، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضرياً كل منها البر والفاجر ، وإن الآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم . أيها الناس : أحسنوا في أعمالكم تحفظوا في أعتابكم ، فإن الله وعد جنته من أطاعه ، وأوعده ناره من عصاه ، إنها نار لا يهدأ زفيرها ، ولا يفك أسيرها ، ولا يجبر كسيرها ، حرها شديد ، وقمرها بعيد ، وماؤها صديد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل . وفي رواية فإن اتباع الهوى يصد عن الحق ، وإن طول الأمل ينسى الآخرة . وعن عاصم بن ضمرة قال : ذم رجل الدنيا عند علي فقال علي : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنا وزاد لمن تزود منها ، ومهبط وحى الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا ينمها وقد آذنت بغيلها ، ونادت بفراقها ، وشابت بشروها السرور ، وبيلاها الرغبة فيها والحرص عليها ترغيباً وترهيباً ، فيا أيها اللذام للدنيا المعلن نفسه بالأمل متى خدعتك الدنيا أو متى اشتدمت إليك ؟ أم يصارع آباتك في البلا ؟ أم يضاجع أمهاتك تحت الثرى ؟ كم مرضت بيدك ، وعالت بكفياك ، ممن تطلب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء ، لا يغنى عنه دواؤك ، ولا ينفعه بكأؤك . وقال سفيان الثوري والأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري . قال : جاء رجل إلى علي فأطراه . وكان يبغض علياً . فقال له : لست كما تقول ، وأنا فوق ما في نفسك . وروى ابن عساكر أن رجلاً قال لعلي : ثبتك الله قال : على صدرك . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا

سفيان بن عيينة عن أبي حمزة عن يحيى بن عتيق عن يحيى بن يسر قال قال علي : إن الأمر ينزل إلى السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال ، فمن رأى نقصاً في نفسه أو أهله أو ماله ، ورأى لغيره عثرة فلا يكمن ذلك له فتنة ، فإن المسلم عالم بعش دونه يظهر تخشعاً لما إذا ذكرت ، ويشير به لثام الناس ، كالبائس العالم ينتظر أول فورة من قداحه توجب له المنعم ، وتدفع عنه المنعم فسكن ذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسينيين ، إذا مادع الله ، فما عند الله خير له ، وإما أن يرزقه الله مالا فإذا هو ذو أهل ومال وحسينه ودينه ، وإما أن يعطيه الله في الآخرة فلا آخرة خير وأبقى ، الحريث حرثان فحرث الدنيا المال والثبوري ، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات ، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام . قال سفيان الثوري : ومن يحسن أن يسكن بهذا الكلام إلا علي ؟ وقال عن زبيد اليامي عن مهاجر العامري قال : كتب علي بن أبي طالب عهداً لبعض أصحابه علي بلد فيه : أما بعد فلا تطولن حجابك علي رعيتك ، فإن احتجاب الولاية عن الرعية شعبة الضيق ، وقلة علم بالأمور ، والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيضعف عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويتبع الحسن ، ويتبع القبيح ، ويشاب الحق بالباطل ، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما يوادى عنه الناس به من الأمور ، وليس على القوم سمات يعرف بها ضرر أو الصديق من الكذب ، فتخصص من الإدخال في الحقوق بلين الحجاب ، فانما أنت أحد الرجائي ، إما امر وشعت نفسك بالبل في الحق ففهم احتجابك من حق واجب عليك أن تعطيه ؟ وخلق كريم تسد به ، وإما مبتلي باللع والشح فما أسرع زوال نبتك ، وما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يسسوا من ذلك ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مالا ، وثمة فيه عليك من شكايته ، مظلمة أو طلب انصاف ، فانفتح بما وصفت لك واقتصر على حثك ورشدك إن شاء الله . وقال المدائني : كتب علي إلى بعض عماله : رويداً فكأن قد بلغت المدي ، وعرضت عليك أعمالك بالخل الذي ينادى الماقر بالحمرة ، ويسمى المضيق التوبة ، والظالم الرجسة . وقال هشيم : أنا عمر بن أبي زائدة عن الشعبي قال : كان أبو بكر يقول الشعر ، وكان عمر يقول الشعر ، وكان علي يقول الشعر ، وكان علي أنشعر الثلاثة . ورواه هشام بن عمار عن إبراهيم بن أعين عن عمر بن أبي زائدة عن عبد الله بن أبي السفر عن الشعبي فذكره . وقال أبو بكر بن دريد قال وأخبرنا عن دمداد عن أبي عبيدة قال : كتب مسرة إلى علي : يا أبا الحسن إن لي فضائل كثيرة ، وكان أبي سيداً في الجاهلية ، وصرت ملكاً في الإسلام ، وأنا منهم رسول الله ﷺ ، وخال المؤمنين ، وكاتب الوحي . فقال علي : يا أبا الفضائل ينخر علي ابن آكلة الأكباد ، ثم قال : اكتب يا غلام

محمد النبي أخى وصهرى * وحمة سيد الشهداء عفى

وجعفر الذي يسمى ويضحي * يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد مكثي وعيسى * مسوط لحها بدعي ولحي
وسبطا أهد ولداي منها * فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت أو ان حلمي

قال قتال دسائية : اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيمليون إلى ابن أبي طالب . وهذا
منقطع بين أبي عبيدة وزمان على ومماوية . وقال الزبير بن بكار وغيره : حدثني بكر بن حارثة عن
الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله قال : سمعت علياً يثبث ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يسبح :

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي * معه ربيت وسبطاه هما ولدي
جدي وجسد رسول الله منفرد * وفاطم زوجتي لا قول ذي فند
صدقته وجميع الناس في بهم * من الضلالة والاشراك والنكد
فالحمد لله شكراً لا شريك له * البر بالعبد والباقي بلا أمد

قال : فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « صدقت يا علي » وهذا بهذا الاسناد منكرو الشعر فيه
ركاكة ، وبكر هذا لا يقبل منه تفردة بهذا السند والمتن والله أعلم . وروى الحافظ ابن عساكر من
طريق أبي زكريا الرملي : ثنا يزيد بن هارون عن نوح بن قيس عن سلامة الكندي عن الأصبع
ابن نباتة عن علي أنه جاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله قبل أن
أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك ، وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك .
فقال علي : اكتب حاجتك على الأرض فاني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك ، فكتب : إني
محتاج ، فقال علي : على بحلة ، فأتى بها فأخذها الرجل فلبسها ، ثم أنشأ يقول :

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الشاحللا
إن نلت حسن ثنائى نلت مكرومة * ولست أبغى بما قد قلته بدلا
إن الثناء ليحجي ذكر صاحبه * كالغيث يحجي نداء السهل والجبالا
لا ترهد الدهر في خير تواقعه * فكل عبد سيجزى بالذي عملا

فقال علي : على بالدنانير فأتى بمائة دينار فدفعها إليه ، قال الأصبع : فقلت يا أمير المؤمنين حلة
ومائة دينار ؟ قال : نعم ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنزلوا الناس منازلهم » وهذه منزلة هذا
الرجل عندي . وروى الخطيب البغدادي من طريق أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن
نبيط بن شريط عن أبيه عن جده قال قال علي بن أبي طالب :

إذا اشتملت على الناس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهها * ولا أغنى بحيلته الأريب
أناك على قنوط منك غوث * يمن به القريب المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت * فموصول بها الفرج القريب
ومما أنشده أبو بكر محمد بن يحيى الصولي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب :-

ألا فاصبر على الحدث الجليل * وداو جواك بالصبر الجليل
ولا تجزع فان أعسرت يوماً * فقد أيسرت في الدهر الطويل
ولا تظن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجليل
فان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تجر رزقا * لكان الرزق عند ذوى العقول
فكم من مؤمن قد جاع يوماً * سيروى من رحيق السلسيل

فن هوان الدنيا على الله أنه سبحانه يجمع المؤمن مع نفاسته ، ويشبع الكلب مع خساسته ،
والكافراً يأكل ويشرب ، ويلبس ويتمتع ، والمؤمن يجوع ويعرى ، وذلك لحكمة اقتضتها حكمة
أحكم الحاكمين . ومما أنشده علي بن جعفر الوراق لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب

أجد الثياب إذا اكتسيت فانها * زين الرجال بها تمز وتكرم
ودع التواضع في الثياب تخشعا * فانه يعلم مانحين وتكتم
فرائث ثوبك لا يزيدك زلفه * عند الاله وأنت عبد مجرم
وهباء ثوبك لا يضررك بعد أن * تخشى الاله وتمتقي ما يحرم

وهذا كما جاء في الحديث : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ثيابكم وإنما ينظر إلى قلوبكم
وأعمالكم » وقال الثوري : ليس الزهد في الدنيا بلبس العبا ولا بأكل الخشن ، إنما الزهد في الدنيا
قصر الأمل .

وقال أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأ كبر المبرد : كان مكتوباً على سيف علي :

لناس حرص على الدنيا وتدبير * وفي مراد الهوى عقل وتشمير
وإن أتوا طاعة الله ربههم * فالعقل منهم عن الطاعات مأسور
لأجل هذا وذاك الحرص قد مزجت * صفاء عيشتها هم وتكدير
لم يرزقوها بعقل عند ما قسمت * لكنهم رزقوها بالمقادير

كم من أديب لبيب لا تساعده * ومائق نال دنياه بتقصير
لو كان عن قوة أو عن مغالبة * طار الهزاة بأرزاق المصافير
وقال الأصمعي : ثنا سلمة بن بلال عن مجالد عن الشعبي قال قال علي بن أبي طالب لرجل كره
له صحبة رجل :

فلا تصحب أخا الجم * ل وإياك وإياه * فكمن جاهل جاهل * أودى حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمر * إذا ما المرء ماشاه * وللشيء على الشيء * مقاييس وأشباه
* وللقلب على القل * ب دليل حين يلقاه *

وعن عمرو بن العلاء عن أبيه قال : وقف على قبر فاطمة وأنشأ يقول :

ذكرت أبا أروى فبت كأنني * برد الموم الماضيات وكيل
لكل اجتماع من خيلين فرقة * وكل الذي قبل الممات قليل
وإن افتقادي واحداً بعد واحد * دليل على أن لا يدوم خليل
سيعرض عن ذكرى وتنسى ودتي * ويحدث بعدى للخليل خليل
إذا انقطعت يوماً من العيش مدتي * فان غناء الباقيات قليل
وأنشد بعضهم لعل الله عنه :

حقيق بالتواضع من يموت * ويكفي المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا هموم * وحرص ليس تدركه النعوت
صنيع مليكنا حسن جميل * وما أرزاقه عنا تفوت
فيا هذا سترحل عن قليل * إلى قوم كلامهم السكوت

وهذا الفصل يطول استقصاؤه وقد ذكرنا منه ما فيه منقح لمن أرادته والله الحمد والمنة .

وقال حماد بن سلمة عن أيوب السخيتي أنه قال : من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب
عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب علياً فقد استمسك
بالعروة الوثقى ، ومن قال الحسن في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برى من النفاق .

(غريبة من الغرائب وآبدة من الأوابد)

قال ابن أبي خيثمة : ثنا أحمد بن منصور ثنا عبد الرزاق قال قال معمر مرة وأنا مستقبله
وتبسم وليس معنا أحد فقلت له : ما شأنك ؟ قال : عجبت من أهل الكوفة كأن الكوفة إنما بنيت
على حب علي ، ما كلمت أحداً منهم إلا وجدت المقتصد منهم الذي يفضل علياً على أبي بكر وعمر ،
منهم سفيان الثوري ، قال : فقلت لمعمر ورأيتك ؟ - كأنني أعظمت ذلك - فقال معمر : وما ذاك ؟ لو أن

رجلا قال علي أفضل عندي منهما ما عبقه إذا ذكر فضلهما ولو أن رجلا قال : عمر عندي أفضل من علي وأبي بكر ما عبقته . قال عبد الرزاق : فذكرت ذلك لوكيع بن الجراح ونحن خالين فاستهما من سفيان وضحك وقال : لم يكن سفيان يبلغ بنا هذا الحد ، ولكنه أفضى إلى معمر بمالم يفض إلينا ، وكنت أقول لسفيان : يا أبا عبد الله أرأيت إن فضلنا عليا علي أبي بكر وعمر ما تقول في ذلك ؟ فيسكت ساعة ثم يقول : أخشى أن يكون ذلك طعنا على أبي بكر وعمر ولكننا نقف . قال عبد الرزاق : وأما ابن التيمي - يعني معمرًا - فقال : سمعت أبي يقول : فضل علي بن أبي طالب بمائة منقبة وشاركهم في مناقبهم ، وعثمان أحب إلي منه . هكذا رواه ابن عساکر في تاريخه بسنده عن ابن أبي خيثمة به . وهذا الكلام فيه تحبيط كثير ولعله اشتبهه على معمر فان المشهور عن بعض الكوفيين تقديم علي على عثمان ، فأما على الشيخين فلا ، ولا يخفى فضل الشيخين على سائر الصحابة إلا على غي ، فكيف يخفى على هؤلاء الأئمة ؟ بل قد قال غير واحد من العلماء - كأبوب والدارقطني - من قدم عليًا على عثمان فقد آزرى بالمهاجرين والأَنْصار . وهذا الكلام حق وصدق وصحيح ومليح . وقال يعقوب بن أبي سفيان : ثنا عبد العزيز بن عبد الله الاريسي ثنا إبراهيم بن سعيد عن شعبة عن أبي عون - محمد بن عبد الله الثقفي - عن أبي صالح الحنفي قال : رأيت علي بن أبي طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى أتى لأرى ورقه يتقمع قال ثم قال : اللهم إنهم ممنوني أن أقوم في الأئمة بما فيه فأعطيني ثواب ما فيه ، ثم قال : اللهم إني قد ملتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني ، وحاووني على غير طبعي وخلق وأخلاق لم تكن تعرف لي ، اللهم فأبدلني بهم خيرا منهم ، وأبدلهم بي شرا مني ، اللهم أمت قلوبهم موت المملح في الماء . قال إبراهيم : - يعني أهل الكوفة - وقال ابن أبي الدنيا : حدثني عبد الرحمن بن صالح ثنا عمرو بن هشام النخعي عن أبي خباب عن أبي عوف الثقفي عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : قال لي الحسن بن علي قال لي علي : « إن رسول الله ﷺ منح في الليلة في منامي فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود والدد ؟ قال : ادع عليهم فقلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم ، وأبدلهم بي من هو شر مني ، فخرج فضر به الرجل [الأود الموج والدد الخوصمة] وقد قدمنا الحديث الوارد بالآخبار بقتله وأنه يخضب لحيته من قرن رأسه ، فوقع كما أخبر صلوات الله وسلامه على رسوله ، وروى أبو داود في كتاب القدر أنه لما كان أيام الخوارج كان أصحاب علي يحرسونه كل ليلة عشرة - يبيتون في المسجد بالسلاح - فرأهم علي فقال : ما يجلسكم ؟ فقالوا : نحرسك ، فقال : من أهل السماء ؟ ثم قال : إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء ، وإن علي من الله جنة حصينة . وفي رواية : وإن الرجل جنة محصونة ، وإنه ليس من الناس أحد إلا وقد وكل به ملك فلا تريده دابة ولا شيء إلا قال : الله اتقه ،

فاذا جاء القدر خلا عنه ، وفي رواية : مد كان يدفنان عنه فاذا جاء القدر خليا عنه ، وإنه لا يجد
 عبدا حلاوة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطاه لم يكن ليصيبه . وكان على
 يدخل المسجد كل ليلة فيصلّي فيه ، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قلق تلك الليلة وجمع أهله فلما
 خرج إلى المسجد صرخ الأوز في وجهه فسكتوهن عنه فقال : ذروهن فانهن نوائح ، فلما خرج إلى
 المسجد ضربه ابن ملجم فسكر ما ذكرنا قبل . فقال الناس : يا أمير المؤمنين ألا تقتل مراداً كلها ؟
 فقال : لا ولكن احبسوه وأحسنوا أساره ، فان مت فاقتلوه وإن عشت فالجروح قصاص . وجعلت
 أم كلثوم بنت علي تقول : مالي واصلاة العداة ، قتل زوجي عمر أمير المؤمنين صلاة العداة ، وقتل أبي
 أمير المؤمنين صلاة العداة ، رضي الله عنها . وقيل لملي : ألا تستخلف ؟ فقال : لا ولكن أترككم كما
 ترككم رسول الله ، فان يرد الله بكم خيراً يجتمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله
 ﷺ ، فهذا اعتراف منه في آخر وقت الدنيا بفضل الصديق . وقد ثبت عنه بالتواتر أنه خطب
 بالكوفة في أيام خلافته ودار إمارته ، فقال : أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم عمر
 ولو شئت أن أسمى الثالث لسميت . وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر : ثم عثمان ثم عثمان . ولما مات
 على ولي غسله ودفنه أهله ، وصلى عليه ابنه الحسن وكبير أربابها ، وقيل أكثر من ذلك . ودفن على
 بدار الخلافة بالكوفة وقيل بجناح الجامع من القبلة في حجرة من دور آل جمعة بن هبيرة ، بجناح باب
 الوراقين وقيل بظاهر الكوفة ، وقيل بالكساسة ، وقيل بديرية . وقال شريك الناضي وأبو نعيم
 الفضل بن دكين : نقله الحسن بن علي بعد صلحه مع معاوية من الكوفة فدفنه بالمدينة بالبيع إلى
 جانب فاطمة بنت رسول الله ﷺ . وقال عيسى بن دآب : بل لما حملوا به حملوه في صندوق على
 بعير ، فلما مروا به ببلاد طيء أضلوا ذلك البعير فأخذته طيء تحسب فيه مالا ، فلما وجدوا الصندوق
 ميتا دفنوه في بلادهم فلا يعرف قبره إلى الآن ، والمشهور أن قبره إلى الآن بالكوفة كما ذكر عبد الملك
 ابن عمران أن خالد بن عبد الله القسري - نائب بني أمية في زمان هشام - لما هدم دوراً لبيئتها وجد
 قبراً فيه شيخ أبيض الرأس والحية فاذا هو علي ، فأراد أن يحرقه بالنار فقبل له : أيها الأمير إن بني
 أمية لا يريدون منك هذا كله ، فلفه في قباطي ودفنه هناك . قالوا : فلا يقدر أحد أن يسكن تلك
 الدار التي هو فيها إلا ارتحل منها . رواد ابن عساكر . ثم إن الحسن بن علي استحضر عبد الرحمن بن
 ملجم من السجن ، فأحضر الناس الذنط والحواري ليحرقوه ، فقالوا لهم أولاد علي : دعونا نشتفي منه ،
 فقطعت يده ورجلاه فلم يجزع ولا فتر عن الذكر ، ثم جعلت عينا وهو في ذلك يذكر الله وقرأ
 سورة اقرأ باسم ربك إلى آخرها ، وإن عيني لتسيلان على خدي . ثم حاولوا إسنائه ليقطعوه فجزع
 من ذلك جزعاً شديداً ، فقيل له في ذلك فقال : إني أخاف أن أمكث في الدنيا فواقلاً أذكر الله

خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما وعن أبيهما وأمه

قد ذكرنا أن علياً رضي الله عنه لما ضرب به ابن ملجم قالوا له : استخلف يا أمير المؤمنين فقال : لا ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله ﷺ - يعني بغير استخلاف - فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ ، فلما توفي وصلى عليه ابنه الحسن - لأنه أكبر بنبيه رضي الله عنهم - ودفن كما ذكرنا بدار الأمانة على الصحيح من أقوال الناس ، فلما فرغ من شأنه كان أول من تقدم إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما قيس بن سعد بن عبادة فقال له : أبسط يدك أبائكم على كتاب الله وسنة نبيه ، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده ، وكان ذلك يوم مات علي ، وكان موته يوم ضرب علي قول وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين ، وقيل إنما مات بعد الطعنة بيومين ، وقيل مات في العشر الأخير من رمضان ، ومن يومئذ ولي الحسن ابن علي ، وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان ، تحت يده أربعون ألف مقاتل ، قد بايعوا علياً على الموت ، فلما مات علي ألح قيس بن سعد على الحسن في النفير لقتال أهل الشام ، فعزل قيساً عن إمرة أذربيجان ، وولى عبيد الله بن عباس عليها ، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً ، ولكن غلبوه على رأيه ، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يسمع بمثله ، فأمر الحسن بن علي قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفاً بين يديه ، وسار هو بالجيش في أثره قاصداً بلاد الشام ، ليقا تل معاوية وأهل الشام فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه ، فبينما هو في المدائن معسكراً بظاهرها ، إذ صرخ في الناس صارخ : ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل ، فثار الناس فانتهبوا أمتعة بعضهم بعضاً حتى انتهوا سرا دق الحسن ، حتى نازعوه بساطاً كان جالساً عليه ، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة أمتعتهم وأشوته فكرههم الحسن كراهية شديدة ، وركب فدخل القصر الأبيض من المدائن قتلوه وهو جريح ، وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي - أخو أبي عبيد صاحب يوم الجسر - فلما استقر الجيش بالقصر قال المختار بن أبي عبيد قبحه الله لعمه سعد بن مسعود : هل لك في الشرف والغنى ، قال : ماذا ؟ قال : تأخذ الحسن بن علي فتقيده وتبعثه إلى معاوية ، فقال له عمه : قبحكم الله وقبح ما جئت به ، أغسدر بأبن بنت رسول الله ﷺ ؟ ولما رأى الحسن بن علي تفرق جيشه عليه مقتبهم وكتب عند ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان - وكان قد ركب في أهل الشام فتزل مسكن - يراوضه على الصلح بينهما ، فبعث إليه معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة ، فقدموا عليه الكوفة فبدل له ما أراد من الأموال ، فاشترط أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم ، وأن يكون خراج دار أجرد له ، وأن لا يسب علي وهو يسمع ، فاذا فعل ذلك نزل عن الإمرة

فيه . فقتل عند ذلك وحرق بالنار ، قبحه الله . قال محمد بن سعد : كان ابن ملجم رجلاً أسير حسن الوجه أبلج ، شعره مع شحمة أذنه ، في جبهته أثر السجود . قال العلماء : ولم ينتظر بقتله بلوغ العباس ابن علي فإنه كان صغيراً يوم قتل أبوه ، قالوا : لأنه كان قتل محاربة لا قصاصاً والله أعلم . وكان طعن علي يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين وخمسين سنة ، وقيل عن ثلاث وستين سنة وهو المشهور ، قاله محمد بن الحنفية ، وأبو جعفر الباقر ، وأبو إسحاق السبيعي ، وأبو بكر بن عياش . وقال بعضهم : عن ثلاث أو أربع وستين سنة ، وعن أبي جعفر الباقر خمس وستين سنة . وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، وقيل أربع سنين وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، رضى الله عنه . وقال جرير عن مغيرة قال : لما جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاخنة بنت قرظة في يوم صائف ، جلس وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وجعل يبكي فقالت له فاخنة : أنت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكي عليه ، فقال : ويحك إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره . وذكر ابن أبي الدنيا - في كتاب مكائد الشيطان - أن رجلاً من أهل الشام من أمراء معاوية غضب ذات ليلة على ابنه فأخرجه من منزله ، فخرج الغلام لا يدرى أين يذهب ، فجلس وراء الباب من خارج فنام ساعة ثم استيقظ وبابه يغمشه هر أسود يرى ، فخرج إليه الهر الذي في منزلهم فقال له البري : ويحك ! افتح فقال : لا أستطيع ، فقال : ويحك ائتنى بشيء أتبلغ به فاني جائع وأنا تعب ، هذا أوان مجئى من الكوفة ، وقد حدث الليلة حدث عظيم ، قتل علي بن أبي طالب ، قال فقال له الهر الاهلي : والله إنه ليس هاهنا شيء إلا وقد ذكروا اسم الله عليه ، غير سفو دكانوا يشوون عليه اللحم ، فقال : ائتنى به ، فجاء به فجعل يلحسه حتى أخذ حاجته وانصرف ، وذلك برأى من الغلام ومسمع ، فقام إلى الباب فطرقه فخرج إليه أبوه فقال : من ؟ فقال له : افتح ، فقال : ويحك مالك ؟ فقال : افتح ، ففتح فقص عليه خبر ما رأى ، فقال له : ويحك أمانم هذا ؟ قال : لا والله ، قال : ويحك ! أفأصابك جنون بعدى ؟ قال لا والله ، ولكن الأمر كما وصفت لك ، فذهب إلى معاوية الآن فاتخذ عنده بما قلت لك ، فذهب الرجل فاستأذن علي معاوية فأخبره خبر ما ذكر له ولده . فأرخوا ذلك عندهم قبل مجئ البرد ، وما جاءت البرد وجدوا ما أخبروهم به . مطابقاً لما كان أخبر به أبو النلام ، هذا ملخص ما ذكره . وقال أبو القاسم : ثنا علي بن الجعد ثنا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عمرو بن الأصم قال : قلت للحسين بن علي : إن هذه الشيعة يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، فقال : كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله . ورواه أسباط بن محمد عن مطرف عن إسحاق عن عمرو بن الأصم عن الحسن بن علي بنحوه .

لمعاوية ، ويعتقد العلماء بين المسلمين . فاصطدحوا على ذلك واجتمعت الكلمة على معاوية على ما سيأتي بيانه وتفصيله ، وقد لام الحسين لأخيه الحسن على هذا الرأي فلم يقبل منه ، والصواب مع الحسن رضي الله عنه كما سند كز دليله قريباً . وبعث الحسن بن علي إلى أمير المقدمة قيس بن سعد أن يسمع ويطيع ، فأبى قيس بن سعد من قبول ذلك ، وخرج عن طاعتها جميعاً ، واعتزل بمن أطاعه ثم راجع الأمر فبايع معاوية بعد قريب كما سند كره . ثم المشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية كانت في سنة أربعين ، ولهذا يقال له عام الجماعة ، لاجتماع الكلمة فيه على معاوية ، والمشهور عند ابن جرير وغيره من علماء السير أن ذلك كان في أوائل سنة إحدى وأربعين كما سند كره إن شاء الله ، وحجج بالناس في هذه السنة - أعني سنة أربعين - المغيرة بن شعبه ، وزعم ابن جرير فيما رواه عن إسماعيل بن راشد أن المغيرة بن شعبه افتعل كتاباً على لسان معاوية ليلى إمرة الحج عامئذ ، وبادر إلى ذلك عتبة بن أبي سفيان ، وكان معه كتاب من أخيه بامرة الحج ، فتمجّل المغيرة فوقف بالناس يوم الثامن ليسبق عتبة إلى الامرة . وهذا الذي نقله ابن جرير لا يقبل ، ولا يظن بالمغيرة رضي الله عنه ذلك ، وإنما نهىنا على ذلك ليعلم أنه باطل ، فإن الصحابة أجل قدراً من هذا ، ولكن هذه نزغة شيعية . قال ابن جرير : وفي هذه السنة بويع لمعاوية بابلياء - يعني لمسامات على - قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع ، فعند ذلك أقام أهل العراق الحسن بن علي رضي الله عنه ليمانعوا به أهل الشام فلم يتم لهم ما أرادوه وما حاولوه ، وإنما كان خذلانهم من قبل تدبيرهم وآرائهم المختلفة الخالفة لآرائهم ، ولو كانوا يعلمون لعظموا ما أنعم الله به عليهم من مبايعتهم ابن بنت رسول الله ﷺ ، وسيد المسلمين ، وأحد علماء الصحابة وحملائهم وذوي آرائهم ، والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون لشكاً » وإنما كانت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي ، فانه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ ، فانه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً . وقد مدحه رسول الله ﷺ على صفيته هذا وهو تركه الدنيا الفانية ، ورغبته في الآخرة الباقية ، وحققه بها هذه الأمة ، فنزل عن الخلافة وجعل الملك بيد معاوية حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد . وهذا المدح قد ذكرناه وسنورده في حديث أبي بكر الثقفى أن رسول الله ﷺ صعد المنبر يوماً فجالس الحسن بن علي إلى جانبه ، فجعل ينظر إلى الناس مرة وإليه أخرى ثم قال : « أيها الناس إن ابني هذا سيده ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » رواه البخاري .

﴿ سنة إحدى وأربعين ﴾

قال ابن جرير : فيها سلم الحسن بن علي الأمر لمعاوية بن أبي سفيان . ثم روى عن الزهري أنه قال : لما بايع أهل العراق الحسن بن علي طفق عليهم أنهم سامعون مطيعون مسلمون [من سألت] محاربون [من حاربت] فارتاب به أهل العراق وقالوا : ما هذا لكم بصاحب ؟ فما كان عن قريب حتى طعنوه فأشوهه فآزاد لهم بغضاً وآزاد منهم ذعراً ، فعند ذلك عرف تفرقهم واختلافهم عليه وكتب إلى معاوية يسأله ويرأسه في الصلح بينه وبينه على ما يختاران . وقال البخاري في كتاب الصلح : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا سفيان عن أبي موسى . قال : سمعت الحسن يقول : « استقبل والله الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص : إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أفرانها ، فقال معاوية - وكان والله خير الرجلين - : إن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس ؟ من لي بضعقتهم ؟ من لي بنسائهم ؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة ، وعبد الله بن عامر - قال : اذهبا إلى هذا الرجل فأعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه ، فأتياه فدخلا عليه فساكما وقالاه وطلبا إليه ، فقال لهما الحسن بن علي : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عانت في دماها ، قالا : فانه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ويسألك . قال : فمن لي بهذا ؟ قالا : نحن لك به ، فما سألهما شيئاً إلا قالا : نحن لك به ، فصالحه » ، قال الحسن : ولقد سمعت أبا بكر يقول : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . قال البخاري قال لي علي بن المديني : إنما ثبت عندنا سماع الحسن بن أبي بكر بهذا الحديث ، قلت : وقد روى هذا الحديث البخاري في كتاب الفتن عن علي بن عبد الله - وهو ابن المديني - وفي فضائل الحسن عن صدقة بن الفضل ثلاثتهم عن سفيان . ورواه أحمد عن سفيان - وهو ابن عيينة - عن إسرائيل بن موسى البصري به . ورواه أيضاً في دلائل النبوة عن عبد الله بن محمد - وهو ابن أبي شيبة - وبجي بن آدم كلاهما عن حسين بن علي الجعفي عن إسرائيل عن الحسن وهو البصري به . وأخرجه أحمد وأبوداود والنسائي من حديث حماد بن زيد عن علي بن زيد عن الحسن البصري به . ورواه أبو داود أيضاً والترمذي من طريق أشعث عن الحسن به . وقال الترمذي : حسن صحيح . وقد رواه النسائي من طريق عوف الأعرابي وغيره عن الحسن البصري مرسل . وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنا معمر أخبرني من سمع الحسن يحدث عن أبي بكر قال : « كان النبي ﷺ يحدثنا يوماً والحسن بن علي في حجره فيقبل على أصحابه فيحدثهم ثم يقبل على الحسن فيقبل ثم قال : « إن ابني

هذا سيد إن يمش يصلح بين طائفتين من المسلمين ، قال الخافظ ابن عساكر : كذا رواه معمر ولم
يسم الذي حدثه به عن الحسن ، وقد رواه جماعة عن الحسن منهم أبو موسى إسرائيل ، ويونس بن
عبيد ، ومنصور بن زاذان ، وعيسى بن زيد ، وهشام بن حسان ، وأشعث بن سوار ، والمبارك بن
فضالة ، وعمر بن عبيد القدرى . ثم شرع ابن عساكر فى طريق هذه الروايات كلها فأفاد وأجاد .
قلت : والظاهر أن معمرأ رواه عن عمرو بن عبيد فلم يفصح باسمه . وقد رواه محمد بن إسحاق بن
يسار عنه وسماه ، ورواه أحمد بن حاشم عن مبارك بن فضالة عن الحسن بن أبى بكرة فذكر الحديث
قال الحسن : فوالله والله بمسأ أن يولى لم يهراق فى خلافته ملء محجمة بدم ، قال شيخنا أبو الحجاج
المزنى فى أطرافه : وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أم سلمة . وقد روى هذا الحديث من طريق
جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ للحسن : « إن أبى هذا سيد
يصلح الله به بين فئتين من المسلمين » . وكذا رواه عبد الرحمن بن معمر عن الأعمش به . وقال
أبو يعلى : ثنا أبو بكر ثنا زيد بن الحباب ثنا محمد بن صالح التمار المنى ثنا محمد بن مسلم بن أبى مریم
عن سعيد بن أبى سعيد التمدنى قال : كنا مع أبى هريرة إذ جاء الحسن بن على قد سلم علينا قال :
فتبعه [فاجتبه] وقال : وعليك السلام ياسيدى ، وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنه سيد »
وقال أبو الحسن على بن المدينى : كان تسليم الحسن الأمر لمعاوية فى الخامس من ربيع الأول سنة
إحدى وأربعين ، وقال غيره : فى ربيع الآخر . ويقال فى غرة جمادى الأولى فوالله أعلم . قال :
وحينئذ دخل معاوية إلى السكوفة فخطب الناس بها بعد البيعة . وذكر ابن جرير أن عمرو بن العاص
أشار على معاوية أن يأمر الحسن بن على أن يخطب الناس ويعلمهم بنزوله عن الأمر لمعاوية ، فأمر
معاوية الحسن فقام فى الناس خطيباً فقال فى خطبته بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله
ﷺ : أما بعد أيها الناس ! فإن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بأخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة ،
والدنيا دول ، وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : (وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) ، فلما
قالها غضب معاوية وأمره بالجلوس ، وعتب على عمرو بن العاص فى إشارته بذلك ، ولم يزل فى نفسه
لذلك والله أعلم . فأما الحديث الذى قال أبو عيسى الترمذى فى جامعه : حدثنا محمود بن غيلان ثنا
أبو داود الطيالسى ثنا القاسم بن الفضل الخداني عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن
على بعد ما بايع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين - أو يامسود وجوه المؤمنين - فقال : لا تؤذبنى
رحمك الله ، فإن النبی ﷺ أرى بنى أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت (إنا أعطيناك الكوثر) يا محمد
- يعنى نبأ فى الجنة - ونزلت (إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من
ألف شهر) يملكها بعدك بنو أمية يا محمد ، قال الفضل : فمددنا فاذا هى ألف شهر لاتزيد يوماً

ولا تنقص . ثم قال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل وهو ثقة وثقة يحيى القطان وابن مهدي ، قال : وشيخه يوسف بن سعد ، ويقال يوسف بن ماذن - رجل مجهول - قال : ولا يعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه ، فانه حديث غريب بل منكر جداً ، وقد تكلمنا عليه في كتاب التفسير بما فيه كفاية وبيننا وجه نكارتة ، وناقشنا القاسم ابن الفضل فيما ذكره ، فمن أراد ذلك فليراجع التفسير والله أعلم . وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي : ثنا إبراهيم بن محمد بن جعفر ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكمي ثنا عباس بن محمد ثنا أسود بن عامر ثنا زهير بن معاوية ثنا أبو روق التميمي ثنا أبو العريف قال : كنا في مقدمة الحسن بن علي اثنا عشر ألفاً بمسكن مستميتين من الجند على قتال أهل الشام ، وعلمنا أبو العمر طه فلما جاءنا بصالح الحسن بن علي كأنما كثرت ظهورنا من النبط ، فلما قدم الحسن بن علي الكوفة قال له رجل منا يقال له أبو عامر سميد بن النفل : السلام عليك يا مندل المؤمنين فقال : لا تغل هذا يا عامر ! لست بمندل المؤمنين ولكني كرهت أن أقبلهم على الملك . ولما تسلم معاوية البلاد ودخل الكوفة وخطب بها واجتمعت عليه السكامة في سائر الأقاليم والآفاق ، ورجع إليه قيس بن سعد أحد دهاة العرب - وقد كان عزم على الشقاق - وحصل علىبيعة معاوية عامئذ الاجتماع والاتفاق ، ترحل الحسن ابن علي ومعه أخوه الحسين وبقية إخوتهم وابن عمهم عبيد الله بن جعفر من أرض العراق إلى أرض المدينة النبوية على ما كتبها أفضل الصلاة والسلام ، وجعل كلما مر بحجر من شيعتهم يكتونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية ، وهو في ذلك هو البار الزاهد المدوح ، وليس يجد في صدره حرجاً ولا تلوماً ولا ندماً ، بل هو راض بذلك مستبشر به ، وإن كان قد ساء هذا خلقاً من ذويه وأهل وشيعتهم ، ولا سيما بعد ذلك بمدد وهم جراً إلى يومنا هذا . والحق في ذلك اتباع السنة ومدحه فيما حقن به دماء الأمة ، كما مدحه على ذلك رسول الله ﷺ كما تقدم في الحديث الصحيح والله الحمد والمنة . وسيأتي فضائل الحسن عند ذكر وفاته رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل جنات الفردوس متقلبه ومثواه ، وقد فعل . وقال محمد بن سعد : أنا أبو نعيم ثنا شريك عن عاصم عن أبي رزين . قال : خطبنا الحسن بن علي يوم الجمعة فقرأ سورة إبراهيم على المنبر حتى ختمها . وروى ابن عساکر عن الحسن أنه كان يقرأ كل ليلة سورة الكهف في لوح مكتوب يدور معه حيث دار من بيوت أزواجه قبل أن ينام وهو في الفراش رضي الله عنه .

﴿ ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان وملكه ﴾

قد تقدم في الحديث أن الخلافة بعده عليه السلام ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً ، وقد انقضت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي ، فأيام معاوية أول الملك ، فهو أول ملوك الاسلام وخيارهم . قال

الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا أحمد بن يونس ثنا الفضيل بن عياض عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمية الخثني عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة قالوا قال رسول الله ﷺ « إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة ، ثم يكون رحمة وخلافة ، ثم كائن ملكان عضوضاً ، ثم كائن عتواً وجبرية وفساداً في الأرض ، يستحلون الحرير والفروج والخمر ويرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل » (١) إسناده جيد . وقد ذكرنا في دلائل النبوة الحديث الوارد من طريق إسماعيل بن إبراهيم ابن مهاجر وفيه ضعف عن عبد الملك بن عمر قال قال معاوية : والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ لي : « يا معاوية إن ملكت فأحسن » . رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن العباس بن محمد عن محمد بن سابق عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن إسماعيل ، ثم قال البيهقي : وله شواهد من وجوه آخر ، منها حديث عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص عن جده سعيد أن معاوية أخذ الاداة فتبع رسول الله فنظر إليه فقال له : « يا معاوية إن وليت أمراً فأتق الله واعبد » قال معاوية : فما زلت أظن أني مبتلى بعمل تقول رسول الله ﷺ . ومنها حديث راشد بن سعد عن معاوية قال قال رسول الله ﷺ : « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم » قال أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ فنفعه الله بها . ثم روى البيهقي من طريق هشيم عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « الخلافة بالمدينة ، والملك بالشام » غريب جداً ، وروى من طريق أبي إدريس عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا نائم رأيت الكتاب أحتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهب به ، فأتبعته بصرى فعمد به إلى الشام ، وإن الأيمان حين تقع الفتنة بالشام » . وقد رواه سعيد عن عبد العزيز عن عطية ابن قيس عن يونس بن ميسرة عن عبد الله بن عمرو . ورواه الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن سليمان بن عامر عن أبي أمامة . وروى يعقوب بن سفيان عن نصر بن محمد بن سليمان السلمي الحنفي عن أبيه عن عبد الله بن قيس ، سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله ﷺ : « رأيت عموداً من نور خرج من تحت رأسي ساطعاً حتى استقر بالشام » . وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الله بن صفوان قال قال رجل يوم صفين : اللهم العن أهل الشام ، فقال له علي : لا تسب أهل الشام فإن بها الأبدال فإن بها الأبدال . وقد روى هذا الحديث من وجه آخر مرفوعاً : ﴿ فضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ﴾

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الرحمن القرشي الأموي ، خال المؤمنين ، وكتب وحى رب العالمين ، أسلم هو وأبوه وأمه هند (١) بهذا الحديث قد رواه أبو داود الطيالسي فذكر نحوه . من هامش نسخة طوقوب .

بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح . وقد روى عن معاوية أنه قال : أسأمت يوم عمرة القضاء
 وليكني كتمت إسلامي من أبي إلى يوم الفتح ، وقد كان أبوه من سادات قریش في الجاهلية ، وآلت
 إليه رئاسة قریش بعد يوم بدر ، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب ، وكان رئيساً مطاعاً ذاملاً
 جزيلاً ، ولما أسلم قال : يا رسول الله مرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم » ،
 قال ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك ، قال : نعم . ثم سأل أن يزوجه رسول الله ﷺ بابنته ، وهي
 عزة بنت أبي سفيان واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة ، فلم يقع ذلك ، وبين رسول الله ﷺ أن
 ذلك لا يحل له . وقد تكلمنا على هذا الحديث في غير موضع ، وأفردنا له مصنفاً على حدة والله الحمد
 والمنة . والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ مع غيره من كتاب الوحي رضى الله
 عنهم . ولما فتحت الشام ولاة عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان ، وأقره على ذلك عثمان
 ابن عفان وزاده بلاداً أخرى ، وهو الذي بنى القبة الخضراء بدمشق وسكنها أربعين سنة ، قاله
 الحافظ ابن عساكر . ولما ولي على بن أبي طالب الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه ممن باشر قتل
 عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولى عليها سهل بن حنيف فعزله فلم ينتظم عزله والتف عليه جماعة
 من أهل الشام ومانع عليها عنها وقد قال : لا أبايمة حتى يسلمني قتلة عثمان فإنه قتل مظلوماً ، وقد قال
 الله تعالى : (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) . وروى الطبراني عن ابن عباس أنه قال :
 ما زلت موقناً أن معاوية يلي الملك من هذه الآية . أوردنا سنده ومثله عند تفسير هذه الآية . فلما
 امتنع معاوية من البيعة لعلي حتى يسلمه القتلة ، كان من صفين ما قدمنا ذكره ، ثم آل الأمر إلى
 التحكيم ، فكان من أمر عمرو بن العاص وأبي موسى ما أسلفناه من قوة جانب أهل الشام في الصعدة
 الظاهرة ، واستفحل أمر معاوية ، ولم يزل أمر علي في اختلاف مع أصحابه حتى قتله ابن ملجم كما
 تقدم ، فعند ذلك بايع أهل العراق الحسن بن علي ، وبايع أهل الشام لمعاوية بن أبي سفيان . ثم
 ركب الحسن في جنود العراق عن غير إرادة منه ، وركب معاوية في أهل الشام . فلما تواجه الجيشان
 وتقابل الفريقان سعى الناس بينهما في الصلح فانهى الحال إلى أن خلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم
 الملك إلى معاوية بن أبي سفيان ، وكان ذلك في ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة إحدى
 وأربعين - ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعد ما بايعه الناس - واستوثقت
 له الممالك شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ، وسمى هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكعبة فيه على أمير
 واحد بعد الفرقة ، فولى معاوية قضاء الشام الفضالة بن عبيد ، ثم بعده لأبي إدريس الخولاني . وكان
 على شرطته قيس بن حمزة ، وكان كاتبه وصاحب أمره سرحون بن منصور الرومي ، ويقال إنه أول
 من اتخذ الحرس وأول من حزم الكتب وختمها ، وكان أول الأحداث في دولته رضى الله عنه .

﴿ خروج طائفة من الخوارج عليه ﴾

وكان سبب ذلك أن معاوية لما دخل الكوفة وخرج الحسن وأهلها منها قاصدين إلى الحجارة ، قالت فرقة من الخوارج - نحو من خمسمائة - : جاء مالا يشك فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه ، فساروا حتى قربوا من الكوفة وعليهم فروة بن نوفل ، فبعث إليهم معاوية خيلاً من أهل الشام فطردوا الشاميين ، فقال معاوية : لا أمان لكم عندي حتى تكفوا بوائقكم ، فخرجوا إلى الخوارج فقالت لهم الخوارج : ويلكم ماتبنون ؟ أليس معاوية عدوكم وعدونا ؟ فدعونا حتى نقاتله ، فإن أصبنا كنا قد كفينا كرهه ، وإن أصبنا كنتم قد كفيتهمونا . فقالوا : لا والله حتى نقاتلكم ، فقالت الخوارج : يرحم الله إخواننا من أهل البصرة وإن كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة ، فاقتلوا فبهزمهم أهل الكوفة وطردوهم ، ثم إن معاوية أراد أن يستخلف على الكوفة عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له المغيرة بن شعبه : أتولى الكوفة وأباه مصر وتبقى أنت بين الحبي الأسد ، فنناد عن ذلك وولى عليها المغيرة بن شعبه ، فاجتمع عمرو بن العاص بمعاوية فقال : تجعل المغيرة على الخراج ؟ هلا وليت الخراج رجلاً آخر ؟ فمزله عن الخراج وولاه على الصلاة ، فقال المغيرة لعمرو في ذلك ، فقال له : ألسنت المشير على أمير المؤمنين في عبد الله بن عمرو ، قال : بلى ! قال : فهذه بتلك . وفي هذه السنة وثب حمران بن أبان على البصرة فأخذها وطلب عليها ، فبعث معاوية جيشاً ليقتلوه ومن معه ، فجاء أبو بكره الثقفي إلى معاوية فسأله في الصنح والمغو ، فففي عنهم وأطلقهم وولى على البصرة بسر بن أبي أرطاة ، فتسلط على أولاد زياد يريد قتلهم ، وذلك أن معاوية كتب إلى أبيهم ليحضروا إليه فلبث ، فكشبه إليه بسر : لئن لم تسرع إلى أمير المؤمنين وإلا قتلته بنيك ، فبعث أبو بكره إلى معاوية في ذلك . وقد قال معاوية لأبي بكره : هل من عهد تعهده إلينا ؟ قال : نعم ! أعهد إليك يا أمير المؤمنين أن تنظر لنفسك ورجعتك وأعمال صالحاً فانك قد تقلدت عظيماً ، خلافة الله في خلقه ، فائق الله فان لك غاية لا تعدوها ، ومن ورائك طالب حثيث وأوشك أن يبلغ المدى فيلحق الطالب فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه وهو أعلم به منك ، وإنما هي محاسبة وتوقيف ، فلا تؤثرن على رضا الله شيئاً . ثم ولى معاوية في آخر هذه السنة البصرة لعبد الله بن عامر ، وذلك أن معاوية أراد أن يوليها لعتبة بن أبي سفيان فقال له ابن عامر : إن لي بها أموالاً وودائع ، وإن لم توليتها هلكت ، فولاه إياها وأجابه إلى سفيان في ذلك . قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان ، وقال الواقدي : إنما حج بهم عتبة بن أبي سفيان فالحق أعلم .

﴿ ومن أعيان من توفي في هذا العام . رفاعه بن رافع ﴾

ابن مالك بن العجلان شهيد العقبة ويدرأوما بعد ذلك .

﴿ ركانة بن عبد يزيد ﴾

ابن هشام بن عبد المطلب القرشي ، وهو الذي صارعه النبي ﷺ فصرعه ، وكان ههنا من أشد الرجال ، وكان غلب رسول الله ﷺ له من المعجزات ، كما قدمنا في دلائل النبوة ، أسلم عام الفتح ، وقيل قبل ذلك بمكة فأنه أعلم .

﴿ صفوان بن أمية ﴾

ابن خلف بن وهب بن حذافة بن وهب القرشي ، أحد الرؤساء ، تقدم أنه هرب من رسول الله ﷺ عام الفتح ، ثم جاء فأسلم وحسن إسلامه ، وكان الذي استأمن له عمير بن وهب الجمحي . وكان صاحبه وصديقه في الجاهلية كما تقدم ، وقدم به في وقت صلاة العصر فاستأمن له فأمنه رسول الله ﷺ أربعة أشهر ، واستمار منه درعاً وسلاحاً ومالا . وحضر صفوان حديداً مشركاً ، ثم أسلم ودخل الإيمان قلبه ، فكان من سادات المسلمين كما كان من سادات الجاهلية . قال الواقدي : ثم لم يزل مقبلاً بمكة حتى توفي بها في أول خلافة معاوية .

﴿ عثمان بن طلحة ﴾

ابن أبي طلحة بن عبد العزيز بن عبد الدار العبدي الحنفي ، أسلم هو وخاله بن الوليد وعمر بن العاص في أول سنة ثمان قبل الفتح . وقد روى الواقدي حديثاً طويلاً عنه في صفة إسلامه ، وهو الذي أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة عام الفتح ثم رده إليه وهو يتلو قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وقال له : « خذوها يا عثمان خالدة فالدة لا ينتزعها منكم إلا ظالم » . وكان على قد طلبها فنعته من ذلك . قال الواقدي : نزل المدينة حياة رسول الله ﷺ ، فلما مات نزل بمكة فلم يزل بها حتى مات في أول خلافة معاوية .

﴿ عمرو بن الأسود السكوني ﴾

كان من العبادة الزهاد ، وكانت له حلة بمائتي درهم يلبسها إذا قام إلى صلاة الليل ، وكان إذا خرج إلى المسجد وضع يمينه على شماله مخافة الخيلاء ، روى عن معاذ ، وعبادة بن الصامت ، والبراء بن سارية وغيرهم ، وقال أحمد في الزهد : ثنا أبو اليمان ثنا ابن بكر عن حكيم بن حمير وضمرة بن حبيب قالا : قال عمر بن الخطاب : من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله ﷺ فلا ينظر إلى هدى عمرو بن الأسود .

﴿ عاتكة بنت زيد ﴾

ابن عمرو بن نفيل بن عبد العزيز ، وهي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة ، أسلمت وهاجرت وكانت من حسان النساء وعبادهن ، تزوجها عبيد الله بن أبي بكر فقتل بها ، فلما قتل في غزوة الطائف آلت أن لا تزوج بعده ، فبعث إليها عمر بن الخطاب - وهو ابن عمها - فتزوجها ، فلما

قتل عنها خلف بعده عليها الزبير بن العوام ، فقتل بوادى السباع ، فبعث إليها على بن أبى طالب يخطبها فقالت : إني أخشى عليك أن تقتل ، فأبى أن تزوجه ولو تزوجه لقتل عنها أيضاً ، فانهم لم يزلوا حتى ماتت فى أول خلافة معاوية فى هذه السنة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ﴾

فيها غزا المسلمون اللان والروم فقتلوا من أمرائهم وبطارقتهم خلقاً كثيراً ، وغنموا وساموا ، وفيها ولي معاوية مروان بن الحكم نيابة المدينة ، وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام ، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبه ، وعلى قضائها شريح القاضي ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى خراسان قيس ابن الهيثم من قبل عبد الله بن عامر . وفى هذه السنة تحركت الخوارج الذين كانوا قد عفى عنهم على يوم النهروان ، وقد عوفى جرحاهم ونابت إليهم قواهم ، فلما بلغهم مقتل على ترحموا على قاتله ابن ملجم وقال قائلهم : لا يقطع الله يداً علت قتال على بالسيف ، وجعلوا يحمدون الله على قتل على ، ثم عزموه على الخروج على الناس وتوافقوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يزعمون . وفى هذه السنة قدم زياد بن أبيه على معاوية . وكان قد امتنع عليه قريباً من سنة فى قلعة عرفت به يقال لها قلعة زياد . فكتب إليه معاوية : ما يملكك على أن تهلك نفسك ؟ أقدم على فأخبرني بما صار إليك من أموال فارس وما صرفت منها وما بقى عندك فأتني به وأنت آمن ، فان شئت أن تقيم عندنا فعلت وإلا ذهبت حيث ما شئت من الأرض فأنت آمن . فعند ذلك أزمع زياد السير إلى معاوية ، فبلغ المغيرة قدمه فخشى أن يجتمع بمعاوية قبله ، فسار نحو دمشق إلى معاوية فسبقه زياد إلى معاوية بشهر فقال معاوية للمغيرة : ما هذا وهو أبعد منك وأنت جئت بعده بشهر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه ينتظر الزيادة وأنا أنتظر النقصان ، فأكرم معاوية زياداً وقبض ما كان معه من الأموال وصدقه فيما صرفه وما بقى عنده

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ﴾

فيها غزا بسر بن أبى أرطاة بلاد الروم فوغل فيها حتى بلغ مدينة قسطنطينية ، وشق بيلاهم فيما زعمه الواقدي ، وأنكر غيره ذلك وقالوا : لم يكن بها مشق لأحد قط فالله أعلم . قال ابن جرير : وفيها مات عمرو بن العاص بمصر ، ومجد بن مسلمة ، قلت : وسند كتر ترجمة كل منهما فى آخرها ، فولى معاوية بعد عمرو بن العاص على ديار مصر ولده عبد الله بن عمرو ، قال الواقدي : فعمل له عليها سنتين . وقد كانت فى هذه السنة - أعنى سنة ثلاث وأربعين - وقعة عظيمة بين الخوارج وجند الكوفة ، وذلك أنهم صمموا - كما قدمنا - على الخروج على الناس فى هذا الحين ، فاجتمعوا فى قريب من ثمانمائة عليهم المستورد بن علقمة ، فجهز عليهم المغيرة بن شعبه جنداً عليهم معقل بن قيس فى ثلاثة آلاف ، فصار إليهم وقدم بين يديه أبا الرواح فى طليعة هى ثمانمائة على عدة الخوارج ، فلقاهم أبو

الرواح يمكن يقال له المنار : فاقبلوا معهم فبرزهم الخوارج ثم كروا عليهم فبرزتهم الخوارج ، ولكن لم يقتل أحد منهم ، فلزموا مكانهم في مقاتلتهم ينتظرون قدوم أمير الجيش معقل بن قيس عليهم ، فما قدم عليهم إلا في آخر نهار غربت فيه الشمس ، فنزل وصلى بأصحابه ، ثم شرع في مدح أبي الرواح فقال له : أيها الأمير إن لهم شهادات منكورة ، فكأن أنت رداً للناس ، ومر الفرسان فليقاتلوا بين يديك ، فقال معقل بن قيس : نعم ما رأيت ، فما كان إلا ريثا قال له ذلك حتى حملت الخوارج على معقل وأصحابه ، فانجفل عنه عامة أصحابه ، فترجل عند ذلك معقل بن قيس وقال : يا معشر المسلمين الأرض الأرض ، فترجل معه جماعة من الفرسان والشجعان قريب من مائتي فارس ، منهم أبو الرواح الشاكري ، فحمل عليهم المستورد بن علقمة بأصحابه فاستقبلوهم بالرمح والسيوف ، ولحق بقية الجيش بعض الفرسان فدمروهم وغيرهم وأنهبهم على الفرار فرجع الناس إلى معقل وهو يقاتل الخوارج بمن معه من الأنصار قتالا شديداً ، والناس يتراجعون في أثناء الليل ، فصصفهم معقل بن قيس صفين وميسرة ورتبهم وقال : لا تبرحوا على مصافكم حتى تصبح فتحمل عليهم ، فما أصبحوا حتى هزمت الخوارج فرجعوا من حيث أتوا ، فسار معقل في طلبهم وقدم بين يديه أبا الرواح في ستائة فالتقوا بهم عند طلوع الشمس فنار إليهم الخوارج فتبارزوا ساعة ، ثم حموا حملة رجل واحد فصبر لهم أبو الرواح بمن معه ، وجعل يدمرهم ويعيرهم ويؤنبهم على الفرار ويحثهم على الصبر فصبروا وصدقوا في الثبات حتى ردوا الخوارج إلى أماكنهم ، فلما رأت الخوارج ذلك خافوا من هجوم معقل عليهم فما يكون دون قتالهم شيء ، فهربوا بين أيديهم حتى قطعوا دجلة ووقعوا في أرض نهريش ، وتبعهم أبو الرواح ولحقه معقل بن قيس ، ووصلت الخوارج إلى المدينة العتيقة فركب إليهم شريك بن عبيد - نائب المدائن - ولحقهم أبو الرواح بمن معه من المقدمة . وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة .

ومن توفي بها عمرو بن العاص ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهما . أما عمرو بن العاص [فهو عمرو ابن العاص] بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب انقرش السهمي ، أبو عبد الله ، ويقال أبو محمد ، أحد رؤساء قریش في الجاهلية ، وهو الذي أرسلوه إلى النجاشي ليرد عليهم من هاجر من المسلمين إلى بلاده فلم يجبههم إلى ذلك لعده ، ووعظ عمرو بن العاص في ذلك ، فيقال إنه أسلم على يديه والصحيح أنه إنما أسلم قبل الفتح بستة أشهر هو وخالده بن الوليد ، وعثمان بن طلحة العبدي . وكان أحد أمراء الاسلام ، وهو أمير ذات السلاسل ، وأمه رسول الله ﷺ بمدد عليهم أبو عبيدة ومعه الصديق وعمر الفاروق ، واستعمله رسول الله ﷺ على عمان فلم يزل عليها مدة حياة رسول الله ﷺ ، وأقره عليها الصديق . وقد قال الترمذي : ثنا قتيبة ثنا ابن لهيعة ثنا مشرح بن طاهر عن عقبة بن عامر . قال قال رسول الله ﷺ : « أسلم

الناس وآمن عمرو بن العاص « وقال أيضاً : ثنا إسحاق بن منصور ثنا أبو أسامة عن تافع عن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة . قال قال طلحة بن عبيد الله : سمعت رسول الله يقول : « إن عمرو بن العاص من صالحى قریش » وفى الحديث الآخر : « ابنا العاص مؤمنان » وفى الحديث الآخر : « نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله » . روى فى فضائل عمرو بن العاص . ثم إن الصديق بعثه فى جملة من بعث من أمراء الجيش إلى الشام فكان ممن شهد تلك الحروب ، وكانت له الآراء السديدة ، والمواقف الحميدة ، والأحوال السعيدة . ثم بعثه عمر إلى مصر فافتتحها واستنابه عليها ، وأقره فيها عثمان بن عفان أربع سنين ثم عزله كما قدمنا ، وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فاحتزل عمرو بفلسطين وبقى فى نفسه من عثمان رضى الله عنهما . فلما قتل سار إلى معاوية فشهد موافقه كلها بصفين وغيرها ، وكان هو أحد الحكمين . ثم لما أن استرجع معاوية مصر وانتزعها من يد محمد بن أبى بكر ، استعمل عمرو بن العاص عليها فلم يزل نائبها إلى أن مات فى هذه السنة على المشهور ، وقيل إنه توفى سنة سبع وأربعين ، وقيل سنة ثمان وأربعين . وقيل سنة إحدى وخمسين رحمة الله . وقد كان معدوداً من دهاة العرب وشجعانهم وذوى آراءهم . وله أمثال حسنة وأشعار جيدة . وقد روى عنه أنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ ألف مثل ، ومن شعره :

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه * ولم ينه قلباً غاوياً حيث يما

قضى وطراً منه وغادر سبة * إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وقال الامام أحمد : حدثنا على بن إسحاق ثنا عبد الله - يعنى ابن المبارك - أنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبى حبيب أن عبد الرحمن بن شماس حدثه قال : لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال له ابنه عبد الله : لم تبكى ؟ أجزعاً على الموت ؟ فقال : لا والله ولكن مما بعد الموت ، فقال له : قد كنت على خير ، فجعل يذكره صحبة رسول الله وفتوحه الشام ، فقال عمرو : تركت أفضل من ذلك كله شهادة أن لا إله إلا الله ، إني كنت على ثلاثة أطباق ليس فيها طبق إلا عرفت نفسى فيه ، كنت أول قریش كافراً ، وكنت أشد الناس على رسول الله ﷺ فلو مت حينئذ وجبت لى النار ، فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشد الناس حياء منه ، فما ملأت عينى من رسول الله ولا راجعته فيها أريد حتى لحق بالله حياء ، فلو مت يومئذ قال الناس : هنيئاً لعمرو أسلم وكان على خير فمات عليه نرجو له الجنة . ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري على أم لى ، فإذا مت فلا تبكين على باكية ، ولا يتبعنى ملاح ولا نار ، وشهدوا على إزارى فانى مخاصم ، وشنوا على التراب شناً ، فان جنى الآئین ليس أحق بالتراب من جنى الأيسر ، ولا تجملن فى قبرى خشبة ولا حجراً ، وإذا واريتموني فاقعدوا عندى قدر نحر جزور استأنس بكم . وقد روى مسلم هذا الحديث فى صحيحه من

حديث يزيد بن أبي حبيب بإسناده نحوه وفيه زيادات على هذا السياق ، فنهى قواه : كي أستاذس بكم
لأنظر ماذا أراجع رسل ربى عز وجل . وفى رواية أنه بعد هذا حول وجهه إلى الجدار وجعل يقول :
اللهم أمرتنا فعصينا ، ونهيتنا فما اتبينا ، ولا يسعنا إلا عفوك . وفى رواية أنه وضع يده على موضع
الغل من عنقه ورفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم لا قوى فانتصر ، ولا برى فاعتذر ، ولا مستنكر
بل مستغفر ، لا إله إلا أنت ، فلم يزل يردد هذا حتى مات رضى الله عنه .

وأما محمد بن مسلمة الأنصارى [فقد] أسلم على يدي مصعب بن عمير قبل أسيد بن حضير وسعد
ابن معاذ ، شهد بدرًا وما بعدها إلا تبوك فانه استخلفه رسول الله على المدينة فى قول ، وقيل استخلفه
فى قرقرة الكدر ، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودى ، وقيل إنه الذى قتل مرحبًا اليهودى
يوم خيبر أيضًا . وقد أمره رسول الله ﷺ على نحو من خمس عشرة سرية ، وكان ممن اعتزل تلك
الحروب بالجل وصفين ونحو ذلك ، وأخذ سيفًا من خشب . وقد ورد فى حديث قدمناه أنه أمره
رسول الله ﷺ بذلك وخرج إلى الربرة . وكان من سادات الصحابة ، وكان هو رسول عمر إلى عماله
وهو الذى شاطرهم عن أمره ، وله وقائع عظيمة وصيانة وأمانة بليغة ، رضى الله عنه ، واستعمله على
صدقات جهينة ، وقيل إنه توفى سنة ست أو سبع وأربعين ، وقيل غير ذلك . وقد جاوز السبعين ،
وترك بعده عشرة ذكور وست بنات ، وكان أشمر شديد السمرة طويلا أصلم رضى الله عنه .

ومن توفى فيها عبد الله بن سلام أبو يوسف الاسرائيلى أحد أخبار اليهود ، أسلم حين قدم رسول
الله ﷺ المدينة ، قال : لما قدم رسول الله المدينة أنجفل الناس إليه فكنت فيمن أنجفل إليه ، فلما
رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب ، فكان أول ما سمعته يقول : « أيها الناس
افشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام تدخلوا الجنة بسلام » . وقد ذكرنا صفة إسلامه
أول الهجرة ، وماذا سأل عنه رسول الله ﷺ من الأسئلة النافعة الحسنة ، رضى الله عنه . وهو ممن
شهد له رسول الله بالجنة ، وهو ممن يقطع له بدخولها .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين ﴾

فيها غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومعه المسلمون وشتوا هنالك ، وفيها غزا بسر
ابن أبي أرطاة فى البحر ، وفيها عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة ، وذلك أنه ظهر فيها الفساد
وكان لبن العريكة سهلا ، يقال إنه كان لا يقطع لصاً ويريد أن يتألف الناس ، فذهب عبد الله بن
أبى أوفى المعروف بابن الكوا فشكا إلى معاوية ، فعزل معاوية ابن عامر عن البصرة وبعث إليها
الحارث بن عبد الله الأزدي ، ويقال إن معاوية استدعا إليه ليزوره فقدم ابن عامر على معاوية
دمشق فأكرمه وردده على عمله ، فلما ودعه قال له معاوية : ثلاث أسألكن فقل هى لك وأنا ابن أم

حكيم ، ترد على عملي ولا تغضب ، قال ابن عامر : قد فعلت ، قال معاوية : وتهب لي مالك بعرفة ، قال : قد فعلت . قال : وتهب لي دورك بمكة ، قال : قد فعلت . فقال له معاوية : وصلتك رحماً ، فقال ابن عامر : يا أمير المؤمنين وإني سائلك ثلاثاً فقل هي لك وأنا ابن هند ، قال : ترد على مالي بعرفة ، قال : قد فعلت قال ولا تحاسب : لي عامل ولا أميراً ، قال : قد فعلت ، قال : وتنسكنني ابنتك هنذاً ، قال : قد فعلت . ويقال إن معاوية خيره بين هذه الثلاث وبين الولاية على البصرة فاختار هذه الثلاث واعتزل عن البصرة . قال ابن جرير : وفي هذه السنة استلحق معاوية زياد ابن أبيد فأنطقه بأبي سفيان ، وذلك أن رجلاً شهد على إقرار أبي سفيان أنه عاهر بسمية أم زياد في الجاهلية ، وأنها حملت زياد هذا منه ، فلما استلحقه معاوية قيل له زياد بن أبي سفيان ، وقد كان الحسن البصري ينكر هذا الاستلحاق ويقول : قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وقال أحمد : ثنا هشيم ثنا خالد عن أبي عثمان قال : لما ادعى زياد لقيت أبا بكره فقلت : ما هذا الذي صنعتهم ؟ سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : سمعت أذني رسول الله ﷺ يقول : « من ادعى أبا في الإسلام غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فأنطقه عليه حرام » فقال أبو بكره : وأنا سمعته من رسول الله ﷺ ، أخرجاه من حديث أبي عثمان عنهما . قلت : أبو بكره واسمه نفيح وأمه سمية أيضاً . وحج بالناس في هذه السنة معاوية ، وفيها عمل معاوية المقصورة بالشام ، ومروان مثلها بالمدينة . وفي هذه السنة توفيت أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين ، واسمها رمة أخت معاوية ، أسلمت قديماً وهاجرت هي وزوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتنصر هناك زوجها ، وثبتت على دينها رضي الله عنها ، وحبيبة هي أكبر أولادها منه ، ولدتها بالحبشة وقيل بمكة قبل الهجرة ، ومات زوجها هنالك لعنه الله وقبحه . ولما تأملت من زوجها بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوجها منه ، وولى المقد خالد بن سعيد بن العاص ، وأصدقها عنه النجاشي أربع مائة دينار وحملها إليه في سنة سبع ، ولما جاء أبوها عام الفتح ليشهد العقد دخل عليها فثقت عنه فراش رسول الله ﷺ فقال لها : والله يا بنية ما أدرى أرغببت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك ، فقال لها : والله يا بنية لقد لقيت بعدى شراً . وقد كانت من سيدات أمهات المؤمنين ومن العابדות الورعات رضي الله عنها . قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن عبد المجيد بن سهيل عن عوف بن الحارث قال : سمعت عائشة تقول : دعيت أم حبيبة عند موتها فقالت : قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر . فقلت : يغفر الله لي ولك ، ما كان من ذلك كله وتجاوزت وحالتك ، فقالت : سررتيني سررك الله . وأرسلت إلى أم سامة فقالت لها مثل ذلك .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين ﴾

فيها ولى معاوية البصرة للبحارث بن عبد الله الأزدي ، ثم عزله بعد أربعة أشهر ، وولى زياداً فقدم زياد الكوفة ، وعليها المغيرة فأقام بها ليأتيه رسول معاوية بولاية البصرة ، فظن المغيرة أنه قد جاء على إمرة الكوفة فبعث إليه وائل بن حجر ليعلم خبره فاجتمع به فلم يقدم منه على شيء ، فجاء البريد إلى زياد أن يسير إلى البصرة ، واستعمله على خراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان . ودخل زياد البصرة في مستهل جمادى الأول فقام في أول خطبة خطبها - وقد وجد الفسق ظاهراً - فقال فيها : أيها الناس كأنكم لم تسموا ما أعد الله من الثواب لأهل الطاعة ، والعذاب لأهل المعصية تكونون كن طرقت جبينه الدنيا وفسدت مسامحه الشهوات ، فاختر الفانية على الباقية . ثم ما زال يقيم أمر السلطان ويجرد السيف حتى خافه الناس خوفاً عظيماً ، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصي الظاهرة ، واستعان بجماعة من الصحابة ، وولى عمران بن حصين القضاء بالبصرة ، وولى الحكم بن عمرو الغفاري نيابة خراسان ، وولى سمرة بن جندب وعبد الرحمن بن سمرة وأنس بن مالك ، وكان حازم الرأي ذا هيبة داهية ، وكان مفوهاً فصيحاً بليغاً . قال الشعبي : ما سمعت متكلماً قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسيء إلا زياداً فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً ، وقد كانت له وجهة عند عمر بن الخطاب . وفي هذه السنة غزا الحكم بن عمرو نائب زياد على خراسان جبل الأسل عن أمر زياد فقتل منهم خلقاً كثيراً وغنم أموالاً جمة ، فكتب إليه زياد : إن أمير المؤمنين قد جاء كتابه أن يصطفي له كل صفراء وبيضاء - يعني الذهب والفضة - يجمع كله من هذه الغنيمة لبيت المال . فكتب الحكم بن عمرو : إن كتاب الله مقدم على كتاب أمير المؤمنين ، وإنه والله لو كانت السموات والأرض على عبدو فأتى الله يجعل له مخرجاً ، ثم نادى في الناس : أن اغدوا على قسم غنيمةكم ، فقسمها بينهم وخالف زياداً فيما كتب إليه عن معاوية ، وعزل الحسن كما أمر الله ورسوله ، ثم قال الحكم : إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك ، فأتى عمرو من خراسان رضى الله عنه . قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم وكان نائب المدينة .

وفي هذه السنة توفي زيد بن ثابت الأنصاري أحد كتاب الوحي ، وقد ذكرنا ترجمته فيهم في أواخر السيرة ، وهو الذي كتب هذا المصحف الإمام الذي بالشام عن أمر عثمان بن عفان ، وهو خط جيد قوى جداً فيما رأيته ، وقد كان زيد بن ثابت من أشد الناس ذكاءً تعلم لسان يهود وكتابهم في خمسة عشر يوماً ، قال أبو الحسن بن البراء : تعلم الفارسية من رسول كسرى في ثمانية عشر يوماً ، وتعلم الحبشية والرومية والقبطية من خدام رسول الله ﷺ ، قال الواقدي : وأول مشاهده الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة . وفي الحديث الذي رواه أحمد والنسائي : « وأعلمهم بالفرائض زيد بن

ثابت . « وقد استعمله عمر بن الخطاب على القضاء ، وقال مسروق : كان زيد بن ثابت من الراسخين ، وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب فقال له : تنح يا ابن عم رسول الله ، فقال : لا ! هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا . وقال الأعمش عن ثابت عن عبيد قال : كان زيد بن ثابت من أفككه الناس في بيته ومن أذهمها إذا خرج إلى الرجال . وقال محمد بن سيرين : خرج زيد بن ثابت إلى الصلاة فوجد الناس راجعين منها فتوارى عنهم ، وقال : من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله . مات في هذه السنة وقيل في سنة خمس وخمسين ، والصحيح الأول ، وقد قارب الستين وصلى عليه مروان ، وقال ابن عباس : لقد مات اليوم عالم كبير . وقال أبو هريرة : مات جبر هذه الأمة .

وفيها مات سلمة بن سلامة بن وقش عن سبعين ، وقد شهد بدرًا وما بعدها ولا عقب له . وعاصم ابن عدي ، وقد استخلفه رسول الله حين خرج إلى بدر على قبا وأهل العالية ، وشهد أحدًا وما بعدها ، وتوفي عن خمس وعشرين ومائة ، وقد بعثه رسول الله هو ومالك بن الدخشم إلى مسجد الضرار فخرقه .

وفيها توفيت حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين ، وكانت قبيل رسول الله ﷺ تحت حنيس بن حذافة السهمي ، وهاجرت معه إلى المدينة فتوفى عنها بعد بدر ، فلما انقضت عدتها عرضها أبوها على عثمان بعد وفاة زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، فأبى أن يتزوجها ، فعرضها على أبي بكر فلم يرد عليه شيئاً ، فما كان عن قريب حتى خطبها رسول الله ﷺ فتزوجها ، فعاتب عمر أبا بكر بعد ذلك في ذلك فقال له أبو بكر : إن رسول الله كان قد ذكرها فما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ ، ولو تركها لتزوجتها . وقد روينا في الحديث أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها . وفي رواية أن جبريل أمره براجعها ، وقال : إنها صوامع قوام ، وهي زوجتك في الجنة . وقد أجمع الجمهور أنها توفيت في شعبان من هذه السنة عن ستين سنة ، وقيل إنها توفيت أيام عثمان والأول أصح .

﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين ﴾

فيها شق المسلمون ببلاد الروم مع أميرهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وقيل كان أميرهم غيره والله أعلم . وحج بالناس فيها عتبة بن أبي سفيان أخو معاوية ، والعمال على البلاد هم المتقدم ذكرهم ومن توفي في هذه السنة سالم بن عمير أحد البكائيين المذكورين في القرآن ، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد كلها .

﴿ سراقه بن كعب شهيد بداراً وما بعدها ﴾

﴿ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ﴾

القرشي الخزومي ، وكان من الشجعان المعروفين والأبطال المشهورين كأبيه ، وكان قد عظم ببلاد الشام لذلك حتى خاف منه معاوية ، ومات وهو مسموم رحمه الله وأكرم مشواه ، قال ابن منبته وأبو نعيم الأصبهاني : أدرك النبي ﷺ . وقد روى ابن عساكر من طريق أبي عمر أن عمرو بن قيس روى عنه عن النبي ﷺ في الحجامة بين الكتفين قال البخاري : وهو منقطع - يعني مرسل - وكان كعب بن جعيل مداحاً له ولأخويه مهاجر وعبد الله . وقال الزبير بن بكار : كان عظيم القدر في أهل الشام ، شهد صفين مع معاوية . وقال ابن سميع : كان يلي الصوائف زمن معاوية ، وقد حفظ عن معاوية . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن رجلاً يقال له ابن أثال - وكان رئيس الزمة بأرض حمص - سقاه شربة فيها سم فمات ، وزعم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ولا يصح . ورثاه بعضهم فقال :

أبوك الذي قاد الجيوش مغرباً * إلى الروم لما أعطت الخرج فارس
وكم من فتى نهشته بعد هجمة * بقرع لجام وهو أكتع ناعس
وما يستوى الصفان صف ظلال * وصف عليه من دمشق البرانس

وقد ذكروا أن خالد بن عبد الرحمن بن خالد قدم المدينة فقال له عروة بن الزبير : ما فعل ابن أثال ؟ فسكت ، ثم رجع إلى حمص فثار على ابن أثال فقتله ، فقال : قد كفيتك إياه ولكن ما فعل ابن جرموز ؟ فسكت عروة ومحمد بن مسلمة في قول ، وقد تقدم ﴿ هرم بن حبان العبدى ﴾ وهو أحد عمال عمر بن الخطاب ، ولقي أويساً القرني وكان من عقلاء الناس وعلمائهم ، ويقال إنه لما دفن جاءت صحابة فروت قبره وحده ، ونبت العشب عليه من وقته والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين ﴾

فيها شق المسلمون ببلاد الروم ، وفيها عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص عن ديار مصر وولى عليها معاوية بن خديج ، وحج بالناس عتبة ، وقيل أخوه عنبسة بن أبي سفيان فله أعلم . ومن توفي فيها قيس بن عاصم المنقري ، كان من سادات الناس في الجاهلية والإسلام ، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية والإسلام ، وذلك أنه سكر يوماً فعبث بذات محرم منه فهربت منه ، فلما أصبح قيل له في ذلك فقال في ذلك :

رأيت الخمر منقصة وفيها * مقابح تفضح الرجل السكران

فلا والله أشربها حياتي * ولا أشفي بها أبداً سقمي

وكان إسلامه مع وفد بني تميم ، وفي بعض الأحاديث أن رسول الله قال : « هذا سيد أهل الوبر »

وكان جواداً ممدحاً كريماً وهو الذى يقول فيه الشاعر :

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهتما

وقال الأصمى : سمعت أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان بن العلاء يقولان : قيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقري ، لقد اختلفنا إليه فى الحكم كما يختلف إلى الفقهاء ، فبينما نحن عنده يوماً وهو قاعد بفنائمه محتب بكسائه أتمه جماعة فيهم مقتول ومكتوف فقالوا : هذا ابنك قتله ابن أخيك ، قال : فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت إلى ابن له فى المسجد فقال : اطلق عن ابن عمك ، ووار أخاك واحمل إلى أمه مائة من الابل فانها غريبة ، ويقال إنه لما حضرته الوفاة جلس حوله بنوه - وكانوا اثنين وثلاثين ذكراً - فقال لهم : يا بني سوّحوا عليكم أكبركم تخلفوا أباكم ، ولا تسودوا أصغركم فيزدرى بكم أكفاؤكم ، وعليكم بالمال واصطناعه فانه نعم ما يهبه الكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، وإياكم ومسألة الناس فانها من أخس مكسبة الرجل ، ولا تنوحوا على فان رسول الله لم ينح عليه ، ولا تدفنوني حيث يشعر بكر بن وائل ، فاني كنت أعاديهم فى الجاهلية . وفيه يقول الشاعر

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ما شاء أن يترجا
تحية من أوليته منك منة * إذا ذكرت مثلها تملأ الفما
فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهتما
﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ﴾

فيها شق أبو عبد الرحمن القتي بالمسلمين ببلاد النصارى ، وفيها غزا عقبة بن عامر بأهل مصر البحر ، وحج بالناس فى هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة .
﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين ﴾

فيها غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قسطنطينية ومعه جماعات من سادات الصحابة منهم ابن عمرو بن عباس وابن الزبير وأبو أيوب الأنصارى . وقد ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » فكان هذا الجيش أول من غزاها ، وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد . وفيها توفى أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارى ، و [قيل] لم يمت فى هذه الغزوة بل بعدها سنة إحدى أو ثنتين أو ثلاث وخمسين كما سيأتى . وفيها عزل معاوية مروان عن المدينة وولى عليها سعيد بن العاص ، فاستقضى سعيد عليها أبا سامة بن عبد الرحمن . وفيها شق مالك بن عبيدة الفزارى بأرض الروم ، وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد ، وشق هنالك ، ففتح البلد وغنم شيئاً كثيراً . وفيها كانت صائفة عبد الله بن كرز . وفيها وقع الطاعون بالكوفة فخرج

منها المغيرة فاراً ، فلما ارتفع الطاعون رجع إليها فأصابه الطاعون فمات ، والصحيح أنه مات سنة
خمسین كما سيأتي ، فجمع معاوية لزياد الكوفة إلى البصرة ، فكان أول من جمع له بينهما ، فكان
يقيم في هذه ستة أشهر وهذه ستة أشهر ، وكان يستخلف على البصرة سمرة بن جندب . وحج بالناس
في هذه السنة سعيد بن العاص .

﴿ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان ﴾

﴿ الحسن بن علي بن أبي طالب ﴾

أبو محمد القرشي الهاشمي ، سبط رسول الله ﷺ ، ابن ابنته فاطمة الزهراء ، وريحانته ، وأشبهه
خلق الله به في وجهه ، ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، فحسبك رسول الله بريقه وسماه
حسناً ، وهو أكبر ولد أبيه ، وقد كان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً حتى كان يقبل ذبيحته وهو
صغير ، وربما مص لسانه واعتمته وداعبه ، وربما جاء ورسول الله ﷺ ساجداً في الصلاة فيركب
على ظهره فيقره على ذلك ويطيل السجود من أجله ، وربما صعد معه إلى المنبر ، وقد ثبت في الحديث
أنه عليه السلام بينما هو يخطب إذ رأى الحسن والحسين مقلين فنزل إليهما فاحتضنهما وأخذهما
معه إلى المنبر وقال : « صدق الله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) إني رأيت هذين يمشيان ويعثران فلم
أملك أن نزلت إليهما » ثم قال : « إنكم لمن روح الله وإنكم لتبجلون وتحببون » . وقد ثبت في
صحيح البخاري عن أبي عاصم عن عمر بن سعيد بن أبي حسين عن ابن أبي مليكة عن عقبة بن
الحارث أن أبا بكر صلى بهم العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال ثم خرج هو وعلي يمشيان ، فرأى الحسن
يلعب مع الغلمان فاحتمله على عنقه وجعل يقول : « يا باني شبه النبي ، ليس شبيهاً بعلي » . قال : وعلي
يضحك . وروى سفیان الثوري وغير واحد قالوا : ثنا وكيع ثنا إسماعيل بن أبي خالد سمعت
أبا جحيفة يقول : « رأيت النبي ﷺ وكان الحسن بن علي يشبهه » . ورواه البخاري ومسلم من
حديث إسماعيل بن أبي خالد قال وكيع : لم يسمع إسماعيل من أبي جحيفة إلا هذا الحديث . وقال
أحمد : ثنا أبو داود الطيالسي ثنا زبعة عن ابن أبي مليكة قالت : كانت فاطمة تنقر للحسن بن علي
وتقول : يا باني شبه النبي ليس شبيهاً بعلي . وقال عبد الرزاق وغيره عن معمر عن الزهري عن أنس
قال : كان الحسن بن علي أشبههم وجهاً برسول الله ﷺ . ورواه أحمد عن عبد الرزاق بن حنوفه ،
وقال أحمد : ثنا حجاج ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هاني عن علي قال : « الحسن أشبه برسول الله
ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه برسول الله ما أسفل من ذلك » . ورواه الترمذي من حديث
إسرائيل وقال حسن غريب . وقال أبو داود الطيالسي : ثنا قيس عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني
عن علي قال : كان الحسن أشبه الناس برسول الله من وجهه إلى سترته ، وكان الحسين أشبه الناس به

ما أسفل من ذلك . وقد روى عن ابن عباس وابن الزبير أن الحسن بن علي كان يشبه النبي ﷺ .
وقال أحمد : ثنا حازم بن الفضيل ثنا معتمر عن أبيه قال : سمعت أبا تيمية يحدث عن أبي عثمان
النهدى يحدثه أبو عثمان عن أسامة بن زيد قال : « كان النبي ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد
الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول : اللهم ارحمهما فاني أرحمهما » . وكذا رواه البخاري عن
النهدى عن محمد بن الفضيل أخو حازم به ، وعن علي بن المديني عن يحيى القطان عن سليمان التيمي
عن أبي تيمية عن أبي عثمان عن أسامة ، وأخرجه أيضاً عن موسى بن إسماعيل ومسدود عن معتمر
عن أبيه عن أبي عثمان عن أسامة فلم يذكر أبا تيمية والله أعلم . وفي رواية : « اللهم إني أحبهما
فأحبهما » . وقال شعبة بن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال : رأيت النبي ﷺ والحسن بن
علي عاتقه وهو يقول : « اللهم إني أحبه فأحبه » . أخرجه من حديث شعبة . ورواه علي بن الجعد
عن فضيل بن مرزوق عن عدي عن البراء ، فزاد « وأحب من أحبه » وقال الترمذي : حسن
صحيح . وقال أحمد : ثنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير بن مطعم عن
أبي هريرة عن النبي ﷺ قال للحسن بن علي : « اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه » . ورواه
مسلم عن أحمد وأخرجه من حديث شعبة . وقال أحمد : ثنا أبو النضر ثنا ورقاء عن عبيد الله بن أبي
يزيد عن نافع بن جبير عن أبي هريرة . قال : « كنت مع النبي ﷺ في سوق من أسواق المدينة
فانصرف وانصرفت معه ، فجاء إلى فناء فاطمة فقال أي لكم أي لكم فلم يجبه أحد ، فانصرف
وانصرفت معه إلى فناء فقمه ، قال : فجاء الحسن بن علي - قال أبو هريرة : ظننا أن أمه حبسته
لتجعل في عنقه السخاب - فلما دخل التزمه رسول الله والتزم هو رسول الله ، ثم قال : إني أحبه
وأحب من يحبه » ثلاث مرات . وأخرجه من حديث سفيان بن عيينة عن عبد الله به . وقال أحمد :
ثنا حماد الخياط ثنا هشام بن سعد عن نعيم بن عبد الله المجر عن أبي هريرة . قال : « خرج رسول
الله إلى سوق بني قينقاع متكئاً على يدي فطاف فيها ، ثم رجع فاحتبى في المسجد وقال : أين لكم ؟
ادعوا لي لسكاع ، فجاء الحسن فاشتد حتى وثب في حبوته فأدخل فيه في فمه ثم قال : اللهم إني أحبه
فأحبه وأحب من يحبه » ثلاثاً ، قال أبو هريرة : ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني ، أو قال : دمت
عيني أو بكيت - وهذا على شرط مسلم ولم يخرجوه . وقد رواه الثوري عن نعيم عن محمد بن سيرين
عن أبي هريرة فذكر مثله أو نحوه . ورواه معاوية بن أبي بريدة عن أبيه عن أبي هريرة بنحوه
وفيه زيادة . وروى أبو إسحاق عن الحارث عن علي نحوه من هذا . ورواه عثمان بن أبي اللباب عن
ابن أبي مليكة عن عائشة بنحوه وفيه زيادة . وروى أبو إسحاق عن الحارث عن علي نحوه من هذا
السياق . وقال سفيان الثوري وغيره عن سالم بن أبي حفصة عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال قال

رسول الله ﷺ : « من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني » غريب من هذا الوجه . وقال أحمد : ثنا ابن نمير ثنا الحجاج - يعني ابن دينار - عن جعفر بن إياس عن عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة قال : « خرج علينا رسول الله ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا ، فقال له رجل : يا رسول الله إنك لتحبهما ، فقال : من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني » . تفرد به أحمد . وقال أبو بكر ابن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله قال : « كان رسول الله ﷺ يصلي فجاء الحسن والحسين فجعلا يتوثبان على ظهره إذا سجد ، فأراد الناس زجرهما فلما سلم قال للناس : هذان ابناي ، من أحبهما فقد أحبني » . ورواه النسائي من حديث عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح عن عاصم به . وقد ورد عن عائشة وأم سلمة أمي المؤمنين أن رسول الله اشتمل على الحسن والحسين وأمهما وأبيهما فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » وقال محمد بن سعد : ثنا محمد ابن عبد الله الأسدي ثنا شريك عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله . قال قال رسول الله : « من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن ابن علي » وقد رواه وكيع عن الربيع بن سعد عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر فذكر مثله ، وإسناده لا بأس به ، ولم يخرجوه . وجاء من حديث علي وأبي سعيد وبريدة أن رسول الله قال : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما » . وقال أبو القاسم البغوي : ثنا داود بن عمرو ثنا إسماعيل ابن عياش حدثني عبد الله بن عثمان بن خيثم عن سعد بن راشد عن يعلى بن مرة . قال : « جاء الحسن والحسين يسميان إلى رسول الله فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده تحت رقبته ثم ضمه إلى إبطه ، ثم جاء الآخر فجعل يده إلى الأخرى في رقبته ثم ضمه إلى إبطه ، وقبل هذا ثم قبل هذا ثم قال : اللهم إني أحبهما فأحبهما ، ثم قال : أيها الناس إن الولد مبغلة بمبغلة مجبلة » . وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي خيثم عن محمد بن الأسود بن خلف عن أبيه « أن رسول الله أخذ حسنا فقبله ثم أقبل عليهم فقال : إن الولد مبغلة بمبغلة مجبلة » وقال ابن خزيمة : ثنا عبدة بن عبد الله الخزاعي ثنا زيد بن الحباب ح وقال أبو يعلى أبو خيثمة : ثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : « كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان ، فنزل رسول الله إليهما فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر ، ثم قال : صدق الله ! إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، رأيت هذين الصبيين فلم أصبر ، ثم أخذ في خطبته » . وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الحسين بن واقد ، وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه ، وقد رواه محمد الضمري عن زيد بن أرقم فذكر القصة للحسن وحده : وفي

حديث عبد الله بن شداد عن أبيه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى صلاتي العشي فسجد سجدة أطال فيها السجود ، فلما سلم قال الناس له في ذلك ، قال : إن ابني هذا - يعني الحسن - ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يتقضى حاجته » . وقال الترمذي عن أبي الزبير عن جابر قال : « دخلت على رسول الله وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما على أربع ، فقلت : نعم الحمل حملكما فقال : ونعم العبدان هما » على شرط مسلم ولم يخرجه ، وقال أبو يعلى : ثنا أبو هاشم ثنا أبو عامر ثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس . قال : « خرج رسول الله وهو حامل الحسن على عاتقه فقال له رجل : يا غلام نعم المركب ركبت ، فقال رسول الله : ونعم الراكب هو » . وقال أحمد : حدثنا تليد بن سليمان ثنا أبو الحجاج عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال : « نظر رسول الله إلى علي وحسن وحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم » . وقد رواه النسائي من حديث أبي نعيم ، وابن ماجه من حديث وكيع كلاهما عن سفيان الثوري عن أبي الحجاج داود بن أبي عوف ، قال وكيع : وكان مرصفاً - عن أبي حازم عن أبي هريرة أن رسول الله قال عن الحسن والحسين : « من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني » وقد رواه أسباط عن السدي عن صبيح ، ولى أم سلمة عن زيد بن أرقم فذكره . وقال بقية عن بجير بن سعيد عن خالد ابن معدان عن المقدم بن معدى كرب قال : سمعت رسول الله يقول : « الحسن مني والحسين من علي » فيه نكارة لفظاً ومعنى . وقال أحمد : ثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عوف عن عمير بن إسحاق . قال : « كنت مع الحسن بن علي فلقينا أبو هريرة فقال : أرني أقبل منك حيث رأيت رسول الله يقبل ، فقال : بقميصه ، قال : فقبل سرته » تفرد به أحمد ، ثم رواه عن إسماعيل بن علية عن ابن عوف . وقال أحمد : ثنا هاشم بن القاسم عن جرير عن عبد الرحمن أبي عوف الجرشي عن معاوية . قال : « رأيت رسول الله يمض لسانه - أو قال شفقه يعني الحسن بن علي - وإنه لن يعذب لسان أو شفتان بمصهما رسول الله ﷺ » . تفرد به أحمد ، وقد ثبت في الصحيح عن أبي بكر . وروى أحمد عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المساهين » . وقد تقدم هذا الحديث في دلائل النبوة ، وتقدم قريباً عند نزول الحسن لمعاوية عن الخلافة ، ووقع ذلك تصديقاً لقوله ﷺ هذا ، وكذلك ذكرناه في كتاب دلائل النبوة والله الحمد والمنة . وقد كان الصديق يحله ويعظمه ويكرمه ويحبه ويتفاده ، وكذلك عمر ابن الخطاب ، فروى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه : أن عمر لما عمل الديوان فرض للحسن والحسين مع أهل بدر في خمسة آلاف خمسة آلاف ، وكذلك كان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما . وقد كان الحسن بن علي يوم الدار - وعثمان بن عفان محصور -

عنده ومعه السيف متقللاً به يحاجف عن عثمان نخشى عثمان عليه فأقسم عليه ليرجعن إلى منزلهم تطيباً لقلب علي ، وخوفاً عليه رضى الله عنهم . وكان علي يكرم الحسن إكراماً زائداً ، ويعظمه ويعبده . وقد قال له يوماً : يا بني ألا تخطب حتى أممك ؟ فقال : إني أستحي أن أخطب وأنا أراك ، فذهب على مجلس حيث لا يراء الحسن ثم قام الحسن في الناس خطيباً وعلى يسمع ، فأدى خطبة بليغة فصيحة فلما انصرف جعل على يقول : ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركباً ، ويرى هذا من النعم عليه . وكان إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمن عليهما للسلام عليهما ، رضى الله عنهما وأرضاها . وكان ابن الزبير يقول : والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي . وقال غيره : كان الحسن إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس ، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده ، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن ويربما أنحفه ثم ينصرف إلى منزله . ولما نزل معاوية عن الخلافة من ورعه صيانة للمسلمين ، كان له على معاوية في كل عام جائزة ، وكان يفد إليه ، فربما أجازده بأربعمائة ألف درهم ، وراتبه في كل سنة مائة ألف ، فانقطع سنة عن الذهاب وجاء وقت الجائزة فاحتاج الحسن إليها . وكان من أكرم الناس - فأراد أن يكتب إلى معاوية ليبعث بها إليه ، فلما نام تلك الليلة رأى رسول الله في المنام فقال له : يا بني أتكتب إلى مخلوق بحاجتك ؟ وعلمه دعاء يدعو به « فترك الحسن . ما كان هم به من الكتابة ، فذكر معاوية وافتقده ، وقال : ابعثوا إليه بمائتي ألف فلمل له ضرورة في تركه القدم علينا ، فحملت إليه من غير سؤال . قال صالح بن أحمد : سمعت أبي يقول : الحسن بن علي مدني ثقة . حكاه ابن عساكر في تاريخه ، قالوا : وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، وخرج من ماله مرتين ، وحجج خمسا وعشرين مرة ماشياً وإن الجنائب لتقاد بين يديه . وروى ذلك البيهقي من طريق عبيد الله بن عمير عن ابن عباس . وقال علي بن زيد بن جدعان : وقد عاق ابنخاري في صحيحه أنه حج ماشياً والجنائب تقاد بين يديه ، وروى داود بن رشيد عن حفص عن جعفر بن محمد عن أبيه . قال : حج الحسن بن علي ماشياً والجنائب تقاد بين يديه ونجائبه تقاد إلى جنبه . وقال العباس بن الفضل عن القاسم عن محمد بن علي قال قال الحسن بن علي : إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته ، فشئ عشرين مرة إلى المدينة على رجله ، قالوا : وكان يقرأ في بعض خطبه سورة إبراهيم ، وكان يقرأ كل ليلة سورة الكهف قبل أن ينام ، يقرأها من لوح كان يسور معه حيث كان من بيوت نسائه ، فيقرأ بعد ما يدخل في الفراش قبل أن ينام رضى الله عنه . وقد كان من الكرم على جانب عظيم ، قال محمد بن سيرين : ربما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمائة ألف . وقال سعيد بن عبد العزيز : سمع الحسن رجلاً

إلى جانبهم ، يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم ، فقام إلى منزله فبعث بها إليه . وذكروا أن الحسن رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة ، ويطعمهم كلها هناك لقمة ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : إني استعجى منه أن آكل ولا أطعمه ، فقال له الحسن : لا تبرح من مكانك حتى آتيك ، فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه ، فأعتقه ومكسكه الحائط ، فقال الغلام : يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبته لي . قالوا : وكان كثير الزوج ، وكان لا يفارقه أربع حرائر ، وكان مطلقاً مصداقاً ، يقال إنه أحسن سبعين امرأة ، وذكروا أنه طلق امرأتين في يوم ، واحدة من بني أسد وأخرى من بني فزارية . فزارية . وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف وبرفاق من عسل ، وقال للغلام : اسمع ما تقول كل واحدة منهما ، فأما الفزارية فقالت : جزاه الله خيراً ، ودعت له ، وأما الأسدية فقالت : متاع قليل من حبيب مفارق . فرجع الغلام إليه بذلك ، فارتجع الأسدية وترك الفزارية . وقد كان علي يقول لأهل الكوفة : لا تزوجوه فانه مطلق ، فيقولون والله يا أمير المؤمنين لو خطب إلينا كل يوم لزوجناه منا من شاء ابتغاء في صهر رسول الله ﷺ . وذكروا أنه قام مع امرأته خولة بنت منظور الفزارية - وقيل هند بنت سهيل - فوق إجار فعمدت المرأة فربطت رجله بخمارها إلى خملخالها ، فلما استيقظ قال لها : ما هذا ؟ فقالت : خشيت أن تقوم من النوم فتسقط فأكون أشأم سخلة على العرب . فأعجبته ذلك منها ، واستمر بها سبعة أيام بعد ذلك . وقال أبو جعفر الباقر : جاء رجل إلى الحسين بن علي فاستعان به في حاجة فوجده معتكفاً فاعتذر إليه ، فذهب إلى الحسن فاستعان به فقصى حاجته ، وقال : لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إلي من اعتكاف شهر . وقال هشيم عن منصور عن ابن سيرين قال : كان الحسن بن علي لا يدعو إلى طعاه أحدًا يقول : هو أهون من أن يدعى إليه أحد . وقال أبو جعفر : قال علي يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن بن علي فانه مطلق ، فقال رجل من همدان : والله لنزوجه ، فما رضى أمسك وما كره طلق . وقال أبو بكر الخراطي - في كتاب مكارم الأخلاق - : ثنا ابن المنذر - هو إبراهيم - ثنا القواريري ثنا عبد الأعلى عن هشام عن محمد بن سيرين قال : تزوج الحسن بن علي امرأة فبعث إليها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم . وقال عبد الرزاق عن الثوري عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن الحسن بن سعد عن أبيه قال : متع الحسن بن علي امرأتين بعشرين ألفاً وزقاق من عسل ، فقالت إحداهما - وأراها الحنفية - متاع : قليل من حبيب مفارق . وقال الواقدي : حدثني علي بن عمر عن أبيه عن علي بن الحسين قال : كان الحسن بن علي مطلقاً للنساء ، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه . وقال جويرية بن أسماء : لما مات الحسن بكى عليه مروان في جنازته ، فقال له الحسين : أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ؟ فقال : إني كنت أفعل إلى أحلم من هذا ، وأشار هو

إلى الجبل . وقال محمد بن سعد : أنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن ابن عون عن محمد بن إسحاق قال : ما تكلم عندى أحد كان أحب إلى إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي ، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة ، فانه كان يدينه وبين عمرو بن عثمان خصومة فقال : ليس له عندنا إلا ما رغب أنفسه ، فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط . قال محمد بن سعد : وأنا الفضل بن دكين أنا مساور الجصاص عن رزين بن سوار . قال : كان بين الحسن و مروان خصومة فجعل مروان يفاظل للحسن وحسن ساكت ، فامتخط مروان يمينه ، فقال له الحسن : ويحك ! أما علمت أن النبي قال وجهه ، والشمال للفرج ؟ أف لك ، فسكت مروان . وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد قيل للحسن بن علي : إن أبا زريقول : الفقير أحب إلى من الغني ، والسقيم أحب إلى من الصحة ، فقتل : رحمه الله أبا زريقول : فأنقول : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له . وهذا أحد الوقوف على الرضا بما تعرف به القضاء . وقال أبو بكر محمد بن كيسان الأصم : قال الحسن ذات يوم لأصحابه : إني أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني ، وكان عظيم ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً عن سلطان بطنه فلا يشتبهى مالا يجده ، ولا يكتر إذا وجد ، وكان خارجاً عن سلطان فرجه ، فلا يستخف له عقله ولا رأيه ، وكان خارجاً عن سلطان جماله فلا يمد يداً إلا على ثقة المنفعة ، ولا يخطو خطوة إلا لحسنة ، وكان لا يسخط ولا يتبرم ، كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم ، وكان إذا غلب على الكلام لم يغلب على الصمت ، كان أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال ينذر القائلين ، وكان لا يشارك في دعوى ، ولا يدخل في راء ، ولا يدلي بحجة ، حتى يرى قاضياً يقول مالا يفعل ، ويفعل مالا يقول ، تفضلاً وتكرماً ، كان لا يفعل عن إخوانه ، ولا يستخص بشيء دونهم . كان لا يكرم أحداً فيما يقع العذر بمثله ، كان إذا ابتداء أمران لا يرى أيهما أقرب إلى الحق نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه . رواد ابن عساكر والخطيب . وقال أبو الفرج المعافى بن زكريا الحريري : ثنا بدر بن الهيثم الحضرمي ثنا علي بن المنذر الطارقي ثنا عثمان ابن سعيد الدارمي ثنا محمد بن عبد الله أبو رجاء - من أهل تستر - ثنا شعبة بن الحجاج الواسطي عن أبي إسحاق الهمداني عن الحارث الأعور أن علياً سأل ابنه - يعني الحسن - عن أشياء من المروءة فقال : يا بني ما السداد ؟ قال : يا أبة السداد دفع المنكر بالمعروف ، قال : فما الشرف ؟ قال : اصطناع العشرة وحمل الجريرة . قال : فما المروءة ؟ قال : العفاف وإصلاح المرء ماله . قال : فما الدينية ؟ قال : النظر في اليسير ومنع الحقير . قال : فما الثوم ؟ قال : احتراز المرء نفسه وبنته عرسه . قال : فما السماحة ؟ قال : البذل في العسر واليسر . قال : فما الشج ؟ قال : أن ترى ما في يديك سرفاً وما أنفقتة تلفاً . قال : فما الاخاء ؟ قال : الوفاء في الشدة والرخاء . قال : فما الجبن ؟ قال : الجرأة

على الصديق والنسكول عن الصدور . قال : فما الغنيمة ؟ قال : الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا .
قال : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ وملك النفس . قال : فما الغنى ؟ قال : رضى النفس بما قسم الله لها وإن
قل ، فأنما الغنى غنى النفس . قال : فما الفقر ؟ قال : شره النفس في كل شيء . قال : فما المنعة ؟
قال : شدة البأس ومقاومة أشد الناس . قال : فما الذل ؟ قال : الخزع عند المصداقية ؟ قال : فما
الجرأة ؟ قال : موافقة الأقران . قال : فما الكلفة ؟ قال : كلامك فيما لا يمينك . قال : فما المجد . قال :
أن تعطى في الغرم وأن تغفر عن الجرم . قال : فما العقل ؟ قال : حفظ القلب كل ما استرعيت . قال :
فما الخرق ؟ قال : معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك . قال : فما الشناء ؟ قال : إتيان الجليل وترك
القبیح . قال : فما الخزم ؟ قال : طول الأناة ، والرفق بالولاة ، والاحتباس من الناس بسوء الظن هو
الخزم . قال : فما الشرف ؟ قال : موافقة الأخوان ، وحفظ الجيران . قال : فما السفه ؟ قال : اتباع الدعاة ،
ومصاحبة الغواة . قال : فما الغفلة . قال : تركك المسجد وطاعتك المفسد . قال : فما الحرمان ؟ قال :
تركك حظك وقد عرض عليك . قال : فمن السيد ؟ قال : الأحق في المال المنهاون بعرضه ، يشتم
فلا يجيب المتحرن بأمر العشيبة هو السيد . قال ثم قال على : يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« لا فقر أشد من الجهل ، ولا مال أفضل من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا مظاهرة
أوثق من المشاورة ، ولا عتل كالسدبير ، ولا حسب كحسن الخلق ، ولا ورع كالكف ، ولا عبادة
كالتمكر ، ولا إيمان كالحياء ، ورأس الإيمان الصبر ، وآفة الحديث الكذب ، وآفة العلم النسيان ،
وآفة الحلم السفه ، وآفة العبادة الفتنة ، وآفة الطرف الصلف ، وآفة الشجاعة البغي ، وآفة السماحة
المن ، وآفة الجمال الخيلاء ، وآفة الحب الفخر » ثم قال على : يا بني لا تستخفن برجل تراه أبداً ، فإن
كن أكبر منك فعدّه أبك ، وإن كان مثلك فهو أخوك ، وإن كان أصغر منك فاحسب أنه ابنك .
فهذا ما سأل على ابنه عن أشياء من المروعة . قال القاضي أبو الفرج : ففي هذا الخبر من الحكمة
وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه ، وحفظه ووعاه ، وعمل به وأدب نفسه بالعمل عليه ، وهدى بها
بالجوع إليه ، وتموفر فائدته بالوقوف عنده . وفيما رواه أمير المؤمنين وأضعافه عن النبي ﷺ ما لا
غنى لكل لبيب عليه ، وقسرة حكيم ، عن حفظه وتأمله ، والمسعود من هدى لتلقيه ، والمجدود من
وفق لا مثاله وتقبل . قلت : ولكن إسناد هذا الأثر وما فيه من الحديث المرفوع ضعيف ، ومثل
هذه الألفاظ في عبارتها ما يبل ما في بعضها من السكراة على أنه ليس بمحفوظ والله أعلم . وقد ذكر
الأصمعي والعتبي والمدايني وغيرهم : أن مساوية سأل الحسن عن أشياء تشبه هذا فأجابته بنحو ما
تقدم ، لكن هذا السياق أطول بكثير مما تقدم فأنه أعلم . وقال على بن العباس الطبراني : كان على
خاتم الحسن بن علي مكتوباً :

قدم لنفسك ما استطعت من التقى * إن المنية نازلة بك يافى
أصبحت ذا فرح كأنك لا ترى * أحباب قلبك فى المقابر والبلى

قال الامام أحمد : حدثنا مطلب بن زياد بن محمد ثنا محمد بن أبان قال قال الحسن بن على ابنه
و بنى أخيه : « تعلموا فانكم صغار قوم اليوم وتكونوا كبارهم غداً ، فمن لم يحفظ منكم فليكتب » . رواه
البيهقى عن الحاكم عن عبد الله بن أحمد عن أبيه . وقال محمد بن سعد : ثنا الحسن بن موسى وأحمد بن
يونس قالا : ثنا زهير بن معاوية ثنا أبو إسحاق عن عمرو الأصم قال قلت للحسن بن على : إن هذه
الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، قال : كذبوا والله ! ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه
مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله . وقال عبد الله بن أحمد : حدثني أبو على سويد الطحان
ثنا على بن عاصم ثنا أبو ريمحانة عن سفيانة عن النبي ﷺ قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » فقال
رجل كان حاضراً فى المجلس : قد دخلت من هذه الثلاثين ستة شهور فى خلافة معاوية . فقال : من
ها هنا أتيت تلك الشهور كانت البيعة للحسن بن على ، بايعه أربعون ألفاً أو اثنان وأربعون ألفاً .
وقال صالح بن أحمد : سمعت أبى يقول : بايع الحسن تسعون ألفاً فزهد فى الخلافة وصالح معاوية ولم
يسل فى أيامه محجمة من دم . وقال ابن أبى خيثمة : وحدثنا أبى ثنا وهب بن جرير قال قال أبى :
فلما قتل على بايع أهل الكوفة الحسن بن على وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه . وقال ابن أبى
خيثمة : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة عن ابن شاذب . قال : لما قتل على سار الحسن فى أهل
العراق وسار معاوية فى أهل الشام فالتقوا فسكره الحسن القتال وبايع معاوية على أن جعل العهد للحسن
من بعده . قال : فكان أصحاب الحسن يقولون : يا عار المؤمنين ، قال : فيقول لهم : العار خير من
النار . وقال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنا العباس بن هشام عن أبيه قال : لما قتل على بايع الناس
الحسن بن على فولبها سبعة وأحد عشر يوماً . وقال غير عباس : بايع الحسن أهل الكوفة ، وبايع
أهل الشام معاوية بإبلياء بعد قتل على ، وبويع بيعة العامة ببيت المقدس يوم الجمعة من آخر سنة
أربعين ، ثم لقي الحسن معاوية بمسكن - من سواد الكوفة - فى سنة إحدى وأربعين فاصطامها ،
وبايع الحسن معاوية . وقال غيرد : كان صلحهما ودخول معاوية الكوفة فى ربيع الأول من سنة
إحدى وأربعين . وقد تكلمنا على تفصيل ذلك فيما تقدم بما أغنى عن إعادته ها هنا .

وحاصل ذلك أنه اصطلاح مع معاوية على أن يأخذ ما فى بيت المال الذى بالكوفة ، فوفى له معاوية
بذلك فاذا فيه خمسة آلاف ألف ، وقيل سبعة آلاف ألف ، وعلى أن يكون خراج . وقيل دار الجرد له
فى كل عام ، فامتنع أهل تلك الناحية عن أداء الخراج إليه ، فعرضه معاوية عن كل ستة آلاف ألف
درهم فى كل عام ، فلم يزل يتناولها مع ماله فى كل زيارة من الجوائز والتحف والهدايا ، إلى أن توفى فى

هذا العام . وقال محمد بن سعد عن هودة بن خليفة عن عوف عن محمد بن سيرين قال : لما دخل معاوية الكوفة وبايعه الحسن بن علي قال أصحاب معاوية لمعاوية : مر الحسن بن علي أن يخطب ، فإنه حديث السن عيسى ، فلعله يتلثم فيمتضع في قلوب الناس . فأمره فقام فاخطب فقال في خطبته : « أيها الناس لو اتبعتم بين جابلق وجابر بن رجل جده نبي غيري وغير أخي لم تجدوه ، وإنا قد أعطينا بيعتنا معاوية ورأينا أن حقن دماء المسلمين خير من إهراقها ، والله ما أدرى لعدو فتنه لكم ومتاع إلى حين » . وأشار إلى معاوية - فغضب من ذلك وقال : ما أردت من هذه ؟ قال : أردت منها ما أراد الله منها . فصعد معاوية وخطب بعده . وقد رواه غير واحد وقد مر أن معاوية عتب على أصحابه . وقال محمد بن سعد : ثنا أبو داود الطيالسي : ثنا شعبة عن يزيد قال : سمعت جبير بن نفير الحضرمي يحدث عن أبيه قال : قلت للحسن بن علي : إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة ؟ فقال : كانت جماجم العرب بيدي ، يسلمون من سالت ويحاربون من حاربت ، فتركتها ابتغاء وجه الله ، ثم أثيرها ثانياً من أهل الحجاز . وقال محمد بن سعد : أنا علي بن محمد عن إبراهيم بن محمد عن زيد بن أسلم قال : دخل رجل على الحسن بن علي وهو بالمدينة وفي يده صحيفة فقال : ما هذه ؟ فقال : ابن معاوية يعدنيها ويتوعد ، قال : قد كنت على النصف منه ، قال : أجل ولكن خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً ، أو ثمانون ألفاً ، أو أكثر أو أقل ، تنضح أوداجهم دماً ، كلهم يستعدي الله فيم هريق دمه . وقال الأصمعي عن سلام بن مسكين عن عمران بن عبد الله . قال : رأى الحسن بن علي في منامه أنه مكتوب بين عينيه ، (قل هو الله أحد) ففرح بذلك فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : إن كان رأى هذه الرؤيا فقل ما بقي من أجله . قال : فلم يلبث الحسن بن علي بعد ذلك إلا أياماً حتى مات . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا عبد الرحمن بن صالح العتكي ومحمد بن عثمان المعجلي قالا : ثنا أبو أسامة عن ابن عون عن عمير بن إسحاق . قال : دخلت أنا ورجل آخر من قريش على الحسن بن علي فقام فدخل المخرج ثم خرج فقال : لقد لفظت طائفة من كبدي أقليمها بهذا العود ، ولقد سقيت السم مراراً وما سقيت مرة هي أشد من هذه . قال : وجعل يقول لذلك الرجل : سلني قبل أن لا تأتي ، فقال ما أسألك شيئاً يعافيك الله ، قال : نخرجنا من عنده ثم عدنا إليه من الغد . وقد أخذ في السوق فجاء حسين حتى قعد عند رأسه ، فقال : أي أخي ! من صاحبك ؟ قال : تريد قتله ، قال : نعم ! قال لئن كان صاحبي الذي أضل الله أشد تقمة . وفي رواية : فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ، وإن لم يكنه ما أحب أن تقتل بي بريئاً . ورواه محمد بن سعد عن ابن علية عن ابن عون . وقال محمد بن عمر الواقدي : حدثني عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور . قالت : الحسن سقى مراراً كل ذلك يفلت منه ، حتى كانت المرة الأخيرة التي مات فيها فإنه كان يختلف كبده ، فلما مات أقام

نساء بنى هاشم عليه النوح شهراً . وقال الواقدي : وحدثنا عبدة بنت نائل عن عائشة قالت : حد
نساء بنى هاشم على الحسن بن علي سنة . قال الواقدي : وحدثني عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن
حسن قال : كان الحسن بن علي كثير نكاح النساء ، وكان قل ما يحظين عنده ، وكان قل امرأة
تزوجها إلا أحبته وضنت به ، فيقال إنه كان سقى سما ، ثم أفلت ، ثم سقى فأفلت ثم كانت الآخرة
توفى فيها ، فلما حضرته الوفاة قال الطبيب وهو يختلف إليه : هذا رجل قطع السم إيماءه ، فقال
الحسين : يا أبا محمد أخبرني من سقاك ؟ قال : ولم يا أخى ؟ قال : أقتله والله قبل أن أدفنه ولا أقدر
عليه أو يكون بأرض أتكاف الشخصوص إليه . فقال : يا أخى إنما هذه الدنيا ليل فانية ، دعه حتى
ألتقى أنا وهو عند الله ، وأبى أن يسميه . وقد سمعت بعض من يقول : كان معاوية قد تملط لبعض
خدمه أن يسقيه سما . قال محمد بن سديد : وأنا يحيى بن حمال أنا أبو عوانة عن المغيرة عن أم موسى
أن جمعة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم فاشتكى منه شكاة ، قال فكان يوضع تحته
طشت ويرفع آخر نحواً من أربعين يوماً . وروى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جمعة بنت
الأشعث أن سمى الحسن وأنا أتزوجك بعده ، ففعلت ، فلما مات الحسن بعثت إليه فقال : إنا والله
لم نرضك للحسن أفترضاك لأنفسنا ؟ وعندي أن هذا ليس بصحيح ، وعدم صحته عن أبيه معاوية
بطريق الأولى والأخرى ، وقد قال كثير نكرة في ذلك :

يا جمعة بكى ولا تسأى * بكاء حق ليس بالباطل
إن تسترى البيت على مثله * فى الناس من حاف ولا ناعل
أعنى الذى أسامه أهله * للزمن المستخرج الماحل
كان إذا شبت له ناره * يرفعها بالنسب المائل
كما يراها بأئس مرمل * أو فرد قوم ليس بالآهل
تغلى بنى اللحم حتى إذا * أنضج لم تغل على آكل

قال سفيان بن عيينة عن ربيعة بن مصقلة قال : لما احتضر الحسن بن علي قال : أخرجوني إلى
الصحن أنظر فى ملكوت السموات . فأخرجوا فراشه فرفع رأسه فنظر فقال : اللهم إني أحتسب نفسى
عندك قائماً أعز الأنفس على ، قال : فكان مما صنع الله له أنه احتسب نفسه عنده . وقال
عبد الرحمن بن مهدي : لما اشتد بسفيان الثورى المرض جزع جزعاً شديداً فدخل عليه مرحوم بن
عبد العزيز فقال : ما هذا الجزع يا أبا عبد الله ؟ تقدم على رب عبدته ستين سنة ، صمت له ، صليت
له ، حججت له ، قال فسرى عن الثورى . وقال أبو نعيم : لما اشتد بالحسن بن علي الوجع جزع
فدخل عليه رجل فقال له : يا أبا محمد ما هذا الجزع ؟ ما هو إلا أن تنارق روحك جسداً فتقدم على

أبويك علي وفاطمة ، وعلى جدك النبي ﷺ وخديجة ، وعلى أمك حمزة وجعفر ، وعلى أخوالك
 القاسم الطيب ومطهر وإبراهيم ، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب ، قال : فسرى عنه . وفي
 رواية أن القائل له ذلك الحسين ، وأن الحسن قال له : يا أخى إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل
 في مثله ، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط . قال : فبكى الحسين رضى الله عنهما . رواه عباس
 الدورى عن ابن معين ، ورواه بعضهم عن جعفر بن محمد عن أبيه فذكر نحوه . وقال الواقدي :
 ثنا إبراهيم بن الفضل عن أبي عتيق قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهدنا حسن بن علي يوم
 مات وكادت الفتنة تقع بين الحسين بن علي و مروان بن الحكم ، وكان الحسن قد عهد إلى أخيه أن
 يدفن مع رسول الله ، فإن خاف أن يكون في ذلك قتال أو شر فليدفن بالبقيع ، فأبى مروان أن يدعه
 - ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضى معاوية - ولم يزل مروان عدواً لبني هاشم حتى مات ، قال
 جابر : فكلمت يومئذ حسين بن علي فقلت : يا أبا عبد الله اتق الله ولا تثر فتنة فإن أخاك كان لا يجب
 ماترى ، فادفنه بالبقيع مع أمه ففعل . ثم روى الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه عن عمر قال
 حضرت موت الحسن بن علي فقلت للحسين بن علي اتق الله ولا تثر فتنة ولا تسفك الدماء : وادفن
 أخاك إلى جانب أمه ، فإن أخاك قد عهد بذلك إليك ، قال ففعل الحسين . وقد روى الواقدي عن
 أبي هريرة نحوه من هذا ، وفي رواية أن الحسن بعث يستأذن عائشة في ذلك فأذنت له ، فلما مات
 لبس الحسين السلاح وتسليح بنو أمية وقالوا : لاندعه يدفن مع رسول الله ﷺ ، أيدفن عثمان بالبقيع
 ويدفن الحسن بن علي في الحجرة ؟ فلما خاف الناس وقوع الفتنة أشار سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة
 وجابر وابن عمر على الحسين أن لا يقاتل فامتل ودفن أخاه قريباً من قبر أمه بالبقيع ، رضى الله عنه .
 وقال سفيان الثوري عن سالم بن أبي حفصة عن أبي حازم قال : رأيت الحسين بن علي قدّم يومئذ
 سعيد بن العاص فصلى على الحسن وقال : لولا أنها سنة ما قدمته . وقال محمد بن إسحاق : حدثني
 مساور مولى بني سعد بن بكر قال : رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله يوم مات الحسن بن
 علي وهو ينادى بأعلا صوته : يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله فابكوا . وقد اجتمع الناس
 لجنازته حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزحام . وقد بكاه الرجال والنساء سبغاً ، واستمر نساء بني
 هاشم ينحن عليه شهراً ، وحدث نساء بني هاشم عليه سنة . قال يعقوب بن سفيان : حدثنا محمد بن
 يحيى ثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قتل علي وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ومات لها
 حسن ، وقتل لها الحسين رضى الله عنهم . وقال شعبة عن أبي بكر بن حفص قال : توفي سعد والحسن
 ابن علي في أيام بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين . وقال علي بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه
 قال : توفي الحسن وهو ابن سبع وأربعين ، وكنا قال غير واحد وهو أصح . والمشهور أنه مات سنة

تسع وأربعمين كما ذكرنا ، وقال آخرون : مات سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين أو ثمان وخمسين .

﴿ سنة خمسين من الهجرة ﴾

ففي هذه السنة توفي أبو موسى الأشعري في قول ، والصحيح سنة ثنتين وخمسين كما سيأتي . فيها حج بالناس معاوية ، وقيل ابنه يزيد ، وكان نائب المدينة في هذه السنة سعيد بن العاص ، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق وسجستان وفارس والسند والهند زياد . وفي هذه السنة اشتكى بنو وهشل على الفرزدق إلى زياد فهرب منه إلى المدينة ، وكان سبب ذلك أنه عرض بمعاوية في قصيدة له فتطلبه زياد أشد الطلب ففر منه إلى المدينة ، فاستجار بسعيد بن العاص ، وقال في ذلك أشعاراً ، ولم يزل فيما بين مكة والمدينة حتى توفي زياد فرجع إلى بلاده ، وقد طول ابن جرير هذه القصة . وقد ذكر ابن جرير في هذه السنة من الحوادث ما رواه من طريق الواقدي : حدثني يحيى بن سعيد بن دينار عن أبيه أن معاوية كان قد عزم على تحويل المنبر النبوي من المدينة إلى دمشق وأن يأخذ العصاة التي كان النبي ﷺ يمسكها في يده إذا خطب فيقف على المنبر وهو ممسكها ، حتى قال أبو هريرة وجابر بن عبد الله : يا أمير المؤمنين نذكرك الله أن تفعل هذا فان هذا ، لا يصلح أن يخرج المنبر من موضع وضعه فيه رسول الله ﷺ ، وأن يخرج عصاه من المدينة . فترك ذلك معاوية ولكن زاد في المنبر ست درجات واعتذر إلى الناس . ثم روى الواقدي أن عبد الملك بن مروان في أيامه عزم على ذلك أيضاً فقبل له : إن معاوية كان قد عزم على هذا ثم ترك ، وأنه لما حرك المنبر خسفت الشمس فترك . ثم لما حج الوليد بن عبد الملك أراد ذلك أيضاً فقبل له : إن معاوية وأباك أرادا ذلك ثم تركاه ، وكان السبب في تركه أن سعيد بن المسيب كلم عمر بن عبد العزيز أن يكلمه في ذلك ويعظه فترك . ثم لما حج سليمان أخبره عمر بن عبد العزيز بما كان عزم عليه الوليد ، وأن سعيد بن المسيب نهاه عن ذلك ، فقال : ما أحب أن يذكر هذا عن عبد الملك ولا عن الوليد ، وما يكون لنا أن نفعل هذا ، مالهنا ولد ، وقد أخذنا الدنيا فهي في أيدينا فنريد أن نعمد إلى علم من أعلام الإسلام ينفذ إليه الناس فنحمله إلى ما قبلنا . هذا مالا يصلح رحمه الله .

وفي هذه السنة عزل معاوية عن مصر معاوية بن خديج وولى عليها من إفريقية مسلمة بن مخلد ، وفيها افتتح عقبة بن نافع الفهري عن أمر معاوية بلاد إفريقية ، واحتطت القيروان . وكان غيضة تأوى إليها السباع والوحوش والحيات العظام ، فدعا الله تعالى فلم يبق فيها شيء من ذلك حتى ان السباع صارت تخرج منها تحمل أولادها ، والحيات يخرجن من أجحارهن هوارب . فأسلم خلق كثير من البربر فبنى في مكانها القيروان . وفيها غزا بسر بن أبي أرطاة وسفيان بن عوف أرض الروم ، وفيها غزا فضالة بن عبيد البحر ، وفيها توفي مدلاج بن عمرو السلمي صحابي جليل شهيد

المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولم أره ذكراً في الصحابة .

﴿ صفية بنت حيي بن أخطب ﴾

ابن شعبة بن أعلبة بن عبد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن نعيم ،
أم المؤمنين النضرية من سلالة هارون عليه السلام ، وكانت مع أبيها وابن عمها أخطب بالمدينة ،
فلما أحلى رسول الله ﷺ بني النضير ساروا إلى خيبر ، وقتل أبوها مع بني قريظة صبراً كما قدمنا
فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر كانت في جملة السبي فوَقعت في سهم دحية بن خليفة الكلبي ،
فذكر له جهالها وأنها بنت ملكهم ، فاصطفاها لنفسه وعوضه منها وأسأمت وأعتقها وتزوجها ، فلما
حلت بالصبيان بني بها ، وكانت ماشطتها أم سليم ، وقد كانت تحت ابن عمها كنانة بن أبي الحقيق
فقتل في المعركة ، ووجد رسول الله ﷺ بجدها لطمه فقال : ما هذه ؟ فقالت : إني رأيت كأن القمر أقبل
من يثرب فسقط في حجرى فقصيت المنام على ابن عمى فلطمني وقال : تتمنين أن يتزوجك ، لك
يثرب ؟ فهذه من لطمته . وكانت من سيدات النساء عبادة وورعاً وزهادة وبراً وصدقة ، رضى الله
عنها وأرضاها . قال الواقدي : توفيت سنة خمسين وقال غيره سنة ست وثلاثين ، والأول أصح
والله أعلم .

﴿ وأما أم شريك الأنصارية ﴾

ويقال العامرية فهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فقبل قبلها وقيل لم يقبلها ، ولم تتزوج حتى
مات رضى الله عنها وهي التي سقيت بدلو من السماء لما منعها المشركون الماء فأسلموا عند ذلك ، واسمها
غزية ، وقيل عزيلة بنى عامر على الصحيح ، قال ابن الجوزي : ماتت سنة خمسين ولم أره لغيره .
﴿ وأما عمرو بن أمية الضمري ﴾

فصحابي جليل أسلم بعد أحد ، وأول مشاهده بئر معونة ، وكان ساعى رسول الله ﷺ بعثه
إلى النجاشي في تزويج أم حبيبة وأن يأتي بمن بقي من المسلمين ، وله أفعال حسنة ، وآثار محمودة ،
رضى الله عنه . توفي في خلافة معاوية .

مذكر أبو الفرج ابن الجوزي - في كتابه المنظم - أن في هذه السنة توفي جبير بن مطعم
وحسان بن ثابت ، والحكم بن عمرو الغفاري ، ودحية بن خليفة الكلبي ، وعقيل بن أبي طالب ،
وعمر بن أمية الضمري بدرى ، وكعب بن مالك ، والمغيرة بن شعبة ، وجويرية بنت الحارث ،
وصفية بنت حيي ، وأم شريك الأنصارية . رضى الله عنهم أجمعين .

﴿ أما جبير بن مطعم ﴾

ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي أبو محمد وقيل أبو عدى المدني ، فانه قدم وهو
مشرک في فداء أسارى بدر ، فلما سمع قراءة رسول الله ﷺ في سورة الطور (أم خلقوا من غير

شئ أم هم الخالفون) دخل في قلبه الاسلام ، ثم أسلم عام خير ، وقيل زمن الفتح ، والأول أصح ، وكان من سادات قریش وأعلمها بالأنسب ، أخذ ذلك عن الصديق والمشهور أنه توفي سنة ثمان وخمسين ، وقيل سنة تسع وخمسين . ﴿ وأما حسان بن ثابت ﴾

شاعر الاسلام فالصحيح أنه توفي سنة أربع وخمسين كما سيأتي .

﴿ وأما الحكم بن عمرو بن محمّد الفخاري ﴾

أخو رافع بن عمرو ، ويقال له الحكم بن الأقرع ، فصحابي جليل له عند البخاري حديث واحد في النهي عن لحوم الحر الانسية ، استنابه زياد بن أبيه على غزو جبل الاش ففهم شيئاً كثيراً ، فجاء كتاب زياد إليه على لسان معاوية أن يصطفي من الغنمة لمعاوية ما فيها من الذهب والفضة لميت ماله فرد عليه : إن كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، أو لم يسمع لقوله عليه السلام : « لا طاعة لمخلوق في معصية الله » ؟ وقسم في الناس غنائمهم ، فيقال إنه حبس إلى أن مات بمرور في هذه السنة وقيل في سنة إحدى وخمسين رحمه الله .

﴿ وأما دحية بن خليفة السكابي ﴾

فصحابي جليل ، كان جميل الصورة ، فلم هذا كان جبريل يأتي كثيراً في صورته ، وكان رسول الله ﷺ أرسله إلى قيصر ، أسلم قديماً ولكن لم يشهد بدرأ ، وشهد ما بعدها ، ثم شهد اليرموك وأقام بالمرّة - غربى دمشق - إلى أن مات في خلافة معاوية .

وفيهما توفي عبد الرحمن بن عتبة بن حبيب بن عبد شمس القرشي أبو سعيد العبشمي ، أسلم يوم الفتح ، وقيل شهد موته ، وغزا خراسان ، وافتتح سجستان وكابل وغيرها ، وكانت له دار بدمشق وأقام بالبصرة ، وقيل بمرور ، قال محمد بن سعد وغير واحد : مات بالبصرة سنة خمسين ، وقيل سنة إحدى وخمسين ، وصلى عليه زياد ، وترك عدة من الذكور ، وكان اسمه في الجاهلية عبد كلال ، وقيل عبد كلوب ، وقيل عبد الكعبة ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن . وهو كان أحد السفيّرين بين معاوية والحسن رضي الله عنهما ، وفيها توفي عثمان بن أبي العاص الثقفي ، أبو عبد الله الطائفي ، له ولأخيه الحكم صحبة ، قدم على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف فاستعمله رسول الله ﷺ على الطائف ، وأمره عليهما أبو بكر وعمر ، فكان أميرهم وإمامهم مدة طويلة حتى مات سنة خمسين ، وقيل سنة إحدى وخمسين رضي الله عنه . ﴿ وأما عقيل بن أبي طالب ﴾

أخو علي فكان أكبر من جعفر بعشر سنين وجعفر أكبر من علي بعشر سنين كما أن طالب أكبر من عقيل بعشر ، وكلهم أسلم إلا طالباً ، أسلم عقيل قبل الطيبيّة وشهد موته ، وكان من أنسب قریش ، وكان قد ورث أقرباء الذين هاجروا وتركوا أموالهم بمكة ، ومات في خلافة معاوية .

وفيهما كانت وفاة عمرو بن الحق بن الكاهن الخزاعي ، أسلم قبل الفتح ، وهاجر ، وقيل : إنه إنما أسلم عام حجة الوداع ، وورد في حديث أن رسول الله دعا له أن يمتعه الله بشبابه ، فبقي ثمانين سنة لا يرى في لحيته شمرة بيضاء ، ومع هذا كان أحد الأربعة الذين دخلوا على عثمان ، ثم صار بعد ذلك من شيعة علي ، فشهد معه الجمل وصفين ، وكان من جملة من أعان حجر بن عدي فتطلبه زياد فهرب إلى الموصل ، فبعث معاوية إلى نائبيها فوجدوه قد اختفى في غار فتهشمته حية فمات فقطع رأسه فبعث به إلى معاوية ، فطيف به في الشام وغيرها ، فكان أول رأس طيف به . ثم بعث معاوية برأسه إلى زوجته أمية بنت الشريد . وكانت في سجنه . فألقي في حجرها ، فوضعت كفها على جبينه ولمت فيه وقالت : غيتموه عنى طويلا ، ثم أهديتهموه إلى قتيلا فأهلا بها من هدية غير قالية ولا مقالية .

﴿ وأما كعب بن مالك الأنصاري السلمي ﴾

شاعر الاسلام فأسلم قديماً وشهد العقبة ولم يشهد بدرأ كما ثبت في الصحيحين في سياق توبة الله عليه فانه كان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم من تخلفهم عن غزوة تبوك كما ذكرنا ذلك مفصلاً في التفسير ، وكما تقدم في غزوة تبوك . وغلط ابن السكبي في قوله إنه شهد بدرأ ، وفي قوله إنه توفي قبل إحدى وأربعين ، فان الواقدي - وهو أعلم منه - قال توفي سنة خمسين ، وقال القاسم بن عدي سنة إحدى وخمسين رضي الله عنه .

﴿ المغيرة بن شعبه ﴾

ابن أبي عامر بن مسعود أبو عيسى ويقال أبو عبد الله الثقفي ، وعروة بن مسعود الثقفي عم أبيه ، كان المغيرة من دهاة العرب ، وذوي آرائها ، أسلم عام الخندق بعد ما قتل ثلاثة عشر من ثقيف ، رجعهم من عند المقوقس وأخذ أموالهم ففرم دياتهم عروة بن مسعود ، وشهد الحديبية ، وكان واقفا يوم الصلح على رأس رسول الله ﷺ بالسيف صلنا ، وبعثه رسول الله ﷺ بعد إسلام أهل الطائف هو وأبوسفيان بن حرب فهما اللات ، وقدمنا كيفية هدمهما إياها ، وبعثه الحمديق إلى البحرين ، وشهد الجمامة واليرموك فأصيب عينه يومئذ ، وقيل بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة فذهب ضوء عينه ، وشهد القادسية ، وولاه عمر فتوحاً كثيرة ، منها همدان وميسان ، وهو الذي كان رسول سعد إلى رستم فكلمه بذلك الكلام البليغ فاستنابه عمر على البصرة ، فلما شهد عليه بالزنا ولم يثبت عزله عنها وولاه الكوفة ، واستمر به عثمان حيناً ثم عزله ، فبقي معتزلاً حتى كان أمر الحسنيين فلاحق بمعاوية ، فلما قتل علي وصالح معاوية الحسن ودخل الكوفة ولاه عليها فلم يزل أميرها حتى مات في هذه السنة على المشهور . قاله محمد بن سعد وغيره . وقال الخطيب : أجمع الناس على ذلك ، وذلك في رمضان منها عن سبعين سنة ، وقال أبو عبيد : مات سنة تسع وأربعين ، وقال : ابن عبد البر : سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة ثمان وخمسين ، وقيل سنة ست وثلاثين وهو غلط .

قال محمد بن سعد : وكان أصهب الشعر جدا ، أكشف ، مقلص الشفتين ، أهتم ضخمة الهامة ، عبل الذراعين ، بعيد ما بين المنكبين ، وكان يفرق رأسه أربعة قرون . وقال الشعبي : التفتاة أربعة أبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وأبو موسى . والدهاة أربعة ، معاوية ، وعمر ، والمغيرة ، وزياد ، وقال الزهري : الدهاة في الفتنة خمسة ، معاوية ، وعمر ، وبن الماص ، والمغيرة بن شعبة ، وكان معتزلا ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء ، وكانا مع علي . قلت : والشبعة يقولون : الأشباح خمسة . رسول الله ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والاضداد خمسة أبو بكر ، وعمر ، ومعاوية ، وعمر ، وبن الماص ، والمغيرة بن شعبة . وقال الشعبي : سمعت المغيرة يقول : ما غلبني أحد إلا فتي مرة أردت أن أتزوج امرأة فاستشرته فيها فقال : أيها الأمير ! لا أرى لك أن تزوجها ، فقلت له : لم ؟ فقال : إني رأيت رجلا يقبلها . ثم بلغني عنه أنه تزوجها ، فقلت له : ألم تزعم أنك رأيت رجلا يقبلها ؟ فقال : نعم ! رأيت أباه يقبلها وهي صغيرة . وقال أيضاً : سمعت قبيصة بن جابر يقول : صحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر يخرج المذيرة من أبوابها كلها . وقال ابن هب : سمعت مالك يقول : كان المغيرة بن شعبة يقول : صاحب المرأة الواحدة يحيض معها ويمرض معها ، وصاحب المرأتين بين نارين يشتعلان ، وصاحب الأربعة قير العين ، وكان يتزوج أربعة معاً ويطلقهن معاً ، وقال عبد الله بن نافع الصائغ أحسن المغيرة ثلثمائة امرأة . وقال غيره : ألف امرأة وقيل مائة امرأة . وقيل ثمانين امرأة .

﴿ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية ﴾

وكان سبها رسول الله ﷺ في غزوة المريسيع ، وهي غزوة المصطلق ، وكان أبوها ملكهم فأسلمت فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها ، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وكانت فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها فقال : « أو خير من ذلك » ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أشتريك وأعتقك وأتزوجك » فأعتقها فقال الناس أصهار رسول الله ﷺ فاعتقوا ما بأيديهم من سبي بني المصطلق نحواً من مائة أهل بيت ، فقالت عائشة : لا أعلم امرأة أعظم بركة على أهلها منها . وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ جويرية . وكانت امرأة ملاحه - أي حلوة الكلام - توفيت في هذا العام سنة خمسين كما ذكره ابن الجوزي وغيره عن خمس وستين سنة ، وقال الواقدي : سنة ست وخمسين رضي الله عنها وأرضاها ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ﴾

فيها كان مقتل حجر بن عدى بن جبل بن عدى بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحارث بن معاوية بن ثور بن بزيغ بن كندى الكوفي ، ويقال له حجر الخير ، ويقال له حجر بن الأديب ، لأن

أباه عدياً طعن مولياً فسمى الأديب ، وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة ، قال ابن عساکر : وفد
 إلى النبي ﷺ وصنع علياً وعماراً وشراحيل بن مرة ، ويقال شرحبيل بن مرة . وروى عنه أبو ليلى
 موله ، وعبد الرحمن بن عباس ، وأبو البختری انطائي . وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء ،
 وشهد صفين مع علي أميراً ، وقيل بعذراء من قرا دمشق ، ومسجد قبره بها معروف . ثم ساق ابن
 عساکر بأسانيد إلى حجر يذكر طرفاً صالحاً من روايته عن علي وغيره ، وقد ذكره محمد بن سعد في
 الطبقة الرابعة من الصحابة ، وذكر له وفادة ، ثم ذكره في الأول من تابعي أهل الكوفة . قال : وكان
 ثقة معروف ، ولم يرو عن غير علي شيئاً قال ابن عساکر : بل قد روى عن عمار وشراحيل بن مرة ،
 وقال أبو أحمد العسكري : أكثر المحدثين لا يصححون له صحبة ، شهد القادسية وافتتح برج عذراء ،
 وشهد الجمل وصفين ، وكان مع علي حجر الخير - وهو حجر بن عدي هذا - وحجر الشرف - وهو حجر
 ابن يزيد بن سلمة بن مرة - وقال المرزباني : قد روى أن حجر بن عدي وفد إلى رسول الله ﷺ مع
 أخيه هاني بن عدي ، وكان هذا الرجل من عباد الناس وزهادهم ، وكان باراً بأمه ، وكان كثير الصلاة
 والصيام ، قال أبو معشر : ما أحدث قط إلا تَوْضاً ، ولا تَوْضاً إلا صلى ركعتين . هكذا قال غير واحد
 من الناس . وقد قال الامام أحمد : حدثنا يعلى بن عبيد حدثني الأعمش عن أبي إسحاق . قال قال
 سلمان الحجر : يا ابن أم حجر لو تقطعت أعضاؤك ما بلغت الايمان ، وكان إذا كان المغيرة بن شعبه
 على الكوفة إذا ذكر علياً في خطبته ينقصه بعد مدح عثمان وشيعته فينضب حجر هذا ويظهر
 الانكار عليه ، ولكن كان المغيرة فيه حلم وإناة فكان يصفح عنه ويعظه فيما بينه وبينه ، ويحذره
 غب هذا الصنيع ، فان معارضة السلطان شديد وبالها ، فلم يرجع حجر عن ذلك . فلما كان في آخر
 أيام المغيرة قام حجر يوماً ، فأنكر عليه في الخطبة وصاح به وذمه بتأخير العطاء عن الناس ، وقام
 معه فقام الناس لقيامه ، يصدقونه ويشتمون على المغيرة ، ودخل المغيرة بعد الصلاة قصر الامارة
 ودخل معه جمهور الأمراء ، فأشاروا عليه برده حجر هذا عما تعاطاه من شق العصي والقيام على الأمير ،
 وذمروه وحشوه على التشكيل فصفح عنه وحلم به . وذكر يونس بن عبيد أن معاوية كتب إلى المغيرة
 يستأذنه بئال بيعته من بيت المال ، فبعث غيراً يحمل مالا فاعترض لها حجر ، فأمسك بزمام أولها
 وقال : لا والله حتى يوفي كل ذي حق حقه . فقال شباب ثقيف للمغيرة : ألا تأتيناك برأسه ؟ فقال :
 ما كنت لأفعلن ذلك بحجر ، فتركه ، فلما بلغ معاوية ذلك عزل المغيرة وولى زياداً ، والصحيح أنه
 لم يعزل المغيرة حتى مات ، فلما توفي المغيرة بن شعبه رضى الله عنه وجمعت الكوفة مع البصرة لزياد
 دخلها وقد اتف على حجر جماعات من شيعة علي يقولون أمره ويشدون على يده ، ويسمون معاوية
 ويثيرون منه ، فلما كان أول خطبة خطبها زياد بالكوفة ، ذكر في آخرها فضل عثمان وذم من قتله

أو أعان على قتله . فقام حجر كما كان يقوم في أيام المفيرة ، وتكلم بنحو مما قال المفيرة ، فلم يمرض له زياد ، ثم ركب زياد إلى البصرة ، وأراد أن يأخذ حجراً معه إلى البصرة لئلا يحدث حدثاً ، فقال : إني مريض ، فقال : والله إنك لمريض الدين والقلب والعقل ، والله لئن أحدثت شيئاً لأسمين في قتلك ، ثم سار زياد إلى البصرة فبلغه أن حجراً وأصحابه أنكروا على نائبه بالكوفة - وهو عمر و بن حريث - وحصبوه وهو على المنبر يوم الجمعة ، فركب زياد إلى الكوفة فنزل في القصر ثم خرج إلى المنبر وعليه قباء سندس ، ومطرف خز أحمر ، قد فرق شعره ، وحجر جالس وحوله أصحابه أكثر مما كانوا يومئذ ، وكان من لبس من أصحابه يومئذ نحو من ثلاثة آلاف ، وجلسوا حوله في المسجد في الحديد والسلاح ، فخطب زياد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن غيب البقي والغبي وخيم ، وإن هؤلاء آمنوني فاجترأوا على ، وإيم الله إني لم تستقيموا لأدائكم بدوائكم ، ثم قال : ما أنا بشيء إن لم أمتع ساحة الكوفة من حجر وأصحابه وأدعه نكالا لمن بعده ، ويل أملك يا حجر ، سقط بك العشاء على سرحان . ثم قال :

أبلغ نصيحة أن راعي إبلها * سقط العشاء به على سرحان

وجعل زياد يقول في خطبته : إن من حق أمير المؤمنين - يعني كذا وكذا - فأخذ حجر كفا حصباء فحصبه وقال : كذبت عليك لعنة الله . فانحدر زياد فصلى ، ثم دخل القصر واستحضر حجراً ، ويقال إن زياداً لما خطب طول الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر : الصلاة ، فغضب في خطبته ، فلما خشي فوت الصلاة عمد إلى كتف من حصباء ونادى الصلاة ، وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلى بالناس ، فلما انصرف من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثر عليه ، فكتب إليه معاوية : أن شدة في الحديد واحمله إلى ، فبعث إليه زياد والى الشرطة - وهو شداد بن الهيثم - ومعه أتوانه فقال له : إن الأمير يطلبك ، فامتنع من الحضور إلى زياد ، وقام دونه أصحابه ، فرجع الوالى إلى زياد فأعلمه ، فاستنهب زياد جماعات من القبائل فركبوا مع الوالى إلى حجر وأصحابه فكان بينهم قتال بالحجارة والعصى ، فعجزوا عنه ، فندب محمد بن الأشعث وأمهات ثلاثاً وجهاز معه جيشاً ، فركبوا في طلبه ولم يزالوا حتى أحضروه إلى زياد ، وما أغنى عنه قومه ولا من كان يظن أن ينصره فعند ذلك قيده زياد وسجنه عشرة أيام وبعث به إلى معاوية ، وبعث معه جماعة يشهدون عليه أنه سب الخليفة ، وأنه حارب الأمير ، وأنه يقول : إن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل علي بن أبي طالب . وكان من جملة الشهود عليه أبو بردة بن أبي موسى ، ووائل بن حجر ، وعمر بن سعد بن أبي وقاص ، وإسحاق ، وإسماعيل ، وموسى بن طلحة بن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وكثير بن شهاب ، وثابت بن ربيع ، في سبعين ويقال : إنه كتبت شهادة شريح القاضي فيهم ، وإنه أنكر ذلك وقال :

إنما قلت زياد : إنه كان صواهاً قواماً ، ثم بعث زياد حجراً وأصحابه مع وائل بن حجر ، وكثير بن
 شهاب إلى الشام . وكان مع حجر بن عدي بن جبلة السكندى ، من أصحابه جماعة ، قيل عشرون
 وقيل أربعة عشر رجلاً ، منهم الأرقم بن عبد الله الكندى وشريك بن شداد الحضرمي ، وصيفي بن
 فسيل ، وقبيصة بن ضبيعة بن حرمة العبسي ، وكريم بن عفيف الخثعمي ، وعاصم بن عوف البجلي
 وورقاء بن سمي البجلي ، وكدام بن حبان ، وعبد الرحمن بن حسان المرياني - من بني تميم - ومحرز
 ابن شهاب التميمي ، وعبيد الله بن حوية السعدي التميمي أيضاً . فهؤلاء أصحابه الذين وصلوا معه ،
 فساروا بهم إلى الشام . ثم إن زياداً أتبعهم برجلين آخرين ، عتبة بن الأخنس من بني سعد ، وسعد
 ابن عمران الحمدي ، فسكوا أربعة عشر رجلاً ، فيقال : إن حجراً لما دخل على معاوية قال : السلام
 عليك يا أمير المؤمنين ، فغضب معاوية غضباً شديداً وأمر بضرب عنقه هو ومن معه ، ويقال إن
 معاوية ركب فتلقاتهم في برج عنراء ، ويقال : بل بعث إليهم من تلقاهم إلى عنراء تحت الثانية -
 ثنية العقاب - فقتلوا هناك . وكان الذين بعث إليهم ثلاثة وهم هذبة بن فياض القضاعي ، وحضير بن
 عبد الله السكلابي ، وأبو شريف البدوي ، فجاءوا إليهم فبات حجر وأصحابه يصلون طول الليل ، فلما
 صابح الصبح قتلهم ، وهذا هو الأشهر والله أعلم . وذكر محمد بن سعد أنهم دخلوا عليه ثم ردهم فقتلوا
 بعنراء ، وكان معاوية قد استشار الناس فيهم حتى وصل بهم إلى برج عنراء فن مشير بقتلهم ، ومن
 مشير بتفريقهم في البلاد ، فكتب معاوية إلى زياد كتاباً آخر في أمرهم ، فأشار عليه بقتلهم إن كان له
 حاجة في ملك العراق ، فعند ذلك أمر بقتلهم ، فاستوهب منه الأمراء واحداً بعد واحد حتى استوهبوا
 منه ستة ، وقتل منهم سنة أولهم حجر بن عدي ، ورجع آخر فعفى عنه معاوية ، وبعث بآخر نال
 من عثمان وزعم أنه أول من جاز في الحكم ومدح علياً ، فبعث به معاوية إلى زياد وقال له : لم تبعث
 إلى فيهم أردى من هذا . فلما وصل إلى زياد ألقاه في الناطف حياً - وهو عبد الرحمن بن حسان
 القرى . وهذه تسمية الذين قتلوا بعنراء : حجر بن عدي ، وشريك بن شداد ، وصيفي بن فسيل ،
 وقبيصة بن ضبيعة ، ومحرز بن شهاب المنقري ، وكدام بن حبان . ومن الناس من يزعم أنهم مدفونون
 بمسجد القصب في عرفة ، والصحيح بعنراء ، ويذكر أن حجراً لما أرادوا قتله قال : دعوني حتى
 أتوضأ ، فقالوا : توضأ ، فقال : دعوني حتى أصلي ركعتين فصلاهما وخفف فيهما ، ثم قال : لولا أن
 يقولوا ما بي جزع من الموت لمولتهما . ثم قال : قد تقدم لهما صلوات كثيرة . ثم قدموه للقتل وقد
 حفر قبورهم ونشرت أكفانهم ، فلما تقدم إليه السياف ارتعدت فرائصه فقليل له : إنك قلت لست
 بجازع ، فقال : ومالي لا أنزع وأنا أرى قبراً محفوراً وكفناً منشوراً وسيفاً مشهوراً . فأرسلها مثلاً .
 ثم تقدم إليه السياف . وهو أبو شريف البدوي ، وقيل تقدم إليه رجل أعور فقال له : امدد عنقك ،

فقال : لا أعين على قتل نفسي ، فضر به فقتله . وكان قد أوصى أن يدفن في قيوده ، ففعل به ذلك ، وقيل : بل صلوا عليه وغسلوه . وروى أن الحسن بن علي . قال : أصلوا عليه ودفنوه في قيوده ؟ قالوا : نعم ! قال : حجهم والله . والظاهر أن الحسين قاتل هذا ، فان حجراً قتل في سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة ثلاث وخمسين ، وعلى كل تقدير فالحسن قد مات قبله والله أعلم . فقتلوه رحمه الله وسامحه . وروينا أن معاوية لما دخل على أم المؤمنين عائشة فسلم عليها من وراء الحجاب - وذلك بعد مقتله حجراً وأصحابه - قالت له : أين ذهب عنك حملك يا معاوية حين قتلت حجراً وأصحابه ؟ فقال لها : فقدته حين غلب عني من قومي مثلك يا أماء . ثم قال لها : فكيف يرى بك يا أمه ؟ فقالت : إنك بي لبار ، فقال : يكفيني هذا عند الله ، وغداً لي ولحجر موقف بين يدي الله عز وجل . وفي رواية أنه قال : إنما قتله الذين شهدوا عنده . وروى ابن جرير أن معاوية جعل يغرر بالموت وهو يقول : إن يومى بك يا حجر بن عدى لطويل ، قالها ثلاثاً بالله أعلم .

وقال محمد بن سعد في الطبقات : ذكر بعض أهل العلم أن حجراً وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه هانيء بن عدى ، - وكان من أصحاب علي - فلما قدم زياد بن أبي سفيان والياً على الكوفة دعا بحجر بن عدى فقال : تعلم أنى أعرفك وقد كنت أنا وأباك على أمر قد علمت - يعنى من حب علي - وأنه قد جاء غير ذلك ، وإني أنشدك الله أن تنظر لى من دمك قطرة فاستفرغه كله ، أملك عليك لسانك ، وأيسمك منزلك ، وهذا سرى فهو مجلسك ، وحوادثك متضية لى ، فاكفنى نفسك فانى أعرف مجلسك ، فأنشدك الله فى نفسك ، وإياك وهذه السقطة وهؤلاء السفهاء أن يستنزلوك عن رأيك . فقال حجر : قد فهمت ، ثم انصرف إلى منزله فأتاه الشيعة فقالوا : ما قال لك ؟ قال قال لى كذا وكذا . وسار زياد إلى البصرة ثم جمعوا يترددون إليه يقولون له : أنت شيخنا ، وإذا جاء المسجد مشوا معه ، فأرسل إليه عمرو بن حريث - نائب زياد على الكوفة - يقول : ما هذه الجماعة وقد أعطيت الأمير ما قد علمت ؟ فقال للرسول : إنهم ينكرون ما أنتم عليه ، إليك وراءك أوسع لك . فكتب عمرو بن حريث إلى زياد : إن كان لك حاجة بالسكوفة فالعجل العجل ، فأعجل زياد السير إلى الكوفة ، فلما وصل بعث إليه عدى بن حاتم ، وجرير بن عبد الله البجلي ، وخاله بن عرفة في جماعة من أشرف الكوفة لينهوه عن هذه الجماعة ، فأتوه فجعلوا يحدونهم ولا يرد عليهم شيئاً ، بل جعل يقول : يا غلام أعلفت البكر ؟ لبكر مربوط فى الدار . فقال له عدى بن حاتم : أجنون أنت ؟ نكالك وأنت تقول : أعلفت البكر ، ثم قال عدى لأصحابه : ما كنت أظن هذا البائس بلغ به الضعف كل ما أرى . ثم نهضوا فأخبروا زياداً ببعض الخبر وكتبوه بعضاً ، وحسنوا أمره وسألوه الرفق به فلم يقبل ، بل بعث إليه الشرط والمخاربة فأتى به وأصحابه ، فقال له : مالك ويالك ؟ قال :

إني على بيعتي لمعاوية ، فجمع زياد سبعين من أهل الكوفة فقال : اكتبوا شهادتكم على حجر وأصحابه ، ففعلوا ، ثم أوفدهم إلى معاوية ، وبلغ الخبر عائشة فأرسلت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم ، فلما دخلوا على معاوية قرأ كتاب زياد فقال معاوية : اخرجوا بهم إلى عذراء فاقتلوه هناك ، فذهبوا بهم ثم قتلوا منهم سبعة ، ثم جاء رسول معاوية بالتخيلية عنهم ، وأن يطلقوهم كلهم ، فوجدوا قد قتلوا منهم سبعة وأطلقوا السبعة الباقين ، ولكن كان حجر فيمن قتل في السبعة الأول ، وكان قد سألهم أن يصلي ركعتين قبل أن يقتلوه ، فصلى ركعتين فطول فيهما ، وقال إنيما لأخف صلاة صليتها . وجاء رسول عائشة بعد ما فرغ من شأنهم . فلما حج معاوية قالت له عائشة : أين عزب عنك حملك حين قتلت حجراً ؟ فقال : حين غلب عني مثلك من قومي . ويروى أن عبد الرحمن بن الحارث قال لمعاوية : أقتلت حجر بن الأديب ؟ فقال معاوية : قتله أحب إلى من أن أقتل معه مائة ألف . وقد ذكر ابن جرير وغيره عن حجر بن عيسى وأصحابه أنهم كانوا ينالون من عثمان ويطلقون فيه مقالة الجور ، وينتقدون على الأمراء ، ويسارعون في الإنكار عليهم ، وينالون في ذلك ، ويقولون شيعة على ، ويتشددون في الدين . ويروى أنه لما أخذ في قيوده سائراً من الكوفة إلى الشام تلقته بناته في الطريق وهن يبكين ، فسأل نحوهن : فقال إن الذي يطعمكم ويكسوكم هو الله وهو باق لكن بعدي ، فعليكن بتقوى الله وعبادته ، وإني إما أن أقتل في وجهي وهي شهادة ، أو أن أرجع إليكن مكرماً ، والله خليفتي عليكم . ثم انصرف مع أصحابه في قيوده ، ويقال إنه أوصى أن يدفن في قيوده ففعل ذلك به ، ولكن صلوا عليهم ودفنهم مستقبل القبلة رحمهم الله وسامحهم . وقد قالت امرأة من المتيشعات ترى حجراً - وهي هند بنت زيد بن مخزومة الأنصارية - ويقال إنها لهند أخت حجر فآله أعلم .

ترفع أيها القمر المنير * تبصر هل ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب * ليقتله كما زعم الأمير
يرى قتل الخيار عليه حقاً * له من شر أمته وزير
ألا يا ليت حجراً مات يوماً * ولم ينحز كما نحز البعير
نجبرت الجبابر بعد حجر * وطالب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولا * كأن لم يحيا مزن مطير
ألا يا حجر حجر بن عيسى * تلتفتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أوردى عدياً * وشيخاً في دمشق له زبير
فإن تملك فكل زعيم قوم * من الدنيا إلى هلك يصير

فرضوا أن الآله عليكم ميتا « وجنات بها نسم وحوور
 وذكر ابن عساكر له مرأى كثيرة . وقال يعقوب بن سفيان : حدثني حريشة أنا ابن وهب
 أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود قال : دخل معاوية على عائشة فقالت : ما حملك على قتل أهل
 عذراء ، حجراً وأصحابه ؟ فقال : يا أم المؤمنين إني رأيت في قتلهم صلاحاً للأمة ، وفي مقامهم فساداً
 للأمة ، فقالت : سمعت رسول الله يقول : « سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء » . وهذا
 إسناد ضعيف منقطع . وقد رواد عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة عن أبي الأسود أن عائشة قالت :
 بلغني أنه سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء . وقال يعقوب : حدثني ابن لهيعة حدثني
 الحارث بن يزيد عن عبد الله بن رزبن الغافقي . قال : سمعت علياً يقول : يا أهل العراق سيقتل
 منكم سبعة نفر بعذراء ، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود ، قال : يقتل حجر وأصحابه - ابن لهيعة
 ضعيف - . وروى الإمام أحمد عن ابن علية عن ابن عون عن نافع قال : كان ابن عمر في السوق
 فنعى له حجر فأطلق حبوته وقام وغلب عليه التحبيب . وروى أحمد عن عفان عن ابن علية عن
 أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة - أو غيره - قال لما قدم معاوية المدينة دخل على عائشة فقالت :
 أقتلت حجراً ؟ فقال : يا أم المؤمنين إني وجدت قتل رجل في صلاح الناس خير من استحياؤه في
 فسادهم . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن مروان . قال : دخلت مع
 معاوية على أم المؤمنين عائشة فقالت : يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه وفعلت الذي فعلت ، أما
 خشيت أن أخبالك رجلاً يقتلك ؟ فقال : لا ! إني في بيت الأمان ، سمعت رسول الله يقول : « الإيمان
 ضد الفتك لا يقتك مؤمن » . يا أم المؤمنين كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك ؟ قالت :
 صالح . قال : فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عز وجل . وفي رواية أنها حجبتة وقالت : لا يدخل
 عليّ أبداً ، فلم يزل يتلطف حتى دخل فلامته في قتله حجراً ، فلم يزل يعنذر حتى عذرت . وفي رواية :
 أنها كانت تتوعده وتقول : لولا يمانينا سفهاؤنا لكان لي وللمعاوية في قتله حجراً شأن ، فلما اعتذر
 إليها عذرتة . وذكر ابن الجوزي في المنتظم أنه توفي في هذه السنة من الأكابر جرير بن عبد الله
 البجلي ، وجمهر بن أبي سفيان بن الحارث ، وحارثة بن النعمان ، وحجر بن عدي ، وسعيد بن زيد بن
 عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو بكر نفييع بن الحارث الثقفي ، رضى الله عنهم .

﴿ فأما جرير بن عبد الله البجلي ﴾

فأسلم بعد نزول المائدة ، وكان إسلامه في رمضان سنة عشر ، وكان قدمه ، ورسول الله يخطب ،
 وكان قد قال في خطبته : « إنه يقدم عليكم من هذا النج من خير ذي يمن ، وإن على وجهه مسحة
 ملك » ، فلما دخل نظر الناس إليه فكان كما وصف رسول الله ﷺ ، وأخبروه بذلك فحمد الله

تعالى . و يروى أن رسول الله ﷺ لما جالسه بسط له رداءه وقال : « إذا جاءكم كريم قوم فاكرموه » قال ابن جرير : وفي هذه السنة ولى زياد على خراسان بعد موت الحكم بن عمرو الربيع بن زياد الحارثي ففتح بلخ صلحاً ، وكانوا قد غلبوها بعد ما صالحهم الأحنف ، وفتح قوهستان عنوة ، وكان عندها أترالك فقتلهم ولم يبق منهم إلا ترك طرخان ، فقتله قتيبة بن مسلم بعد ذلك كما سيأتي . وفي هذه السنة غزا الربيع ما وراء النهر فغنم وسلم ، وكان قد قطع ما وراء النهر قبله الحكم بن عمرو ، وكان أول من شرب من النهر غلام للحكم ، فسقى سيده وتوضأ الحكم وصلى وراء النهر ركعتين ثم رجع ، فلما كان الربيع هذا غزا ما وراء النهر فغنم وسلم . وفي هذه السنة حج بالناس يزيد بن معاوية فيما قاله أبو معشر والواقدي ، وبعثه رسول الله إلى ذي الخلصة - وكان بيتا تعظمه دوس في الجاهلية - فذكر أنه لا يثبت على الخيل ، فضرب في صدره وقال : « اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً » فذهب فهدمه . وفي الصحيحين أنه قال : ما حجبني رسول الله منذ أسلمت ولا رأيي إلا تبسم . وكان عمر بن الخطاب يقول : جرير يوسف هذه الأمة . وقال عبد الملك بن عمير : رأيت جريراً كأن وجهه شقة قر . وقال الشعبي : كان جرير هو وجماعة مع عمر في بيت . فاشتم عمر من بعضهم رجلاً ، فقال : عزمت على صاحب هذه الرمح لما قام فتوضأ ، فقال جرير : أوتقوم كننا فتوضأ يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : نعم السيد كنت في الجاهلية ، ونعم السيد أنت في الإسلام . وقد كان عاملاً لعثمان على همدان ، يقال إنه أصيبت عينه هناك ، فلما قتل عثمان اعتزل علياً ومعاوية ، ولم يزل مقيماً بالجزيرة حتى توفي بالسرّة ، سنة إحدى وخمسين ، قاله الواقدي ، وقيل سنة أربع ، وقيل سنة ست وخمسين .

﴿ وأما جعفر بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ﴾

فأسلم مع أبيه حين تلقياه بين مكة والمدينة عام الفتح ، فلما ردهما قال أبو سفيان : والله نئن لم يأذن لي عليه لا تخنن بيد هذا فأذهبن في الأرض فلا يدرى أين أذهب ، فلما بلغ ذلك رسول الله رقى له وأذن له وقبل إسلامهما فأسلما إسلاماً حسناً ، بعد ما كان أبو سفيان يؤذى رسول الله أذى كثيراً ، وشهد حنيناً ، وكان ممن ثبت يومئذ رضى الله عنهما .

﴿ وأما حارثة بن النعمان الأنصاري النجاري ﴾

فشهد بدرًا وأحماً والخندق والمشاهد ، وكان من فضلاء الصحابة ، وروى أنه رأى جبريل مع رسول الله بالمتنعد يتحدثان بعد خير ، وأنه رأى يوم بني قريظة في صورة دحية . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ سمع قراءته في الجنة . قال محمد بن سعد : حدثنا عبد الرحمن بن يونس ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ثنا محمد بن عثمان عن أبيه أن حارثة بن النعمان كان قد كف بصره فجعل خيطاً من صلالة إلى باب حجرته ، فإذا جاءه المسكين أخذ من ذلك التمر ثم أخذ يمسك بذلك الخيط حتى

يضع ذلك في يد المسكين ، وكان أهله يقولون له : نحن نكفيك ذلك ، فيقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « متاولو المسكين حتى ميتة السوء » . وأما حجر بن عدى فقد تقدمت قصته مبسوطه .

﴿ وأما سميد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي أبو الأعرور العدوي ﴾

فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، وأخته عائكة زوجة عمر ، وأخت عمر فاطمة زوجة سميد ، أسلم قبل عمر هو وزوجته فاطمة ، وهاجرا ، وكان من سادات الصحابة قال عروة والزهرى وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق والواقدي وغير واحد : لم يشهد بدرأ لأنه قد كان بعثه رسول الله ﷺ هو وطالعة بن عبيد الله بين يديه يتجسسان أخبار قريش فلم يرجعا حتى فرغ من بدر ، فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجرهما ، ولم يذكره عمر في أهل الشورى لثلاث بحابي بسبب قرابته من عمر فيولى فتركه لذلك ، وإلا فهو ممن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة في جملة العشرة ، كما صحت بذلك الأحاديث المتعددة الصحيحة ، ولم يتول بعده ولاية ، وما زال كذلك حتى مات بالكوفة ، وقيل بالمدينة وهو الأصح ، قال الفلاس وغيره : سنة إحدى وخمسين وقيل سنة ثنتين وخمسين والله أعلم . وكان رجلا طوالا أشمر ، وقد غسله سميد ، وحمل من العقيق على رقاب الرجال إلى المدينة ، وكان عمره يومئذ بضعا وسبعين سنة .

﴿ وأما عبد الله أنيس بن الجهم أبو يحيى المدني ﴾

فصحابي جليل شهد العقبة ولم يشهد بدرأ . وشهد ما بعدها ، وكان هو ومعاذ يكسران أصنام الأنصار ، له في الصحيح حديث أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى خالد بن سفيان الهذلي فقتله بعرة وأعطاه رسول الله ﷺ مخرمه وقال : « ههنا آية ما بيني وبينك يوم القيامة » فأمر بها فدفنت معه في أكفانه . وقد ذكر ابن الجوزي أنه توفي سنة إحدى وخمسين ، وقال غيره سنة أربع وخمسين وقيل سنة ثمانين .

﴿ وأما أبو بكر نفيع بن الحارث ﴾

ابن كندة بن عمرو بن عسلج بن أبي سلمة الثقفي فصحابي جليل كبير القدر ، ويقال كان اسمه مسروح وإنما قيل له أبو بكر لأنه تبدل في بكرة يوم الطائف فأعتقه رسول الله ﷺ وكل مولى فر إليهم يومئذ . وأمه سمية هي أم زياد ، وكأنا ممن شهد على المغيرة بالزنا هو وأخوه زياد ومعهما سهل بن معبد ، ونافع بن الحارث فلما تلكأ زياد في الشهادة جلد عمر الثلاثة الباقيين ثم استتابهم فتابوا إلا أبا بكر فإنه صمم على الشهادة ، وقال المغيرة : يا أمير المؤمنين اشفني من ههنا العبد ، فتهره عمر وقال له : اسكت ! لو كملت الشهادة لرجعتك بأحجارك ، وكان أبو بكر خير هؤلاء الشهود وكان ممن اعتزل الفتن فلم يكن في خيرهما ، ومات في هذه السنة ، وقيل قبلها بسنة ، وقيل بعدها بسنة وصلى عليه أبو

برزة الأسلمى ، وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ .
وفيهما توفيت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الحلالية ، تزوجها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء
سنة سبع ، قال ابن عباس - وكان ابن أختها أم الفضل لبابة بنت الحارث - : تزوجها رسول الله
ﷺ وهو محرم ، وثبت في صحيح مسلم عنها أنهما كانا حلالين ، وقولها مقدم عند أكثرين على
قوله . وروى الترمذى عن أبي رافع - وكان السفير بينهما - أنهما كانا حلالين . ويقال كان اسمها
برة فسميها رسول الله ميمونة ، وتوفيت بسرف بين مكة والمدينة حيث بنى بها رسول الله ﷺ
في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ست وستين ، والمشهور الأول ، وصلى
عليها ابن أختها عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ﴾

ففيها غزا بلاد الروم وشقى بها سفيان بن عوف الأزدي فمات هنالك ، واستخلف على الجند
بعده عبد الله بن مسعدة الفزاري ، وقيل إن الذى كان أمير الغزو ببلاد الروم هذه السنة بسر بن
أبي أرطاة ومعه سفيان بن عوف . وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص نائب المدينة ، قاله
أبو معشر والواقدي وغيرهما . وغزا الصائفة محمد بن عبد الله الثقفي . وعمال الأمصار في هذه السنة
عمالها في السنة الماضية .

﴿ ذكر من توفى فيها من الأعيان * خالد بن زيد بن كليب ﴾

أبو أيوب الأنصارى الخزرجى شهيد بدرًا والعقبة والمشاهد كلها ، وشهد مع علي قتال الحرورية ،
وفى داره كان نزول رسول الله ﷺ حين قسم المدينة فأقام عنده شهراً حتى بنى المسجد ومساكنه
حوله ، ثم تحول إليها ، وقد كان أبو أيوب أنزل رسول الله ﷺ في أسفل داره ثم تخرج من أن يعاود فوقه ،
فسأل من رسول الله ﷺ أن يصعد إلى العلو ويكون هو وأم أيوب في السفلى فأجابته . وقد روينا عن
ابن عباس أنه قدم عليه أبو أيوب البصرة وهو نائبها فخرج له عن داره وأنزله بها ، فلما أراد
الانصراف خرج له عن كل شئ بها ، وزاده تحفاً وخدماء كثيراً أربعين ألفاً ، وأربعين عبداً إكراماً
له لما كان أنزل رسول الله ﷺ في داره ، وقد كان من أكبر الشرف له . وهو القائل لزوجه أم
أيوب - حين قالت له : أما تسمع ما يقول الناس في عائشة - ؟ فقال : أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟
فقلت : لا والله فقال : والله لى خير منك ، فأنزل الله (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بأنفسهم خيراً) الآية . وكانت وفاته ببلاد الروم قريباً من سور قسطنطينية من هذه السنة ، وقيل
في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها . وكان في جيش يزيد بن معاوية ، وإليه أوصى ، وهو الذى صلى
عليه . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عثمان ثنا همام ثنا أبو عاصم عن رجل من أهل مكة أن يزيد بن

معاوية كان أميراً على الجيش الذي غزاه فيه أبو أيوب ، فدخل عليه عند الموت فقال له : إذا ماتا فقرأوا على الناس مني السلام وأخبروهم أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً جعله الله في الجنة » . ولينطلقوا فيمضوا في أرض الروم ما استطاعوا . قال : فحدث الناس لما مات أبو أيوب فأسلم الناس وانطلقوا بجنائزته . وقال أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي ظبيان قال : غزا أبو أيوب مع يزيد بن معاوية قال : فقال إذا مت فأدخلوني في أرض العدو فأدفنوني تحت أقدامكم حيث تلقون العدو ، قال : ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » . ورواه أحمد عن ابن نمير ويعلى بن عبيد عن الأعمش سمعت أبا ظبيان فذكره ، وقال فيه : سأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لولا حالي هذا ما حدثتكموه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » : وقال أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني محمد بن قيس - قاضي عمر بن عبد العزيز - عن أبي صرمة عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال حين حضرته الوفاة : قد كنت كنتم عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول : « لولا أنكم تذبذبون لخلق الله قوماً يذبذبون فيغفر لهم » . وعندى أن هذا الحديث والذي قبله هو الذي حمل يزيد بن معاوية على طرف من الأرجاء ، وركب بسببه أفمالاً كثيرة أنكرت عليه كما سنذكره في ترجمته والله تعالى أعلم .

قال الواقدي : مات أبو أيوب بأرض الروم سنة ثنتين وخمسين ودفن عند القسطنطينية وقبره هنالك يستسقى به الروم إذا قحطوا ، وقيل : إنه مدفون في حائط القسطنطينية وعلى قبره مزار ومسجد وهم يعظمونه ، وقال أبو زرعة الدمشقي : توفي سنة خمس وخمسين ، والأول أثبت والله أعلم . وقال أبو بكر بن خلاد : حدثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا داود بن المخبر ثنا ميسرة بن عبد ربه عن موسى بن عبيدة عن الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ . قال : « إن الرجلين ليتوجهان إلى المسجد فيصليان فينصرف أحدهما وصلاته أوزن من صلاة الآخر ، وينصرف الآخر وما تعدل صلته مثقال ذرة ، إذا كان أوزنهما عن محارم الله وأحرصهما على المسارعة إلى الخير » . وعن أبي أيوب قال قال رسول الله ﷺ لرجل سأله أن يعلمه ويوجز فقال له : « إذا صليت صلاة فصل صلاة مودع ، ولا تكلمن بكلام تعتذر منه ، واجمع اليأس مما في أيدي الناس » وفيها كانت وفاة أبي موسى عبيد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غز بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن جواهر بن الأشعر الأشعري ، أسلم ببلاده وقدم مع جعفر وأصحابه عام خيبر ، وذكر محمد بن إسحاق أنه هاجر أولاً إلى مكة ثم هاجر إلى اليمن ، وليس هذا بالمشهور ، وقد استعمله رسول الله ﷺ مع معاذ على اليمن ، واستنابه عمر على البصرة ، وفتح أسير ،

وشهد خطبة عمر بالجابية ، وولاه عثمان الكوفة ، وكان أحد الحكمين بين علي ومعاوية ، فلما اجتمعا خدع عمر وأبا موسى ، وكان من قراء الصحابة وفقهائهم ، وكان أحسن الصحابة صوتاً في زمانه ، قال أبو عثمان النهدي : ما سمعت صوت صنح ولا بربط ولا مزمار أطيّب من صوت أبي موسى وثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « لقد أوتى هذا مزماراً من مزمار آل داود » . وكان عمر يقول له : ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ وهم يسمعون . وقال الشعبي : كتب عمر في وصيته أن لا يقرأ عاملاً أكثر من سنة إلا أبا موسى فليقر أربع سنين . وذكر ابن الجوزي في المنتظم أنه توفي في هذه السنة ، وهو قول بعضهم ، وقيل إنه توفي قبلها بسنة ، وقيل في سنة ثنتين وأربعين ، وقيل غير ذلك والله أعلم . وكانت وفاته بمكة لما اعتزل الناس بعد التحكيم ، وقيل بمكان يقال له : الثوبة على ميلين من الكوفة . وكان قصيراً نحيف الجسم أسبط ، أي لا لحية له ، رضى الله عنه . وذكر ابن الجوزي أنه توفي في هذه السنة أيضاً من الصحابة .

﴿ عبد الله بن المغفل المزني ﴾

وكان أحد البكائين ، وأحد العشرة الذين بعثهم عمر إلى البصرة ليقيموا الناس ، وهو أول من دخل تستر من المسلمين حين فتحها . لكن الصحيح ما حكاه البخاري عن مسدد أنه توفي سنة سبع وخمسين . وقال ابن عبد البر : توفي سنة ستين ، وقال غيره : سنة إحدى وستين فله أعلم . وروى عنه أنه رأى في منامه كأن القيامة قد قامت وكان هناك مكان من وصل إليه نجا ، فجعل يحاول الوصول إليه فقليل له : أتريد أن تصل إليه وعندك ما عندك من الدنيا ؟ فاستيقظ فعمد إلى عيبة عنده فيها ذهب كثير فلم يصبح عليه الصباح إلا وقد فرقها في المساكين والمخاويع والأقارب رضى الله عنه . وفيها توفي عمران بن حصين بن عبيد .

ابن خلف أبو نجيد الخزاعي ، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر وشهد غزوات ، وكان من سادات الصحابة ، استقضاه عبد الله بن عامر على البصرة لحكم له بها ، ثم استعفاه فأعفاه ، ولم يزل بها حتى مات في هذه السنة ، قال الحسن : وابن سيرين البصري : ما قسم البصرة راكب خير منه ، وقد كانت الملائكة تسلم عليه فلما اكتمل انقطع عنه سلامهم ثم عادوا قبل موته بقليل فكاتوا يسلمون عليه رضى الله عنه وعن أبيه .

﴿ كعب بن عجرة الأنصاري أبو محمد المدني ﴾

صحابي جليل وهو الذي نزلت فيه آية الفدية في الحج . مات في هذه السنة ، وقيل قبلها بسنة عن خمس أو سبع وسبعين سنة . ﴿ معاوية بن خديج ﴾

ابن جفنة بن قنيرة السكندی الخولاني المصري ، صحابي على قول الأكثرين ، وذكره ابن

حبان في التابعين من الثقة ، والصحيح الأول ، شهد فتح مصر ، وهو الذي وفد إلى عمر بفتح الاسكندرية ، وشهد مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح قتال البربر ، وذهبت عينه يومئذ ، وولى حروبا كثيرة في بلاد المغرب ، وكان عثمانيا في أيام علي ببلاد مصر ، ولم يبايع عليا بالكلية ، فلما أخذ معاوية بن أبي سفيان مصر أكرمه ثم استنابه بها بعد عبد الله بن عمرو بن العاص ، فانه نائب بها بعد أبيه سنتين ثم عزله معاوية وولى معاوية بن خديج هذا ، فلم يزل بمصر حتى مات بها في هذه السنة . ﴿ هاني بن نيار أبو بردة الباهلي خال البراء بن عازب ﴾

الخصوص بفتح العناق وإجزائها عن غيرها من الأضاحي ، وشهد العقبة وبردرا والمشاهد كلها وكانت راية بني حارثة معه يوم الفتح رضى الله عنه .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ﴾

ففيها غزا عبد الرحمن بن أم الحكم بلاد الروم وشقي بها ، وفيها افتتح المسلمون وعليهم جنادة ابن أبي أمية جزيرة رودس فأقام بها طائفة من المسلمين كانوا أشد شئ على الكفار ، يعترضون لهم في البحر ويقطعون سبيلهم ، وكان معاوية يدر عليهم الأرزاق والأعطيات الجزيلة ، وكانوا على حذر شديد من الفرنج ، يبيتون في حصن عظيم عنده فيه حوائجهم ودوابهم وحواصلهم ، ولهم نواطير على البحر ينذرونهم إن قدم عدو أو كادهم أحد ، وما زالوا كذلك حتى كانت إمرة يزيد بن معاوية بعد أبيه ، فحولهم من تلك الجزيرة ، وقد كانت المسلمين بها أموال كثيرة وزراعات غزيرة . وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص والى المدينة أيضاً ، قاله أبو معشر والواقدي . وفي هذه السنة توفي جبلة ابن الأيهم الغساني كما ستأتي ترجمته في آخر هذه التراجم .

وفيها توفي الربيع بن زياد الحارثي ، اختلف في صحبته وكان نائبا زياد على خراسان ، وكان قد ذكر حجر بن عدي فأسف عليه ، وقال : والله لو نارت العرب له لما قتل صبورا ولكن أقرت العرب فذلت ، ثم لما كان يوم الجمعة دعا الله على المنبر أن يقبضه إليه فما عاش إلى الجمعة الأخرى ، واستخلف على عمله ابنه عبد الله بن الربيع فأقره زياد على ذلك ، مات بعد ذلك بشهرين ، واستخلف على عملهم بخراسان خليف بن عبد الله الحنفي فأقره زياد .

﴿ رويغ بن ثابت ﴾

صحابي جليل شهد فتح مصر ، وله آثار جيدة في فتح بلاد المغرب ، ومات ببرقة واليا من جهة مسامة بن مخلد نائب مصر .

وفي هذه السنة أيضاً توفي زياد بن أبي سفيان ويقال له : زياد بن أبيه وزياد بن سمية - وهي أمه -

في رمضان من هذه السنة مطعوناً ، وكان سبب ذلك أنه كتب إلى معاوية يقول له : إني قد ضبطت لك العراق بشمالى ويمينى فارغة ، فارغ لى ذلك ، وهو يمرض له أن يستنبيه على بلاد الحجاز أيضاً ، فلما بلغ أهل الحجاز جاءوا إلى عبد الله بن عمر فشكوا إليه ذلك ، وخافوا أن يلى عليهم زياد ، فيعسفهم كما عسف أهل العراق ، فقام ابن عمر فاستقبل القبلة فدعا على زياد والناس يؤمنون ، فطمئن زياد بالعراق فى يده فضاق ذرعاً بذلك ، واستشار شريحاً القاضى فى قطع يده ، فقال له شريح : إني لا أرى ذلك ، فانه إن لم يكن فى الأجل فسحة لتقت الله أجندم قد قطعت يدك خوفاً من لقاءه ، وإن كان لك أجل بقيت فى الناس أجندم فيعير ولدك بذلك . فصرفه عن ذلك ، فلما خرج شريح من عنده عاتبه بعض الناس : وقالوا : هلا تركته فقطع يده ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : « المستشار مؤتمن » . ويقال إن زياداً جعل يقول : أنا والطاعون فى فراش واحد ؟ فعزم على قطع يده ، فلما جئ بالمكلاوى والحديد خاف من ذلك فترك ذلك ، وذكر أنه جمع مائة وخمسين طبيباً ليدأووه مما يجرد من الحر فى باطنه ، منهم ثلاثة ممن كان يطب كسرى بن هرمز ، فعجزوا عن رد القدر المحتوم والأمر المحموم ، فمات فى ثالث شهر رمضان فى هذه السنة ، وقد قام فى إمرة العراق خمس سنين . ودفن بالثوبة خارج الكوفة ، وقد كان برز منها قاصداً إلى الحجاز أميراً عليها ، فلما بلغ خبر موته عبد الله بن عمر قال : اذهب إليك يا ابن سمية ، فلا الدنيا بقيت لك ، ولا الآخرة أدركت . قال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنى أبى عن هشام بن محمد حدثنى يحيى بن ثعلبة أبو المقدم الأنصارى عن أمه عن عائشة عن أبيها عبد الرحمن بن السائب الأنصارى . قال : جمع زياد أهل الكوفة فملا منهم المسجد والرحبة والقصر ليعرض عليهم البراءة من على بن أبى طالب ، قال عبد الرحمن : فأتى لمع نفر من أصحابى من الأنصار ، والناس فى أمر عظيم من ذلك وفى حصر ، قال : فهومت تهوية - أى نعتت نعسة - فرأيت شيئاً أقبل طويل العنق ، له عنق مثل عنق البعير ، أهدب أهبل فقلت : ما أنت ؟ فقال : أنا النقاد ذو الرقبة ، بعثت إلى صاحب هذا القصر ، فاستيقظت فرعا فقلت لأصحابى : هل رأيتم ما رأيتم ؟ قالوا : لا ! فأخبرتهم ، وخرج علينا خارج من القصر فقال : إن الأمير يقول لكم : انصرفوا عني : فأتى عنكم مشغول . وإذا الطاعون قد أصابه . وروى ابن أبى الدنيا أن زياداً لما ولى الكوفة سأل عن أعبدها فدل على رجل يقال له أبو المغيرة الحميرى ، فجاء به فقال له : الزم بيتك ولا تخرج منه وأنا أعطيك من المال ماشئت ، فقال : لو أعطيتنى ملك الأرض ما تركت خروجى لصلاة الجماعة . فقال الزم الجماعة ولا تكلم بشئ . فقال : لا أستطيع ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأمر به فضربت عنقه . ولما احتضر قال له ابنه : يا أبة قد هيأت لك ستين ثوباً أكفئك فيها ، فقال يا بنى قد دنا من أهلك أمر إما لباس خير من لباسه وإما سلب سريع . وهذا غريب جدا .

﴿ صمصمة بن ناجية ﴾

ابن عفان بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، كان سيدياً في الجاهلية وفي الاسلام ، يقال إنه أحيى في الجاهلية ثلثمائة وستين مؤودة ، وقيل أربعمائة ، وقيل ستاً وتسعين مؤودة ، فلما أسلم قال له رسول الله ﷺ : « لك أجر ذلك إذ من الله عليك بالاسلام » . و يروى عنه أنه أول ما أحيى المؤودة أنه ذهب في طلب ناقتين شردتا له ، قال فبينما أنا في الليل أسير إذ أنا بنار تضيء مرة وتخبو أخرى . فجعلت لا أهتدي إليها ، فقلت : اللهم لك على إن أوصلتني إليها أن أدفع عن أهلها ضيماً إن وجدته بهم ، قال فوصلت إليها وإذا شيخ كبير يوقد ناراً وعنده نسوة مجتمعات ، فقلت : ما أنتن ؟ فقلن إن هذه امرأة قد حبستنا منذ ثلاث ، تطلق ولم تخلص ، فقال الشيخ صاحب المنزل : وما خبرك ؟ فقلت : إني في طلب ناقتين نذتالي ، فقال : قد وجدتهما ، إنيهما لفي إبلنا ، قال فنزلت عنده ؟ قال فما هو إلا أن نزلت إذ قلن وضعت ، فقال الشيخ : إن كان ذكراً فارتحلوا ، وإن كان أنثى فلا تسمعني صوتها ، فقلت : عظام تقتل ولدك ورزقة على الله ؟ فقال : لا حاجة لي بها ، فقلت : أنا أفنديها منك وأتركها عندك حتى تبين عنك أو تموت . قال : بكم ؟ قلت . بإحدى ناقتي ، قال : لا اقلت فبهما ، قال لا إلا أن تزيدني بميرك هذا فاني أراه شاباً حسن اللون ، قلت نعم على أن تردني إلى أهلي ، قال نعم ، فلما خرجت من عندهم رأيت أن الذي صنعه نعمة من الله من بها على هداني إليها ، فجعلت لله على أن لا أجده مؤودة إلا أفنديتها كما أفنديت هذه ، قال فما جاء الاسلام حتى أحييت مائة مؤودة إلا أربعة ، ونزل القرآن بتحريم ذلك على المسلمين .

ومن توفي في هذه السنة من المشاهير المذكورين ﴿ جبلة بن الأيهم الغساني ﴾ ملك نصارى العرب وهو جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر ، واسمه المنذر بن الحارث ، وهو ابن مارية ذات القرطين ، وهو ابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، واسمه كعب أبو عامر بن حارثة بن امرئ القيس ، ومارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ويقال غير ذلك في نسبه ، وكنيته جبلة أبو المنذر الغساني الجفني ، وكان ملك غسان ، وهم نصارى العرب أيام هرقل ، وغسان أولاد عم الانصار أوسها وخزرجها ، وكان جبلة آخر ملوك غسان ، فكتب إليه رسول الله ﷺ كتاباً مع شجاع بن وهب يدعو إلى الاسلام فأسلم وكتب باسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن عساکر : إنه لم يسلم قط ، وهكذا صرح به الواحدى وسعيد بن عبد العزيز . وقال الواقدي : شهد اليرموك مع الروم أيام عمر بن الخطاب ثم أسلم بعد ذلك في أيام عمر ، فاتفق أنه وطئ رداء رجل من مزينة بدمشق فلطمه ذلك المزني ، فدفعه أصحاب جبلة إلى أبي عبيدة فقالوا : هذا لطم جبلة ، قال أبو عبيدة : فيلطمه جبلة : فقالوا : أو ما يقتل ؟ قال لا ! قالوا : فما تقطع يده ؟ قال لا ، إنما أمر الله

بالقود ، فقال جبلة : أترون أنى جاعل وجهى بنلا لوجه ما زنى جاء من ناحية المدينة ؟ بئس الدين هذا ، ثم ارتد نصرانيا وترحل بأهله حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر فشق عليه وقال لحسان : إن صديقك جبلة ارتد عن الاسلام ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال : ولم ؟ قال لطمه رجل من مزينة فقال : وحق له ، فقام إليه عمر بالدرة فضر به . ورواه الواقدي عن معمر وغيره عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس وساق ذلك بأسانيد إلى جماعة من الصحابة . وهذا القول هو أشهر الأقوال . وقد روى ابن الكلبي وغيره أن عمر لما بلغه إسلام جبلة فرح بإسلامه ، ثم بعث يستدعيه ليراه بالمدينة ، وقيل بل استأذنه جبلة في القدوم عليه فأذن له فركب في خلق كثير من قومه ، قيل مائة وخمسين راكبا ، وقيل خمسمائة ، وتلقته هدايا عمر ونزله قبل أن يصل إلى المدينة بمراحل ، وكان يوم دخوله يوما مشهودا دخلها وقد ألبس خيوله قلائد الذهب والفضة ، ولبس تاجا على رأسه مرصعا باللاكي والجواهر ، وفيه قرطامارية جدته ، وخرج أهل المدينة رجالهم ونساءهم ينظرون إليه ، فلما سلم على عمر رحب به عمر وأدنى مجلسه ، وشهد الحج مع عمر في هذه السنة ، فبينما هو يطوف بالسكبة إذ وطئ أزاره رجل من بني فزارة فأنجل ، فرفع جبلة يده فهشم أنف ذلك الرجل ، ومن الناس من يقول : إنه قلع عينه ، فاستعدي عليه الفزاري إلى عمر ومعه خلق كثير من بني فزارة ، فاستحضره عمر فاعترف جبلة ، فقال له عمر : أقدته منك . فقال : كيف وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال : إن الاسلام جمعك وإياه فلست تفضله إلا بالتقوى ، فقال جبلة : قد كنت أظن أن أكون في الاسلام أعز مني في الجاهلية ، فقال عمر : دع ذاعتك ، فانك إن لم ترض الرجل أقدته منك ، فقال إذا أتتصر ، فقال إن تنصرت ضربت عنقك ، فلما رأى الحد : قال سأنظر في أمري هذه الليلة ، فانصرف من عند عمر ، فلما ادلهم الليل ركب في قومه ومن أطاعه فسار إلى الشام ثم دخل بلاد الروم ودخل على هرقل في مدينة القسطنطينية فرحب به هرقل وأقطعهم بلادا كثيرة ، وأجرى عليه أرزاقا جزيلة ، وأهدى إليه هدايا جميلة ، وجعله من سماره ، فكث عنده دهر . ثم إن عمر كتب كتابا إلى هرقل مع رجل يقال له جثامة بن مساحق الكناني ، فلما بلغ هرقل كتاب عمر بن الخطاب قال له هرقل : هل لقيت ابن عمك جبلة ؟ قال : لا ! قال فائقه ، فذكر اجتماعه به وما هو فيه من النعمة والسرور والحبور والديوى ، في لباسه وفرشه ومجلسه وطيبه وجواريه ، حوالياه الحسن من الخدم والقيان ، ومطعمه وشرابه وسروره وداره التي تعوض بهما عن دار الاسلام ، وذكر أنه دعاه إلى الاسلام والعود إلى الشام فقال : أبعد ما كان مني من الارتداد ؟ فقال : نعم ! إن الأشعث بن قيس ارتد وقتلهم بالسيوف ، ثم لما رجع إلى الحق قبله منه وزوجه الصديق بأخته أم فروة ، قال : فالتهمى عنه بالطعام والشراب ، وعرض عليه الخمر فأبى عليه ، وشرب جبلة من الخمر شيئا كثيرا حتى سكر

ثم أمر جواريه المغنيات فغنيته بالعيد ان من قول حسان يمدح بنى عمه من غسان والشعر فى والدجيلة هذا الحيوان .

لله در عصاية نادمتهم * يوماً بخلق فى الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يُصَفَّقُ بالرحيق السلسل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الأول
يغشون حتى ماتهم كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

قال : فأعجبه قولهن ذلك ، ثم قال : هذا شعر حسان بن ثابت الأنصارى فىنا وفى مملكتنا ، ثم قال لى : كيف حاله ؟ قلت : تركته ضريباً شيخاً كبيراً ، ثم قال لهن : أطر بنى فاندفعن يغنين لحسان أيضاً

لمن الديار أوحشت بمغان * بين أعلا اليرموك فالصَّان
فالقريات من بلاس فداري * أفسكاء لقصور الدواني
فقفا جاسم فأودية الص * فر مغنى قبائل وهجان
تلك دار العزيز بعد أنيس * وحلوك عظيمة الأركان
صلوات المسيح فى ذلك الدي * ردعاء القسيس والرهبان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الده * ر محساء تعاقب الأزمان
قد أراى هناك حق مكين * عند ذى التاج مجلسى ومكانى
ثكلت أمهم وقد ثكلتهم * يوم حلوا بحارث الحولانى
وقد دنا الفصح فالولائد ينظم * ن سراعاً أكلة المرجان

ثم قال : هذا لابن الفريرة حسان بن ثابت فىنا وفى مملكتنا وفى منازلنا بأكناف غوطة دمشق ، قال : ثم سكت طويلاً ، ثم قال لهن : بكينى ، فوضعن عيد انهن ونكسن رؤوسهن وقلن :

تنصرت الأشراف من عار لظمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكفنى فيها اللجاج ونخوة * وبعث بها العين الصحيحة بالعود
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت إلى القول الذى قاله عمر
ويا ليتنى أرعى المحاض بقفرة * وكنت أسيراً فى ربيعة أو مضر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريعة * وقد يصبر العود الكبير على الدبر

قال : فوضع يده على وجهه فبكى حتى بل لحيته بدموعه وبكى معه ، ثم استدعى بخمسمائة دينار

هرقلية فقال : خذ هذه فأوصلها إلى حسان بن ثابت ، وجاء بأخرى فقال : خذ هذه لك ، فقلت : لا حاجة لي فيها ولا أقبل منك شيئا وقد ارتددت عن الاسلام ، فيقال : إنه أخافها إلى التي لحسان ، فبعث بألف دينار هرقلية ، ثم قال له : أبلغ عمر بن الخطاب مني السلام وسائر المسلمين : فلما قدمت على عمر أخبرته خبره فقال : ورأيتك يشرب الخمر ؟ قلت : نعم ! قال : أبعد الله ، تعجل فانية بياقية فما ربحت تجارتك . ثم قال : وما الذي وجهه به لحسان ؟ قلت : خمسمائة دينار هرقلية ، فعدنا حسانا فندفعها إليه ، فأخذها وهو يقول :

إن ابن جفنة من بقية معشر * لم يفزهم آباؤهم باللوم
لم ينسني بالشام إذ هور بها * كلا ولا متنصرا بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده * إلا كبعض عطية الخروم
وأثيته يوماً ففترت مجلسي * وسقا فرواني من المذموم

ثم لما كان في هذه السنة من أيام معاوية بعث معاوية عبد الله بن مسعدة الفزاري رسولا إلى ملك الروم ، فاجتمع بجبله بن الأيهم فرأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال من الخدم والخمر والذهب والخيول ، فقال له جبله : لو أعلم أن معاوية يقطعني أرض البثينة فأنبأ منازلنا ، وعشرين قرية من غوطة دمشق ويفرض لجماعتنا ، ويحسن جوارزنا ، لرجعت إلى الشام . فأخبر عبد الله بن مسعدة معاوية بقوله ، فقال معاوية : أنا أعطيه ذلك ، وكتب إليه كتاباً مع البريد بذلك ، فما أدركه البريد إلا وقد مات في هذه السنة قبضه الله . وذكر أكثر هذه الأخبار الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في المنتظم ، وأرخ وفاته هذه السنة ، - أعنى سنة ثلاث وخمسين - وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه فأطال الترجمة وأفاد ، ثم قال في آخرها : بلغني أن جبله توفي في خلافة معاوية بأرض الروم بعد سنة أربعين من الهجرة .

﴿ سنة أربع وخمسين ﴾

ففيها كان شقي محمد بن مالك بأرض الروم ، وغزا الصائفة معن بن يزيد السامي ، وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن إمرة المدينة ورد إليها مروان بن الحكم ، وكتب إليه أن يهدم دار سعيد بن العاص ، ويصطفى أمواله التي بأرض الحجاز ، فجاء مروان إلى دار سعيد ليهدمها فقال سعيد : ما كنت لتفعل ذلك ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب إلي بذلك ، ولو كتب إليك في داري لفعلته . فقام سعيد فأخرج إليه كتاب معاوية إليه حين ولاد المدينة أن يهدم دار مروان ويصطفى ماله . وذكر أنه لم يزل يحاجف دونه حتى صرف ذلك عنه ، فلما رأى مروان الكتاب إلى سعيد بذلك ، ثأد ذلك عن سعيد ، ولم يزل يدافع عنه حتى تركه معاوية في داره وأقر عليه أمواله . وفيها

عزل معاوية سمرة بن جندب عن البصرة ، وكان زياد استخلفه عليها فأقره معاوية ستة أشهر ، وولى عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان . وروى ابن جرير وغيره عن سمرة أنه قال لما عزله معاوية : لمن الله معاوية لو أطمت الله كما أطمت معاوية ما عذبني أبدا . وهذا لا يصح عنه . وأقر عبد الله بن خالد بن أسيد على نيابة الكوفة ، وكان زياد قد استخلفه عليها فأبقاه معاوية . وقدم في هذه السنة عبيد الله بن زياد على معاوية فأكرمه وسأله عن نواب أبيه على البلاد فأخبره عنهم ، ثم ولاد إمرة خراسان وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فسار إلى مقاطعته وتجهز من فوره غاديا إليها ، فقطع النهر إلى جبال بخارا ، ففتح رامس ونصف بيكند . وهما من معاملة بخارا . ولقي الترك هناك فقاتلهم قتلًا شديداً وهزمهم هزيمة فظيمة بحيث إن المسادين أعجأوا امرأة الملك أن تلبس خفيها ، فلبست واحدة وتركت أخرى ، فأخذها المسلمون فقوموا جواهرها بمائتي ألف درهم ، وغنموا مع ذلك غنائم كثيرة ، وأقام عبيد الله بخراسان سنتين . وفي هذه السنة حج بالناس مروان بن الحكم نائب المدينة . وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، وقيل : بل كان عليها الضحاك بن قيس ، وكان على البصرة عبد الله بن غيلان .

﴿ ذكر من توفي فيها من الأعيان ﴾ أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي

أبو محمد المديني مولى رسول الله ﷺ وابن مولاه ، وحبه وابن حبه ، وأمه بركة أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته ، ولاد رسول الله الأمرة بعد مقتل أبيه فطعن بعض الناس في إمارته ، فقال رسول الله ﷺ : « إن قطعوا في إمارته فقد طعنتم في أمرة أبيه من قبله ، وإيم الله إن كان لخليقا بالأمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلى بعده » . وثبت في صحيح البخاري عنه : « أن رسول الله كان يجلس الحسن على نخله ويجلس أسامة على نخله الأخرى ويقول : اللهم إني أحبهما فأحبهما » . وفضائل كثيرة . توفي رسول الله وعمره تسع عشرة سنة ، وكان عمر إذا لقيه يقول : السلام عليك أيها الأمير . وصحح أبو عمر بن عبد البر أنه توفي في هذه السنة ، وقال غيره سنة ثمان أو تسع وخمسين ، وقيل توفي بعد مقتل عثمان فالله أعلم .

﴿ ثوبان بن جدد ﴾ مولى رسول الله ﷺ تقدمت ترجمته في مواليه ومن كان يخدمه عليه السلام ، أصله من العرب فأصابه سبي فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه ، فلزم رسول الله سفرا وحضرًا ، فلما مات أقام بالرملة ثم انتقل إلى حمص فابتنى بها داراً ولم يزل بها حتى مات في هذه السنة على الصحيح ، وقيل سنة أربع وأربعين وهو غلط ، ويقال إنه توفي بمصر ، والصحيح بمصر .

﴿ جبير بن مطعم ﴾ تقدم أنه توفي سنة خمسين .

﴿ الحارث بن ربهى ﴾

أبو قتادة الأنصارى ، وقال الواقدي : اسمه النعمان بن ربهى ، وقال غيره : عمرو بن ربهى . وهو أبو قتادة الأنصارى السلمي المدني فارس الاسلام ، شهد أحداً وما بعدها ، وكان له يوم ذى قرد سعى مشكور كما قدمنا هناك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالنا سلمة بن الأكوع » . وزعم أبو أحمد الحاكم أنه شهد بدرًا وليس بمعروف ، وقال أبو سعيد الخدري : أخبرني من هو خير منى أبو قتادة الأنصارى أن رسول الله قال لمار : « تقتلك الفئة الباغية » . قال الواقدي وغير واحد : توفي في هذه السنة - يعنى سنة أربع وخمسين - بالمدينة عن سبعين سنة ، وزعم الهيثم بن عدي وغيره أنه توفي بالكوفة سنة ثمان وثلاثين ، وصلى عليه على بن أبى طالب . وهذا غريب ﴿ حكيم بن حزام ﴾ بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشى الأسدى أبو خالد المسكى ، أمه فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، وعمته خديجة بنت خويلد ، زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم أولاده سوى إبراهيم . ولدته أمه في جوف السكبة قبل الفيل بثلاث عشر سنة ، وذلك أنها دخلت تزور فضر بها الطلق وهى فى السكبة فوضعت على نضع ، وكان شديد الحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما كان بنو هاشم وبنو المطلب فى الشعب لا يبايعوا ولا يبايعون ، كان حكيم يقبل بالعمير يقدم من الشام فيشتريها بكاملها ، ثم يذهب بها فيضرب أذبارها حتى يندج الشعب يحمل الطعام والكسوة تكرمه لرسول الله ﷺ ، ولعمته خديجة بنت خويلد . وهو الذى اشترى زيد بن حارثة فابنته منه عمته خديجة فوهبته لرسول الله فاعتقه ، وكان اشترى حلة ذى وزن فأهداها لرسول الله ﷺ فلبسها ، قال : فما رأيت شيئاً أحسن منه فيها . ومع هذا ما أسلم إلا يوم الفتح هو وأولاده كلهم ، قال البخارى وغيره : عاش فى الجاهلية ستين سنة ، وفى الاسلام ستين سنة ، وكان من سادات قريش وكرماهم وأعلمهم بالنسب ، وكان كثير الصدقة والبر والعفافة ، فلما أسلم سأل عن ذلك رسول الله فقال : « أسلمت على ما أسلمت من خير » . وقد كان حكيم شهد مع المشركين بدرًا وتقدم إلى الخوض فكاد حمزة أن يقتله ، فما سحب إلا سحباً بين يديه ، فلم هذا كان إذا اجتمع فى الميمن يقول : لا والذى نجاى يوم بدر . ولما ركب رسول الله إلى فتح مكة ومعه الجنود بمر الظهران خرج حكيم وأبو سفيان يتجسسان الأخبار ، فلقيهما العباس ، فأخذ أبا سفيان فأجاره وأخذ له أماناً من رسول الله ﷺ ، وأسلم أبو سفيان ليلئذ كرها ، ومن صبيحة ذلك اليوم أسلم حكيم وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً ، وأعطاه مائة من الإبل ثم سأل فاعطاه ، ثم سأل فاعطاه ، ثم قال : « يا حكيم إن هذه المسال حلوة خضرة ، وإنه من أخذه بسخاوة بورك له فيه ، ومن أخذه بأسراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع » . فقال

حكيم : والذي بمثلك بالحق لا أزرأ بعدك أبداً ، فلم يرزأ أحداً بعده ، وكان أبو بكر يمرض عليه
 العطاء فيأبى ، وكان عمر يمرض عليه العطاء فيأبى فيشهد عليه المسلمون ، ومع هذا كان من أغنى
 الناس ، مات الزبير يوم مات وحكيم عليه مائة ألف ، وقد كان بيده حين أسلم الرفادة ودار الندوة
 فباعها بمد من معاوية بمائة ألف ، وفي رواية بأربعمائة ألف دينار ، فقال له ابن الزبير : بعثت مكرمة
 قريش ؟ فقال له حكيم : ابن أخى ذهبته المسكارم فلا كرم إلا التقوى ، يا ابن أخى إني اشتريتها في
 الجاهلية بزق خمر ، ولأشترين بها داراً في الجنة ، أشهدك أنى قد جعلتها في سبيل الله ، وهذه الدار
 كانت لقريش بمنزلة دار العدل ، وكان لا يدخلها أحد إلا وقد صار سنه أربعين سنة ، إلا حكيم بن
 حزام فإنه دخلها وهو ابن خمس عشرة سنة ، ذكره الزبير بن بكار ، وذكر الزبير أن حكيم حج عاماً
 فأهدى مائة بدنة بحلابة ، وألف شاة ، وأوقف معه بعرفات مائة وصيف في أعناقهم أطوقه الفضة ، وقد
 نقش فيها : هؤلاء عتقاء الله عن حكيم بن حزام ، فأعتقهم وأهدى جميع تلك الأنعام رضى الله عنه .
 توفي حكيم في هذه السنة على الصحيح ، وقيل غير ذلك وله مائة وعشرون سنة .

﴿ حو يطب بن عبد العزى العامري ﴾

صحابي جليل ، أسلم عام الفتح ، وكان قد عمر دهرًا طويلاً ، ولهذا جعله عمر في النفر الذين جددوا
 أنصاب الحرم ، وقد شهد بدراً مع المشركين ، ورأى الملائكة يومئذ بين السماء والأرض ، وشهد
 الحديبية وسعى في الصلح ، فلما كان عمرة القضاء كان هو وسهيل هما اللذان أمرا رسول الله ﷺ
 بالخروج من مكة ، فأمر بلالاً أن لا تغرب الشمس وبمكة أحد من أصحابه ، قال : وفي كل هذه المواطن
 أحم بالاسلام ويأبى الله إلا ما يريد ، فلما كان زمن الفتح خفت خوفاً شديداً وهربت فلاحقني أبو ذر
 - وكان لي خليلاً في الجاهلية - . فقال : يا حو يطب مالك ؟ فقلت : خائف ، فقال : لا تخف فإنه
 أبر الناس : وأوصل الناس ، وأنا لك جار فأقدم معي ، فرجعت معه فوقف بي على رسول الله وهو
 بالبطحاء ومعه أبو بكر وعمر ، وقد علمني أبو ذر أن أقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ،
 فلما قلت ذلك قال : « حو يطب » ؟ قلت : نعم ! أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فقال :
 « الحمد لله الذي هدانا لهذا » وسر بذلك واستقرضني مالا فأقرضته أربعين ألفاً ، وشهدت معه حينئذ
 والطائف ، وأعطاني من غنائم حنين مائة بعير . ثم قدم حو يطب بعد ذلك المدينة فتنزلها وله بها
 دار ، ولما ولي عليها مروان بن الحكم جاءه حو يطب وحكيم بن حزام ، ومخرمة بن نوفل ، فسلموا
 عليه وجعلوا يتحدثون عنده ثم تفرقوا ، ثم اجتمع حو يطب بمروان يوماً آخر فسأله مروان عن عمره
 فأخبره ، فقال له : تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقتك الأحداث . فقال حو يطب : الله المستمان ،
 والله لقد هممت بالاسلام غير مرة كل ذلك يعوقني أبوك يقول تضع شرفك وتدع دين آبائك لدين

محدث ؟ وتصير تابعا ؟ قال : فاسكت مروان وندم على ما كان قال له ، ثم قال حو يطب : أما كان أخبرك عثمان ما كان لقي من أبيك حين أسلم ؟ قال : فازداد مروان غما . وكان حو يطب ممن شهد دفن عثمان ، واشترى منه معاوية داره بمكة بأربعين ألف دينار فاستكثرها الناس ، فقال : وماهى فى رجل له خمسة من العيال ؟ قال الشافعى : كان حو يطب جيد الاسلام ، وكان أكثر قریش ريما جاهليا . وقال الواقدى : عاش حو يطب فى الجاهلية ستين سنة ، وفى الاسلام ستين سنة ، ومات حو يطب فى هذه السنة بالمدينة وله مائة وعشرون سنة . وقال غيره : توفى بالشام . له حديث واحد رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث السائب بن يزيد عنه عن عبد الله بن السعدى عن عمر فى العمالة ، وهو من عزيز الحديث لأنه اجتمع فيه أربعة من الصحابة رضى الله عنهم .

﴿ معبد بن يربوع بن عنكشة ﴾

ابن عامر بن مخزوم ، أسلم عام الفتح ، وشهد حنين ، وأعطاء رسول الله خمسين من الابل ، وكان اسمه صرما ، وفى رواية أصرم ، فسماه معبدا ، وكان فى جملة النفر الذين أمرهم عمر بتجديد أنصاب الحرم ، وقد أصيب بصره بعد ذلك فأتاه عمر يعزيه فيه ، رواه البخارى . قال الواقدى وخليفة وغير واحد : مات فى هذه السنة بالمدينة ، وقيل بمكة وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وقيل أكثر من ذلك .

﴿ مرة بن شراحيل الحمدانى ﴾

يقال له مرة الطيب ، ومرة الخير ، روى عن أبى بكر وعمر وعلى وابن مسعود وغيرهم ، كان يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة ، فلما كبر صلى أربعمائة ركعة ، ويقال إنه سجد حتى أكل التراب جبهة ، فلما مات روى فى المنام - وقد صار ذلك المسكان نورا - فقيل له : أين منزلك ؟ فقال : بدار لا يظعن أهلها ولا يموتون .

﴿ النعمان بن عمرو ﴾

ابن رفاع بن الحر ، شهد بدر وما بعدها ، ويقال إنه الذى كان يؤتى به فى الشراب ، فقال رجل : لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تلعبه فإنه يحب الله ورسوله » .

﴿ سودة بنت زمعة ﴾

القرشية العامرية أم المؤمنين ، تزوجها رسول الله بعد خديجة ، وكانت قبله عند السكران بن عمرو وأخى سهيل بن عمرو ، فلما كبرت هم رسول الله بطلاقها ، ويقال إنه طلقها ، فسألت أن يبقها فى نسائه وتبب يومها لعائشة ، فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله : (وإن امرأة خافت من بعلها نشورا أو إعراضا) الآية ، وكانت ذات عبادة وورع وزهادة ، قالت عائشة : ما من امرأة أحب إلى أن أكون فى سلاحها غير أن فيها حمة تسرع منها الفئمة . ذكر ابن الجوزى وفاتها فى هذه السنة ، وقال ابن أبى خيثمة : توفيت فى آخر خلافة عمر بن الخطاب فأنه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين ﴾

فيها عزل معاوية عبد الله بن غيلان عن البصرة وولى عليها عبيد الله بن زياد ، وكان سبب عزل معاوية بن غيلان عن البصرة أنه كان يخطب الناس فحصبه رجل من بني ضبة فأمر بقطع يده ، فجاء قومه إليه فقالوا له : إنه متى بلغ أمير المؤمنين أنك قطعت يده في هذا الصنع فعل به وبقومه نظير ما فعل بحجر بن عدي ، فأكتب لنا كتاباً أنك قطعت يده في شبهة ، فكتب لهم فتركوه عندهم حينئذ جاؤا معاوية فقالوا له : إن نائبك قطع يد صاحبنا في شبهة فأقذنا منه ، قال : لا سبيل إلى القود من نوابي ولكن اللية ، فأعطاهم اللية وعزل ابن غيلان ، وقال لهم : اختاروا من تريدون ، فذكروا رجلاً فقال : لا ! وإنسكن أولى عليكم ابن أخي عبيد الله بن زياد ، فولاه فاستخلف ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة ، فلم يفر ولم يفتح شيئاً ، وولى قضاء البصرة لزرارة بن أوفى ثم عزله وولى ابن أذينة ، وولى شرطتها عبد الله بن الحصين . وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة . وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد عن الكوفة وولى عليها الضحاك بن قيس رضى الله عنه .

﴿ ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ﴾ أرقم بن أبي الأرقم

عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أسلم قديماً ، يقال سابع سبعة ، وكانت داره كهفاً للمسلمين يأوى إليها رسول الله ومن أسلم من قریش ، وكانت عند الصفا وقد صارت فيما بعد ذلك للمهدي فوهبها لامراته الخيزران أم موسى الهادي وهارون الرشيد ، فبذتها وجددتها فعرفت بها ، ثم صارت لغيرها ، وقد شهد الأرقم بدرًا وما بعدها من المشاهد ، ومات بالمدينة في هذه السنة ، وصلى عليه سعد بن أبي وقاص أوصى به رضى الله عنهما ، وله بضع وثمانون سنة .

﴿ سحبان بن زفر بن إلياس ﴾

ابن عبد شمس بن الأجب الباهلي الوائلي ، الذي يضرب بفصاحته المثل ، فيقال : أفصح من سحبان وائل ، ووائل هو ابن معد بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار ، وباهلة امرأة مالك بن أعصر ، ينسب إليها ولدها ، وهي باهلة بنت صعب بن سعد العشرة . قال ابن عساکر : سحبان المعروف بسحبان وائل ، بلغني أنه وفد إلى معاوية فتكلم فقال معاوية : أنت الشيخ ؟ فقال : إني والله وغير ذلك ، ولم يزد ابن عساکر على هذا ، وقد نسبته ابن الجوزي في كتابه المنتظم كما ذكرنا ، ثم قال : وكان بليغاً يضرب المثل بفصاحته ، دخل يوماً على معاوية وعنده خطباء القبائل ، فلما رأوه خرجوا لعلهم يتصورهم عنه ، فقال سحبان

لقد علم الحبي اليمانيون أنني * إذا قلت أما بعد أني خطيبها

فقال له معاوية : اخطب ! فقال : انظروا لي عصي تقيم من أودى ، فقالوا : وماذا تصنع بها

وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ فقال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه ، فأخذها وتكلم من الظمر إلى أن قاربت العصر ، ما تنحج ولا تسعل ولا توقف ولا ابتدأ في معنى فخرج عنه وقد بقيت عليه بقية فيه ، فقال معاوية : الصلاة ! فقال : الصلاة أمامك ، ألسنا في تحميد وتمجيد وعظة وتنبية ، وتذكير ووعد ووعيد ؟ فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، قال : العرب وحدها ؟ بل أخطب الجن والانس . قال : كذلك أنت .

(سعد بن أبي وقاص)

واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، أبو إسحاق القرشي الزهري ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض ، أسلم قديماً ، قالوا : وكان يوم أسلم عمره سبع عشرة سنة . وثبت عنه في الصحيح أنه قال : ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام سابع سبعة ، وهو الذي كوف الكوفة ونفي عنها الأعاجم ، وكان محاب الدعوة ، وهاجر وشهد بدرًا وما بعدها ، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وكان فارساً شجاعاً من أمراء رسول الله ﷺ ، وكان في أيام الصديق معظماً جليل المقدار ، وكذلك في أيام عمر ، وقد استنابه على الكوفة ، وهو الذي فتح المدائن ، وكانت بين يديه وقمة جللاء . وكان سيداً مطاعاً ، وعزله عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة ، ولكن لمصلحة ظهرت لعمر في ذلك . وقد ذكره في الستة أصحاب الشورى ، ثم ولده عثمان بعدها ثم عزله عنها . وقال الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : شهد سعد بن أبي وقاص وابن عمر دومة الجندل يوم الحكمين . وثبت في صحيح مسلم أن ابنه عمر جاء إليه وهو معتزل في إبله فقال : الناس يتنازعون الإمارة وأنت هاهنا ؟ فقال : يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يحب العبد الغني الخفي التقي » . قال ابن عساکر : ذكر بعض أهل العلم أن ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص جاءه فقال له : يا عم هاهنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر ، فقال : أريد من مائة ألف سيفاً واحداً إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئاً ، وإذا ضربت به الكافر قطع . وقال عبد الرزاق عن ابن جريج حدثني زكريا بن عمرو أن سعد بن أبي وقاص وفد على معاوية فأقام عنده شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر ، وقال غيره : فبايعه وما سأله سعد شيئاً إلا أعطاه إياه . قال أبو يعلى : حدثنا زهير ثنا إسماعيل بن علية عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم . قال قال سعد : إني لأول رجل رمى بسهم في المشركين ، وما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد قبلي ، ولقد سمعته يقول : « أرم فداك أبي وأمي » . وقال أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ثنا إسماعيل عن قيس سمعت سعد بن مالك يقول : والله إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ،

ولقد كننا نفرزو مع رسول الله وما لنا طعام فأكله إلا ورق الحبلية وهذا السر ، حتى أن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط ، ثم أصبحت بنو أسد تعزرنى على الدين ، لقد خبت إذا وضل عملى . وقد رواه شعبة ووكيع وغير واحد عن إسماعيل بن أبي خالد به . وقال أحمد : حدثنا ابن سعيد عن يحيى ابن سعيد الأنصارى عن سعيد بن المسيب عن سعد . قال : « جمع لى رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد » . ورواه أحمد أيضاً عن غندر عن شعبة عن يحيى بن سعيد الأنصارى . وقد رواه الميث وغير واحد عن يحيى الأنصارى . ورواه غير واحد عن سعيد بن المسيب عن سعد . ورواه الناس من حديث عامر بن سعد عن أبيه . وفي بعض الروايات « فذاك أبى وأخى » وفي رواية : « فقال ارم وأنت الغلام الحزور » قال سعيد : وكان سعد جيد الرمي . وقال الأعمش عن أبى خالد عن جابر بن سمرة . قال : أول الناس رمى بسهم فى سبيل الله سعد رضى الله عنه . وقال أحمد : حدثنا وكيع ثنا سفیان عن سعد بن إبراهيم عن عبيد الله بن شداد سمعت علياً يقول : « ما سمعت رسول الله يندى أحداً بأبويه إلا سعد بن مالك ، وإني سمعته يقول له يوم أحد : ارم سعد فذاك أمى وأبى » . ورواه البخارى عن أبى نعيم عن مسعر عن سعد بن إبراهيم به . ورواه شعبة عن سعد بن إبراهيم ، ورواه سفیان بن عيينة وغير واحد عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب فذكره . وقال عبد الرزاق : أنا معمر عن أيوب أنه سمع عائشة بنت سعد تقول : أنا بنت المهاجر الذى فداه رسول الله ﷺ بالأبوين . وقال الواقدي : حدثني عبيدة بن نابل عن عائشة بنت سعد عن أبيها . قال : « لقد رأيته أرمى بالسهم يوم أحد فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه ، حتى كان بعد ذلك فظننت أنه ملك » . وقال أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ثنا إبراهيم عن سعد عن أبيه عن سعد بن أبى وقاص . قال : « لقد رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ، مارأيتهما قبل ولا بعد » . ورواه الواقدي : حدثني إسحاق بن أبى عبيد الله عن عبد العزيز - جد ابن أبى عون - عن زياد مولى سعد عن سعد . قال : « رأيت رجلين يوم بدر يقاتلان عن رسول الله ﷺ أحدهما عن يمينه والاخر عن يساره ، وإني لأراه ينظر إلى ذا مرة وإلى ذا مرة مسروراً بما ظفروه الله عز وجل » . وقال سفیان عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عبيد الله بن مسعود عن أبيه . قال اشتركت أنا وسعد وعمار يوم بدر فيما أصبنا من الغنيمة ، فجاء سعد بأسيرين ولم أجىء أنا وعمار بشئ . وقال الأعمش عن إبراهيم بن علقمة عن ابن مسعود . قال : لقد رأيت سعد بن أبى وقاص يوم بدر يقاتل قتال الفارس للراجل . وقال مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع عبيد الله بن عامر يقول قالت عائشة : بات رسول الله ﷺ أرقاً ذات ليلة ثم قال : « ليت رجلاً صالحاً يحرسنى الليلة ؟ قالت : إذ سمعنا صوت

السلح ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا سعد بن أبي وقاص ، أنا أحرصك يا رسول الله ، قالت : فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيته . أخرجه من حديث يحيى بن سعيد . وفي رواية « فدعاه رسول الله ﷺ ثم نام » وقال أحمد : حدثنا قتيبة ثنا رشدين بن سعد عن يحيى بن الحجاج بن شداد عن أبي صالح عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله قال : « أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة ، فدخل سعد بن أبي وقاص » . وقال أبو يعلى : حدثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الله بن قيس الرقاشي الخزاز ، بصرى ، ثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر . قال : كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال : « يدخل عليكم من ذا الباب رجل من أهل الجنة ، قال فليس منا أحد إلا وهو يتمنى أن يكون من أهل بيته ، فإذا سعد بن أبي وقاص قد طلع » . وقال حرمة عن ابن وهب أخبرني حيوة أخبرني عقيل عن ابن شهاب حدثني من لأتهم عن أنس بن مالك . قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ فقال : « يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة ، فاطلع سعد بن أبي وقاص ، حتى إذا كان الغد قال رسول الله مثل ذلك ، قال فاطلع سعد بن أبي وقاص على ترتيبه الأول ، حتى إذا كان الغد قال رسول الله مثل ذلك ، قال فاطلع على ترتيبه ، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثار عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : إني غاضبت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليال ، فان رأيت أن تؤويني إليك حتى تتحل يميني فعلت ، قال أنس : فزعم عبد الله بن عمرو أنه بات معه ليلة حتى إذا كان الفجر فلم يقم تلك الليلة شيئاً ، غير أنه كان إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبره حتى يقوم مع الفجر ، فإذا صلى المكتوبة أسبغ الوضوء وأتمه ثم يصبح مفطراً ، قال عبد الله بن عمرو : فرمته ثلاث ليال وأيامهن لا يزيد على ذلك ، غير أني لا أسمعه يقول إلا خيراً ، فلما مضت الليالي الثلاث وكنت أحتقر عمله ، قلت : إنه لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله قال ذلك ثلاث مرات في ثلاث مجالس : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » فاطلمت أنت أولئك المرات الثلاث ، فأردت أن آوي إليك حتى أنظر ما عملك فأقتدى بك لأتال ما نلت ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ؟ فقال : ما هو إلا الذي رأيت . قال : فلما رأيت ذلك انصرفت فدعاني حين وليت ، فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي سوءاً لأحد من المسلمين ، ولا أنوي له شراً ولا أقوله . قال قلت : هذه التي بلغت بك وهي التي لا أطبق . وهكذا رواه صالح المزني عن عمرو بن دينار - مولى الزبير - عن سالم عن أبيه فذكر مثل رواية أنس ابن مالك . وثبت في صحيح مسلم من طريق سفيان الثوري عن المقدم بن شريح عن أبيه عن سعد في قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) نزلت في ستة ، أنا وابن مسعود منهم وفي رواية أنزل الله في (وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم) وذلك أنه لما أسلم

امتنعت أمه من الطعام والشراب أياما ، فقال لها : تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا
نفسا ما تركت ديني هذا شيئا ، إن شئت فكلني وإن شئت فلا تأكلني . ففازت هذه الآية . وأما
حديث الشهادة للمشيئة بالجنة فثبت في الصحيح عن سعيد بن زيد . وجاء من حديث سهيل عن أبيه
عن أبي هريرة في قصة حراء ذكر سعد بن أبي وقاص منهم . وقال هشيم وغير واحد عن بحالد عن
الشمي عن جابر . قال : كنا مع رسول الله ﷺ فأقبل سعد فقال رسول الله ﷺ : « هذا خالي فليزني
أمرؤ خاله » . رواه الترمذي . وقال الطبراني : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ثنا عبد الوهاب
ابن الضحاك ثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن ماعز التميمي عن جابر . قال : كنا مع
رسول الله ﷺ إذ أقبل سعد فقال : « هذا خالي » . وثبت في الصحيح من حديث مالك وغيره
عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه « أن رسول الله جاءه يعود عام حجة الوداع من وجع اشتد
به . فقلت : يا رسول الله إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة ، أفأتصدق بثلاثي مالي ؟ قال : لا ! قلت :
فالشطر يا رسول الله ؟ قال : لا ! قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك
أغنياء خير من أن تذرهم عائلة يتسكفون الناس ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت
بها ، حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك . قلت : يا رسول الله أخلف بعد أصحابي ؟ فقال إنك لن تخلف
فتمعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة ، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام
ويضر بك آخرون . ثم قال : اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ، لكن البائس سعد
ابن خولة يرثي له رسول الله إن مات بمكة » . ورواه أحمد عن يحيى بن سعيد عن الجعد بن أوس عن
عائشة بنت سعد عن أبيها فذكر نحوه ، وفيه قال : « فوضع يده على جبهته فمسح وجهه وصدره وبطنه
وقال : اللهم اشف سعدا وأتم له هجرتة » . قال سعد : فما زلت بخيل إلى أني أجده برده على كبدي حتى
الساعة . وقال ابن وهب : حدثني موسى بن علي بن رباح عن أبيه أن رسول الله ﷺ عاد سعدا فقال :
« اللهم أذهب عنه البأس ، إله الناس ، ملك الناس ، أنت الشافي لشافئ له إلا أنت ، بسم الله أريقك
من كل شيء يؤذيكَ ، من حسد وعين ، اللهم أصح قلبه وجسمه ، واكشف سقمه وأجب دعوته » .
وقال ابن وهب : أخبرني عمر وعنه بكر بن الأشج قال : سألت عامر بن سعد عن قول رسول
الله ﷺ : « وعسى أن تبقى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون » . فقال : أمر سعد على العراق
فقتل قوما على الردة فضرهم ، واستتاب قوما كانوا سجعوا مسيئة الكذاب فتأبوا فانتفعوا به .
وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن زيد عن القاسم أبي عبد الرحمن
عن أبي أمامة . قال : جلسنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ورققنا ، فبكى سعد بن أبي قاص فأكثر البكاء
وقال : ياليتني مت ، فقال رسول الله ﷺ : « يا سعد إن كنت للجنة خلقت فما طال عمرك أو حسن

من عمالك فهو خير لك». وقال موسى بن عتبة وغيره عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن سعد .
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « اللهم سدد رميته وأجب دعوته » . ورواه سيار بن بشير
 عن قيس عن أبي بكر الصديق . قال : سمعت رسول الله يقول لسعد : « اللهم سدد سهمه وأجب
 دعوته ، وحبيه إلى عبادك » . وروى من حديث ابن عباس ، وفي رواية محمد بن عائذ الدمشقي عن
 الهيثم بن حميد عن مطعم عن المتقدم وغيره أن سعدا قال : يا رسول الله ادع الله أن يجيب دعوتي
 فقال : « إنه لا يستجيب الله دعوة عبد حتى يطيب مطعمه » فقال : يا رسول الله ادع الله أن يطيب
 مطعمي فسمعه . قالوا : فكان سعد يتورع من السنبلة يجدها في زرعه فيردها من حيث أخذت .
 وقد كان كذلك مجاب الدعوة لا يكاد يدعو بدعاء إلا استجيب له ، فمن أشهر ذلك ما روى في
 الصحيحين من طريق عبد الملك بن عمير عن جابر بن سلمة أن أهل الكوفة شكوا سعداً إلى عمر في
 كل شيء حتى قالوا : لا يحسن يصلي ، فقال سعد : أما إني لا آلو أن أصلي بهم صلاة رسول الله ، أطيل
 الأولين وأحذف الآخرين ، فقال : الظن بك يا أبا إسحاق ، وكان قد بعث من يسأل عنه بمحال
 الكوفة فجمعوا لا يسألون أهل مسجد إلا أنموا خيراً ، حتى مروا بمسجد ابني عبس فقام رجل منهم يقال
 له أبو سعدة أسامة بن قتادة فقال : إن سعداً كان لا يسير في السرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في
 الرعية القضية ، فبلغ سعداً فقال : اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسومة فأطال عمره وأدم فقره ،
 وأعم بصره وعرضه للفتن ، قال : فأنا رأيت به بعد ذلك شيخاً كبيراً قد سقطت حاجباه على عينيه
 يقف في الطريق فيغمز الجوارى فيقال له ، فيقول : شيخ مفتون أصابته دعوة سعد . وفي رواية
 غريبة أنه أدرك فتنة المختار بن أبي عبيد فقتل فيها . وقال الطبراني : ثنا يوسف القاضي ثنا عمرو بن
 مرزوق ثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم عن سعيد بن المسيب . قال : خرجت جارية لسعد يقال لها
 زبراء ، وعليها قميص جديد فكشفها الريح فشد عليها عمر بالدرة ، وجاء سعد لينعه فتناوله عمر بالدرة
 فذهب سعد يدعو على عمر ، فتناوله الدرة وقال : اقتص مني فمضى عن عمر . وروى أيضاً أنه كان
 بين سعد وابن مسعود كلام فهم سعد أن يدعو عليه تخاف ابن مسعود وجعل يشتد في الحرب .
 وقال سفيان بن عيينة : لما كان يوم القادسية كان سعد على الناس وقد أصابته جراح فلم يشهد يوم
 الفتح ، فقال رجل من بجيلة :

ألم تر أن الله أظهر دينه وسعد بباب القادسية معصم
 فأبنا وقد أيمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيّم

فقال سعد : اللهم اكفنا يده ولسانه . فجاء سهم غرب فاصابه فخرس ويديست يده جميعاً . وقد
 أسند زياد البكائي وسيف بن عمر عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر عن ابن عمر فذكر

مثله ، وفيه : ثم خرج سعد فأرى الناس مابه من القروح في ظهره ليعتذر إليهم . وقال هشيم عن أبي بلح عن مصعب بن سعد أن رجلا نال من علي فتهام سعد فلم ينته ، فقال سعد : أدعو عليك ، فلم ينته ، فدعا الله عليه حتى جاء بعير ناد فتخططه . وجاء من وجه آخر عن عامر بن سعد أن سعدا رأى جماعة عكوفاً على رجل فأدخل رأسه من بين اثنين فإذا هو يسب عليا وطلحة والزبير ، فتهام عن ذلك فلم ينته ، فقال : أدعو عليك ، فقال الرجل : تهديدني كأنك نبي ؟ فأنصرف سعد فدخل دار آل فلان فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواماً قد سبق لهم منك سابقة الحسنى ، وأنه قد أسخطك سبه إياهم ، فاجعله اليوم آية وعبرة . قال : فخرجت بخفية نادة من دار آل فلان لا يرد لها شيء حتى دخلت بين أضياف الناس ، فافترق الناس فأخذته بين قوائمها ، فلم يزل تتخططه حتى مات . قال : فلقد رأيت الناس يشتدون وراء سعد يقولون : استجاب الله دعائك يا أبا إسحاق . ورواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب فذكر نحوه . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني الحسن بن داود بن محمد بن المشكدر القرشي ثنا عبد الرزاق عن أبيه عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف أن امرأة كانت تطلع على سعد فتهامها فلم تنته ، فاطلمت يوما وهو يتوضأ فقال : شاه وجهك ، فعاد وجهها في قفها . وقال كثير النوري : عن عبد الله بن بديل قال : دخل سعد على معاوية فقال له : مالك لم تقاتل معنا ؟ فقال : إني مرت في ريح مظلمة فقلت : اخ اخ . فأنجحت راحلتى حتى أنجحت عني ثم عرفت الطريق فسررت ، فقال معاوية : ليس في كتاب الله : اخ اخ . ولكن قال الله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقاتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة ، ولا مع العادلة على الباغية . فقال سعد : ما كنت لأقاتل رجلا قال له رسول الله ﷺ : « أنت مني بنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » . فقال معاوية : من سمع هذا معك ؟ فقال : فلان وفلان وأم سلمة . فقال معاوية : أما إني لو سمعته منه ﷺ لما قاتلت عليا . وفي رواية من وجه آخر أن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجة حجها معاوية ، وأنها قاما إلى أم سلمة فسألاها فحدثتهما بما حدث به سعد ، فقال معاوية : لو سمعت هذا قبل هذا اليوم لكنت خادما لعلي حتى يموت أو أموت . وفي إسناد هذا ضعف والله أعلم . وقد روى عن سعد أنه سمع رجلا يتكلم في علي وفي خالد فقال : إنه لم يبلغ ما بيننا إلى ديننا . وقال محمد بن سيرين : طاف سعد على تسع جوار في ليلة فلما انتهى إلى العاشرة أخذ النوم فاستحييت أن توقظه .

ومن كلامه الحسن أنه قال لابنه مصعب : يا بني إذا طلبت شيئا فاطلبه بالقناعة ، فإنه من لا قناعة له لم يغنه المال . وقال حماد بن سلمة عن سمالك بن حرب عن مصعب بن سعد . قال : كان رأس أبي

في حجرى وهو يقضى فبكيت ، فقال : ما يبكيك يا بنى ؟ والله إن الله لا يمانى أبداً ، وإنى من أهل الجنة . إن الله يدين المؤمنين بحسناتهم فاعملوا لله ، وأما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم ، فإذا نفدت قال : ليطلب كل عامل ثواب عمله ممن عمل له . وقال الزهرى : لما حضرت سعداً الوفاة دعا بخلق جبة فقال : كفونى فى هذه فأني لقيت فيها المشركين يوم بدر ، وإنما خباتها لهذا اليوم .

وكانت وفاة سعد بالعتيق خارج المدينة ، فحمل إلى المدينة على أعناق الرجال فصلى عليه مروان ، وصلى بصلاته أمهات المؤمنين الباقيات الصالحات ، ودفن بالبقيع . وكان ذلك في هذه السنة - سنة خمس وخمسين - على المشهور الذى عليه الأكثرون ، وقد جاوز الثمانين على الصحيح . قال على بن المدينى : وهو آخر العشرة وفاة . وقال غيره : كان آخر المهاجرين وفاة ، رضى الله عنه وعنهم أجمعين . وقال الهيثم بن عدى : سنة خمسين ، وقال أبو معشر وأبو نعيم مغيث بن الحرر : توفى سعد سنة ثمان وخمسين ، زاد مغيث : وفيها توفى الحسن بن على وعائشة وأم سلمة ، والصحيح الأول - خمس وخمسين - قالوا وكان قصيراً غليظاً شثن الكفين أفطس أشعر الجسد ، يخضب بالسواد ، وكان ميراثه مائتى ألف وخمسين ألفاً .

﴿ فضالة بن عبيد الأنصارى الأومى ﴾

أول مشاهده أحد ، وشهد بيعة الرضوان ، ودخل الشام ، وتولى القضاء بدمشق في أيام معاوية بعد أبي الدرداء . قال أبو عبيد : مات سنة ثلاث وخمسين . وقال غيره : سنة سبع وستين ، وقال ابن الجوزى فى المنتظم : توفى فى هذه السنة والله أعلم .

﴿ قثم بن العباس بن عبد المطلب ﴾

كان أشبه الناس برسول الله ﷺ ، تولى نيابة المدينة في أيام على ، وشهد فتح ممرقند فاستشهد بها .

﴿ كعب بن عمرو أبو اليسر ﴾

الأنصارى السامى ، شهد العقبة و بدرأ ، وأسر يومئذ العباس بن عبد المطلب ، وشهد ما بعد ذلك من المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . قال أبو حاتم وغيره : مات سنة خمس وخمسين ، زاد غيره : وهو آخر من مات من أهل بدر .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين ﴾

وذلك في أيام معاوية ، ففيها شتى جنادة بن أبى أمية بأرض الروم ، وقيل عبد الرحمن بن مسعود ، ويقال فيها غزا فى البحر يزيد بن سمرة ، وفى البر عياض بن الحارث . وفيها اعتمر معاوية فى رجب ، وحج بالناس فيها الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وفيها ولى معاوية سعيد بن عثمان بلاد خراسان ، وعزل عنها عبيد الله بن زياد ، فسار سعيد إلى خراسان والتقى مع الترك عند صفد ممرقند ، فقتل

منهم خلقا كثيراً ، واستشهد معه جماعة منهم فيما قيل قثم بن العباس بن عبد المطلب . قال ابن جرير :
سأل سعيد بن عثمان بن عفان معاوية أن يوليه خراسان فقال : إن بها غبيد الله بن زياد ، فقال :
أما لقد اصطنعتك أبي ورقاك حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا يجارى إليه ولا يسامى ، فهاشكرت
بلاءه ولا جازيته بالآلاءه ، وقدمت على هذا - بمعنى يزيد بن معاوية - وبايعت له ، ووالله لأنا خير
منه أباً وأماً ونفساً . فقال له معاوية : أما بلاء أبيك عندي فقد يحق على الجزاء به ، وقد كان من
شكري لذلك أني طلبت بدمه حتى تكشف الأُمور ، ولست بلامم لنفسى في التشمير ، وأما فضل
أبيك على أبيه ، فأبوك والله خير مني وأقرب برسول الله ﷺ ، وأما فضل أمك على أمه فما لا ينكر ،
فإن امرأة من قریش خير من امرأة من كلب ، وأما فضلك عليه فوالله ما أحب أن الغوطة دحست
ليزيد رجالاً مثلك - يعنى أن الغوطة لو ملئت رجالاً مثل سعيد بن عثمان كان يزيد خيراً وأحب
إلى منهم . فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ابن عمك وأنت أحق من نظر فى أمره ، وقد عتب
عليك فى فأعتبه . فولاه حرب خراسان ، فأتى سمرقند فخرج إليه أهل الصغد من الترك فقاتلهم
وهزمهم وحصرهم فى مدينتهم ، فصالحوه وأعطوه رهناً خمسين غلاماً يكونون فى يده من أبناء عظمائهم ،
فأقام بالترمد ولم يف لهم ، وجاء بالفلمان الرهن معه إلى المدينة . وفيها دعا معاوية الناس إلى البيعة
ليزيد ولده أن يكون ولى عهده من بعده ، وكان قد عزم قبل ذلك على هذا فى حياة المغيرة بن شعبه
فروى ابن جرير من طريق الشعبي أن المغيرة كان قد قدم على معاوية وأعفاه من إمرة الكوفة فأعفاه
لكبره وضعفه ، وعزم على توليتها سعيد بن العاص ، فلما بلغ ذلك المغيرة كأنه ندم ، فجاء إلى يزيد
ابن معاوية فأشار عليه بأن يسأل من أبيه أن يكون ولى العهد ، فسأل ذلك من أبيه فقال : من أمرك
بهذا ؟ قال : المغيرة ، فأعجب ذلك معاوية من المغيرة وردّه إلى عمل الكوفة ، وأمره أن يسعى فى ذلك ،
فعند ذلك سعى المغيرة فى توطيد ذلك ، وكتب معاوية إلى زياد يستشير فى ذلك ، ففكره زياد
ذلك لما يعلم من لعب يزيد وإقباله على اللعب والصيد ، فبعث إليه من يثنى رأيه عن ذلك ، وهو عبيد
ابن كعب بن النخعي - وكان صاحباً أكيداً لزياد - فسار إلى دمشق فاجتمع بيزيد أولاً ، فكلّمه
عن زياد وأشار عليه بأن لا يطلب ذلك ، فإن تركه خير له من السعى فيه ، فانزجر يزيد عما يريد من
ذلك ، واجتمع بأبيه واتفقا على ترك ذلك فى هذا الوقت ، فلما مات زياد وكانت هذه السنة ، شرع
معاوية فى نظم ذلك والدعاء إليه ، وعقد البيعة لولده يزيد ، وكتب إلى الأفاق بذلك ، فبايع له
الناس فى سائر الأقاليم ، إلا عبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن عمر والحسين بن على وعبد الله بن
الزبير وابن عباس ، فركب معاوية إلى مكة معتمراً ، فلما اجتاز بالمدينة - مرجعه من مكة - استدعى
كل واحد من هؤلاء الخمسة فأوعده وتهدهه بانفراده ، فكان من أشدهم عليه رداً وأجلدهم فى الكلام ،

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وكان أليهم كلاما عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ثم خطب معاوية وهؤلاء حضور تحت منبره ، وبائع الناس ليزيد وهم قعود ولم يوافقوا ولم يظهروا خلافا ، لما تهدهم وتوعدهم ، فانسقت البيعة ليزيد في سائر البلاد ، ووفدت الوفود من سائر الأقاليم إلى يزيد ، فكان فيمن قدم الأحنف بن قيس ، فأمره معاوية أن يحدث يزيد ، فجلسا ثم خرج الأحنف فقال له معاوية : ماذا رأيت من ابن أخيك ؟ فقال : إنا نخاف الله إن كذبنا ونخافكم إن صدقنا ، وأنت أعلم به في ليلة ونهاره ، وسره وعلايته ، ومنخله ومخرجه ، وأنت أعلم به بما أردت ، وإنما علينا أن نسمع ونطيع ، وعليك أن تنصح للأمة . وقد كان معاوية لما صالح الحسن عهدا لحسن بالأمر من بعده ، فلما مات الحسن قوى أمر يزيد عند معاوية ، ورأى أنه لذلك أهلا ، وذلك من شدة محبة النوال ولولده ، ولما كان يتوسم فيه من النجاة الدنيوية ، وسما أولاد الملوك ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بأهله ، وكان ظن أن لا يقوم أحد من أبناء الصحابة في هذا المعنى ، ولهذا قال لعبد الله ابن عمر فيما خاطبه به : إني خفت أن أذر الرعية من بعدى كالغنم المطيرة ليس لها راع ، فقال له ابن عمر : إذا بايعه الناس كلهم بايعته ولو كان عبداً مجذوع الأطراف . وقد عاتب معاوية في ولايته يزيد ، سعيد بن عثمان بن عفان وطلب منه أن يولييه مكانه ، وقال له سعيد فيما قال : إن أبي لم يزل معتنياً بك حتى بلغت ذروة المجد والشرف ، وقد قدمت عليك على وأنا خير منه أباً وأماً ونفساً . فقال له : أما ما ذكرت من إحسان أبيك إلى فانه أمر لا ينكر ، وأما كون أبيك خير من أبيه فحق وأمك قرشية وأمه كلبية فهي خير منها ، وأما كونك خيراً منه فوالله لو ملئت إلى الغوطة رجالاً مثلك لكان يزيد أحب إلى منكم كلكم . وروينا عن معاوية أنه قال يوماً في خطبته : اللبسم إن كنت تعلم أني وليته لانه فيما أراه أهل لذلك فأنتم له ماوليته ، وإن كنت وليته لأنني أحبه فلا تتم له ماوليته . وذكر الحافظ ابن عساكر أن معاوية كان قد سمر ليلة فتركهم أصحابه في المرأة التي يكون ولدها نجيباً ، فذكرها وصفة المرأة التي يكون ولدها نجيباً : فقال معاوية : وددت لو عرفت بامرأة تكون بهذه المشابة ؟ فقال أحد جلسائه : قد وجدت ذلك يا أمير المؤمنين . قال : ومن ؟ قال : ابنتي يا أمير المؤمنين . فزوجها معاوية فولدت له يزيد بن معاوية فجاء نجيباً ذكياً حاذقاً . ثم خطب امرأة أخرى فخطبت عنده وولدت له غلاماً آخر ، وهجر أم يزيد فكانت عند في جنب داره ، فبينما هو في النظارة ومعه امرأته الأخرى ، إذ نظر إلى أم يزيد وهي تسمرحه ، فقالت امرأته : قبحها الله وقبح ما تسمرح . فقال : ولم ؟ فوالله إن ولدها أنجب من ولدك ، وإن أحببت بينت لك ذلك ، ثم استدعى ولدها فقال له : إن أمير المؤمنين قد عنى له أن يطلق لك ما تتمناه عليه فاطلب مني ما شئت . فقال : أسأل من أمير المؤمنين أن يطلق لي كلاباً للصيد وخيلاً ورجالاً يكونون معي في الصيد . فقال : قد أمرنا لك

بذلك ، ثم استدعى يزيد فقال له : كما قال لأخيه ، فقال يزيد : أو يفتني أمير المؤمنين في هذا الوقت عن هذا ؟ فقال : لا بذلك أن تسأل حاجتك ، فقال : أسأل - وأطال الله عمر أمير المؤمنين - أن أكون ولي عهد من بعده ، فإنه بلغني أن عمل يوم في الرعية كمباداة خمسمائة عام . فقال : قد أجبتك إلى ذلك ، ثم قال لامراته : كيف رأيت ؟ فقامت وتحققت فضلي يزيد على ولدها .

وقد ذكر ابن الجوزي في هذه السنة وفاة أم حرام بنت ملحان الأنصارية امرأة عبادة بن عبادة بن الصامت ، والصحيح الذي لم يذكر العلماء غيره أنها توفيت سنة سبع وعشرين ، في خلافة عثمان ، وكانت هي وزوجها مع معاوية حين دخل قبرص ، وقصبتها بملتها فقامت هناك وقبرها بقبرص ، والعجب أن ابن الجوزي أورد في ترجمتها حديثها الخرج في الصحيحين في قبالة النبي ﷺ في بيتها ، ورؤياد في مساهد قوماً من أمته يركبون ثبج البحر مثل المالك على الأسرة غزاة في سبيل الله ، وأنها سألت أن يدعو لها أن تكون معهم فمطا لها ، ثم نام فرأى كذلك ، فقالت : ادعوا الله أن يجعلني منهم . فقال : لا ! أنت من الأولين . وهم الذين فتحوا قبرص فكانت معهم ، وذلك في سنة سبع وعشرين ، ولم تكن من الآخرين الذين غزوا بلاد الروم سنة إحدى وخمسين مع يزيد بن معاوية ومهم أبو أيوب ، وقد توفي هناك قديره قريب من سور قسطنطينية ، وقد ذكرنا هذا مقررآ في دلائل النبوة ﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين ﴾

فيها كان مشى عبد الله بن قيس بأرض الروم ، قال الواقدي : وفي شوالها عزل معاوية مروان ابن الحكم عن المدينة ، وولى عليها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وهو الذي حج بالناس في هذه السنة : لأنه صارت إليه إمرة المدينة ، وكان على الكوفة الفضل بن قيس ، وعلى البصرة عبيد الله ابن زياد ، وعلى خراسان سعيد بن عثمان . قال ابن الجوزي : وفيها توفي عثمان بن حنيف الأنصاري الأوسي ، وهو أخو عبادة وسهل أبي حنيف ، بعثه عمر لمساحة خراج السواد بالعراق ، واستنابه عمر على الكوفة ، فلما قدم طلحة والزبير صحبة عائشة وامتنع من تسليم دار الإمارة ، تنفط الحية وجواجبه وأشعار عينيه ومثل به ، فلما جاء على وساءه البلاد قال له : يا أمير المؤمنين فارقتك ذا الحية واجتمعت بك أمرد ، فتبسم على رضي الله عنه وقال : لك أجر ذلك عند الله ، وله في المسند والسنن حديث الأنعمي الذي سأل رسول الله ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه ضوء بصره فردد الله عليه ، وله حديث آخر عند النسائي ، ولم أر أحداً أخرج وفاته بهذه السنة سوى ابن الجوزي والله أعلم ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ﴾

فيها غزا مالك بن عبد الله النخعي أرض الروم ، قال الواقدي : وفيها قيل شق يزيد بن شجرة في البحر ، وقيل : بل غزا البحر وبلاد الروم جنادة بن أبي أمية ، وقيل : إنما شق بأرض الروم عمرو

ابن يزيد الجني . قل أبو مشر والواقدي : وحبج بالناس فيها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وفيها
 ولي معاوية الكوفة لعبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفي ، ابن أم الحكم ، وأم الحكم هي
 أخت معاوية ، وعزل عنها الضحك بن قيس ، فولى ابن أم الحكم على شرطته زائدة بن قدامة ،
 وخرجت الخوارج في أيام ابن أم الحكم ، وكان رئيسهم في هذه الواقعة حيان بن ضبيان السلمي ،
 فبعث إليهم جيشاً فقتلوا الخوارج جميعاً ، ثم إن ابن أم الحكم أساء السيرة في أهل الكوفة فأخرجوه
 من بين أظهرهم طريداً ، فرجع إلى خاله معاوية فذكر له ذلك ، فقال : لأولينك مصراً هو خير لك ،
 فولاد مصر ، فلما سار إليها تلقاه معاوية بن خديج على مرحلتين من مصر ، فقال له : ارجع إلى
 خالك معاوية ، فلعمري لاندعك تدخلها فتسير فيها وفيها سيرتك في إخواننا أهل الكوفة ، فرجع
 ابن أم الحكم إلى معاوية ولحقه معاوية بن خديج وإفناً على معاوية ، فلما دخل عليه وجد عنده أخته
 أم الحكم ، وهي أم عبد الرحمن الذي طرده أهل الكوفة وأهل مصر ، فلما رآه معاوية قال : بخ بخ ،
 ههنا معاوية بن خديج ، فقالت أم الحكم : لا مرحباً به ، تسمع بالميمدي خير من أن تراه ، فقال
 معاوية بن خديج : على رسلك يا أم الحكم ، أما والله لقد تزوجت فما أكرمت ، وولدت فما أنجبت ،
 أردت أن يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا أهل الكوفة ، فما كان الله ليريه
 ذلك ، ولو فعل ذلك لضر بناه ضرباً يظأطى منسب رأسه ، أو قال لضر بنا ما صا صا منه . وإن كره
 ذلك الجالس - يعني معاوية - فالتفت إليها معاوية فقال : كفى .

﴿ قصة غريمة ﴾

ذكرها ابن الجوزي في كتابه المنتظم بسنده ، وهو أن شاباً من بني عذرة جرت له قصة مع ابن أم
 الحكم ، ولم يخصها أن معاوية بينما هو يوماً على السباط إذا شاب من بني عذرة قد تمثل بين يديه فأنشده
 شعراً فضمه به التشويق إلى زوجته سماد ، فاستدناه معاوية واستحكه عن أمره ، فقال : يا أمير المؤمنين
 إني كنت مزوجاً بابنة عمي ، وكان لي إبل وغنم ، وأنفقت ذلك عليها ، فلما قل ما يبدي رغب
 عني أبوها وشكاني إلى عامك بالكوفة ، ابن أم الحكم ، وبلغه جملها فخبسني في الحديد وحماني على
 أن أطعمها ، فلما انقضت عمتها أعطاها عامك عشرة آلاف درهم فزوجه إياها ، وقد أتيتك يا أمير
 المؤمنين وأنت غياث المحزون الملهوف المكروب ، وسند المسلوب ، فهل من فرج ؟ ثم بكى وأنشأ
 يقول :

في القلب مني نار * والنار فيها شرار
 والجسم مني نحيل * واللون فيه اصفرار
 والعين تبكي بشجو * فدمعها مدرار
 والحب ذا عذير * فيه الطيب يحار

حملت فيه عظيماً * في عليه اضطبار

فليس ليلى بليل * ولا نهارى نهار

قال : فرق له معاوية وكتب إلى ابن أم الحكم يؤنبه على ذلك ويعيبه عليه ، ويأمره بطلاقها قولاً واحداً ، فلما جاءه كتاب معاوية تنفس الصعداء وقال : وددت أن أمير المؤمنين خلى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف ، وجعل يؤامر نفسه على طلاقها فلا يقدر على ذلك ولا يجيبه نفسه ، وجعل البريد الذي ورد عليه بالكتاب يستعشه ، فطلقها وأخرجها عنه وسيرها مع الوفد إلى معاوية ، فلما وقفت بين يديه رأى منظرًا جميلاً ، فلما استنطقها فإذا أفصح الناس وأجمل كلاماً ، وأكملهم جمالاً ودلالاً ، فقال لابن عمر : يا أبا عبد الله هل من سؤالٍ عنها بأفضل الرغبة ؟ قال : نعم إذا فرقت بين رأسي وجسدي ثم أنشأ يقول : —

لا تجعلني والامثال تضرب بي * كالمستغيث من الرمضاء بالنار

أردد سعادتي حيران مكتئب * بمسى ويصبح في هم وتذكار

قد شغل قلبي مامثل قلق * وأسر القلب منه أى إسمار

والله والله لا أنسى محبتها * حتى أغيب في رمسى وأحجارى

كيف السألو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار ؟

فقال معاوية : فانا نخيرها بيني وبينك وبين ابن أم الحكم فأنشأت تقول : —

هذا وإن أصبح في إطار * وكان في نقص من اليسار

أحب عندي من أبى وجارى * وصاحب الدرهم والدينار

أخشى إذا غدوت حر النار

قال : فضحك معاوية وأمر له بمشرة آلاف درهم ومركب ووظء ، ولما انقضت عنتها زوجها بها وسلمها إليه . حذفنا منها أسماء كثيرة مطولة .

وخرجت في هذه السنة فصول طويلة بين عبيد الله بن زياد والخوارج ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وجماً غفيراً ، وحبس منهم آخرين ، وكان صارماً كأبيه ، فقاما في أمرهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر من توفى فيها من الأعيان ﴾

توفى في هذا العام سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشي الأموي ، قتل أبوه يوم بدر كافراً ، قتله على بن أبي طالب ، وإنشأ سعيد في حجر عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان عمر سعيد يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين ، وكان من سادات المسلمين والاجواد المشهورين ، وكان جده سعيد بن العاص — ويكنى بأبي أنجحة — رئيساً في قريش ، يقال له

ذو الناح ، لأنه كان إذا اعتم لا يهتم أحد يومئذ بعظامه له ، وكان سعيد هذا من عمال عمر بن عبد الله
السواد ، وجهه عثمان فيمن يكتب المصاحف لفصاحته ، وكان أشبه الناس لحجة برسول الله ﷺ ،
وكان في جملة الاثني عشر رجلا ، الذين يستخرجون القرآن ويملونه ويكتبونه ، منهم أبي بن كعب ،
وزيد بن ثابت . واستناب عثمان على الكوفة بعد عزله الوليد بن عتبة ، فافتتح طبرستان وجرجان ،
ونقض العهد أهل أذربيجان فغزاهم ففتحها ، فلما مات عثمان اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين ،
فلما استقر الأمر لمعاوية وفد إليه فكتب عليه فاعتذر إليه فمذره في كلام طويل جدا ، وولاه المدينة
مرتين ، وعزله عنها مرتين مروان بن الحكم ، وكان سعيد هذا لا يسب عليا ، ومروان يسبه ،
وروى عن النبي ﷺ ، وعن عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وطائفة ، وعند ابنه عمرو بن سعيد الأشدق
وأبو سعيد وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعروة بن الزبير ، وغيرهم ، وليس له في المسند ولا في الكتب
الستة شيء . وقد كان حسن السيرة ، جيد السيرة ، وكان كثيرا ما يجمع أصحابه في كل جمعة فيقطعهم
ويكسهم الخلل ، ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف والبر الكثير ، وكان يصبر الصبر فيضعها بين
يدي المصلين من ذوى الحاجات في المسجد . قال ابن عساکر : وقد كانت له دار بدمشق تعرف
بعده بدار نعيم ، ودار نعيم ، بواحي الديلم ، ثم رجع إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات ، وكان
كرما جوادا مدينا . ثم أورد شيئا من حديثه من طريق يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو سعيد الجهمي
ثنا عبد الله بن الأجلح ثنا هشام بن عروة عن أبيه أن سعيد بن العاص قال : إن رسول الله ﷺ
قال : « خياركم في الاسلام خيركم في الجاهلية » وفي طريق الزبير بن بكار : حدثني رجل عن
عبد العزيز بن أبان حدثني خالد بن سعيد عن أبيه عن ابن عمر قال : جاءت امرأة إلى رسول الله
ﷺ ببرد . فقالت : إني نذرت أن أعطي هذا الثوب أكرم العرب ، فقال : « أعطه هذا الانلام » .
- يعني سعيد بن العاص - وهو واقف ، فلذلك سميت الثياب السعيدية وأنشد الفرزدق قوله فيه

تري الغر الجحاح من قریش * إذا ما الخطب في الحدثن عالا

قياما ينظرون إلى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

وذكر أن عثمان عزل عن الكوفة المنيرة وولاه سعيد بن أبي وقاص ، ثم عزله وولاه الوليد
ابن عتبة ، ثم عزله وولى سعيد بن العاص ، فأقام بها حيناً ، ولم تحمد سيرته فيهم ولم يحبوه ، ثم
ركب مالك بن الحارث - وهو الأشتر النخعي - في جماعة إلى عثمان وسألوه أن يعزل عنهم سعيداً فلم
يعزل ، وكان عنده بالمدينة فبعثه إليهم ، وسبق الأشتر إلى الكوفة فخطب الناس وحثهم على منعه من
الدخول إليهم ، وركب الأشتر في جيش يمنعوه من الدخول ، قيل تلقوه إلى العديب ، - وقد نزل
سعيد بالرملة - فنعوه من الدخول إليهم ، ولم يزالوا به حتى ردوه إلى عثمان ، وولى الأشتر أبا موسى

الأشعري على الصلاة والشعر وحذيفة بن اليمان على الفيل ، فأجاز ذلك أهل الكوفة وبعثوا إلى عثمان في ذلك فأمره وسره ذلك فيما أظهره ، ولكن هذا كان أول وهن دخل على عثمان . وأقام سعيد بن العاص بالمدينة حتى كان زمن حصر عثمان فكان عنده بالدار ، ثم لما ركب طلحة والزبير مع عائشة من مكة يريدون قتلة عثمان ركب معهم ، ثم انفرد عنهم هو والمغيرة بن شعبة وغيرهما ، فأقام بالطائف حتى انقضت تلك الحروب كلها ، ثم ولده معاوية إمرة المدينة سنة تسع وأربعين ، وعزل مروان فأقام سبعة ثم رد مروان . وقال عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال : بعثني زياد في شغل إلى معاوية ، فلما فرغت من أموري قلت : يا أمير المؤمنين لمن يكون الأمر من بعدك ؟ فسكت ساعة ثم قال : يكون بين جماعة ، إما كريم قريش سعيد بن العاص ، وإما قتي قريش ، حياء ودهاء وسخاء ، عبد الله بن عامر ، وإما الحسن بن علي فرجل سيد كريم ، وإما القاري لكتاب الله الفقيه في دين الله ، الشديد في حدود الله ، مروان بن الحكم ، وأما رجل فقيه عبد الله بن عمر ، وإما رجل يتردد الشريعة مع دواهي السباع ويردغ روغان الثعلب فبعد الله بن الزبير . وروينا أنه استسقى يوما في بعض طرق المدينة ، فأخرج له رجل من دار ماء فشرب ، ثم بعد حين رأى ذلك يعرض داره للبيع فسأل عنه لم يبيع داره ؟ فقالوا : عليه دين أربعة آلاف دينار ، فبعث إلى غريمه فقال : هي لك علي ، وأرسل إلى صاحب الدار فقال : استمتع بدارك . وكان رجل من القراء الذين يجالسونه قد افتقر وأصابته فاقة شديدة ، فقالت له امرأته : إن أميرنا هذا يوصف بكرم ، فلو ذكرت له حالك فلعله يسمح لك بشيء ؟ فقال : ويحك ! لا تخافي وجهي ، فالتحت عليه في ذلك ، فجاء فجلس إليه ، فلما انصرف الناس عنه مكث الرجل جالسا في مكانه ، فقال له سعيد : أظن جالوسك لحاجة ؟ فسكت الرجل ، فقال سعيد للامانة : انصرفوا ، ثم قال له سعيد : لم يبق غيري وغيرك ، فسكت ، فأطفا المصباح ثم قال له : رحمتك الله لست ترى وجهي فاذا كر حاجتك ، فقال : أصلح الله الأمير أصابتنا فاقة وحاجة فأحببت ذكرها لك فاستحييت ، فقال له : إذا أصبحت فائق وكيلي فلانا ، فلما أصبح الرجل أتى الوكيل فقال له الوكيل : إن الأمير قد أمر الك بشيء فأت بمن يحمله معك ، فقال : ما عندي من يحمله ، ثم انصرف الرجل إلى امرأته فلامها وقال : حملتيني على بذل وجهي للأمير ، فقد أمر لي بشيء يحتاج إلى من يحمله ، وما أراه أمرا لي إلا بتدقيق أو طعام ، ولو كان ، إلا لما احتاج إلى من يحمله ، ولأعطانيه . فقالت له المرأة : فهما أعطاك فانه بتوتنا نخسده ، فرجع الرجل إلى الوكيل فقال له الوكيل : إني أخبرتك الأمير أنه ليس لك أحد يحمله ، وقد أرسل بهؤلاء الثلاثة السودان يحملونه معك ، فذهب الرجل ، فلما وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم ، فقال للامانة : ضيوا ما معكم وانصرفوا ، فقالوا : إن الأمير قد أطلقنا لك ، فانه ما بعث

مع خادم هدية إلى أحد إلا كان الخادم الذي يحملها من بخلتها ، قال : فحسن حال ذلك الرجل .
 وذكر ابن عساكر أن زياد بن أبي سفيان بعث إلى سعيد بن العاص هدايا وأموالا وكتبا ذكر فيه
 أنه يخطب إليه ابنته أم عثمان من أمينة بنت جرير بن عبد الله البجلي ، فلما وصلت الهدايا والأموال
 والكتاب قرأه ، ثم فرق الهدايا في جاسائه ، ثم كتب إليه كتابا لطيفا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم !
 قال الله تعالى (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) والسلام : وروينا أن سعيدا خطب أم كلثوم
 بنت علي من فاطمة ، التي كانت تحت عمر بن الخطاب ، فأجابته إلى ذلك وشاورت أخوها فسكرها
 ذلك ، وفي رواية إنما كره ذلك الحسين وأجاب الحسن ، فهيات دارها ونصبت سريرا وتواعدوا
 للكتاب ، وأمرت ابنها زيد بن عمر أن يزوجه منه ، فبعث إليها بمائة ألف ، وفي رواية بمائة ألف
 مهرا ، واجتمع عنده أصحابه ليذهبوا معه ، فقال : إني أكره أن أخرج أمي فاطمة ، فترك التزويج
 وأطلق جميع ذلك المال لها . وقال ابن ميمون وعبد الأعلى بن حماد : سأل أعرابي سعيد بن العاص
 فأمر له بخمسمائة ، فقال الخادم : خمسمائة درهم أو دينار ؟ فقال : إنما أمرتك بخمسمائة درهم ، وإذا قد
 جاش في نفسك أنها دنائير فادفع إليه خمسمائة دينار ، فلما قبضها الأعرابي جلس يبكي ، فقال له :
 مالك ؟ ألم تقبض نوالك ؟ قال : بلى والله ! ولكن أبكى على الأرض كيف تأكل مثلك . وقال
 عبد الحميد بن جعفر : جاء رجل في جملة أربع ديات سأل فيها أهل المدينة ، فقيل : له عليك بالحسن
 ابن علي ، أو عبد الله بن جعفر ، أو سعيد بن العاص ، أو عبد الله بن عباس ، فانطلق إلى المسجد فإذا
 سعيد داخل إليه ، فقال : من هذا ؟ فقيل : سعيد بن العاص ، فقصصه فذكر له ما أقدمه ، فتركه
 حتى انصرف من المسجد إلى المنزل فقال للأعرابي : إئت بمن يحمل معك ؟ فقال : رحمتك الله ! إنما
 سألتك مالا لا نفرا ، فقال : أعرف ، إئت بمن يحمل معك ؟ فأعطاه أربعين ألفا فأخذها الأعرابي
 وانصرف ولم يسأل غيره . وقال سعيد بن العاص لابنه : يا بني أجر الله المعروف إذا لم يكن ابتداء من
 غير مسألة ، فلما إذا أمارك الرجل تكاد ترى دمه في وجهه ، أو جاءك مخاطرا لا يدري أتعطيه أم تمنعه ،
 فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته . وقال سعيد : جليسي على ثلاث ، إذا دنا رحبت به ،
 وإذا جلس أوسعت له ، وإذا حدث أقبلت عليه . وقال أيضا : يا بني لا تمازح الشريف فيحمد عليك
 ولا اللئيم فيهون عليه ، وفي رواية فيجترئ عليك . وخطب يوما فقال : من رزقه الله رزقا حسنا
 فليكن أسعد الناس به ، إنما يتركه لأحد رجلين ، إما مصلح فيسعد بما جمعت له وتخييب أنت ،
 والمصلح لا يقبل عليه شيء ، وإما مفسد فلا يبقى له شيء . فقال أبو معاوية : جمع أبو عثمان طرف
 الكلام . وروى الأصمعي عن حكيم بن قيس . قال قال سعيد بن العاص : موطنان لا أستحي من
 رفيق فيهما والثاني عندهما ، مخاطبتي جاهلا أو سفيفا ، وعند مسألتني حاجة لنفسي . ودخلت عليه

امرأة من العابدات وهو أمير الكوفة فأكرمها وأحسن إليها ، فقالت : لأجعل الله لك إلى لثيم حاجة ، ولا زالت المنة لك في أعناق الكرام ، وإذا أزال عن كريم نعمة جعلك سبباً لردّها عليه . وقد كان له عشرة من الولد ذكوراً وإناثاً ، وكانت إحدى زوجاته أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص - أخت مروان بن الحكم - ولما حضرت سعيداً الوفاة جمع بنيه وقال لهم : لا يفتقدن أصحابي غير وجهي ، وصالوهم بما كنتم أصلهم به ، وأجروا عليهم ما كنتم أجري عليهم ، واكفوهم مؤنة الطلب ، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه ، وارتعدت فرائصه مخافة أن يرد ، فوالله لرجل يتململ على فراشه يراكم موضعاً لحاجته أعظم منة عليكم مما تعطونه . ثم أوصاهم بوصايا كثيرة ، منها أن يوفوا ما عليه من الدين والوعود ، وأن لا يزوجوا أخوانهم إلا من الأكرفاء ، وأن يسودوا أكبرهم . فتكفل بذلك كاهن ابنه عمرو بن سعيد الأشقي ، فلما مات دفنّه بالبقيع ثم ركب عمرو إلى معاوية فمرّاه فيه واسترجع معاوية وحزن عليه وقال : هل ترك من دين عليه ؟ قال : نعم ! قال : وكيف هو ؟ قال : ثلثمائة ألف درهم ، وفي رواية ثلاثة آلاف ألف درهم ، فقال معاوية : هي على ! فقال ابنه : يا أمير المؤمنين ، إنه أوصاني أن لا أقضى دينه إلا من ثمن أراضيه ، فاشتري منه معاوية أراضى بمبلغ الدين ، وسأل منه عمرو أن يحملها إلى المدينة فحملها له ، ثم شرع عمرو يقضى ما على أبيه من الدين حتى لم يبق أحد ، فكان من جملة من طالبه شاب معه رقعة من أديم فيها عشرون ألفاً ، فقال له عمرو : كيف استحققت هذه على أبي ؟ فقال الشاب : إنه كان يوماً يمشي وحده فأحببت أن أكون معه حتى يصل إلى منزله ، فقال : ابغى رقعة من أدم ، فذهبت إلى الجزارين فأتيته بهذه فكتب لي فيها هذا المبلغ ، واعتذر بأنه ليس عنده اليوم شيء . فدفع إليه عمرو ذلك المال وزاده شيئاً كثيراً ، وروى أن معاوية قال لعمرو بن سعيد : من ترك مثلك لم يمت ، ثم قال : رحم الله أبا عثمان ، ثم قال : قد مات من هو أكبر مني ومن هو أصغر مني ، وأنشد قول الشاعر

إذا سار من دون امرئ وأمامه * وأوحش من إخوانه فهو سائر

وكانت وفاة سعيد بن العاص في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها . وقال بعضهم : كانت وفاته قبل عبد الله بن عامر بجمعة .

(شداد بن أوس بن ثابت)

ابن المنذر بن حرام ، أبو يعلى الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل ، وهو ابن أخي حسان بن ثابت . وحكى ابن منده عن موسى بن عقبة أنه قال : شهد بدرًا . قال ابن منده وهو وهم ، وكان من الاجتهاد في العبادة على جانب عظيم ، كان إذا أخذ مضجعه تعلق على فراشه ويتقلب عليه ويتلو كما تتلوى الحية ويقول : اللهم إن خوف النار قد أفلتني ، ثم يقوم إلى صلاته . قال عبادة بن الصامت :

كان شداد من الذين أوتوا العلم والحلم . نزل شداد فله طين وبيت المقدس ، ومات في هذه السنة عن خمس وسبعين سنة ، وقيل : مات سنة أربع وستين ، وقيل سنة إحدى وأربعين . قاله أعلم .
(عبد الله بن عامر)

ابن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العبدشمي ، ابن خال عثمان بن عفان ، ولد في حياة رسول الله ﷺ ، وتوفي في فيه ، فحمل يتلمع ريق رسول الله ﷺ ، فقال : « إنه لسقاء » ، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء ، وكان كريماً ميسراً ميمون النقيبة ، استنابه عثمان على البصرة بعد أبي موسى ، وولاه بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العاص ، وعمره إذ ذاك خمساً وعشرين سنة ، ففتح خراسان كلها ، وأطراف فارس وسجستان وكرمان وبلاد غزنة ، وقتل كسرى ملك الملوك في أيامه . وهو يزدجرد . ثم أحرم عبد الله بن عامر بحجة ، وقيل بعمره من تلك البلاد شكراً لله عز وجل ، وفرق في أهل المدينة أموالاً كثيرة جزيلة ، وهو أول من لبس الخبز بالبصرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وهو أول من اتخذ الخياض بمرقة وأجرى إليها الماء المعين والعين ، ولم يزل على البصرة حتى قتل عثمان ، فأخذ أموال بيت المال وتلقى بها طلحة والزبير وحضر معهم الجمل ، ثم سار إلى دمشق ، ولم يسمع له بشئ في صفين ، ولكن ولاه معاوية البصرة بعد صلحه مع الحسن ، وتوفي في هذه السنة بأرضه بمرقات ، وأوصى إلى عبد الله بن الزبير . له حديث واحد ، وليس له في الكتب شيء ، روى مصعب الزبيري عن أبيه عن حفظة بن قيس عن عبد الله بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « من قتل دون ماله فهو شهيد » وقد زوجه معاوية بابنته هند ، وكانت جميلة ، فكانت تلي خدمته بنفسها من محبتها له ، فنظر يوماً في المرأة فرأى صباحة وجهها وشيبة في لحية فطلقها ، وبعث إلى أبيها أن يزوجه بشاب كأن وجهه ورقة مصحف . توفي في هذه السنة وقيل بعدها سنة .

(عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما)

وهو أكبر ولد أبي بكر الصديق ، قاله الزبير بن بكار ، قال : وكانت فيه دعاية ، وأنه أم رومان ، وأم عائشة فهو شقيقها ، بارز يوم بدر وأخذ مع المشركين ، وأراد قتل أبيه أبي بكر ، فتقدم إليه أبوه أبو بكر فقال له رسول الله ﷺ : « أمتعننا بنفسك » ثم أسلم عبد الرحمن بعد ذلك في الهدنة ، وهاجر قبل الفتح ، ورزقه رسول الله ﷺ من خير كل سنة أربعين وسقاً ، وكان من سادات المسلمين . وهو الذي دخل على رسول الله ﷺ يوم مات وعائشة مسندته إلى صدره ، ومع عبد الرحمن سواك رطب فأخذه بصرة ، فأخذت عائشة ذلك السواك فقضته وطيبته ، ثم دفعته إلى

رسول الله ﷺ فاستن به أحسن استئذان ثم قال : « اللهم في الرفيق الأعلا » . ثم قضى . قالت :
 فجمع الله بين رفيق وريقه ، ومات بين سحرى ونحرى ، في بيتى ويومى لم أظلم فيه أحداً .
 وقد شهد عبد الرحمن فتح اليمامة وقتل يومئذ سبعة ، وهو الذى قتل محكم بن الطفيل . صديق مسيامة
 على باطله . كان محكم واقفاً في ثامة حائط فرماه عبد الرحمن فسقط محكم ، فدخل المسلمون من الثامة
 فخلصوا إلى مسيامة فقتلوه . وقد شهد فتح الشام ، وكان معظماً بين أهل الاسلام ونزل ليلي بنت
 الجودى ملك عرب الشام ، نزلها إياها خالد بن الوليد عن أمر عمر بن الخطاب كما سند كره مفصلاً .
 وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال : حدثني عبد الرحمن بن أبي
 بكر . ولم يجرب عليه كذبة قط . ذكر عنه حكاية أنه لما جاءتبيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة ،
 قال عبد الرحمن لمرؤان : جعلتموها والله هرقلية وكسروية . يعنى جعلتم ملك الملك لمن بعده من
 ولده . فقال له مرؤان : اسكت فانك أنت الذى أنزل الله فيك (والذى قال لوالديه أف لكما
 أتمداننى أن أخرج) فقالت عائشة : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن ، إلا أنه أنزل عندى ،
 ويروى أنها بعثت إلى مرؤان تمشيه وتؤنبه وتخبره بغير فيه ذم له ولأبيه لا يصح عنها ، قال الزبير
 ابن بكار : حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهرى عن أبيه عن جده . قال : بعث معاوية
 إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد بن معاوية ، فردها عبد الرحمن
 وأبى أن يأخذها ، وقال : أبيع ديني بدنياى ؟ وخرج إلى مكة فمات بها . وقال أبو زرعة الدمشقي :
 ثنا أبو مسهر ثنا مالك قال : توفى عبد الرحمن بن أبي بكر في نومة ناهيا . ورواه أبو مصعب عن
 مالك عن يحيى بن سعيد فذكره وزاد : فأعتقت عنه عائشة رقابا . ورواه الثوري عن يحيى بن سعيد
 عن القاسم فذكره . ولما توفى كانت وفاته بمكان يقال له الحبشى . على ستة أميال من مكة ، وقيل
 اثني عشر ميلاً . فحمله الرجال على أعناقهم حتى دفن بأعلا مكة ، فلما قدمت عائشة مكة زارته
 وقالت : أما والله لو شهدتك لم أبك عليك ، ولو كنت عندك لم أنفك عن موضعك الذى مت فيه ،
 ثم تمثلت بشعر ميم بن نويرة في أخيه مالك : -

وكنا كندمانى جديدة برهة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كآنى * ومالك * أطول اجتماع لم نبت ليلة معا

رواد الترمذى وغيره . وروى ابن سعد أن ابن عمر مرة رأى فسطاطاً مضروباً على قبر
 عبد الرحمن . فسر به عائشة بعد ما ارتحلت . فأمر ابن عمر بنزعها وقال : إنما يظلم عمه . وكانت
 وفاته في هذا العام في قول كثير من علماء التاريخ ، ويقال إن عبد الرحمن توفى سنة ثلاث وخمسين
 قاله الواقدي وكتبه محمد بن سعد وأبو عبيد وغير واحد ، وقيل سنة أربع وخمسين قاله أعلم .

﴿ قصته مع ليلى بنت الجودي ملك عرب الشام ﴾

قال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قدم الشام في تجارة - يعني في زمان جاهليته - فرأى امرأة يقال لها ليلى ابنة الجودي على طنفسة لها وحولها ولائدها فأعجبته ، قال ابن عساكر : رآها بأرض بصرى فقال فيها :

تذكرت ليلى والسماء دونها * فقال ابنة الجودي ليلى وماليا

وإني تماطى قلبه حارثية * تؤمن بصرى أو تحل الحوايا

وإني بلا قيها بلى ولعلها * إن الناس حجوا قابلا أن توافيا

قال : فلما بعث عمر بن الخطاب جيشه إلى الشام قال للأمير على الجيش : إن ظفرت بليلى بنت الجودي عنوة فادفعها إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فظفر بها فادفعها إليه فأعجب بها وأكثرها على نسائه حتى جعلن يشكونها إلى عائشة ، فعاتبته عائشة على ذلك ، فقال : والله كأنى أرشف بأنبياءها حب الرمان ، فأصابها وجع سقط له فوها فجفاها حتى شكته إلى عائشة ، فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن لقد أحبت ليلى فأفرطت ، وأبغضتها فأفرطت ، فاما أن تنصفها وإما أن تجهزها إلى أهلها . قال الزبيرى : وحدثني عبيد الله بن نافع عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : إن عمر بن الخطاب نفل عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجودي حين فتح دمشق ، وكانت ابنة ملك دمشق - يعني ابنة ملك العرب الذين حول دمشق - والله أعلم .

﴿ عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب ﴾

القرشي الهاشمي ابن عم النبي ﷺ ، وكان أصغر من أخيه عبيد الله بسنة ، وأمها أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ، وكان عبيد الله كريما جميلا وسيما يشبه أباه في الجمال ، زوينا أن رسول الله ﷺ « كان يصف عبيد الله وعبيد الله وكثيراً صفاً ويقول : من سبق إلى فله كذا ، فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم » . وقد استنابه على بن أبي طالب في أيام خلافته على اليمن . وحج بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين ، فلما كان سنة ثمان وثلاثين اختلف هو ويزيد بن سمرة الرهاوي الذي قدم على الحج من جهة معاوية ، ثم اصطلحا على شعبة بن عثمان الحجي ، فأقام للناس الحج عامئذ ، ثم لما صارت الشوكة لمعاوية تسلط على عبيد الله بسر بن أبي أرواح فقتل له ولدين ، وجرت أمور باليمن قد ذكرنا بعضها . وكان يقدم هو وأخوه عبيد الله المدينة فيوسعهم عبيد الله علما ، ويوسعهم عبيد الله كرما . وقد روى أنه نزل في مسير له مع مولى له على خيمة رجل من الأعراب ، فلما رآه الأعرابي أعظمه وأجله ، ورأى حسنه وشكله ، فقال لامرأته : ويحك ماذا عندك لضيقتنا هذا ؟ فقالت : ليس عندنا إلا هذه الشوية التي حياة ابتكت من لبنها ،

فقال : إنه لابد من ذبحها ، فقالت : أقتل ابنتك ؟ فقال : وإن ، فأخذ الشفرة والشاة وجعل يذبحها
و يسلمخها وهو يقول مرهجراً :

يا جارتى لا توقلى البنية * إن توقظيها تنتحب عليه * وتنزع الشفرة من يديه
ثم هيأها طعاماً فوضعها بين يدي عبيد الله ومولاه فحشاها ، وكان عبيد الله قد سمع محاورته
لامراته في الشاة ، فلما أراد الارتحال قال لمولاه : ويلك ماذا معك من المال ؟ فقال : معى خمسمائة
دينار فضلت من نقتك ، فقال : ادفعيها إلى الأعرابي ، فقال : سبحان الله ! تعطيه خمسمائة دينار
و إنما ذبح لك شاة واحدة تساوى خمسة دراهم ؟ فقال : ويحك والله لو أسخى منا وأجود ، لانا إنما
أعطيناه بعض ما نملك ، وجاد هو علينا بجميع ما نملك ، وآثرنا على مهجة نفسه وولده . فبلغ ذلك
معاوية فقال : لله در عبيد الله ، من أى بيضة خرج ؟ . ومن أى شئ درج . قال خليفة بن خياط :
توفى سنة ثمان وخمسين . وقال غيره : توفى فى أيام يزيد بن معاوية ، قال أبو عبيد القاسم بن سلام !
توفى فى سنة سبع وثمانين ، وكانت وفاته بالمدينة ، وقيل باليمن ، وله حديث واحد ، قال أحمد : ثنا
هشيم ثنا يحيى بن إسحاق عن سليمان بن يسار عن عبيد الله بن عباس قال : جاءت النُمَيْصَا - أو
الرميصا - إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجها تزعم أنه لا يصل إليها ، فما كان إلا يسيراً حتى جاء
زوجها فرغم أنها كاذبة ، وأنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول ، فقال رسول الله ﷺ : « ليس
لك ذلك حتى ينوق عسيلاتك رجل غيره » وأخرجه النسائي عن علي بن حجر عن هشيم به . ومن
توفى فيها

(أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق)

وزوجة رسول الله ﷺ ، وأحب أزواجه إليه ، المبرأة من فوق سبع سموات رضى الله عنها ،
وعن أبيها . وأما هي أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ، تكنى عائشة بأمة عبد الله ، قيل
كنها بذلك رسول الله ﷺ وسلم بابن أختها عبد الله بن الزبير ، وقيل إنها أسقطت من رسول الله
ﷺ سقطاً فسماه عبد الله ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرة غيرها ، ولم ينزل عليه الوحي فى
لحاف امرأة غيرها ، ولم يكن فى أزواجه أحب إليه منها ، تزوجها بمكة بعد وفاة خديجة ، وقد أتاه
الملك بها فى المنام فى سرقة من حريرة ، مرتين أو ثلاثاً ، فيقول : هذه زوجتك . قال : « فأكشف
عنك فإذا هي أنت ، فأقول ، إن يكن هذا من عند الله يرضه ، نعطها من أبيها فقال : يا رسول الله
أو تحل لك ؟ قال : نعم ! قال : أو لست أخوك ؟ قال : بلى فى الإسلام ، وهى لى حلال ، فتزوجها
رسول الله ﷺ فخصيت عنده . » وقد قدمنا ذلك فى أول السيرة ، وكان ذلك قبل الهجرة بسنتين ،
وقيل بسنة ونصف ، وقيل بثلاث سنين ، وكان عمرها إذ ذاك ست سنين ثم دخل بها وهى بنت
تسع سنين بعد بدر ، فى شوال من سنة ثنتين من الهجرة فأحبها . ولما تكلم فيها أهل الافك بالزور

والجنتان ، غار الله لها فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تتلى على تماقيب الزمان . وقد ذكرنا ذلك مفصلاً فيما سلف ، وشرحنا الآيات والأحاديث الواردة في ذلك في غزوة المريسيع ، وبسطنا ذلك أيضاً في كتاب التفسير بما فيه كفاية ومتمنع ، والله الحمد والمنة . وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها ، واختلفوا في بقية أمهات المؤمنين ، هل يكفر من قذفهن أم لا ؟ على قولين ، وأصحهما أنه يكفر ، لأن المقدوفة زوجة رسول الله ﷺ ، والله تعالى إنما غضب لها لأنها زوجة رسول الله ﷺ ، فهي وغيرها ممن سواء . ومن خصائصها رضي الله عنها أنها كان لها في القسم يومان يومها ويوم سودة حبن وهبتهما ذلك تقرباً إلى رسول الله ﷺ ، وأنه مات في يومها وفي بيتها وبين سحرها ونحرها ، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا ، وأول ساعة من الآخرة ، ودفن في بيتها . وقد قال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن إسماعيل عن مصعب بن إسحاق ابن طلحة عن عائشة عن النبي ﷺ قال : « إنا ليهون على أنى رأيت بياض كف عائشة في الجنة » تفرد به أحمد . وهذا في غاية ما يكون من المحبة العظيمة أنه يرتاح لأنه رأى بياض كفها أمامه في الجنة . ومن خصائصها أنها أعلم نساء النبي ﷺ ، بل هي أعلم النساء على الإطلاق . قال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواجه ، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل . وقال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأياً في المنفعة . وقال عروة : ما رأيت أحداً أعلم بفقته ولا طب ولا شعر من عائشة ، ولم ترو امرأة ولا رجل غير أبي هريرة عن رسول الله ﷺ من الأحاديث بقدر روايتها رضي الله عنها ، وقال أبو موسى الأشعري : « ما أشكل علينا أصحاب محمد حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً » . رواه الترمذي ، وقال أبو الضحى عن مسروق : رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكبر يسألونها عن الفرائض . فأما ما يلحق به كثير من الفقهاء وعلماء الأصول من إيراد حديث : « خذوا شطر دينكم عن هذه الخمراء » فإنه ليس له أصل ولا هو مثبت في شيء من أصول الإسلام ، وسألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزي فقال : لا أصل له . ثم لم يكن في النساء أعلم من تلميذاتها عمرة بنت عبد الرحمن ، وحفصة بنت سيرين ، وعائشة بنت طلحة . وقد تفردت أم المؤمنين عائشة بمسائل عن الصحابة لم توجد إلا عندها ، وانفردت باختيارات أيضاً وردت أخبار بخلافها بنوع من التأويل . وقد جمع ذلك غير واحد من الأئمة ، فمن ذلك قال الشعبي : كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال : حدثني الصديقة بنت الصديق ، حبيبة رسول الله المبرأة من فوق سبع سموات . وثبت في صحيح البخاري من حديث أبي عثمان النهدي عن عمر بن العاص . قال : « قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة » قلت : ومن الرجال ؟ قال : أبوها » . وفي صحيح البخاري أيضاً عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ : « كل

من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وآسية امرأة
فرعون ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد استدل كثير من العلماء من
ذهب إلى تفضيل عائشة على خديجة بهذا الحديث ، قال : فإنه دخل فيه سائر النساء الثلاث
المذكورات وغيرهن ، ويعضد ذلك أيضا الحديث الذي رواه البخاري : حدثنا إسماعيل بن خليل
ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت : « استأذنت هالة بنت خويلد -
أخت خديجة - على رسول الله ﷺ فصرف استئذان خديجة فارتاع لذلك ، فقال : اللهم هالة ، قالت
عائشة : ففرت وقلت : ما تذكر من عجز من عجز من عجز قریش حمراء الشدين هلك في الدهر الأول ،
قد أبدلك الله خيرا منها ؟ » هكذا رواه البخاري ، فما ما يروى فيه من الزيادة : « والله ما أبدلني
خيرا منها » فليس يصح سندهما . وقد ذكرنا ذلك مطولا عند وفاة خديجة ، وذكرنا حجة من ذهب
إلى تفضيلها على عائشة بما أغنى عن إعادته ههنا . وروى البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ قال
يوما : « يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام ، فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى ما لا
أرى » وثبت في صحيح البخاري أن الناس كانوا يتحرون بهدياتهم يوم عائشة ، فاجتمع أزواجه إلى
أم سلمة وقلن لها : قولي له يأمر الناس أن يهدوا له حيث كان ، فقالت أم سلمة : فلما دخل عليّ
قلت له ذلك فأعرض عني ، ثم قلن لها ذلك فقالت له فأعرض عنها ، ثم لما دار إليها قالت له فقال :
يا أم سلمة لا تؤذي في عائشة ، فإنه والله ما نزل عليّ الوحي في بيت وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها ،
وذكر أنهم بعث فاطمة ابنته إليه فقالت : « إن نساءك ينشدونك العدل في ابنة أبي بكر بن أبي
قحافة ، فقال : يا بنية ألا تحبين من أحب ؟ قالت : قلت بلى ! قال : فأحبي هذه » . ثم بعث زينب
بنت جحش فدخلت على رسول الله ﷺ وعند عائشة فتسكمت زينب ونالت من عائشة ،
فانتصرت عائشة منها وكلمتها حتى أفضمتها ، فجعل رسول الله ﷺ ينظر إلى عائشة ويقول : « إنها
ابنة أبي بكر » . وذكرنا أن عمارا لما جاء يستصرخ الناس ويستنفرهم إلى قتال طلحة والزبير أيام
الجل ، صعد هو والحسن بن عليّ على منبر السكوفة ، فسمع عمار رجلا ينال من عائشة فقال له :
اسكت متبوحا منبوذا ، والله إنها لزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا وفي الآخرة ، ولكن الله ابتلاكم
ليعلم إياه تطيعون أو إياها . وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة ثنا عبد الله بن خنيس
حدثني عبد الله بن أبي مليكة أنه حدثه ذكر أن - حاجب عائشة - أنه جاء عبدا لله بن عباس
يستأذن على عائشة فجئت - وعند رأسها عبد الله بن أخيها عبد الرحمن - فقلت : هذا ابن عباس
يستأذن ، فأكب عليها ابن أخيها عبد الله فقال : هذا عبد الله بن عباس يستأذن - وهي تموت -
فقلت : دعني من ابن عباس ، فقال : يا أماء ! إن ابن عباس من صالح بنيك يسلم عليك

ويودعك ، فقالت : ائذن لي إن شئت ، قال فأدخلته ، فلما جلس قال : أبشري فقالت : بماذا ؟ فقال : ما بينك وبين أن تلقى محمداً والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد ، وكنت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً ، وسقطت قلاذك ليلة الأبناء فأصبح رسول الله ﷺ وأصبح الناس وليس معهم ماء ، فأنزل الله آية النسيم ، فبكان ذلك في سبيلك ، وما أنزل الله من الرخصة لهذه الأمة ، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات ، وجاء بها الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار ، فقالت : دعني منك يا ابن عباس ، والذي نفسي بيده لو ددت أني كنت نسياً منسياً . والأحاديث في فضائلها ومناقبها كثيرة جداً . وقد كانت وفاتها في هذا العام سنة ثمان وخمسين ، وقيل قبله بسنة ، وقيل بعده بسنة ، والمشهور في رمضان منه وقيل في شوال ، والأشهر ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان ، وأوصت أن تدفن بالبقيع ليلاً ، وصلى عليها أبو هريرة بعد صلاة الوتر ، ونزل في قبرها خمسة ، وهم عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام ، من أختها أسماء بنت أبي بكر ، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد بن أبي بكر ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكان عمرها يومئذ سبعاً وستين سنة ، لأنه توفي رسول الله ﷺ وعمرها ثمان عشرة سنة ، وكان عمرها عام الهجرة ثمان سنين أو تسع سنين ، فأنه أعلم ورضي الله تعالى عن أبيها وعن الصحابة أجمعين ﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسين ﴾

فيها شق عمرو بن مرة الجهني في أرض الروم في البر ، قاله الواقدي ، ولم يكن فيها غزو في البحر ، وقال غيره : بل غزا في البحر عامئذ جنادة بن أبي أمية . وفيها عزل معاوية ابن أم الحكم عن الكوفة لسوء سيرته فيهم ، وولى عليهم النعمان بن بشير . وفيها ولى معاوية عبد الرحمن بن زياد ولاية خراسان وعزل عنها سعيد بن عثمان بن عفان ، فصار عبيد الله على البصرة ، وأخوه عبد الرحمن هذا على خراسان ، وعبداد بن زياد على سجستان ، ولم يزل عبد الرحمن عليها والياً إلى زمن يزيد ، فقدم عليه بعد مقتل الحسين فقال له : كم قدمت به من هذا المال ؟ قال : عشرون ألف ألف ، فقال له : إن شئت حاسبناك ، وإن شئت سوغناكها وعزلناك عنها ، على أن تعطى عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم ، قال : بل سوغها ، وأما عبد الله بن جعفر فأعطيه ما قلت ومثلها معها ، فعزله وولى غيره ، وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم ، وقال : خمسمائة ألف من جهة أمير المؤمنين ، وخمسمائة ألف من قبلي . وفي هذه السنة وفد عبيد الله بن زياد على معاوية ومعه أشراف أهل البصرة والعراق ، فاستأذن لهم عبد الله عليه على منازلهم منه ، وكان آخر من أدخله على معاوية الأحنف بن قيس ، - ولم يكن عبيد الله يجده - فلما رأى معاوية الأحنف رحب به

وعظمه وأجله وأجلسه معه على السرير ، ورفع منزلته ، ثم تكلم القوم فأتوا على عبيد الله والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : مالك يا أبا بجر لا تتكلم ؟ فقال له : إن تكلمت خالفت القوم ، فقال معاوية : انهمضوا فتمد عزله عنكم فاطلبوا والياً ترضونه ، فسكثوا أياماً يترددون إلى أشرف بن أمية ، يسألون كل واحد أن يتولى عليهم فلم يقبل أحد منهم ذلك ، ثم جمعهم معاوية فقال : من اخترتم ؟ فاختلفوا عليه ، والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : مالك لا تتكلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن كنت تريد غير أهل بيتك فرأيك فقتل معاوية : قد أعدته إليكم . وقال ابن جرير : قال الأحنف : يا أمير المؤمنين إن وليت علينا من أهل بيتك فانا لنعبد بعبيد الله بن زياد أحداً ، وإن وليت علينا من غيرهم فانظر لنا في ذلك . فقال معاوية : قد أعدته إليكم . ثم إن معاوية أوصى عبيد الله بن زياد بالأحنف خيراً ، وقبح رأيه فيه وفي مبادئه ، فكان الأحنف بعد ذلك أخص أصحاب عبيد الله ، ولما وقعت الفتنة لم يف لعبيد الله غير الأحنف بن قيس ، والله أعلم .

(قصة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري مع ابني زياد عبيد الله وعباد)

ذكر ابن جرير عن أبي عبيدة معمر بن المثنى وغيره أن هذا الرجل كان شاعراً ، وكان مع عباد بن زياد بسجستان ، فاشتغل عنه بحرب الترك ، وضاق على الناس علف الدواب ، فقال ابن مفرغ شعراً يهجو به ابن زياد على ما كان منه فقال : -

ألا ليت الهجى كانت حشيشاً * فغلقها خيول المسلمينا

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية كبيرها جداً ، قبله ذلك ففضب وتطلبه فهرب منه وقال فيه قصائد يهجو به فيها كثيرة فمن ذلك قوله : -

إذا أودى معاوية بن حرب * فبشر شعب قعبك بانصداع

فأشهد أن أمك لم تبأشر * أباسفیان واضمة القناع

ولسكن كان أمراً فيه لبس * على خوف شديد وارتياح

وقال أيضاً : -

ألا أبلغ معاوية بن حرب * مغلفة من الرجل اليماني

أنتضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زاني

فأشهد أن رحمتك من زياد * كرحم الغيل من ولد الأتان

فكتب عباد بن زياد إلى أخيه عبيد الله وهو واغد على معاوية بهذه الأبيات ، فقرأها عبيد الله على معاوية واستأذنه في قتله ، فقال : لا تقتله ، ولكن أدبه ولا تبلغ به القتل ، فلما رجع عبيد الله إلى البصرة استحضره وكان قد استجار بوالد زوجة عبيد الله بن زياد ، وهو المنذر بن الجارود ، وكانت

ابنته بحرية عند عبيد الله ، فأجاره وآواه إلى داره ، وجاء الجارود مسلما على عبيد الله ، وبث عبيد الله الشرط إلى دار المنذر فجاءوا بأبن مفرغ فأوقف بين يديه ، فقال المنذر : إني قد أجرته ، فقال : يمدحك ويمدح أباك فترضى عنه ، ويهجونى ويهجو أبى ثم تجبره على ، ثم أمر عبيد الله بأبن مفرغ فسقى دواء مسهلا وجموده على حمار عليه إكاف وجموا يطوفون به فى الأسواق وهو يسلم والناس ينظرون إليه ، ثم أمر به فنفي إلى سجستان إلى عند أخيه عباد ، فقال ابن مفرغ لعبيد الله بن زياد : - يغسل الماء ما صنعت وقولى * راسخ منك فى العظام البوالى

فلما أمر عبيد الله بنفى ابن مفرغ إلى سجستان ، كلم اليمانيون معاوية فى أمر ابن مفرغ ، وأنه إنما بعثه إلى أخيه ليقتله ، فبعث معاوية إلى ابن مفرغ وأحضره ، فلما وقف بين يديه بكى وشكى إلى معاوية ما فعل به ابن زياد ، فقال له معاوية : إنك هجوته ، أأنت القاتل كذا ؟ أأنت القاتل كذا ؟ فأنكر أن يكون قال من ذلك شيئا ، وذكر أن القاتل ذلك هو عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان ، وأحب أن يسندها إلى ، ففضض معاوية على عبد الرحمن بن الحكم ومنعه المطاء حتى يرضى عنه عبيد الله بن زياد ، وأنشد ابن مفرغ ماقاله فى الطريق فى معاوية يخاطب راحلته : -

عديس ما لعباد عليك إمارة * نجوت وهذا تحملين طليق
لعمري لقد نجاك من هوة الردى * إمام وحبل للأنام وثيق
سأشكر ما أوليت من حسن نعمة * ومثلى بشكر المنعمين حقيق

فقال له معاوية : أما لو كنا نحن الذين هجوتنا لم يكن من أذانا شئ يصل إليك ، ولم نتعرض لذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه ارتكب فى ما لم يرتكب مسلم من مسلم على غير حدث ولا جرم ، قال : أأنت القاتل كذا ؟ أأنت القاتل كذا ؟ فقد عفونا عن جرمك ، أما إنك لو إيانا تعامل لم يكن مما كان شئ فانظر الآن من تخاطب ومن تشا كل ، فليس كل أحد يحتمل الهجاء ، ولا تسامل أحدا إلا بالحسنى ، وانظر لنفسك أى البلاد أحب إليك تقيم بها حتى نبعثك إليها ، فاختر الموصل فأرسل إليها ، ثم استأذن عبيد الله فى القدوم إلى البصرة والمقام بها فأذن له . ثم إن عبد الرحمن ركب إلى عبيد الله فاسترضاه فرضى عنه ، وأنشد عبد الرحمن : -

لأنت زيادة فى آل حرب * أحب إلى من إحدى بنائى
أراك أخا وعمما وابن عم * فلا أدري بغييب ما ترانى

فقال له عبيد الله : أراك والله شاعر سوء ، ثم رضى عنه وأعاد إليه ما كان منعه من العطاء . قال أبو معشر والواقدي : وحج بالناس فى هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وكان نائب المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وعلى الكوفة النعمان بن بشير ، وقاضيهما شريح ، وعلى البصرة

عبيد الله بن زياد ، وعلى سجستان عباد بن زياد ، وعلى كرمات شريك بن الأعور الحارثي ، من قبل عبيد الله بن زياد .

﴿ ذكر من توفي في هذه السنة من المشاهير والأعيان ﴾

قال ابن الجوزي : توفي فيها أسامة بن زيد ، والصحيح قبلها كما تقدم .

﴿ الخطيئة الشاعر ﴾

واسمه جرويل بن مالك بن جرويل بن مالك بن جوية بن مخزوم بن مالك بن قطيعة بن عيسى ابن مليكة ، الشاعر الملقب بالخطيئة لقصره ، أدرك الجاهلية وأسلم في زمن الصديق ، وكان كثير الهجاء حتى يقال إنه هجا أباه وأمه ، وخاله وعمه ، ونفسه وعمره ، فها قال في أمه قوله : -

تنحى فاقعدى عنى بعيدا * أراح الله منك العالمينا
أغرّبالا إذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا
جزاك الله شرّاً من عجز * ولقائك العقوق من البنينا

وقال في أبيه وعمه وخاله : -

لحاك الله ثم لحاك حقاً * أبا ولحاك من عم وخال
فنعم الشيخ أنت لدى المخازي * وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
ومما قال في نفسه ينمها : -

أبت شفتاي اليوم أن تتكلما * بشر فما أدري لمن أنا قائله ؟
أرى لي وجهاً شوه الله خلقه * فقببح من وجهه وقبح حامله

وقد شكاه الناس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأحضره وحبسه ، وكان سبب ذلك أن الزبير بن بدر شكاه لعمر أنه قال له يهجو : -

دع المكارم لانهل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم السكاسي

فقال له عمر : ما أراء هجاءك ، أما ترضى أن تكون طاعما كاسيا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه لا يكون هجاء أشد من هذا ، فبعث عمر إلى حسان بن ثابت فسأله عن ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ما هجاء ولكن سلع عليه ، فعند ذلك حبسه عمر وقال : يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين ، ثم شفع فيه عمرو بن العاص فأخرجه وأخذ عليه العهد أن لا يهجو الناس واستنابه ، ويقال إنه أراد أن يقطع لسانه فشفعوا فيه حتى أطلقه ، وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان الحرامى عن عبد الله بن مصعب حدثني عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : أمر عمر باخراج الخطيئة من الحبس وقد كلفه فيه عمرو بن العاص وغيره ، فأخرج وأنا حاضر فأنشأ يقول : -

ماذا تقول لافراخ بنى مرح * زعب الحواصل لاماء ولا شجر
غادرت كاسهم في قعر مظلمة * فارحم هناك مليك الناس يا عمر
أنت الامام الذي من بعد صاحبه * ألقي إليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثر بك بها إذ قدموك لها * لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأمن على صبية بالرمل مسكنهم * بين الأباطح يعشاهم بها القدر
نفسى فداؤك كم بينى وبينهم * من عرض وادية يعمى بها الخبر

قال : فلما قال الخطيئة : ماذا تقول لافراخ بنى مرح ، بكى عمر ، فقال عمرو بن العاص :
ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أعدل من رجل يبكي على تركه الخطيئة . ثم ذكروا أنه أراد
قطع لسان الخطيئة لئلا يهجو به الناس فأجلسه على كرسي وجىء بالموسى ، فقال الناس : لا يعود
يا أمير المؤمنين وأشاروا إليه قل : لأعود ، فقال له عمر النجاء ، فلما ولى قال له عمر : ارجع يا خطيئة ،
فرجع فقال له : كأني بك عند شاب من قریش قد كسر لك نمرقة ، وبسط لك أخرى ، وقال :
يا خطيئة غننا ، فاندفعت تغنيه بأعراض الناس ، قال أسلم : فرأيت الخطيئة بعد ذلك عند عبيد الله
ابن عمر وقد كسر له نمرقة وبسط له أخرى ، وقال : يا خطيئة غننا فاندفع خطيئة يغنى ، فقلت له :
يا خطيئة أتذكر يوم عمر حين قال لك ما قال ؟ فنزع وقال : رحم الله ذلك المرء ، لو كان حياً ما فعلنا
هذا ، فقلت لعبيد الله : إني سمعت أباك يقول كذا وكذا فكنت أنت ذلك الرجل ، وقال الزبير :
حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال قال عمر للخطيئة : دع قول الشعر . قال لا أستطيع ، قال : لم ؟
قال : هو ما كلة عيالى ، وعلة لساني ، قال : فدع المدحة المجهفة ، قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال
تقول بنو فلان أفضل من بنى فلان ، أمدح ولا تفضل ، فقال : أنت أشعر منى يا أمير المؤمنين . ومن
مدحه الجيد المشهور قوله :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم * من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا
أولئك قومي إن بنوا أحسنوا البنا * وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها * وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
قالوا : ولما احتضر الخطيئة قيل له أوص قال أوصيكم بالشعر ، ثم قال :
الشعر صعب وطويل سامة * إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به إلى الخضيض قدمه * والشعر لا يستطيعه من يظلمه
أراد أن يعر به فأعجمه

قال أبو الفرج ابن الجوزى فى المنتظم : توفى الخطيئة فى هذه السنة ، وذكر أيضا فيها وفاة

عبد الله بن عامر بن كرز ، وقد تقدم في القى قبلها .

﴿ عبد الله بن مالك بن القشب ﴾

واسمه جندب بن نضلة بن عبد الله بن رافع الأزدي ، أبو محمد حليف بني عبد المطلب ، المعروف بابن بجينة ، وهي أمه بجينة بنت الأرت ، واسمه الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، أسلم قديماً ، وصحب رسول الله ﷺ ، وكان ناسكاً قواماً صواماً ، وكان ممن يسرد صوم الدهر كله ، قال ابن سعد : كان ينزل بطن ريم على ثلاثين ميلاً من المدينة ، ومات في عمل مروان في المرة الثانية ، ما بين سنة أربع وخمسين إلى ثمان وخمسين ، والعجب أن ابن الجوزي نقل من كلام محمد بن سعد ، ثم إنه ذكر وفاته في هذه السنة — يعني سنة تسع وخمسين فأنه أعلم

﴿ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي ﴾

صحابي جليل كأيّبه ، له في الصحيحين حديث ، وهو القيام للجنابة ، وله في المسند حديث في صوم عاشوراء ، وحديث غسل رسول الله ﷺ في دارهم وغير ذلك ، وخدم رسول الله ﷺ عشر سنين ، وثبت في صحيح البخاري عن أنس قال : كان قيس بن سعد من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير . وحمل لواء رسول الله ﷺ في بعض الغزوات ، واستعمله على الصدقة ، ولما بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ومعه ثلثمائة من المهاجرين والأنصار ، فأصابهم ذلك الجهد الكثير فتحرق لهم قيس بن سعد تسع جزائر ، حتى وجدوا تلك الدابة على سيف البحر فأكلوا منها ، وأقاموا عليها شهراً حتى سمنوا ، وكان قيس سيداً مطاعاً كريماً ممدحاً شجاعاً ، ولله على نيابة مصر ، وكان يقاوم بدهائه وخديعته وسياسته لمعاوية وعمر بن العاص ، ولم يزل معاوية يعمل عليه حتى عزله [على] عن مصر وولى عليها محمد بن أبي بكر الصديق ، فاستخفه معاوية ، ولم يزل حتى أخذ منه مصر كما قدمنا . وأقام قيس عند علي فشهد معه صفين والنهر وان ولزمه حتى قتل ثم صار إلى المدينة ، فلما اجتمعت الكرامة على معاوية جاءه ليأبىه كما أباه أصحابه ، قال عبيد الرزاق عن ابن عيينة قال قدم قيس بن سعد على معاوية فقال له معاوية : وأنت يا قيس تلجم علي مع من ألجم ؟ أما والله لقد كنت أحب أن لا تأتيني هذا اليوم إلا وقد ظنرت بك ظفراً من أظفاري موجع ، فقال له قيس : وأنا والله قد كنت كارهاً أن أقوم في هذا المقام فأحييك بهذه التحية ، فقال له معاوية : ولم ؟ وهل أنت إلا حبر من أحبار اليهود ؟ فقال له قيس : وأنت يا معاوية كنت صنماً من أصنام الجاهلية ، دخلت في الإسلام كارهاً ، وخرجت منه طائفاً ، فقال معاوية : اللهم غفراً ، مديك ، فقال له قيس بن سعد : إن شئت . زدت وزدت . وقال موسى بن عقبة : قالت عبيرة لقيس : أشكو إليك قلة فأر بيتي ، فقال قيس : ما أحسن هذه الكناية !! أملاًوا بيتهما خبزاً ولحماً وسمناً وعمراً .

وقال غيره : كانت له صحفة يدار بها حيث دار ، وكان ينادى له مناد : هلموا إلى اللحم والثريد . وكان أبوه وجده من قبله يفعلان كفعله ، وقال عروة بن الزبير : باع قيس بن سعد من معاوية أرضاً بتسعين ألفاً ، فقدم المدينة فننادى مناديه : من أراد القرض فليأت ، فأقرض منها خمسين ألفاً وأطلق الباقي ، ثم مرض بعد ذلك فقل عواده ، فقال لزوجه - قريبة بنت أبي عتيق أخت أبي بكر الصديق - إنى أرى قلة من عادنى فى مرضى هذا ، وإنى لأرى ذلك من أجل مالى على الناس من القرض ، فبعث إلى كل رجل ممن كان له عليه دين بصككه المكتوب عليه ، فوجههم ماله عليهم ، وقيل : إنه أمر مناديه فننادى : من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو منه فى حل ، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه من كثرة العواد ، وكان يقول : اللهم ارزقنى مالا وفعالا ، فانه لا يصلح الفعال إلا بالمال . وقال سفيان الثوري : اقترض رجل من قيس بن سعد ثلاثين ألفاً فلما جاء ليوفيه إياها قال له قيس : إنا قوم ما أعطينا أحداً شيئاً فنرجع فيه . وقال الهيثم بن عدى : اختلف ثلاثة عند المكعبة فى أكرم أهل زمانهم ، فقال أحدهم : عبد الله بن جعفر ، وقال الآخر : قيس بن سعد ، وقال الآخر : عرابة الأوسى ، فماروا فى ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند المكعبة ، فقال لهم رجل : فليذهب كل رجل منكم إلى صاحبه الذى يزعم أنه أكرم من غيره ، فلينظر ما يعطيه وليحكم على العيان . فذهب صاحب عبد الله بن جعفر إليه فوجده قد وضع رجله فى الغرز ليذهب إلى ضيعة له ، فقال له : يا ابن عم رسول الله ابن سبيل ومنقطع به ، قال : فأخرج رجله من الغرز وقال : ضع رجلك واستو عليها فهمى لك بما عليها ، وخذما فى الحقيبة ولا تنجد عن عن السيف فانه من سيوف على ، فرجع إلى أصحابه بناقعة عظيمة وإذا فى الحقيبة أربعة آلاف دينار ، ومطارف من خز وغير ذلك ، وأجل ذلك سيف على بن أبي طالب . ومضى صاحب قيس بن سعد إليه فوجده نائماً ، فقالت له الجارية : ما حاجتك إليه ؟ قال : ابن سبيل ومنقطع به ، قالت : فحاجتك أيسر من إيقاظه ، هذا كيس فيه سبعمائة دينار مافى دار قيس مال غيره اليوم ، واذهب إلى مولانا فى معادن الأبل نخذلك ناقة وعبداء ، واذهب راشداً . فلما استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها شكراً على صنيعها ذلك ، وقال : هلا أيقظتني حتى أعطيه مايكفيه أبداً ، فلعل الذى أعطيتني لا يقع منه موقع حاجته . وذهب صاحب عرابة الأوسى إليه فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوكأ على عبيد له - وكان قد كف بصره - فقال له : يا عرابة ، فقال : قل ، فقال : ابن سبيل ومنقطع به ، قال : نخفى عن العبيد ثم صفق بيديه ، باليمنى على اليسرى ، ثم قال أوّه أوّه ، والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق من مال عرابة شيئاً ، ولكن خذ هذين العبيد ، قال : ما كنت لأفعل ، فقال : إن لم تأخذهما فهما حران ، فان شئت فأعتق ، وإن شئت نخذ . وأقبل يلتمس الحائط بيده ، قال : فأخذهما وجاء

بهما إلى صاحبيه ، قال فحكم الناس على أن ابن جعفر قد جاد بمال عظيم ، وأن ذلك ليس بمستمكن
له ، إلا أن السيف أجلبها . وأن قيساً أحد الأجواد حكم مملوكته في ماله بغير علمه واستحسن فعلها
وعتقها شكراً لها على ما فعلت ، وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسى ، لأنه جاد بجميع
ما يملكه ، وذلك جهد من مقل . وقال سفيان الثوري عن عمرو عن أبي صالح قال : قسم سعد بن
عبادة ماله بين أولاده وخرج إلى الشام فمات بها ، فولد له ولد بعد وفاته ، فجاء أبو بكر وعمر إلى قيس
ابن سعد فقالا : إن أباك قسم ماله ولم يعلم بحال هذا الولد إذ كان حملاً ، فاقسموا له معهم ، فقال
قيس : إني لا أغير ما فعله سعد ولكن نصيب له . ورواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن محمد
ابن سيرين فذكره . ورواه عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني عطاء فذكره . وقال ابن أبي خيثمة :
ثنا أبو نعيم ثنا مسعر عن معبد بن خالد . قال : كان قيس بن سعد لا يزال هكذا رافعا أصبعه المسبحة -
يعني يدعو - وقال هشام بن عمار : ثنا الجراح بن مليح ثنا أبو رافع عن قيس بن سعد . قال : لولا
أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المسكر والخدعة في النار » : لكانت من أمكر هذه الأمة .
وقال الزهري : دهات العرب حين نارت الفتنة خمسة ، معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمنيرة بن
شعبة ، وقيس بن سعد ، وعبد الله بن بديل وكانا مع علي ، وكان المنيرة معتزلاً بالطائف حتى حكم
الخصمان فصارا إلى معاوية . وقد تقدم أن محمد بن أبي حذيفة كان قد تغلب على مصر وأخرج منها
عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، نائب عثمان بعد عمرو بن العاص ، فأقره عليها على مدة يسيرة ثم
عزله بقيس بن سعد ، فلما دخلها سار فيها سيرة حسنة وضبطها ، وذلك سنة ست وثلاثين ، فقتل
أمره على معاوية وعمرو بن العاص ، فكاتباه ليكون معهما على علي فامتنع وأظهر للناس مناصحته
لهما ، وفي الباطن هو مع علي ، فبلغ ذلك علياً فعزله وبعث إلى مصر الأشتر النخعي فمات الأشتر في
الرملة قبل أن يصل إليها ، فبعث على محمد بن أبي بكر لحف أمره على معاوية وعمرو ، فلم يزالا حتى
أخذاهما منه الديار المصرية ، وقتل محمد بن أبي بكر هذا وأحرق في جيفة حمار . ثم سار قيس إلى المدينة ،
ثم سار إلى علي بن أبي طالب إلى العراق ، فكان معه في حروبه حتى قتل علي ، ثم كان مع الحسن
ابن علي حين سار إلى معاوية ليقاتله ، فكان قيس على مقدمة الجيش ، فلما بايع الحسن معاوية ساء
قيساً ذلك وما أحبه ، وامتنع من طاعته معاوية ، ثم ارتحل إلى المدينة ، ثم قدم على معاوية في وفد
من الأنصار فبايع معاوية بعد معاتبة شديدة وقعت بينهما ، وكلام فيه غلظة ، ثم أكرمه معاوية
وقدمه وحظي عنده ، فبينما هو مع الوفود عند معاوية إذ قدم كتاب ملك الروم على معاوية وفيه : أن
ابعث إلى بسرأويل أطول رجل في العرب ، فقال معاوية : ما أرانا إلا قد احتجنا إلا سرأريك ؟ -
وكان قيس مديداً القامة جداً لا يصل أطول الرجال إلى صدره - فقام قيس فتنحى ثم خلع سرأويله

فألقاها إلى معاوية فقال له معاوية : لو ذهبت إلى منزلك ثم أرسلت بها إلينا ، فأنشأ قيس يقول عند ذلك : - أردت بها كي يعلم الناس أنها * سراويل قيس والوفود شهود وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه * سراويل غادي سمند وعمود وإني من الحى النيماني لسيد * وما الناس إلا سيد ومسود فكذبهم بمثلى إن مثلى عليهم * شديد وخلقى فى الرجال مديد وفضانى فى الناس أصل ووالد * وباع به أعلو الرجال مديد

قال : فأمر معاوية أطول رجل فى الوفد فوضعهما على أنفه فوقعت بالأرض ، وفى رواية أن ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه يزعم أن أحدهما أقوى الروم ، والآخر أطول الروم فانظر هل فى قومك من يفوقهما فى قوة هذا وطول هذا ؟ فان كان فى قومك من يفوقهما بعثت إليك من الأسارى كذا وكذا ، ومن التحف كذا وكذا ، وإن لم يكن فى جيشك من هو أقوى وأطول منهما فهادنى ثلاث سنين . فلما حضرا عند معاوية قال : من هذا القوى ؟ فقالوا : ماله إلا أحد رجلين ، إما محمد بن الحنفية ، أو عبد الله بن الزبير ، فجئى بمحمد بن الحنفية وهو ابن على بن أبى طالب ، فلما اجتمع الناس عند معاوية قال له معاوية : أتعلم فيما أرسلت إليك ؟ قال : لا ! فذكر له أمر الروم وشدة بأسه ، فقال للرومى : إما أن تجلس لى أو أجلس إليك وتناولنى يدك أو أناولك يدي ، فأبى أن يقيم على أن يقيم الآخر من مكانه غلبه ، وإلا فقد غلب . فقال له : ماذا تريد ؟ تجلس أو أجلس ؟ فقال له الرومى : بل اجلس أنت ، فجلس محمد بن الحنفية وأعطى الرومى يده فاجتهد الرومى بكل ما يقدر عليه من القوة أن يزيه من مكانه أو يحركه ليقميه فلم يقدر على ذلك ، ولا وجد إليه سبيلا ، فقلب الرومى : عند ذلك ، وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غلب ، ثم قام محمد بن الحنفية فقال للرومى اجلس لى ، فجلس وأعطى محمداً يده فما أمهله أن أقامه سريعا ، ورفعته فى الهواء ثم ألقاه على الأرض فسر بذلك معاوية سرورا عظيما ، ونهض قيس بن سعد ففتح عن الناس ثم خلع سراويله وأعطاهم لذلك الرومى الطويل فلبسها فبلغت إلى قديسه وأطرافها تخط بالأرض ، فاعترف الرومى بالغلب ، وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية ، وعاتب الأنصار قيس بن سعد فى خلع سراويله بخسرة الناس فقال : ذلك الشعر المتقدم معتبرا به إليهم ، وليكون ذلك ألزم للحجة التى تقوم على الروم ، وأقطع لما حاولوه . ورواه الحميدى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : كان قيس بن سعد رجلا ضخما جسيما صغير الرأس لسلحية فى ذقنه ، وكان إذا ركب الحمار العالى خطت رجلاه بالأرض ، وقال الواقدي وخليفة بن خياط وغير واحد : توفى بالمدينة فى آخر خلافة معاوية . وذكر ابن الجوزى وفاته فى هذه السنة ، فتبعناه فى ذلك .

﴿ معقل بن يسار المزني ﴾

صحابي جليل ، شهد الحديبية ، وكان هو الذي كان يرفع أغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس تحتها ، وكانت من السمر ، وهي المذكورة في القرآن في قوله تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وقد ولاء عمر إمرة البصرة فخير بها النهر المنسوب إليه ، فيقال نهر معقل ، وله بها دار ، قال الحسن البصري : دخل عبيد الله بن زياد على معقل بن يسار يموده في مرضه الذي مات فيه ، فقبل له معقل : إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ، لولم أكن على حالتي هذه لم أحدثك به ، سمعته يقول : « من استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة » وإن ربحها لم يوجد من مسيرة مائة عام . ومن توفي في هذه السنة

﴿ أبو هريرة الدوسي ﴾

وقد اختلف في اسمه في الجاهلية والإسلام ، واسم أبيه على أقوال متعددة ، وقد بسطنا أكثرها في كتابنا التكميل ، وقد بسط ذلك ابن عساكر في تاريخه ، والأشهر أن اسمه عبد الرحمن بن صخر وهو من الأزد ، ثم من دوس . ويقال : كان اسمه في الجاهلية عبد شمس ، وقيل عبد نهم ، وقيل عبد غنم ، ويكنى بأبي الأسود ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وقيل عبد الرحمن ، وكناه بأبي هريرة ، وروى عنه أنه قال : وجدت هريرة وحشية فأخنت أولادها فقال لي أبي : ماهذه في حجرك ؟ فأخبرته ، فقال : أنت أبو هريرة . وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال له : « أبا هر » وثبت أنه قال له : « يا أبا هريرة » قال محمد بن سعد وابن الكلبي والطبراني : اسم أمه ميمونة بنت صفيح بن الحارث بن أبي صععب بن هبة بن سعد بن ثعلبة ، أسلمت وماتت مسلمة . وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ الكثير الطيب ، وكان من حفاظ الصحابة ، وروى عن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب ، وأسامة بن زيد ، ونضرة بن أبي نضرة ، والفضل بن العباس ، وكعب الأحبار ، وعائشة أم المؤمنين . وحدث عنه خلافتي من أهل العلم قد ذكرناهم مرتبين على حروف المعجم في التكميل ، كما ذكره شيخنا في تهذيبه . قال البخاري : روى عنه نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم ، من الصحابة والتابعين وغيرهم . وقال عمرو بن علي الفلاس : كان ينزل المدينة وكان إسلامه سنة خير : قال الواقدي : وكان بنو الخليفة له دار ، وقال غيره : كان آدم اللون ، بعيد ما بين المنكبين ، ذا طفرتين ، أقرن الثنيتين . وقال أبو داود الطيالسي وغير واحد عن أبي خلفة ، خالد بن دينار عن أبي العالية عن أبي هريرة قال : لما أسلمت قال رسول الله ﷺ : « ممن أنت ؟ فقلت : من دوس ، فوضع يده على جبهته وقال : ما كنت أرى أن في دوس رجلاً فيه خير » وقال الزهري عن سعيد عن أبي هريرة قال : شهدت مع رسول الله ﷺ خيبر ، وروى عبد الرزاق عن سفيان بن عيينة عن

إسماعيل عن قيس . قال قال أبو هريرة : جئت يوم خيبر بعد ما فرغوا من القتال . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد بن أبي مسريم ثنا الدراوردي . قال : حدثني خيثم عن عراك بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة . قال : « خرج رسول الله ﷺ واستخلف على المدينة سباع بن عرفة ، قال أبو هريرة : وقدمت المدينة فهاجروا فصليت الصبح وراء سباع فقرأ في السجدة الأولى سورة مريم ، وفي الثانية ويل للطففين ، قال أبو هريرة : فمليت في نفسي : ويل لأبي فلان ، لرجل كان بأرض الأزد . وكان له مكيالان مكيال يكيل به لنفسه ، ومكيال يبخس به الناس » . وقد ثبت في صحيح البخاري أنه ضل غلام له في الليلة التي اجتمع في صبيحتها برسول الله ﷺ وأنه جعل ينشد :

يا ليلة من طولها وعنائها على أنها من دارة الكفر نجت

فلما قدم على رسول الله ﷺ قال له : « هذا غلامك » ؟ فقال هو حر لوجه الله عز وجل . وقد لزم أبو هريرة رسول الله ﷺ بعد إسلامه ، فلم يفارقه في حضر ولا سفر ، وكان أحوص شيء على سماع الحديث منه ، وتغتمه عنه ، وكان يلزمه على شبع بطنه . وقال أبو هريرة - وقد تمتخط يوماً في قميص له كتان - بخ ، أبو هريرة يمتخط في الكتان ، لقد رأيتني آخر فيما بين المنبر والحجر من الجوع ، فيمر المار فيقول : به جنون ومابى إلا الجوع ، والله الذي لا إله إلا هو لقد كنت أعتد بكبدى على الأرض من الجوع ، وأشد الحرج على بطنى من الجوع ، ولقد كنت أستقرئ أحدهم الآية وأنا أعلم بها منه ، ومابى إلا أن يستبغنى إلى منزله فيطعمنى شيئاً ، وذكر حديث اللبث مع أهل الصفة كما قدمناه في دلائل النبوة . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ثنا عكرمة بن عامر حدثني أبو كثير - وهو يزيد بن عبد الرحمن بن أذينة السحيمي الأعشى - حدثني أبو هريرة . قال : والله ما خلق الله مؤمناً يسمع بى ولا يرانى إلا أحببى ، قلت : وما علمك بذلك يا أبا هريرة ؟ قال : إن أمى كانت امرأة مشركة ، وإنى كنت أدعوها إلى الاسلام وكانت تأبى على ، فدعوتها يوماً فأسمعتنى في رسول الله ﷺ ما أكره ، فأثيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى ، فقلت : يا رسول الله إنى كنت أدعو أمى إلى الاسلام فكانت تأبى على ، وإنى دعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة ، فقال : « اللهم اهد أم أبى هريرة » فخرجت أعدوا أبشرها بدعاء رسول الله ﷺ لها ، فلما أتيت الباب إذا هو محاف ، وسمعت خضخضة (خشخشة) وسمعت خشف رجل - يعنى وقعها - فقالت : يا أبا هريرة كما أنت ، ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها أن تلبسه ، وقالت : إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكى من الفرح كما بكيت من الحزن ، فقلت : يا رسول الله أبشر فقد استجاب الله دعاءك ، قد هدى الله أم أبى هريرة ، وقلت : يا رسول الله ادعوا الله أن يحببنى وأمى إلى عبادته المؤمنين ، فقال :

« اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين ، وحببهم إليهما » قال أبو هريرة : فما خلقني الله من مؤمن بسمع بي ولا يراني أو يرى أمي إلا وهو يحبني . وقد رواه مسلم من حديث عكرمة عن عمار نحوه . وهذا الحديث من دلائل النبوة ، فإن أبا هريرة محبب إلى جميع الناس ، وقد شهر الله ذكره بما قدره أن يكون من روايته من إيراد هذا الخبر عنه على رؤوس الناس في الجوامع المتعددة في سائر الأقاليم في الأنصت يوم الجمعة بين يدي الخطبة ، والأمام على المنبر ، وهذا من تقدير الله العزيز العليم ، ومحبة الناس له رضي الله عنه . وقال هشام بن عمار : حدثنا سعيد ثنا عبد الحميد بن جعفر عن المقبري عن سالم مولى النضرين أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما محمد بشر أغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهداً أن تخلفنيه ، فأبما رجل من المسلمين آذيت أو شتمته أو جلدته فأجملها له قرابة بها عندك يوم القيامة » قال أبو هريرة : لقد رفع على رسول الله ﷺ يوماً الدرة ليضربني بها فلأن يكون ضربني بها أحب إلي من حمر النعم ، ذلك بأنني أرجو أن أكون مؤمناً وأن يستجاب لرسول الله ﷺ دعوته ، وقال ابن أبي ذيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة . قال : قلت يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً فأنساه ، فقال : « بسط رداك ، فبسطته » ثم قال : ضمه فضممته فما نسيت حديثاً بعد » رواه البخاري . وقال الإمام أحمد : حدثنا سفیان عن الزهري عن عبد الرحمن الأعرج . قال : سمعت أبا هريرة يقول : إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، والله الموعود إني كنت امرأ مسكيناً أصحب رسول الله ﷺ على ملء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق في الأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ، فحضرت من رسول الله ﷺ يوماً مجلساً فقال : « من بسط رداه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن يذسى شيئاً سمعه مني » . فبسطت بردة على حتى قضى مقالته ثم قبضتها إلى فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئاً سمعته منه بعد ذلك . وقد رواه ابن وهب عن يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وله طرق أخر عنه . وقد قيل إن هذا كان خاصاً بتلك المقالة لم ينس منها شيئاً ، بدليل أنه نسي بعض الأحاديث كما هو مصرح به في الصحيح ، حيث نسي حديث « لا عدوى ولا طيرة » مع حديثه « لا يورد ممرض على مصح » وقيل : إن هذا كان عاماً في تلك المقالة وغيرها والله أعلم . وقال الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال : « يا رسول الله من أسمع الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : لقد ظننت يا أبا هريرة أن أحداً لا يسألني عن هذا الحديث أولئك ، لما رأيت من حرصك على الناس ، إن أسمع الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه » ورواه البخاري من حديث عمرو بن أبي عمرو به . وقال ابن أبي ذيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال : « حفظت من

رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثته في الناس ، وأما الآخر فلو بثته لقطع هذا البلسم .
 رواه البخاري من حديث ابن أبي ذيب ، ورواه غير واحد عن أبي هريرة ، وهذا الوعاء الذي كان
 لا يتظاهر به هو الفتن والملاحم وما وقع بين الناس من الحروب والقتال ، وما سيقع التي لو أخبر بها
 قبل كونها لبادر كثير من الناس إلى تكذيبه ، وردوا ما أخبر به من الحق ، كما قال : لو أخبرتكم أنكم
 تقتلون إمامكم وتقتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدقتموني . وقد يتمسك بهذا الحديث طوائف من
 أهل الأهواء والبدع الباطلة ، والأعمال الفاسدة ، ويسندون ذلك إلى هذا الجراب الذي لم يقله أبو
 هريرة ، ويمتقدون أن ما هم عليه كان في هذا الجراب الذي لم يخبر به أبو هريرة ، وما من مبطل مع
 تضاد أقوالهم إلا وهو يدعى هذا وكلهم يكذبون ، فإذا لم يكن أبو هريرة قد أخبر به فمن علمه بعده ؟
 وإنما كان الذي فيه شيء من الفتن والملاحم كما أخبر بها هو وغيره من الصحابة ، مما ذكرناه وما
 سند كره في كتاب الفتن والملاحم . وقال حماد بن زيد : حدثنا عمرو بن عبيد الأنصاري ثنا أبو
 الزعيرة كاتب مروان بن الحكم أن مروان دعا أبا هريرة وأقعدته خلف السرير ، وجعل مروان يسأل
 وجعلت أكتب عنه ، حتى إذا كان عند رأس الحول دعا به وأقعدته من وراء الحجاب فجعل يسأله
 عن ذلك الكتاب ، فما زاد ولا نقص ، ولا قدم ولا أخر . وروى أبو بكر بن عياش وغيره عن
 الأعمش عن أبي صالح . قال : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن بأفضلهم .
 وقال الربيع قال الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره . وقال أبو القاسم البغوي :
 حدثنا أبو خيثمة ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال : تواعد الناس ليلة من
 الليالي إلى قبة من قباب معاوية فاجتمعوا فيها ، فقام أبو هريرة فحدثهم عن رسول الله ﷺ حتى
 أصبح . وقال سفيان بن عيينة عن معمر بن وهب بن منبه عن أخيه همام بن منبه . قال : سمعت
 أبا هريرة يقول : ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا عنه مني ، إلا ما كان من
 عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب . وقال أبو زرعة الدمشقي : حدثني محمد بن زرعة
 الرعيني ثنا مروان بن محمد ثنا سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبد الله عن السائب بن يزيد
 قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتترك الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقنك
 بأرض دوس ، وقال لكعب الأحبار : لتترك الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة . قال
 أبو زرعة ، وسمعت أبا مسهر يذكره عن سعيد بن عبد العزيز نحوه ولم يسنده ، وهذا مجهول من
 عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها ، وأنهم يتكلمون على ما فيها
 من أحاديث الرخص ، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ
 فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك . وقد جاء أن عمر أذن له بعد ذلك في التحديث ، فقال مسدد :

حدثنا خالد الطحان ثنا يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة . قال : بلغ عمر حديثي فأرسل إلى فقال : كنت معنا يوم كنا مع رسول الله ﷺ في بيت فلان ؟ قال قلت : نعم . وقد علمت لم تسألني عن ذلك ؟ قال : ولم سألتك ؟ قلت : إن رسول الله ﷺ قال يومئذ « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » قال : أما إذا فاذهب فحدث . وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا عبد الواحد - يعني ابن زياد - ثنا عاصم بن كليب حدثني أبي . قال : سمعت أبا هريرة يقول - وكان يبتدئ حديثه بان يقول : قال رسول الله ﷺ الصادق المصدوق : « من كذب على عاصداً فليتبوأ مقعده من النار » . وروى مثله من وجه آخر عنه . وقال ابن وهب : حدثني يحيى بن أيوب عن محمد بن عجلان . أن أبا هريرة كان يقول : إني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمان عمر أو عند عمر لشج رأسي . وقال صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي سلمة : سمعت أبا هريرة يقول : ما كنا نستطيع أن نقول : قال رسول الله ﷺ حتى قبض عمر ، وقال محمد بن يحيى الذهلي ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري . قال قال عمر : أقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ إلا فيما يعمل به . قال ثم يقول أبو هريرة : أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي ؟ أما والله إذا لأيقنت أن الخففة ستباشر ظهري ، [فإن عمر كان يقول ، اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله ، ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له : إنك تأتي قوماً لهم في مساجدهم دوى بالقرآن كدوى النحل ، فدعهم على ما هم عليه ، ولا تشغلهم بالأحاديث ، وأنا شريكك في ذلك . هذا معروف عن عمر رضي الله عنه] (١) وقال الامام أحمد : حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن ابن عمر . أنه مر بأبي هريرة وهو يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط ، فان شهد دفنها فله قيراطان ، القيراط أعظم من أحد . فقال له ابن عمر : أبا هريرة انظر ما يحدث عن رسول الله ﷺ فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق به إلى عائشة فقال لها : يا أم المؤمنين أشدك بالله أسمعته رسول الله ﷺ يقول : « من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط فان شهد دفنها فله قيراطان » ؟ فقالت : اللهم نعم . فقال أبو هريرة : إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله ﷺ غرس بالوادي وصفق بالأسواق ، إني إنما كنت أطلب من رسول الله ﷺ كلمة يعلمنيها ، أو أكلة يطعمنيها ، فقال له ابن عمر : أنت يا أبا هريرة كنت ألزمتنا رسول الله ﷺ وأعلمانا بحديثه . وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه . قال : كنت مع ابن عمر في جنازة أبي هريرة وهو يمشي أمامها ويكثر الترحم عليه ، ويقول : كان ممن يحفظ حديث رسول الله ﷺ على المسلمين . وقد روى أن عائشة تأولت أحاديث كثيرة من أبي هريرة ووهمتها في بعضها ، وفي الصحيح أنها عابت عليه سرد الحديث ، أي الاكثار منه في

الساعة الواحدة . وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا بشر بن الوليد الكندي ثنا إسحاق بن سعد عن سعيد أن عائشة قالت لأبي هريرة : أ كثر الحديث عن رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ، قال : إني والله ما كنت تشغلني عنه المسكحلة والخضاب ، ولكن أرى ذلك شغلك عما استكثرت من حديثي . قالت : لعله . وقال أبو يعلى : حدثنا إبراهيم الشامي ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع أن رجلا من قريش أتى أبا هريرة في حلة وهو يتبختر فيها ، فقال : يا أبا هريرة إنك تكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، فهل سمعته يقول في حلتى هند شيئا ؟ قال : والله إنكم لتؤذوننا ، ولولا ما أخذ الله على أهل الكتاب (ليبينه للناس ولا يكتُمونه) ما حدثتكم بشيء ، سمعت أبا القاسم ﷺ يقول : « إن رجلا ممن كان قبلكم بينما هو يتبختر في حلة إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة » . فوالله ما أدري لعله كان من قومك أو من رهطك - شك أبو يعلى - وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر حدثني كثير بن زيد عن الوليد بن رباح . قال : سمعت أبا هريرة يقول لمروان : والله ما أنت بوال ، وإن الوالى لغيرك فدعه - يعنى حين أرادوا يدفنون الحسن مع رسول الله ﷺ - ولكنك تدخل فيما لا يعنيك ، إنما تريد بهذا إرضاء من هو غائب عنك - يعنى معاوية - قال : فأقبل عليه مروان مضطربا فقال : يا أبا هريرة إن الناس قد قالوا إنك أكثرت على رسول الله ﷺ الحديث ، وإنما قدمت قبل وفاة النبي ﷺ ببسبر ، فقال أبو هريرة : نعم ! قدمت ورسول الله ﷺ بخير سنة سبع ، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات ، وأقيمت معه حتى توفي ، أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه ، وأنا والله يومئذ مقل ، وأصلى خلفه وأحج وأغزو معه ، فكنت والله أعلم الناس بحديثه ، قد والله سبقني قوم بصحبته والهجرة إليه من قريش والأنصار ، وكانوا يعرفون نرومى له فيسألونى عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير ، فلا والله ما يخفى على كل حديث كان بالمدينة ، وكل من أحب الله ورسوله ، وكل من كانت له عند رسول الله ﷺ منزلة ، وكل صاحب له ، وكان أبو بكر صاحبه في الغار وغيره ، وقد أخرجه رسول الله ﷺ أن يساكنه - يعرض بأبي مروان الحكم بن العاص - . ثم قال أبو هريرة : ليسألى أبو عبد الملك عن هذا وأشباهه فإنه يجد عندي منه علما جأ ومقالا ، قال : فوالله ما زال مروان يقصر عن أبي هريرة ويتقيه بعد ذلك ويخافه ويخاف جوابه | وفي رواية أن أبا هريرة قال لمروان : إني أسلمت وهاجرت اختياراً وطوعاً ، وأحببت رسول الله ﷺ حباً شديداً ، وأنتم أهل الدار ووضع الدعوة ، أخرجتم الداعي من أرضه ، وأذيتهم وأصحابه ، وتأخر إسلامكم عن إسلامي إلى الوقت المكروه إليكم . فندم مروان على كلامه له وانتقاد |^(١) وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا هارون بن معروف ثنا محمد بن سامة ثنا محمد بن إسحاق عن

عمر أو عثمان بن عروة عن أبيه - يعني عروة بن الزبير بن العوام - قال : قال لي أبي الزبير : ادنى من هذا اليماني - يعني أبا هريرة - فإنه يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، قال : فأدنيه منه ، فجعل أبو هريرة يحدث ، وجعل الزبير يقول : صدق ، كذب صدق ، كذب . قال : قلت يا أبا هريرة ما قولك صدق كذب ؟ قال : يا بني أما أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله ﷺ فلا أشك ، ولكن منها ما يضعه على مواضعه ، ومنها ما يضعه على غير مواضعه . وقال علي بن المديني عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن أبي اليسر بن أبي عامر . قال : كنت عند طلحة بن عبيد الله إذ دخل رجل فقال : يا أبا محمد والله ما ندرى هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ منكم ، أم يقول على رسول الله ﷺ ما لم يسمع ، أو ما لم يقل ؟ فقال طلحة : والله ما نشك أنه قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم ، إنا كنا قوما أغنياء ، لنا بيوتات وأهلون ، وكنا تأتي رسول الله ﷺ طرفي النهار ثم نرجع ، وكان هو مسكيناً لا مال له ولا أهل ، وإنما كانت يده مع رسول الله ﷺ ، وكان يدور معه حيث ما دار ، فما نشك أنه قد علم ما لم نعلم وسمع ما لم نسمع . وقد رواه الترمذي بنحوه . وقال شعبة عن أشعث بن سليم عن أبيه قال : سمعت أبا أيوب يحدث عن أبي هريرة فقليل له : أنت صاحب رسول الله ﷺ وتحدث عن أبي هريرة ؟ فقال : إن أبا هريرة قد سمع ما لم نسمع ، وإني إن أحدث عنه أحب إلي من أن أحدث عن رسول الله ﷺ - يعني ما لم أسمع منه - وقال مسلم بن الحجاج : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ثنا مروان الدمشقي عن الليث بن سعد حدثني بكير بن الأشج . قال قال لنا بشر بن سعيد : اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا تجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم فاسمع بعض ما كان معنا يجمل حديث رسول الله ﷺ عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله ﷺ ، وفي رواية يجعل ما قاله كعب عن رسول الله ، وما قاله رسول الله عن كعب ، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث . وقال يزيد بن هارون : سمعت شعبة يقول : أبو هريرة كان يدلس - أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله ﷺ ولا يميز هذا من هذا - ذكره ابن عساکر . وكان شعبة يشير بهذا إلى حديثه « من أصبح جنباً فلا صيام له » فإنه لما حوِّق عليه قال : أخبرني مخبر ولم أسمع من رسول الله ﷺ . وقال شريك عن مغيرة عن إبراهيم . قال : كان أصحابنا يدعون من حديث أبي هريرة ، وروى الأعمش عن إبراهيم . قال : ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة ، وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم قال : كانوا يرون في أحاديث أبي هريرة شيئاً ، وما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة ، إلا ما كان من حديث صفة جنة أو نار ، أو حث على عمل صالح ، أو نهى عن شرب الخمر . وقد انتصر ابن عساکر لأبي هريرة ورد هذا الذي قاله إبراهيم

الضحي . وقد قال مآقاله إبراهيم طائفة من الكوفيين ، والجمهور على خلافهم .
وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم .
قال حماد بن زيد عن عباس الجريري عن أبي عثمان النهدي . قال : كان أبو هريرة يقوم ثلث الليل ،
وامراته ثلثه ، وابنته ثلثه ، يقوم هذا ثم يوقظ هذا ، ثم يوقظ هذا هذا . وفي الصحيحين عنه أنه
قال : « أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحي ، وأن أوتر قبل أن
أنام » : وقال ابن جريج عن حماد . قال قال أبو هريرة : إني أجزئ الليل ثلاثة أجزاء فجزءاً
لقراءة القرآن ، وجزءاً أنام فيه ، وجزءاً أتذكر فيه حديث رسول الله ﷺ . وقال محمد بن سمر :
ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا إسحاق بن عثمان القرشي ثنا أبو أيوب . قال كان لأبي هريرة مسجد في
مخدعه ، ومسجد في بيته ، ومسجد في حجرته ، ومسجد على باب داره ، إذا خرج صلى فيها
جميعها ، وإذا دخل صلى فيها جميعاً . وقال عكرمة : كان أبو هريرة يسبح كل ليلة ثلثي عشرة ألف
تسبيحة ، يقول : أسبح على قدر ديتي . وقال هشيم عن يعلى بن عطاء عن ميمون بن أبي ميسرة .
قال : كانت لأبي هريرة صيحتان في كل يوم ، أول النهار صيحة يقول : ذهب الليل وجاء النهار
وعرض آل فرعون على النار ، وإذا كان العشي يقول : ذهب النهار وجاء الليل وعرض آل فرعون
على النار ، فلا يسمع أحد صوته إلا استعاذ بالله من النار . وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا موسى بن
عبدة عن زياد بن ثوبان عن أبي هريرة . قال : لا تضبطن فاجراً بنعمة فان من ورائه طالبا حثيثاً طلبه ،
جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً . وقال ابن لهيعة عن أبي يونس عن أبي هريرة أنه صلى بالناس يوماً فلما
سلم رفع صوته فقال : الحمد لله الذي جعل الدين قواماً ، وجعل أبا هريرة إماماً ، بعدما كان أجيراً
لابنة غزوان على شبع بطنه وحملته رجلاً [وقال إبراهيم بن إسحاق الحرابي : ثنا عفان ثنا سليم بن
حيان قال : سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال : نشأت يتيماً ، وهاجرت مسكيناً ، وكنت أجيراً
لابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي ، أحدهم إذا ركبوا وأخطب إذا نزلوا ، فالحمد لله الذي
جعل الدين قواماً وجعل أبا هريرة إماماً ،] ^(١) ثم يقول : والله يا أهل الاسلام إن كانت إجاتي معهم
إلا على كسرة يابسة ، وعقبة في ليلة غبراء ، ظلمة ، ثم زوجنيها الله فكنت أركب إذا ركبوا ، وأخدم
إذا خدموا ، وأنزل إذا نزلوا . وقال إبراهيم بن يعقوب الجورجاني : حدثنا الحاجب بن نصر ثنا هلال
ابن عبد الرحمن الحنفي عن عطاء بن أبي ميمونة عن أبي سلمة . قال قال أبو هريرة وأبو ذر : باب من
العلم تعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً ، وباب نعلمه عملنا به أولم نعمل به ، أحب إلينا من مائة
ركعة تطوعاً ، وقالوا : سمعنا رسول الله ﷺ يقول « إذا جاء طالب العلم الموت وهو على هذه الحال

مات وهو شهيد » وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وروى غير واحد عن أبي هريرة أنه كان يتعوذ في سجوده أن يزني أو يسرق ، أو يكفر أو يعمل كبيرة . فقيل له : أتخاف ذلك ؟ فقال : ما يؤمنني وإبليس حتى ، ومصرف القلوب يصرفها كيف يشاء ؟ . وقالت له ابنته : يا أبة إن البنات يعيرنني يقلن : لم لا يحليك أبوك بالذهب ؟ فقال : يا بنية قولي لمن . إن أبي يخشى على حر اللهب وقال أبو هريرة أتيت عمر بن الخطاب فقمت له وهو يسبح بعد الصلاة فانتظرت له فلما انصرف دنوت منه فقلت : اقرأني آيات من كتاب الله ، قال : وما أريد إلا الطعام ، قال فأقرأني آيات من سورة آل عمران ، فلما بلغ أهله دخل وتركني على الباب ، فقلت : ينزع ثيابه ثم يأمرني بطعام ، فلم أر شيئاً ، فلما طال على قمت فمشيت فاستقبلني رسول الله ﷺ فكلمني فقال : « يا أبا هريرة إن خلوف فمك الليلة لشديد ؟ فقلت : أجل يا رسول الله ، لقد ظلمت صائماً وما أفطرت بهد ، وما أجد ما أفطر عليه ، قال : فانطلق ، فانطلقت معه حتى أتيت بيته فدعا جارية له سوداء فقال : إيتنا بتلك القصعة ، فأتيتنا بقصعة فيها وضر من طعام أراه شميراً قد أكل وبقى في جوانبها بعضه وهو يسير ، فسميت وجعلت أتبعه فأكلت حتى شبعتم » . وقال الطبراني : ثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبيد الرزاق عن ممر عن أيوب عن محمد بن سيرين أن أبا هريرة قال لابنته : لا تلبسي الذهب فاني أخشى عليك حر اللهب . وقد روى هذا عن أبي هريرة من طرق . وقال الأمام أحمد : حدثنا حجاج ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن أبي الربيع عن أبي هريرة أنه قال : إن هذه الكناسة مهلكة دنياكم وآخركم - يعني الشهوات وما يأكلونه - وروى الطبراني عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب دعاه ليستعمله فأبى أن يعمل له ، فقال : أتكره العمل وقد عمل من هو خير منك ؟ - أو قال : قد طلبه من هو خير منك - ؟ قال : من ؟ قال : يوسف عليه السلام فقال أبو هريرة : يوسف بنى ابن نبي ، وأنا أبو هريرة بن أمية ، فأخشى ثلاثاً أو اثنتين . فقال عمر : أفلا قلت خساً ؟ قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأفضى بغير حلم ، وأن يضرب ظهري ، وينزع مالي ، ويشتم عرضي . وقال سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال له : « ألا تسألني من هذه الغنائم التي سألتني أصحابك ؟ فقلت : أسألك أن تعلمني مما علمك الله ، قال : فنزع نمرة على ظهري فبسطها بيني وبينه حتى كأني إلى القمل يدب عليها ، فحدثني حتى إذا استوعب حديثه قال : اجعها إليك فصرها ، فأصبحت لا أسقط حرفاً مما حدثني » . وقال أبو عثمان النهدي : قلت لأبي هريرة : كيف تصوم ؟ قال : أصوم أول الشهر ثلاثاً فان حدثتني حدثتني كان لي أجر شهرى . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان النهدي أن أبا هريرة كان في سفر ومعه قوم فلما نزلوا وضعوا السفرة وبعثوا إليه لئلا كل معهم فقال : إني صائم ، فلما كادوا أن يفرغوا من أكلهم جاء فجعل

يأكل ، فجعل القوم ينظرون إلى رسولهم الذي أرسلوه إليه ، فقال لهم : أراكم تنظرون إليّ ، قد والله أخبرني أنه صائم ، فقال أبو هريرة : صدق ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « صوم شهر صوم الصبر ، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر » . وقد صمت ثلاثة أيام من أول الشهر فأنا مفطر في تخفيف الله ، صائم في تضعيف الله عز وجل . وروى الامام أحمد : حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا إسماعيل عن أبي المتوكل عن أبي هريرة أنه كان هو وأصحاب له إذا صاموا يجلسون في المسجد وقالوا نطهر صيامنا . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا عثمان الشحام أبو سلمة ثنا فرقد السبخي قال : كان أبو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول : ويل لي من بطني ، إن أشبعته كطني ، وإن أجفسته أضعفني . وروى الامام أحمد عن عكرمة قال : قال أبو هريرة : إني لأستغفر الله عز وجل وأتوب إليه كل يوم اثنتي عشرة ألف مرة ، وذلك على قدر ديتي . وروى عبد الله بن أحمد عن أبي هريرة أنه كان له خيط فيه اثنا عشر ألف عقدة يسبح به قبل أن ينام . وفي رواية ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به ، وهو أصبح من الذي قبله . ولما حضره الموت بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ما أبكي على دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بعد سفرى وقلة زادي ، وإني أصبحت في صمود ومهبوط على جنة ونار ، لا أدري إلى أيهما يؤخذ بي . وروى قتبية بن سعيد ثنا الفرج بن فضالة عن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : « إذا زوqتم مساجدكم وحلقتهم مصاحفكم فالدمار عليكم » وروى الطبراني عن معمر قال : بلغني عن أبي هريرة أنه كان إذا سر به جنازة قال روحوا فانا غادون ، أو اغدوا فانا رائحون ، موعظة بليغة ، وعقبة سريعة ، يذهب الأول ويبقى الآخر لأعقل له . وقال الحافظ أبو بكر بن مالك : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبو بكر ليث بن خالد البجلي ثنا عبد المؤمن بن عبد الله السندوسي . قال : سمعت أبا يزيد المديني يقول : قام أبو هريرة على منبر رسول الله ﷺ دون مقام رسول الله ﷺ بعتبة ، فقال : ويل للعرب من شر قد اقترب ، ويل لهم من إمارة الصبيان ، يحكمون فيهم بالهوى ويقتلون بالغضب . وقال الامام أحمد : حدثنا علي بن ثابت عن أسامة ابن زيد عن أبي زياد - مولى ابن عباس - عن أبي هريرة قال : كانت لي خمس عشرة ثمرة فأفطرت على خمس وتسحرت بخمس وأبقيت خمسا لفطري . وقال أحمد : حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا إسماعيل - يعني العبدى - عن أبي المتوكل أن أبا هريرة كانت لهم زنجية قد غتمهم بعملها ، فرفع عليها يوما السوط ثم قال : لولا القصاص يوم القيامة لأغشينك به ، ولكن سأبيعك من يوفيني ثمنك ، أجوج ما أكون إليه ، اذهبي فأنت حرة لله عز وجل . وروى حماد بن سلمة عن أيوب عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة أن أبا هريرة مرض فدخلت عليه أعوده فقالت : اللهم اشف أبا هريرة ، فقال : اللهم لا ترجعها ، ثم قال : يا أبا سلمة يوشك أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب

إلى أحدهم من الذهب الأحمر . وروى عطاء عن أبي هريرة قال : إذا رأيتم ستا فان كانت نفس
أحدهم في يده فليرسلها ، فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركني ، إذا أمرت السفهاء ، وبيع الحكم ،
وتهمون بالدم ، وقطعت الأرحام ، وكثرت الجلاوزة ، ونشأ نشويتهخندون القرآن مزامير . وقال ابن
وهب : حدثنا عمرو بن الحارث عن يزيد بن زياد القرظي أن ثعلبة بن أبي مالك القرظي حدثه أن
أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمة حطب - وهو يومئذ أمير مروان بن الحكم - فقال : أوسع الطريق
للأمير يا ابن أبي مالك ، [فقلت برحمتك الله يكفي هذا ! فقال : أوسع الطريق للأمير والخزنة عليه ^(١)]
وله فضائل ومناقب كثيرة وكلام حسن ومواعظ جمّة ، أسلم كما قدمنا عام خيبر ، فلزم رسول الله
ﷺ ولم يفارقه إلا حين بعثه مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، ووصاه به ، فجعله العلاء مؤذنا
بين يديه ، وقال له أبو هريرة : لا تسبقني بآمين أيها الأمير . وقد استعمله عمر بن الخطاب عليها
في أيام إمارته ، وقاسمه مع جملة العمال . قال عبد الرزاق : حدثنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين . أن
عمر استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال أي
عدو الله وعدو كتابه ؟ فقال أبو هريرة : لست بعدو الله ولا عدو كتابه ، ولكن عدو من عاداهما .
فقال : فن ابن هي لك ؟ قال : خيل نتجت ، وغلة ورقيق لي ، وأعطية تتابعني علي . فنظروا فوجدوه
كما قال . فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعمله فأبى أن يعمل له ، فقال له : تكره العمل وقد طلبه
من كان خيراً منك ؟ طلبه يوسف عليه السلام ، فقال : إن يوسف نبي ابن نبي ، وأنا
أبو هريرة بن أمية وأخشى ثلاثاً وأثنين ، قال عمر : فهلا قلت خمسة ؟ قال : أخشى أن أقول بغير علم ،
وأقضى بغير حلم ، أو يضرب ظهري ، وينزع مالي ، ويشتم عرضي . وذكر غيره أن عمر غرمه في
العمالة الأولى اثني عشر ألفاً فلها امتنع في الثانية . وقال عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن زياد .
قال : كان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة فإذا غضب عليه عزله وولى مروان بن الحكم ، فإذا جاء
أبو هريرة إلى مروان حجه عنه ، فعزل مروان ورجع أبو هريرة ، فقال لمولاه : من جاءك فلا ترده
واحجب مروان ، فلما جاء مروان دفع الغلام في صدره فما دخل إلا بعد جهد جهيد ، فلما دخل قال :
إن الغلام حجبنا عنك ، فقال له أبو هريرة : إنك أحق الناس أن لا تغضب من ذلك . والمعروف أن
مروان هو الذي كان يستنصب أبا هريرة في إمرة المدينة ، ولكن كان يكون عن إذن معاوية في ذلك
والله أعلم . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع : كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على
المدينة فيركب الحمار ويلقي الرجل فيقول : الطريق قد جاء الأمير - يعني نفسه - وكان يمر بالصبيان
وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب ، وهو أمير ، فلا يشمرون إلا وقد ألقى نفسه بينهم ويضرب برجليه

(١) سقط من المصرية

كأنه مجنون ، يريد بذلك أن يضحكهم ، فيفزع الصبيان منه ويفرون عنه ههنا وههنا يتضاحكون . قال أبو رافع : وربما دعاني أبو هريرة إلى عشائه بالليل فيقول : دع العراق للأمير . - يعني قطع اللحم - قال : فأنظر فإذا هو يريد بالزيت . وقال ابن وهب : حدثني عمرو بن الحارث عن يزيد بن زياد القرظي أن ثعلبة بن أبي مالك حدثه أن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك . فقلت : أصلحك الله تلتقي هنا ، فقال : أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه . وقد تقدم هذا . وروى نحوه من غير وجه . وقال أبو الزعزعة كاتب مروان : بعث مروان إلى أبي هريرة بمائة دينار ، فلما كان الغد بعث إليه : إني غلطت ولم أردك بها ، وإني إنما أردت غيرك . فقال أبو هريرة : قد أخرجتها فإذا خرج عطائي فخذها منه . وكان قد تصدق بها . وإثما أراد مروان اختباره . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الأعلى بن عبد الجبار ثنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد بن المسيب قال : كان معاوية إذا أعطى أبا هريرة سكت ، وإذا أمسك عنه تكلم . وروى غير واحد عن أبي هريرة أنه جاءه شاب فقال : يا أبا هريرة إني أصبحت صائما فدخلت على أبي فجاءني بخبز ولحم فأكلت ناسيا ، فقال : طعمة أطعمكمها الله لا عليك ، قال : ثم دخلت دارا لأهلي فجئني بلبن لقمحة فشربته ناسيا ، قال : لا عليك ، قال : ثم نمت فاستيقظت فشربت ماء ، وفي رواية وجامعت ناسيا ، فقال أبو هريرة : إنك يا ابن أخي لم تعد الصيام . [وقال غير واحد : كان أبو هريرة إذا رأى الجنادة قال : روحوا فانا غادون ، أو اغدوا فانا راثمون . وروى غير واحد أنه لما حضرته الوفاة بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : على قلة الزاد وشدة المفازة ، وأنا على عقبة هبوط إما إلى جنة أو إلى نار فما أدري إلى أيهما أصير] ^(١) وقال مالك عن سعيد بن أبي سميد الميموني . قال : دخل مروان على أبي هريرة في مرضه الذي مات فيه فقال : شفاك الله يا أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي . قال : فما بلغ مروان أصحاب القطن حتى مات أبو هريرة . وقال يعقوب ابن سفيان عن دحيم عن الوليد بن جابر عن عمير بن هاني . قال قال أبو هريرة : اللهم لا تدركني سنة ستين ، قال : فتوفي فيها أو قبلها بسنة ، وهكذا قال الواقدي : إنه توفي سنة تسع وخمسين ، عن ثمان وسبعين سنة ، قال الواقدي : وهو الذي صلى على عائشة في رمضان ، وعلى أم سلمة في شوال سنة تسع وخمسين ، ثم توفي أبو هريرة بعدهما فيها ، كذا قال ، والصواب أن أم سلمة تأخرت بعد أبي هريرة . وقد قال غير واحد : إنه توفي سنة تسع وخمسين وقيل ثمان ، وقيل سبع وخمسين ، والمشهور تسع وخمسين . قالوا : وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان نائب المدينة ، وفي القوم ابن عمر وأبو سعيد وخلق من الصحابة وغيرهم ، وكان ذلك عند صلاة العصر ، وكانت وفاته في داره بالعقيق ،

فحمل إلى المدينة فصلى عليه ، ثم دفن بالبقيع رحمه الله ورضي عنه . وكتب الوليد بن عتبة إلى معاوية بوفاة أبي هريرة ، فكتب إليه معاوية : أن انظر ورثته فأحسن إليهم ، وأصرف إليهم عشرة آلاف درهم ، وأحسن جوارهم ، وأعمل إليهم معروف ، فإنه كان ممن نصر عثمان ، وكان معه في الدار رحهما الله تعالى : ﴿ سنة ستين من الهجرة النبوية ﴾

فيها كانت عزوة مالك بن عبد الله مدينة سورية ، قال الواقدي : وفيها دخل جنادة بن أبي أمية جزيرة رودس ، وفيها أخذ معاوية البيعة ليزيد من الوفد الذين قدموا صحبة عبيد الله بن زياد إلى دمشق ، وفيها مرض معاوية مرضه الذي توفي فيه في رجب منها كما سنبينه . فروى ابن جرير من طريق أبي مخنف : حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن محزمة أن معاوية لما مرض مرضه انتى هلك فيها ، دعا ابنه يزيد فقال : يا بني إني قد كفيتك الرحلة والرجال . ووطأت لك الأشياء ، وذلت لك الأعزاء ، وأخضعت لك أعناق العرب ، وإني لا أخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي أسسته إلا أربعة نفر ، الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر . كذا قال ، وانصحيح أن عبد الرحمن كان قد توفي قبل موت معاوية بستين كما قدمنا ، فاما ابن عمر فهو رجل ثقة قد وقفته العبادة ، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك ، وأما الحسين فان أهل العراق خلفه لا يدعونه حتى يخرجونه عليك ، فان خرج فظفرت به فاصفح عنه ، فان له رجلاً ماسة ، وحققاً عظيماً . وأما ابن أبي بكر فهو رجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ، ليست له همه إلا في النساء والاهو . وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ، وير اوغك روغان الثعلب ، وإذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فان هو فعلها بك فقدرت عليه فمقطعه إرباً إرباً . قال غير واحد : فحين حضرت معاوية الوفاة كان يزيد في الصيد ، فاستدعى معاوية الضحاك بن قيس الغهري - وكان على شرطة دمشق - ومسلم بن عقبة فأوصى إليهما أن يبلغا يزيد السلام ويقولان له يتوصى بأهل الحجاز ، وإن سأل أهل العراق في كل يوم أن يعزل عنهم عاملاً ويولى عليهم عاملاً فليفعل ، فعزل واحد أحب إليك من أن يُسل عليك مائة ألف سيف ، وأن يتوصى بأهل الشام ، وأن يجعلهم أنصاره ، وأن يعرف لهم حقهم ، ولست أخاف عليه من قریش سوى ثلاثة ، الحسين ، وابن عمر ، وابن الزبير . ولم يذكر عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهذا أصح ، فاما ابن عمر فقد وقفته العبادة ، وأما الحسين فرجل ضيف وأرجو أن يكفيك الله تعالى عن قتل أباه وخذل أخاه ، وإن له رجلاً ماسة وحققاً عظيماً ، وقاربة من محمد ﷺ ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فان قدرت عليه فاصفح عنه فإني لو صاحبته عفوت عنه . وأما ابن الزبير فانه خب ضب فان شخص لك فانبذ إليه إلا أن يلمس منك صلحاً ، فان فعل فاقبل منه ، واصفح عن دماء قومك ما استطعت .

وكان موت معاوية لاستهلال رجب من هذه السنة . ، قاله هشام بن الكلبي . وقيل للنصف منه ، قاله الواقدي . وقيل يوم الخميس لثمان بقين منه ، قاله المدائني . قال ابن جرير : وأجمعوا على أنه هلك في رجب منها ، وكان مدة ملكه استتلالاً من جمادى سنة إحدى وأربعين حين بايعه الحسن بن علي بأدرج ، فذلك تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وكان نائباً في الشام عشرين سنة تقريباً ، وقيل غير ذلك ، وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة ، وقيل خمساً وسبعين سنة ، وقيل ثمانياً وسبعين سنة ، وقيل خمساً وثمانين سنة ، وسياق بقية الكلام في آخر ترجمته . وقال أبو السكين زكريا بن يحيى : حدثني عم أبي زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب . قال : كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة الخزومي ، وكان الفاكه من فتيان قريش ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن ، فخلا ذلك البيت يوماً فاضطجع الفاكه وهند فيه في وقت القائلة ، ثم خرج الفاكه لبعض شأنه ، وأقبل رجل ممن كان يغشاه فوجد البيت فلما رأى المرأة فيه ولى هارباً ، وراه الفاكه وهو خارج من البيت ، فأقبل إلى هند وهي مضطجعة فضر بها برجله وقال : من هذا الذي كان عندك ؟ قالت : مارأيت أحداً ولا انتهت حتى أنبهتني أنت ، فقال لها : الحق بأبيك ، وتكلم فيها الناس ، فقال لها أبوها : يا بنية إن الناس قد أكثروا فيك القالة ، فأنبهيني نباك ، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دسست إليه من يقتله فينقطع عنك القالة ، وإن يك كاذباً حاكته إلى بعض كهان اليمن ، فعند ذلك حلفت هند لأبيها بما كانوا يحلفون في الجاهلية إنه لساكن عليها ، فقال عتبة بن ربيعة للفاكه : يا هذا إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم ، [وعارك كبير ، لا يغسله الماء ، وقد جعلتنا في العرب بكان ذلة ومنقصة ، ولولا أنك منى ذو قرابة لقتلتك ، ولكن سأحاکمك إلى كهان اليمن] ^(١) فخاكني إلى بعض كهان اليمن ، فخرج الفاكه في بعض جماعة من بني مخزوم - أقاربه - وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ، وخرجوا بهند ونسوة معها من أقاربهم ، ثم ساروا قاصدين بلاد اليمن ، فلما شارفوا بلاد الكاهن قالوا غداً نأتي الكاهن ، فلما سمعت هند ذلك تنكرت حالها وتغير وجهها ، وأخذت في البكاء ، فقال لها أبوها : يا بنية قد أرى ما بك من تنكر الحال ، وكثرة البكاء ، وما ذاك أراه عندك إلا لمكروه أحدت فيه ، وعمل اقترفته ، فهلا كان هذا قبل أن يشيع في الناس ويشهر مسيرنا ؟ فقالت : والله يا أبتاه ما هذا الذي تراه مني لمكروه وقع مني ، وإني لبريئة ، ولكن هذا الذي تراه من الحزن وتغير الحال هو نبي أعلم أنكم تأتون هذا الكاهن وهو بشر يخطئ ويصيب ، وأخاف أن يخطئ في أمري بشيء يكون عارداً علي إلى آخر الدهر ، ولا آمنه أن يسمي ميسماً تكون علي سبة في العرب . فقال لها أبوها : لا تخافي فإني سوف أختبره وأمتحنه قبل أن يتكلم في شأنك وأمرك ، فإن

أخطأ فيما أمتحنه به لم أدعه يتكلم في أمرك . ثم إنه انفرد عن القوم - وكان راكباً مهراً - حتى توارى عنهم خلف رابية فنزل عن فرسه ثم صفر له حتى أدلى ، ثم أخذ حبة بر فأدخلها في أحليل المهر ، وأوى عليها بسير حتى أحكم ربطها ، ثم صفر له حتى اجتمع أحليسه ، ثم أتى القوم فظنوا أنه ذهب ليقضى حاجة له ، ثم أتى الكاهن فلما قدموا عليه أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : انا قد جئتاك في أمر ، ولكن لا أدعك تتكلم فيه حتى تبين لنا ما خبأت لك ، فأتى قد خبأت لك خبيثاً فانظر ماهو ، فأخبرنا به . قال الكاهن : ثمرة في كمره ، قال : أريد أبين من هذا ، قال : خبات بر في إحليل مهر ، قال : صدقت فخذ لما جئتاك له ، انظر في أمر هؤلاء النسوة ، فأجلس النساء خلفه وهند معهم لا يعرفها ، ثم جعل يدنو من إحداهن فيضرب كتفها ويبريها ويقول : انهضى ، حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال انهضى حصان رزان ، غير رسخا ولا زانية ، ولتلدن ملكا يقال له معاوية . فوثب إليها الفاكه فأخذ بيدها ، فتثرت يدها من يده وقالت له : إليك عني ، والله لا يجمع رأسي ورأسك وسادة ، والله لأحرصن أن يكون هذا الملك من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءت منه بمعاوية هذا . وفي رواية أن أباه هو الذي قال لفاكه ذلك والله سبحانه أعلم .

وهذه ترجمة معاوية رضي الله عنه وذكر شيء من أيامه

ودولته وما ورد في مناقبه وفضائله رحمه الله

وهو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، القرشي الأموي ، أبو عبد الرحمن ، خال المؤمنين ، وكاتب وحى رسول رب العالمين . وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أسلم معاوية عام الفتح ، وروى عنه أنه قال : أسلمت يوم القضية ولكن كتمت إسلامي من أبي ، ثم علم بذلك فقال لي : هذا أخوك يزيد وهو خير منك على دين قومه ، فقلت له : لم آل نفسي جهداً . قال معاوية : ولقد دخل على رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء وإني لمصدق به ، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامي فحتمته فرحب بي ، وكتبت بين يديه . قال الواقدي : وشهد معه حنيناً ، وأعطاه مائة من الأبل ، وأربعين أوقية من ذهب ، وزنها بالال ، وشهد اليمامة . وزعم بعضهم أنه هو الذي قتل مسيلمة ، حكاه ابن عساكر ، وقد يكون له شرك في قتله ، وإنما الذي طعنه وحشى ، وجلله أبو دجانة سماك بن خرشة بالسيف ، وكان أبوه من سادات قريش ، وتفرد بالسودد بعد يوم بدر ، ثم لما أسلم حسن بعد ذلك إسلامه ، وكان له مواقف شريفة ، وأثار محمود في يوم اليرموك وما قبله وما بعده ، وصحب معاوية رسول الله ﷺ ، وكتب الوحي بين يديه مع الكتاب ، وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ، قال أبو بكر بن أبي الدنيا : كان معاوية طويلاً

أبيض جميلاً ، إذا ضحك انقلبت شففته انعلماً ، وكان يخطب . حدثني محمد بن يزيد الأزدي ثنا أبو مسهر عن سميد بن عبد العزيز عن أبي عبد رب قال : رأيت معاوية يصفر لحيته كأنها الذهب . وقال غيره : كان أبيض طويلاً أجلى أبيض الرأس واللحية يخضبهما بالحناء والكتم . وقد أصابته لوعة في آخر عمره ، فكان يستر وجهه ويقول : رحم الله عبداً دعا لي بالمافية ، فقد رميت في أحسن وما يبدو مني ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي ، وكان حليماً وقوراً رئيساً سيدياً في الناس ، كريماً عادلاً شهماً . وقال المدائني عن صالح بن كيسان قال : رأى بعض متفرسي العرب معاوية وهو صبي صغير ، فقال : إني لأظن هذا الغلام سيسود قومه ، فقالت هند : ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه . وقال الشافعي قال أبو هريرة : رأيت هنداً بمكة كأن وجهها فلفنة قمر ، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس ، ومعها صبي يلعب ، فرجل فنظر إليه فقال : إني لأرى غلاماً إن عاش ليسودن قومه ، فقالت هند : إن لم يسد إلا قومه فأمانت الله ، وهو معاوية بن أبي سفيان . وقال محمد بن سعد : أنبأنا علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف قال : نظر أبو سفيان يوماً إلى معاوية وهو غلام فقال لهند : إن ابني هذا لعظيم الرأس ، وإنه خلقي أن يسود قومه ، فقالت هند : قومه فقط ، ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة . وكانت هند تحمله وهو صغير وتقول :

إن بني معرق كريم * محجب في أهله حلیم

ليس بفحاش ولا لئيم * ولا ضجور ولا سؤوم

صخر بن فخر به زعيم * لا يخلف الظن ولا يخيم

قال : فلما ولي عمر يزيد بن أبي سفيان موالاه من الشام ، خرج إليه معاوية فقال أبو سفيان لهند : كيف رأيت صار ابنك تابعا لابني ؟ فقالت : إن اضطربت خيل العرب فستعلم أين يقع ابنك عما يكون فيه ابني ، فلما مات يزيد بن أبي سفيان سنة بضع عشرة ، وجاء البريد إلى عمر بموته ، رد عمر البريد إلى الشام بولاية معاوية مكان أخيه يزيد ، ثم عزى أبا سفيان في ابنه يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين من وليت مكانه ؟ قال أخوه معاوية ، قال : وصلت رحما يا أمير المؤمنين . وقالت هند لمعاوية فيما كتبت به إليه : والله يا بني إنه قل أن تلد حرة مثلك ، وإن هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر ، فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت . وقال له أبوه : يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله ، وقصر بنا تأخيرنا فصاروا قادة وسادة ، وصرنا أتباعاً ، وقد نورك جسيماً من أمورهم فلا تخالفهم ، فانك تجرى إلى أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك ، فلم يزل معاوية نائباً على الشام في الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة عثمان ، وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص وسكنها المسلمون قريباً من ستين سنة في أيامه ومن بعده ، ولم تزل الفتوحات

والجهاد قائماً على ساقه في أيامه في بلاد الروم والفرنج وغيرها ، فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين على ما كان ، لم يقع في تلك الأيام فتح بالسكينة ، لأعلى يديه ولا على يدي على ، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله ، وقهر جنده ودحاهم ، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب على تداني إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه ، فكتب معاوية إليه : والله لئن لم تنفسه وترجع إلى بلادك يالعين لأصطلمحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت . فمعد ذلك خاف ملك الروم وانكف ، وبعث يطلب الهدنة . ثم كان من أمر التحكيم ما كان ، وكذلك ما بعده إلى وقت اصطلاحه مع الحسن بن علي كما تقدم ، فانهقدت السكينة على معاوية ، وأجمرت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين كما قنسنا ، فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته ، والجهاد في بلاد العدو قائم ، وكلمة الله عالية . والفنائم ترد إليه من أطراف الأرض ، والمسلمون معه في راحة وعدل ، وصفح وعفو . وقد ثبت في صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن أبي زميل سمك بن الوليد عن ابن عباس : قال قال أبو سفيان : يارسول الله ثلاثاً أعطيتن ، قال : نعم ، قال : تؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين ، قال : نعم ! قال ومعاوية يجعله كاتباً بين يديك ، قال : نعم : وذكر الثالثة وهو أنه أراد أن يزوجه رسول الله ﷺ بأخته الأخرى عزة بنت أبي سفيان ، واستعان على ذلك باختها أم حبيبة ، فقال : « إن ذلك لا يحل لي » وقد تكلمنا على ذلك في جزء مفرد ، وذكرنا أقوال الأئمة واعتذارهم عنه والله الحمد . والمقصود منه أن معاوية كان من جملة الكتاب بين يدي رسول الله ﷺ الذين يكتبون الوحي . وروى الامام أحمد ومسلم والحاكم في مستدركه من طريق أبي عوانة - الوضاح ابن عبد الله الليثي - عن أبي حمزة عمران بن أبي عطاء عن ابن عباس : قال : كنت ألعب مع الغلمان فاذا رسول الله ﷺ قد جاء فقلت : ما جاء إلا إلى ، فاخبت على باب فجاءني فخطأني خطاة أو خطاتين ، ثم قال « اذهب فادع لي معاوية - وكان يكتب الوحي - قال : فذهبت فدعوته له فقبل : إنه يأكل ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت إنه يأكل ، فقال : اذهب فادعه ، فأتيته الثانية فقبل : إنه يأكل فأخبرته ، فقال في الثالثة : لا أشبع الله بطنه » قال : فما شبع بعدد ، وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه ، أما في دنياه فانه لما صار إلى الشام أميراً ، كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها ، ويأكل في اليوم سبع أكالات بلحم ، ومن الخلوى والفاكهة شيئاً كثيراً ويقول والله ما أشبع وإنما أعيا ، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك . وأما في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة . أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم إنا أنا بشر فأنا عبد سبيته أو جلده

أو دعوت عليه وليس لذلك أهلاً فاجعل ذلك كفارةً وقريةً تقر به بها عندك يوم القيامة . فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية ، ولم يورد له غير ذلك . وقال المسيب بن واضح عن أبي إسحاق الفزاري عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس : قال : « أتى جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد اقرئ معاوية السلام واستوص به خيراً ، فإنه أمين الله على كتابه ووحيه ونعم الأمين . ثم أورد ابن عساكر من وجه آخر عن عبد الملك بن أبي سليمان ، ثم أورد أيضاً من رواية علي وجابر بن عبد الله « أن رسول الله ﷺ استشار جبريل في استكتابه معاوية ، فقال : استكتابه فإنه أمين » . ولكن في الأسانيد إليهما غرابة ، ثم أورد عن علي في ذلك غرائب كثيرة عن غيره أيضاً . وقال أبو عوانة عن سليمان بن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقر الزبيدي عن عبد الله بن عمرو . قال : كان معاوية يكتب للنبي ﷺ . وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد الصيدلاني ثنا السري عن عاصم ثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن أبيه هشام بن عروة عن عائشة . قالت : لما كان يوم أم حبيبة من النبي ﷺ ، دق الباب داق ، فقال النبي ﷺ « انظروا من هذا ؟ قالوا : معاوية ، قال : ائذنوا له ، فدخل وعلى أذنه قلم يخط به ، فقال : ما هذا القلم على أذنك يا معاوية ؟ قال : قلم أعدته لله ولرسوله ، فقال له : جزاك الله عن نبيك خيراً ، والله ما استكتابتك إلا بوحي من الله ، وما أفعل من صغيرة ولا كبيرة إلا بوحي من الله ، كيف بك لو قصصك الله قميصاً - يعني الخلافة - ؟ فقامت أم حبيبة فجلست بين يديه وقالت : يا رسول الله وإن الله مقمصه قميصاً ؟ قال : نعم ! ولكن فيه هنات وهنات . فقالت : يا رسول الله فادع الله له ، فقال : اللهم اهده بالهدى ، وجنبه الردى ، واغفر له في الآخرة والأولى » . قال الطبراني تفرد به السري عن عاصم عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن هشام . وقد أورد ابن عساكر بهذا الحديث كثيرة موضوعة ، والعجب منه مع حفظه وإطلاعه كيف لا ينبه عليها وعلى نكارتها وضعف رجالها والله الموفق للصواب . وقد أوردنا من طريق أبي هريرة وأنس ووائل بن الأسقع مرفوعاً : « الأئمة ثلاثة ، جبريل ، وأنا ومعاوية » ولا يصح من جميع وجوهه ، ومن رواية ابن عباس : « الأئمة سبعة ، القلم ، واللوح ، وإسرافيل ، وميكائيل ، وجبريل ، وأنا ، ومعاوية » وهذا أنكر من الأحاديث التي قبله ، وأضعف إسناداً . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية - يعني ابن صالح - عن يونس بن سيف عن الحارث بن زياد عن أبي رهم عن العرابض بن سارية السلمي . قال : سمعت رسول الله ﷺ يدعونا إلى السجود في شهر رمضان : هلم إلى الغداء المبارك ، ثم سمعته يقول : اللهم علم معاوية المكتاب والحساب وقه العذاب » . تفرد به أحمد . ورواه ابن جرير من حديث ابن مهدي ، وكذلك رواه

أسد بن موسى ، وبشر بن السري ، وعبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، بإسناده مثله . وفي رواية بشر بن السري « وأدخله الجنة » ورواه ابن عدى وغيره من حديث عثمان بن عبد الرحمن الجحفي عن عطاء عن ابن عباس : قال قال رسول الله ﷺ : « اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب » . وقال محمد بن سعد : ثنا سليمان بن حرب والحسين بن موسى الأشيب قال : ثنا أبو هلال محمد بن سليم ثنا جبلة بن عطية عن مسامة بن مخلد ، وقال الأشهب : قال أبو هلال أو عن رجل عن مسامة بن مخلد ، وقال سليمان بن حرب أو حدثه مسامة عن رجل أنه رأى معاوية يأكل فقال لعمر و بن العاص : إن ابن عمك هذا لحضد : قال أما أنى أقول لك هذا وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد وقه العذاب » . وقد أرسله غير واحد من التابعين منهم الزهري وعروة بن رويم وجريير بن عثمان الرحي الحصى ، ويونس بن ميسرة بن حابس . وقال الطبراني : ثنا أبو زرعة وأحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقيان قالا : ثنا أبو مسهر ثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني - وكان من أصحاب النبي ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال لمعاوية : « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب » قال ابن عساكر : وهذا غريب ، والمحفوظ بهذا الاسناد حديث العرابض الذي تقدم ، ثم روى من طريق الطبراني عن أبي زرعة عن أبي مسهر عن سعيد بن ربيعة عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لمعاوية : « اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به » وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة عن النبي ﷺ أنه ذكر معاوية فقال : « اللهم اجعله هاديا مهديا واهده به » وهكذا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى عن أبي مسهر عن سعيد بن عبد العزيز به . وقال حسن غريب . وقد رواه عمر بن عبد الواحد ومحمد بن سليمان الخرائفي كما رواه الوليد بن مسلم وأبو مسهر عن سعيد بن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة . ورواه محمد بن المصنف عن مروان بن محمد الطاطري عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس عن ابن أبي عميرة أن رسول الله ﷺ دعا لمعاوية فقال : « اللهم علمه العلم ، واجعله هاديا مهديا ، واهده واهد به » . وقد رواه سلمة بن شبيب وصفوان بن صالح وعيسى بن هلال وأبو الأزهر عن مروان الطاطري ، ولم يذكر وا أبا إدريس في إسناده . ورواه الطبراني عن عبدان بن أحمد عن علي بن سهل الرهلي عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن يونس بن ميسرة بن حابس عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني . أنه سمع رسول الله ﷺ وذكر معاوية فقال : « اللهم اجعله هاديا مهديا واهده » قال ابن عساكر : وقول الجماعة هو الصواب . وقد اعتنى ابن عساكر بهذا الحديث وأطنب فيه وأطيب

وطرب ، وأفاد وأجاد ، وأحسن الانتقاد ، فرحمه الله ، كم له من موطن قد تبرز فيه على غيره من الحفاظ والنقاد . وقال الترمذى : حدثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الله بن محمد النفيلي ثنا عمرو بن واقد عن يونس بن حابس عن أبي إدريس الخولاني قال : لما عزل عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن الشام وولى معاوية قال الناس : عزل عمر عميرا وولى معاوية ، فقال عمر : لا تذكروا معاوية إلا بخير ، فأتى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم اهدبه » تفرد به الترمذى وقال : غريب . وعمر و ابن واقد ضعيف ، هكذا ذكره أصحاب الأطراف في مسند عمير بن سعد الأنصاري . وعندى أنه ينبغي أن يكون من رواية عمر بن الخطاب ، ويكون الصواب فقال عمر : لا تذكروا معاوية إلا بخير ، ليكون عنراً له في توليته له . ومما يقوى هذا أن هشام بن عمار قال : حدثنا ابن أبي السائب - وهو عبد العزيز بن الوليد بن سليمان - قال : سمعت أبي يذكر أن عمر بن الخطاب ولى معاوية بن أبي سفيان فقالوا : ولى حدث السن ، فقال : تلوموننى في ولايته ، وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم اجعلها هاديا مهديا واهدا » وهذا منقطع يقويه ما قبله .

قال الطبرانى : حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ثنا نعيم بن حماد ثنا محمد بن شعيب بن سابور ثنا مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة بن حابس عن عبد الله بن بسر أن رسول الله ﷺ : « استشار أبا بكر وعمر في أمر فقال : أشيروا على ، فقالا : الله ورسوله أعلم ، فقال : ادعوا معاوية ؟ فقال أبو بكر وعمر : أما في رسول الله ﷺ ورجلين من رجال قريش ما يتقنون أمرهم ، حتى يبعث رسول الله ﷺ إلى غلام من غلمان قريش ؟ فقال : ادعولى معاوية فدعى له ، فلما وقف بين يديه قال رسول الله ﷺ : أحضروه أمركم وأشبهوه أمركم ، فانه قوى أمين » . ورواه بعضهم عن نعيم وزاد « وحاوله أمركم » . ثم ساق ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة بلا شك في فضل معاوية ، أضربنا عنها صفحا ، واكتفينا بما أوردناه من الأحاديث الصحاح والحسان والمستجدات عما سواها من الموضوعات والمنكرات .

ثم قال ابن عساكر : وأصح ما روى في فضل معاوية حديث أبي جمرة عن ابن عباس « أنه كان كاتب النبي ﷺ منذ أسلم » أخرجه مسلم في صحيحه ، وبعده حديث العرباض : « اللهم علم معاوية الكتاب » وبعده حديث ابن أبي عمير : « اللهم اجعلها هاديا مهديا » قلت : وقد قال البخارى في كتاب المناقب : ذكر معاوية بن أبي سفيان : حدثنا الحسن بن بشر ثنا المعافى عن عثمان ابن الأسود عن ابن أبي مليكة قال : أوتر معاوية بعد العشاء بركة وعنده مولى لابن عباس ، فأتى ابن عباس ، فقال : أوتر معاوية بركة بعد العشاء ، فقال : دعه فانه قد صحب رسول الله ﷺ . حدثنا ابن أبي مريم ثنا نافع بن عمر ثنا ابن أبي مليكة . قال : قيل لابن عباس : هل لك في

أمير المؤمنين معاوية ؟ ما أوتر إلا بواحدة ! قال : أصاب ، إنه فقيه . ثنا عمرو بن عبدس ثنا جعفر ثنا شعبة عن أبي التياح قال : سمعت حمدان عن أبان عن معاوية . قال : إنكم لتصاون صلاة ، لقد صحبنا رسول الله ﷺ فما رأيناه يصليهما ، ولقد نهى عنهما - يعني الركعتين بعد العصر - ثم قال البخاري بعد ذلك : ذكر هند بنت عتبة بن ربيعة : حدثنا عبدان ثنا عبد الله ثنا يونس عن الزهري حدثني عروة أن عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى من أن يذلوا من أهل خباثك ، فقال : وأيضا والذي نفسي بيده . فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيك ، فهل على من حرج أن أطعم من الذي له عيالنا ؟ قال : لا إلا بالمعروف . فالدخلة في قوله : « وأيضا والذي نفسي بيده » وهو أنه كان يود أن هنداً وأهلها وكل كافر يذلوا في حال كفرهم ، فلما أسلموا كان يجب أن يعزوا فأعزهم الله - يعني أهل خباثها .

وقال الامام أحمد : حدثنا روح ثنا أبو أمية عمرو بن يحيى بن سعيد قال . سمعت جدي يحدث أن معاوية أخذ الادواة بعد أبي هريرة فتبع رسول الله ﷺ بها - وكان أبو هريرة قد اشتكى - فبينما هو يوضئ رسول الله ﷺ إذ رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال : يا معاوية إن وليت أمراً فأتق الله واعدل . قال معاوية فما زلت أظن أني سأبتلى بعمل لقول النبي ﷺ حتى ابتليت . تفرد به أحمد ، ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن أبي إسحاق الرمذاني سعيد بن زنبور بن ثابت عن عمرو بن يحيى بن سعيد . ورواه ابن منده من حديث بشر بن الحكم عن عمرو بن يحيى به . وقال أبو يعلى : حدثنا سويد بن سعيد ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد عن جده عن معاوية قال : « أتبع رسول الله ﷺ بوضوء ، فلما توضأ نظر إلى فقال : يا معاوية إن وليت أمراً فأتق الله واعدل ، فازالت أظن أني مبتلى بعمل حتى وليت » . ورواه غالب القطن عن الحسن . قال : سمعت معاوية يخطب وهو يقول : « صليت يوماً على رسول الله ﷺ ووضوءه فرفع رأسه إلى فقال : أما إنك ستبلى أمر أمتي بعدى ، فإذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم ، وقال : فما زلت أرجو حتى قمت مقامى هذا » . وروى البيهقي عن الحاكم بسنده إلى إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عبد الملك بن عمير . قال قال معاوية : والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ : « إن ملكك فأحسن » قال البيهقي : إسماعيل بن إبراهيم هذا ضعيف ، إلا أن للحديث شواهد . وروى ابن عساكر بأسناده عن نعيم بن حماد : ثنا محمد بن حرب عن أبي بكر بن أبي مريم ثنا محمد بن زياد عن عوف بن مالك الأشجعي قال : « بينما أنا راقد في كنيسة يوحنا - وهي يومئذ مسجد يصلى فيها - إذ انتبهت من نومي فإذا أنا بأسد يمشي بين يدي ، فوثبت إلى سلاحي ، فقال الأسد : مه ! إنما أرسلت إليك

برسالة لتبلغها ، قلت : ومن أرسلاك ؟ قال : الله أرسلني إليك لتبلغ معاوية السلام وتعلمه أنه من أهل الجنة ، فقلت له . ومن معاوية ؟ قال : معاوية بن أبي سفيان « ورواه الطبراني عن أبي يزيد القراطيسي عن المعلى بن الوليد القعقاعي عن محمد بن حبيب الخولاني عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مرجم الفسائي ، وفيه ضعف وهذا غريب جدا ، ولعل الجميع مناما ، ويكون قوله : إذ انتهيت من نومي مدرجاً لم يضبطه ابن أبي مرجم ، والله أعلم .

وقال محمد بن عائذ عن الوليد عن ابن لهيعة عن يونس عن الزهري . قال : قدم عمر الجابية ففرع شرحبيل وأمر عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر ، ونفى الشام على أميرين أبي عبيدة ويزيد ، ثم توفي أبو عبيدة فاستخلف عياض بن غنم ، ثم توفي يزيد فأمر معاوية مكانه ، ثم نعاه عمر لأبي سفيان ، فقال لأبي سفيان : احتسب يزيد بن أبي سفيان ، قال : من أمرت مكانه ؟ قال : معاوية ، فقال : وصلت رحايا أمير المؤمنين ، فكان معاوية على الشام ، وعمر بن سعد حتى قتل عمر ، رضي الله عنهم . وقال محمد بن إسحاق : مات أبو عبيدة في طاعون عمواس واستخلف معاذاً ، فمات معاذ واستخلف يزيد بن أبي سفيان ، فمات واستخلف أخاه معاوية فأقره عمر ، وولى عمرو بن العاص فلسطين والأردن ، ومعاوية دمشق وبلبك والبلقاء ، وولى سعد بن عامر بن جذيم حمص ، ثم جمع الشام كلها لمعاوية بن أبي سفيان ، ثم أمره عثمان بن عفان على الشام . وقال إسماعيل بن أمية : أفرد عمر معاوية بامرة الشام ، وجعل له في كل شهر ثمانين ديناراً . والصواب أن الذي جمع لمعاوية الشام كلها عثمان بن عفان ، وأما عمر فانه إنما ولاه بعض أعمالها . وقال بعضهم : لما عزيت هند في يزيد بن أبي سفيان - ولم يكن منها - قيل لها : إنه قد جعل معاوية أميراً مكانه ، فقالت : أو مثل معاوية يجعل خلفاً من أحد ؟ فوالله لو أن العرب اجتمعت متوافرة ثم رمى به فيها لخرج من أي أعراضها (نواحيها) شاء . وقال آخرون : ذكر معاوية عند عمر فقال : دعوا فني قر يش وابن سيدها ، إنه لمن يضحك في الغضب ولا ينال منه إلا على الرضا ، ومن لا يأخذ من فوق رأسه إلا من تحت قدميه . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن قدامة الجوهري حدثني عبد العزيز بن يحيى عن شيخ له . قال : لما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما دنا من عمر قال له : أنت صاحب الموكب ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : هذا حالك مع ما بلغني من طول وقوف ذوى الحاجات ببابك ؟ قال : هو ما بلغك من ذلك . قال : ولم تفعل هذا ؟ لقد هممت أن أمرك بالمشى حافياً إلى بلاد الحجاز ، قال : يا أمير المؤمنين إنما بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة ، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ويرهبهم به ، فان أمرتني فعلت ، وإن نهيتني انتهيت . فقال له عمر : يا معاوية ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس ، لئن كان ما قلت حقاً إنه

لأرى أريت ، ولئن كنت باطلا إنه لخديعة أدبت . قال : فمرني يا أمير المؤمنين بما شئت ، قال : لا أمرك ولا أنهك . فقال رجل : يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر القتي عما أوردته فيه ؟ فقال عمر : لحسن موارد ومصادره جشمناه ما جشمناه . وفي رواية أن معاوية تلقى عمر حين قدم الشام ، ومعاوية في موكب كثيف ، فاجتاز بعمر وهو وعبد الرحمن بن عوف راكبان على حمار ، ولم يشعر بهما ، فقيل له : إنك جاوزت أمير المؤمنين ، فرجع ، فلما رأى عمر ترجل وجعل يقول له ما ذكرنا ، فقال عبد الرحمن بن عوف : ما أحسن ما صدر عما أوردته فيه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : من أجل ذلك جشمناه ما جشمناه .

وقال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد : أخبرنا محمد بن ذئب عن مسلم بن جندب عن أسلم مولى عمر قال : قدم علينا معاوية وهو أبيض نص وباص ، أبض الناس وأجلهم ، فخرج إلى الحج مع عمر ، فكان عمر ينظر إليه فيعجب منه ، ثم يضع أصبعه على متن معاوية ثم يرفعها عن مثل الشراك ، فيقول : بخ بخ ، نحن إذا خير الناس ، أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة . فقال معاوية : يا أمير المؤمنين سأحدثك أنا بأرض الحمامات والريف والشهوات ، فقال عمر : سأحدثك ما بك إلا إطفائك نفسك بأطيب الطعام وتصبحك حتى تضرب الشمس متنيك ، وذووا الحاجات وراء الباب . فقال : يا أمير المؤمنين علمني أمثله . قال : فلما جئنا ذا طوى أخرج معاوية حلة فلبسها ، فوجد عمر منها ريحا كأنه ريح طيب ، فقال : يعمد أحدكم فيخرج حاجا متلا حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة أخرج ثوبيه كأنهما كاتا في الطيب فلبسهما ؟ فقال معاوية : إنما لبستهما لأدخل فيهما على عشرين وقومى ، والله لقد بلغتني أذاك ههنا وبالشام ، فأن الله يعلم أني لقد عرفت الحياء فيه ، ثم نزع معاوية ثوبيه ولبس ثوبيه اللذين أحرم فيهما .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني أبي عن هشام بن محمد عن أبي عبد الرحمن المدني . قال : كان عمر بن الخطاب إذا رأى معاوية قال : هذا كسرى العرب . وهكذا حكى المدائني عن عمر أنه قال ذلك . وقال عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي عن جده . قال : دخل معاوية على عمر وعليه حلة خضراء ، فنظر إليها الصحابة ، فلما رأى ذلك عمر وثب إليه بالدرة فجعل يضرب بها ، وجعل معاوية يقول : يا أمير المؤمنين الله الله في ، فرجع عمر إلى مجلسه فقال له القوم : لم ضربته يا أمير المؤمنين ؟ وما في قومك مثله ؟ فقال : والله ما رأيت إلا خيرا ، وما بلغتني إلا خيرا ، ولو بلغتني غير ذلك لكان مني إليه غير ما رأيتم ، ولكن رأيته . ونسار بيده . فأحببت أن أضع منه ما شئخ . وقد قال أبو داود : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا يحيى بن حمزة ثنا ابن أبي مريم أن القاسم بن خزيمة أخبره أن أبا مريم الأزدي أخبره . قال : دخلت على معاوية فقال : ما أئمتنا بك أبا فلان . وهي كلمة تقولها

العرب - فقلت : حديث سمعته أخبرك به ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلعتهم وفقرتهم ، احتجب الله دون حاجته وخلخته وفقره » . قال : فجعل معاوية حين سمع هذا الحديث رجلاً على حوائج الناس . ورواه الترمذى وغيره .

وقال الامام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ثنا حبيب بن الشهيد عن أبي مجلز . قال : خرج معاوية على الناس فقاموا له فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . [وفي رواية . قال : خرج معاوية على ابن عامر وابن الزبير فقام له ابن عامر ولم يقم له ابن الزبير ، فقال معاوية لابن عامر : اجلس ! فأتى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أحب أن يتمثل له العباد قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . ^(١) ورواه أبو داود والترمذى من حديث حبيب بن الشهيد ، وقال الترمذى : حديث حسن . وروى أبو داود من حديث الثورى عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد المقرئ الحصى عن معاوية . قال : قال رسول الله ﷺ : « إنك إن قُبعت عورات الناس أفسدتهم أو كُدت أن تفسدهم » . قال : كلمة سمعها معاوية نفسه الله بها . تفرد به أحمد - يعنى أنه كان جيد السيرة ، حسن التجاوز ، جميل العفو ، كثير الستر رحمه الله تعالى - وثبت في الصحيحين من حديث الزهرى عن حميد بن عيسى الرحمن عن معاوية . أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطى ، ولا يزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون » . وفي رواية « وهم على ذلك » وقد خطب معاوية بهذا الحديث مرة ثم قال : وهذا مالك ابن يخامر يخبر عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال وهم بالشام - يحث بهذا أهل الشام على مناجزة أهل العراق : « وإن أهل الشام هم الطائفة المنصورة على من خالفها » وهذا مما كان يحتج به معاوية لأهل الشام في قتالهم أهل العراق . وقال الليث بن سعد : فتح معاوية قيسارية سنة تسع عشرة في دولة عمر بن الخطاب . وقال غيره : وفتح قبرص سنة خمس وقيل سبع ، وقيل ثمان وعشرين في أيام عثمان . قالوا : وكان عام غزوة المضيق - يعنى مضيق القسطنطينية - في سنة ثنتين وثلاثين في أيامه وكان هو الأمير على الناس عامئذ . وجمع عثمان لمعاوية جميع الشام ، وقيل إن عمر هو الذى جمعها له ، والصحيح عثمان . واستمضى معاوية فضالة بن عبيد بعد أبي الدرداء ، ثم كان ما كان بينه وبين على بعد قتل عثمان ، على سبيل الاجتهاد والرأى ، فجرى بينهما قتال عظيم كما قدمنا ، وكان الحق والصواب مع على ، ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ، وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالاسلام للأمر يقيين من الطرفين - أهل العراق وأهل الشام - كما ثبت في الحديث الصحيح

« تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين ، فيقتلها أدنى الطائفتين إلى الحق » فكانت المارقة الخوارج ، وقتلهم على وأصحابه ، ثم قتل على فاستقل معاوية بالأمر سنة إحدى وأربعين ، وكان يفرز الروم في كل سنة مرتين ، مرة في الصيف ومرة في الشتاء ، ويأمر رجلا من قومه فيخرج بالناس ، وحينئذ هو سنة خمسين ، وحينئذ يزيده سنة إحدى وخمسين . وفيها أوفى التي بعدها أغزاه بلاد الروم [فصار معه خلق كثير من كهراء الصحابة حتى حاصر القسطنطينية ، وقد ثبت في الصحيح : « أول جيش يفرز القسطنطينية مغفور لهم » .] ^(١) وقال وكيع عن الأعمش عن أبي صالح . قال : كان الحادى يحدو بعثمان فيقول : إن الأمير بعده على * وفي الزبير خلف مرضى

فقال كعب : بل هو صاحب البغلة الشهباء - يعنى معاوية - فقال : يا أبا إسحاق تقول هذا وههنا على والزبير وأصحاب محمد ﷺ ؟ فقال : أنت صاحبها . ورواه سيف عن بدر بن الخليل عن عثمان ابن عطية الأسدى عن رجل من بني أسد . قال : مازال معاوية يطعم فيها منذ سمع الحادى في أيام عثمان يقول : إن الأمير بعده على * وفي الزبير خلف مرضى

فقال كعب : كذبت ! بل صاحب البغلة الشهباء بعده - يعنى معاوية - فقال له معاوية في ذلك فقال : نعم ! أنت الأمير بعده ، ولكنها والله لا تصل إليك حتى تكذب بحديثى هذا ، فوقعت في نفس معاوية .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عباد المسكى ثنا سفيان بن عيينة عن أبي هارون قال قال عمر : إياكم والفرقة بعدى ، فإن فعلتم فإن معاوية بالشام ، وستعلمون إذا وكلمتم إلى رأيكم كيف يستبزها دونكم . ورواه الواقدي من وجه آخر عن عمر رضى الله عنه . وقد روى ابن عساكر عن عامر الشعبي أن عليا حين بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية قبل وقعة صفين - وذلك حين عزم على قصد الشام ، وجمع الجيوش لذلك - وكتب معه كتابا إلى معاوية يذكر له فيه أنه قد لزمته بيعته ، لانه قد بايعه المهاجرون والأنصار ، فإن لم تبائع استعنت بالله عليك وقاتلتك . وقد أكرت القول في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكم التوم إلى أحملك وإياهم على كتاب الله ، في كلام طويل . وقد قدمنا أكره ، فقرأه معاوية على الناس وقام جرير يخطب الناس ، وأمر في خطبته معاوية بالسمع والطاعة ، وحسنه من المخالفة والمعاندة ، ونهاه عن إيقاع الفتنة بين الناس ، وأن يضرب بعضهم بعضا بالسيوف . فقال معاوية : انتظر حتى آخذ رأى أهل الشام ، فلما كان بعد ذلك أمر معاوية مناديا فنادى في الناس : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فخطب فقال : « الحمد لله الذى جعل الدعائم للأسلام أركاناً ، والشرائع لإيمان برهاناً ، يتوقد مصباحه ^(١) سقط من نسخة طوب قبو بالأستانة .

بالسنة في الأرض المقدسة التي جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده ، فأحلها أهل الشام ورضيهم لها ، ورضيها لهم ؛ لما سبق في مكثهم عليه من طاعتهم ومناصحتهم أو لياؤه فيها ، والقوام بأمره ، الذابن عن دينه وحرمانه ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً ، وفي أعلام الخير عظماً ، يردع الله بهم الناكثين ، ويجمع بهم الألفة بين المؤمنين ، والله نستعين على إصلاح ما تشعث من أمور المسلمين ، وتباعد بينهم بعد القرب والألفة ، اللهم انصرنا على قوم يوقظون نائمنا ، ويخيفون آمننا ، ويريدون هراقة ذمائننا ، وإخافة سبلنا ، وقد يعلم الله أننا لا نريد لهم عقاباً ، ولا ننتكس لهم حجاباً ، خير أن الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً لن ننزعه طوعاً ماجابوب الصدى ، وسقط الندى ، وعرف الهدى ، وقد علمنا أن الذي حملهم على خلافنا البغي والحسد لنا ، فله نستعين عليهم . أيها الناس ! قد علمتم أني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأنى خليفة أمير المؤمنين عثمان عليكم ، وأنى لم أقم رجلاً منكم على خزائنه قط ، وإنى ولي عثمان وابن عمه ، قال الله تعالى في كتابه : (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) وقد علمتم أنه قتل مظلوماً ، وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان .

فقال أهل الشام بأجمعهم : بل نطلب بدمه ، فأجابوه إلى ذلك وبايعوه ، ووثقوا له أن يبدلوا في ذلك أنفسهم وأموالهم ، أو يدرکوا بثأره ، أو ينفى الله أرواحهم قبل ذلك ، فلما رأى جرير من طاعة أهل الشام لمعاوية ما رأى ، أفرغه ذلك ، وعجب منه . وقال معاوية لجرير : إن ولاني على الشام ومصر بايعته على أن لا يكون لاحد بعده على بيعة ، فقال : اكتب إلى علي بما شئت ، وأنا أكتب ملك ، فلما بلغ علياً الكتاب قال : هذه خديعة ، وقد سألت المغيرة بن شعبة أن أولى معاوية الشام وأنا بالمدينة فأبيت ذلك (وما كنت متخذ المضلين عضداً) ثم كتب إلى جرير بالتقدم عليه ، فما قدم إلا وقد اجتمعت العساكر إلى علي ، وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص - وكان معتزلاً بفلسطين حين قتل عثمان - وكان عثمان قد عزله عن مصر فاعتزل بفلسطين ، فكتب إليه معاوية يستدعيه ليستشير في أموره فركب إليه فاجتمعوا على حرب علي . وقد قال عقبة بن أبي معيط في كتاب معاوية إلى علي حين سألته نيابة الشام ومصر ، فكتب إلى معاوية يؤنبه ويلومه على ذلك ويعرض بأشياء فيه .

معاوية إن الشام شامك فاعتصم * بشاهك لا تدخل عليك إلا فاعيا
فان عليا ناظر ما تجيبه * فأهد له حرباً يشيب النواصيا
وحام عليها بالقتال وبالقتنا * ولاتك مخشوش الذراعين وانيا
وإلا فسلم إن في الأمن راحة * لمن لا يريد الحرب فاختر معاويا

وإن كتابا يا ابن حرب كتبته * على طمع جان عليك الدواهي
سألت عليا فيه مالا تناله * ولو نلتها لم يبق إلا لياليا
إلى أن ترى منه الذي ليس بعدها * بقاء فلا تذكر عليك الأمانيا
ومثل على تغترده بخدعة * وقد كان ما خربت من قبل بانيا
ولو نشبت أظفاره فيك مرة * فرأى ابن هند بعد ما كنت فاريا

وقد ورد من غير وجه أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا له : أنت تنازع عليا أم أنت مثله ؟ فقال : والله إنى لأعلم أنه خير منى وأفضل ، وأحق بالأمر منى ، واسكن الستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً ، وأنا ابن عمه ، وأنا أطلب بدمه وأمره إلى ؟ فقالوا له : فليسلم إلى قتلة عثمان وأنا أسلم له أمره . فأتوا عليا فكلّموه في ذلك فلم يدفع إليهم أحداً ، فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال مع معاوية . وعن عمرو بن شعمر عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي وأبي جعفر الباقر . قال : بعث على رجلا إلى دمشق ينذرهم أن عليا قد نهّد في أهل العراق إليكم ليستعلم طاعتكم لمعاوية ، فلما قدم أمر معاوية فنودي في الناس : الصلاة جامعة ، فأتوا المسجد ثم صعد المنبر فقال في خطبته : إن عليا قد نهّد إليكم في أهل العراق فما الرأي ؟ فضرب كل منهم على صدره ، ولم يتكلم أحد منهم ، ولا رفعوا إليه أبصارهم ، وقام ذو الكلاع فقال : يا أمير المؤمنين عليك الرأي وعلينا الفعل ، ثم نادى معاوية في الناس : أن اخرجوا إلى معسكركم في ثلاث ، فمن تخلف بعدها فقد أحل بنفسه ، فاجتمعوا كلهم ، فركب ذلك الرجل إلى علي فأخبره ، فأمر على مناديا فنادى : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا فصعد المنبر فقال : إن معاوية قد جمع الناس لحربكم ، فما الرأي ؟ فقال كل فريق منهم مقالة ، واختلط كلام بعضهم في بعض ، فلم يدر على مما قالوا شيئا ، فنزل عن المنبر وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب والله بها ابن آكلة الأكباد . ثم كان من أمر الفريقين بصفين ما كان ، كما ذكرناه مبسوطاً في سنة ست وثلاثين . وقد قال أبو بكر بن دريد : أنبأنا أبو حاتم عن أبي عبيدة . قال قال معاوية : لقد وضعت رجلى في الركاب وهممت يوم صفين بالهزيمة ، فما منعني إلا قول ابن الاطنابة حيث يقول : -

أبت لي عفتي وأبي بلائي * وأخذني الحمد بالثمن الربيع
وإكراهي على المكروه نفسي * وضربني هامة البطل المشيع
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تسترعي

وروى البيهقي عن الامام أحمد أنه قال : الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، فقيل له : فمعاوية ؟ قال : لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي ، ورحم الله معاوية . وقال علي بن المديني :

سمعت سفيان بن عيينة يقول : ما كانت في علي خصلة تقصير به عن الخلافة ، ولم يكن في معاوية خصلة ينازع بها علياً . وقيل لشريك القاضي : كان معاوية حليماً ؟ فقال : ليس بحليم من سفة الحق وقاتل علياً . رواه ابن عساكر . وقال سفيان الثوري عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه ذكر معاوية وأنه لبي عشية عرفة فقال فيه قولاً شديداً ، ثم بلغه أن علياً لبي عشية عرفة فتركه . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني عباد بن موسى ثنا علي بن ثابت الجزري عن سعيد بن أبي عروبة عن عمر بن عبد العزيز . قال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده ، فسلمت عليه وجلس ، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلي ومعاوية ، فأدخلا بيتنا وأجيف الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول : قضى لي ورب الكعبة ، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول : غفر لي ورب الكعبة . وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل : إني أبغض معاوية ، فقال له : ولم ؟ قال : لأنه قاتل علياً ، فقال له أبو زرعة : ويحك إن رب معاوية رحيم ، وخضم معاوية خضم كريم ، فإيش دخولك أنت بينهما ؟ رضي الله عنهما . وسئل الإمام أحمد عما جرى بين علي ومعاوية فقراً (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) وكذا قال غير واحد من السلف .

وقال الأوزاعي : سئل الحسن عما جرى بين علي وعثمان فقال : كانت لهذا سابقة ولهذا سابقة ، ولهذا قرابة ولهذا قرابة ، فابتلى هذا وعوفي هذا . وسئل عما جرى بين علي ومعاوية فقال : كانت لهذا قرابة ولهذا قرابة ، ولهذا سابقة ولم يكن لهذا سابقة ، فابتلى جميعاً . وقال كثوم بن جوشن : سأل النضر أبو عمر الحسن البصري فقال : أبو بكر أفضل أم علي ؟ فقال : سبحان الله ولا سواء ، سبقت لعل سوابق يشركه فيها أبو بكر ، وأحدث على حوادث لم يشركه فيها أبو بكر ، أبو بكر أفضل . قال : فبمعز أفضل أم علي ؟ فقال : مثل قوله في أبي بكر ، ثم قال : عمر أفضل . ثم قال : عثمان أفضل أم علي ؟ فقال : مثل قوله الأول ، ثم قال : عثمان أفضل . قال : فعلى أفضل أم معاوية ؟ فقال : سبحان الله ولا سواء سبقت لعل سوابق لم يشركه فيها معاوية ، وأحدث على أحداثاً يشركه فيها معاوية ، علي أفضل من معاوية . وقد روى عن الحسن البصري أنه كان ينقم على معاوية أربعة أشياء ، قتاله علياً ، وقاتله حمزة بن عدي ، واستلحاقه زياد بن أبيه ، ومبايعته ليزيد ابنه . وقال جرير بن عبد الحميد عن مغيرة . قال : لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي ، فقالت له امرأته : أتبكيه وقد قاتلته ؟ فقال : ويحك إنك لا تدري من منافق الناس من الفضل والفقه والعلم ، وفي رواية أنها قالت له بالأُمس تقاتلته واليوم تبكيه ؟

قلت : وقد كان مقتل علي في رمضان سنة أربعين ، ولهذا قال الليث بن سعيد : إن معاوية بويح

له بإيليا بيعة الجماعة ، ودخل الكوفة سنة أربعين ، والصحيح الذي قاله ابن إسحاق والجمهور أنه
 يبيع له بإيليا في رمضان سنة أربعين ، حين بلغ أهل الشام مقتل علي ، ولكنه إنما دخل الكوفة
 بعد مصالحة الحسن له في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وهو عام الجماعة ، وذلك بمكان
 يقال له أدرج ، وقيل بمسكن من أرض سواد العراق من ناحية الأنبار ، فاستقل معاوية بالأمر إلى أن
 مات سنة ستين . قال بعضهم : كان نقش خاتم معاوية : لكل عمل ثواب . وقيل بل كان : لا قوة
 إلا بالله . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وسعيد بن منصور قالوا : ثنا أبو معاوية
 ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد . قال : صلى بنا معاوية بالبخيلة - يعني خارج
 الكوفة - الجمعة في الضحى ثم خطبنا فقال : ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا ،
 قد عرفت أنكم تفعلون ذلك ، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمركم عليكم ، فقد أعطانى الله ذلك وأنتم
 كارهون . رواه محمد بن سعد عن يعلى بن عبيد عن الأعمش به . وقال محمد بن سعد : حدثنا
 عازم ثنا حماد بن يزيد عن معمر عن الزهري أن معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يحرم فيه ، ثم إنه
 بعد عن ذلك . وقال نعم بن حماد : حدثنا ابن فضيل عن السري بن إسماعيل عن الشعبي حدثني
 سفيان بن الأيل قال : قلت للحسن بن علي لما قدم من الكوفة إلى المدينة : يا مندل المؤمنين ، قال :
 لا تغفل ذلك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك معاوية » .
 فعلمت أن أمر الله واقع ، فكرهت أن تبرأ بي وببينه دماء المسلمين . وقال مجاهد عن الشعبي عن
 الحارث الأعور . قال قال علي بعد ما رجع من صفين : أيها الناس لا تبرأوا إمارة معاوية ، فانكم
 لو فقدتموه رأيتم الرأس تنذر عن كواهلها كأنها الحنظل . وقال ابن عساكر بأسناده عن أبي داود
 الطيالسي : ثنا أيوب بن جابر عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد قال قلت لعائشة : ألا تعجبين
 لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله ﷺ في الخلافة ؟ فقالت : وما تعجب من ذلك ؟ هو
 سلطان الله يؤتاه البر والفاجر ، وقد ملك فرعون أهل مصر أربع مائة سنة ، وكذلك غيره من الكفار .
 وقال الزهري : حدثني القاسم بن محمد أن معاوية حين قدم المدينة يريد الحج دخل على عائشة
 فكأسها خالين لم يشهد كلامهما أحد إلا ذكر أن أبو عمرو مولى عائشة ، فقالت : أمنت أن أخبالك
 رجلاً يقتلك بقتلك أخى محمداً ؟ فقال : صدقتي ، فلما قضى معاوية كلامه معها تشهدت عائشة ثم
 ذكرت ما بعث الله به نبيه ﷺ من الهدى ودين الحق ، والذي سن الخلفاء بعده ، وحضت معاوية
 على العدل واتباع أثرهم ، فقالت في ذلك فلم يترك له عذراً ، فلما قضت مقالتها قال لها معاوية : أنت
 والله العاملة العاملة بأمر رسول الله ﷺ ، الناصحة المشقة البليغة الموعظة ، حضت على الخير ،
 وأمرت به ، ولم تأمرينا إلا بالذي هو لنا مصلحة ، وأنت أهل أن تطاعى . وتكلمت هي ومعاوية

كلاماً كثيراً . فلما قام معاوية اتكأ على ذكوان وقال : والله ما سمعت خطيباً ليس رسول الله ﷺ أبليغ من عائشة . وقال محمد بن سعد : حدثنا خالد بن مخلد البجلي ثنا سليمان بن بلال حدثني علقمة ابن أبي علقمة عن أمه . قالت : قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة فأرسل إلى عائشة : أن ارسلني بانبجانية رسول الله ﷺ وشعره ، فأرسلت به معي أحمله ، حتى دخلت به عليه ، فأخذ الانبجانية فلبسها ، وأخذ شعره فدعا بماء فغسله وشربه وأفاض على جلده . وقال الأصمعي عن الهذلي عن الشعبي قال : لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقته رجال من وجوه قريش فقالوا : الحمد لله الذي أعز نصرتك ، وأعلا أمرك . فما رد عليهم جواباً حتى دخل المدينة ، فقصده المسجد وعلا المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ! فاني والله ما وليت أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم لا تسرون بولايتي ولا تحبونني ، وإني لعالم بما في نفوسكم من ذلك ، ولكني خالستكم بسيفي هذا مخالسة ، ولقد رمت نفسي على عمل ابن أبي قحافة فلم أجدها تقوم بذلك ولا تقدر عليه ، وأردتها على عمل ابن الخطاب فكانت أشد نفوراً وأعظم هرباً من ذلك ، وحاولتها على مثل سنيات عثمان فأبقت على وأين مثل هؤلاء ؟ ومن يقدر على أعمالهم ؟ هيئات أن يدرك فضلهم أحد ممن بعدهم ؟ رحمة الله ورضوانه عليهم ، غير أنني سلكت بها طريقاً لي فيه منفعة ، ولكم فيه مثل ذلك . ولكل فيه مواكاة حسنة ، ومشاركة جميلة ، ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة ، فان لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم ، والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه ، ومهما تقدم مما قد علمتموه فقد جعلته دبر أذني ، وإن لم تجدوني أقوم بحتكم كله فارضوا مني ببعضه ، فانها بقاينة قلوبها ، وإن السيل إذا جاء يبري ، وإن قل أغني ، وإياكم والفتنة فلا تهموا بها ، فانها تفسد المعيشة ، وتمكدر النعمة ، وتورث الاستيصال ، أستغفر الله لي ولكم ، أستغفر الله . ثم نزل . - قال أهل اللغة : القابضة البيضاء ، والقبوب الفرخ ، قابت البيضة تقوب إذا انفلقت عن الفرخ . -

والظاهر أن هذه الخطبة كانت عام حج في سنة أربع وأربعين ، أوفى سنة خمسين ، لافي عام الجماعة . وقال الليث : حدثني علوان بن صالح بن كيسان أن معاوية قدم المدينة أول حجة حجها بعد اجتماع الناس عليه ، فليقيه الحسن والحسين ورجال من قريش ، فتوجه إلى دار عثمان بن عفان ، فلما دنا إلى باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان ونذبت أبها ، فقال معاوية لمن معه : انصرفوا إلى منازلكم فان لي حاجة في هذه الدار ، فانصرفوا ودخل فسكن عائشة بنت عثمان ، وأمرها بالكف وقال لها : يا بنت أخي إن الناس أعطونا سلطاناً فأظهرنا لهم حملاً تحت غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، فبعناهم هذا بهذا ، وباعونا هذا بهذا ، فان أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحوا علينا بحقنا وغمطناهم بحقهم ، ومع كل إنسان منهم شيعته ، وهو يرى مكان شيعته ، فان نكثناهم نكثوا بنا ، ثم لا ندري أتمكون

لنا الدائرة أم علينا ؟ وأن تكوني ابنة عثمان أمير المؤمنين أحب إلى أن تكوني أمة من إماء المسلمين ، ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك . وقد روى ابن عدى من طريق علي بن زيد وهو ضعيف عن أبي نضرة عن أبي سعيد ، ومن حديث مجالد وهو ضعيف أيضاً عن أبي الوداك عن أبي سعيد . أن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » . وأسنده أيضاً من طريق الحكم بن ظهير - وهو متروك - عن عاصم عن زر عن ابن مسعود مرفوعاً . وهذا الحديث كذب بلا شك ، ولو كان صحيحاً لبادر الصحابة إلى فعل ذلك ، لأنهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم . وأرسله عمرو بن عبيد عن الحسن البصري ، قال أيوب : وهو كذب ورواه الخطيب البغدادي بإسناد مجهول عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً : « إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه ^(١) » فانه أمين مأمون .

وقد قال أبو زرعة الدمشقي عن دحيم عن الوليد عن الأوزاعي قال : أدركت خلافة معاوية عدة من الصحابة منهم أسامة وسعد وجابر وابن عمر وزيد بن ثابت وسلمة بن مخطد وأبو سعيد ورافع بن خديج وأبو أمامة وأنس بن مالك ، ورجال أكثر وأطيب ممن سمينا بأضعاف مضاعفة ، كانوا مصابيح الهدى ، وأوعية العلم ، حضروا من الكتاب تنزيله ، ومن الدين جديده ، وعرفوا من الإسلام ما لم يعرفه غيرهم ، وأخذوا عن رسول الله ﷺ تأويل القرآن . ومن التابعين لهم بإحسان ما شاء الله ، منهم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وسعيد بن المسيب ، وعبد الله بن محيرز ، وفي أشباه لهم لم ينزعوا يدا من جماعة في أمة محمد ﷺ .

وقال أبو زرعة عن دحيم عن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز . قال : لما قتل عثمان لم يكن للناس غازية تغزو ، حتى كان عام الجماعة فأغزا معاوية أرض الروم ست عشرة غزوة ، تذهب سرية في الصيف ويشتوا بأرض الروم ، ثم تقفل وتقبها أخرى ، وكان في جملة من أغزى ابنه يزيد ومعه خلق من الصحابة ، فجاز بهم الخليج ، وقتلوا أهل القسطنطينية على بابها ، ثم قتل بهم راجعاً إلى الشام ، وكان آخر ما أوصى به معاوية أن قال : شد خناق الروم . وقال ابن وهب عن يونس عن الزهري قال : حج معاوية بالناس في أيام خلافته مرتين ، وكانت أيامه عشرين سنة إلا شهراً . وقال أبو بكر بن عياش : حج بالناس معاوية سنة أربع وأربعين ، وستة وخمسين . وقال غيره : سنة إحدى وخمسين فله أعلم . وقال الليث بن سعد : حدثنا بكير عن بشر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال : ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب - يعني معاوية - وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن ثنا المسور بن مخرمة أنه وفد على معاوية . قال :

(١) لعله فاقبلوه بدليل قوله في سياق الكلام : فانه أمين مأمون ، ولا يظعن في الحديث

ويصح المعنى والله أعلم .

فلما دخلت عليه - حسبت أنه قال سألت عليه - فقال : ما فعل طمئنتك على الأئمة يا مسور ؟ قال : قلت : أرفضنا من هذا وأحسن فيما قد سئله ، فقال : لتكافئ بذات نفسك ، قال : فلم أدع شيئاً أعيبه عليه إلا أخبرته به ، فقال : لا تبرأ من الذنوب ، فهل لك من ذنوب تخاف أن تهلكك إن لم يغفرها الله لك ؟ قال : قلت : نعم ! إن لي ذنوباً إن لم تغفرها هلكت بسببها ، قال : فما الذي يجعلك أحق بأن ترجو أنت المغفرة مني ، فوالله لما إلى من إصلاح الرعايا وإقامة الحدود والإصلاح بين الناس والجهاد في سبيل الله والأموال العظام التي لا يحصيها إلا الله ولا تحصى أكره ما تذكر من العيوب والذنوب ، وإني لعل دين يقبل الله فيه الحسنات ويمحو عن السيئات ، والله على ذلك ما كنت لأخبر بين الله وغيره إلا اخترت الله على غيره مما سواه ، قال : ففكرت حين قال لي ما قال فعرفت أنه قد خصمني . قال : فكان المسور إذا ذكره بعد ذلك دعا له بخير . وقد رواه شعيب عن الزهري عن عروة عن المسور بنحوه .

وقال ابن دريد عن أبي حاتم عن العنبي قال قال معاوية : يا أيها الناس ! ما أنا بخيركم وإن منكم من هو خير مني ، عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وغيرهما من الأفاضل ، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولأية ، وأنسلكم في عدوكم ، وأدركم حلباً . وقد رواه أصحاب محمد عن ابن سعد عن محمد بن مصعب عن أبي بكر بن أبي مريم عن ثابت مولى معاوية أنه سمع معاوية يقول نحو ذلك . وقال هشام بن عمار خطيب دمشق : حدثنا عمرو بن واقد ثنا يونس بن حبيب قال سمعت معاوية على منبر دمشق يوم الجمعة يقول : أيها الناس اعقلوا قولي ، فلن تجدوا أعلم بأمور الدنيا والآخرة مني ، أقيموا وجوهكم وصفوفكم في الصلاة ، أو ليخالفن الله بين قلوبكم ، خذوا على أيدي سفهائكم أو ليسلطن الله عليكم عدوكم فليسوهم منكم سوء العذاب . تصدقوا ولا تقولن الرجل إني مقل ، فإن صدقة المقل أفضل من صدقة الغني ، إياكم وقذف الحصنات ، وأن يقول الرجل : سمعت وبلغني ، فلو قذف أحدكم امرأة على عهد نوح لستل عنها يوم القيامة . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا يزيد ابن طهمان الرقائشي ثنا محمد بن سيرين . قال : كان معاوية إذا حدث عن رسول الله ﷺ لم يتهم . ورواه أبو القاسم البغوي عن سويد بن سعيد عن همام بن إسماعيل عن أبي قبيل . قال : كان معاوية يبعث رجلاً يقال له أبو الجليش في كل يوم فيدور على المجالس يسأل هل ولد لأحد مولود ؟ أو قدم أحد من الوفود ؟ فإذا أخبر بذلك أثبت في الديوان - يعني ليحجرى عليه الرزق - وقال غيره : كان معاوية متواضعاً ليس له مجالد إلا كجالد الصبيان التي يسمونها الحاريق فيضرب بها الناس . وقال هشام بن عمار عن عمرو بن واقد عن يونس بن يسيرة بن حبيب . قال : رأيت معاوية في سوق دمشق وهو مردف وراءه وصفياء عليه قبض مرقوع الجيب ، وهو يسير في أسواق دمشق ، وقال

الأعشى عن مجاهد ، إنه قال : لو رأيتم معاوية فقلتم هذا المهدي . وقال هشيم عن العوام عن جبلة ابن سحيم عن ابن عمر و . قال : ما رأيته أحداً أسود من معاوية ، قال قلت : ولا عمر ؟ قال : كان عمر خيراً منه ، وكان معاوية أسود منه . ورواه أبو سفيان الخيري عن العوام بن حوشب به . وقال : ما رأيته أحداً بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية ، قيل ولا أبو بكر ؟ قال : كان أبو بكر وعمر وعثمان خيراً منه ، وهو أسود . وروى من طرق عن ابن عمر مثله . وقال عبد الرزاق : عن معمر عن همام سمعت ابن عباس يقول : ما رأيته رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية ، وقال حنبل بن إسحاق : حدثنا أبو نعيم حدثنا ابن أبي عتيبة عن شيخ من أهل المدينة قال قال معاوية . أنا أول الملوك ، وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا هارون بن مرفوف حدثنا حمزة عن ابن شوذب قال : كان معاوية يقول أنا أول الملوك وآخر خليفة ، قلت : والسنة أن يقال لمعاوية ملك ، ولا يقال له خليفة لحديث « سفينة الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً » .

وقال عبد الملك بن مروان يوماً وذكر معاوية فقال : ما رأيته مثله في حلمه واحتماله وكرمه . وقال قبيصة بن جابر : ما رأيته أحداً أعظم حملاً ولا أكثر سوداً ولا أبعد أناة ولا ألين مخرجاً ، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية . وقال بعضهم : أسمع رجل معاوية كلاماً سيئاً شديداً ، فقيل له لو سطوت عليه ؟ فقال : إني لأستحي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيته . وفي رواية قال له رجل : يا أمير المؤمنين ما أحلمك ؟ فقال : إني لأستحي أن يكون جرم أحد أعظم من حلمي . وقال الأصمعي عن الثوري : قال قال معاوية : إني لأستحي أن يكون ذنب أعظم من عفوي ، أو جهل أكبر من حلمي ، أو تكون عورة لا أوارئها بستري . وقال الشعبي والأصمعي عن أبيه قالا : جرى بين رجل يقال له أبو الجهم وبين معاوية كلام فتكلم أبو الجهم بكلام فيه غمراً لمعاوية ، فأطرق معاوية . ثم رفع رأسه فقال : يا أبا الجهم إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبيان ، ويأخذ أخذ الأسد ، وإن قليله يغلب كثير الناس . ثم أمر معاوية لأبي الجهم بمال فقال : أبو الجهم في ذلك يمدح معاوية .

نمى على جوانبه كأننا * نمى إذا نمى على أبنينا
نقلبه لنخبر حاله * فنخبر منها كرمنا ولينا

وقال الأعشى : طاف الحسن بن علي مع معاوية فكان معاوية يمشي بين يديه ، فقال الحسن : ما أشبه أليتيه بأليتي هند ؟ فالتفت إليه معاوية فقال : أما إن ذلك كان يعجب أبا سفيان . وقال ابن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم لمعاوية : إن فلاناً يشتمني ، فقال له : طأطأ لها فتمر فتجاوزك . وقال ابن الأعرابي : قال رجل لمعاوية : ما رأيته أندل منك ، فقال معاوية : بلى من واجه الرجال بمثل

هذا . وقال أبو عمرو بن العلاء قال معاوية : ما يسرني بذل الكرم حمر النعم . وقال : ما يسرني بذل الحلم عز النصر . وقال بعضهم : قال معاوية : يا بني أمية فارقوا قر يشا بالحلم ، فوالله لقد كنت ألقى الرجل في الجاهلية فيوسعني شتما وأوسعهم حلماً ، فأرجع وهو لي صديق ، إن استنجدته أنجذني ، وأنور به فينور معي ، وما وضع الحلم عن شريف شرفه ، ولا زاده إلا كرمًا وقال : آفة الحلم الذل . وقال : لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته ، ولا يبلغ الرجل ذلك إلا بقوة الحلم . وقال عبد الله بن الزبير : لله در ابن هند ، إن كنا لنفرقه وما الليث على برائته بأجرأ منه ، فيتفارق لنا ، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه فيتخادع لنا ، والله لو ددت أنا منعنا به مادام في هذا الجبل حجر . وأشار إلى أبي قبيس . وقال رجل لمعاوية : من أسود الناس ؟ فقال : أسخاهم نفسا حين يسأل ، وأحسنهم في المجالس خلقاً ، وأحلمهم حين يستجمل . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان معاوية يتمثل بهذه الأبيات كثيراً

فما قتل السفاهة مثل حلم * يعود به على الجهل الحليم
فلا تسفه وإن ملئت غيظاً * على أحد فان الفحش لوم
ولا تقطع أخاك عند ذنب * فان الذنب يغفره الكريم

[وقال القاضي الماوردي في الأحكام السلطانية : وحكى أن معاوية أتى بملصوص فقطعهم حتى بقي واحد من بينهم ، فقال :

يمنى أمير المؤمنين أعينها * بعفوك أن تلقى مكانا يشينها
يدى كانت الحسناء لو تم سترها * ولا تعدم الحسناء عيباً يشيها
فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة * إذا ماشى فارقها يمينها

فقال معاوية : كيف أصنع بك ؟ قد قطعنا أصحابك ؟ فقالت أم السارق : يا أمير المؤمنين اجعلها في ذنوبك التي تتوب منها . نفلى سبيلها ، فكان أول حد ترك في الإسلام [(١)] . وعن ابن عباس أنه قال : قد علمت بم غلب معاوية الناس ، كانوا إذا طاروا وقع ، وإذا وقع طاروا ، وقال غيره : كتب معاوية إلى نائبه زياد : إنه لا ينبغي أن يسوس الناس سياسة واحدة باللائن فيمرحوا ، ولا بالشدة فيحمل الناس على المهالك ، ولكن كن أنت لاشدة والفظاظة والغلظة ، وأنا للين والألفة والرحمة ، حتى إذا خاف خائف وجد باباً يدخل منه . وقال أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز . قال : قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار ، وما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه الناس . وقال هشام بن عروة عن أبيه . قال : بعث معاوية إلى أم المؤمنين عائشة بمائة ألف

ففرقتها من يومها فلم يبق منها درهم ، فقالت لها خادمتها : هلا أبقيت لنا درهماً نشتري به لحماً تفطري عليه ؟ فقالت : لو ذكرتيني لفعلت . وقال عطاء : بعث معاوية إلى عائشة وهي بمكة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته . وقال زيد بن الحبيب عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة . قال : قدم الحسن بن علي على معاوية فقال له : لأجيزك بجائزة لم يجزها أحد كان قبلي ، فأعطاه أربع مائة ألف . ووفد إليه مرة الحسن والحسين فأجازهما على الفور بمائتي ألف ، وقال لهما : ما أجاز بهما أحد قبلي ، فقال له الحسين : ولم تعط أحداً أفضل منا . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا يوسف بن موسى ثنا جرير عن مغيرة . قال : أرسل الحسن بن علي وعبد الله بن جعفر إلى معاوية يسألانه المال ، فبعث إليهما - أو إلى كل منهما - مائة ألف ، فبلغ ذلك علياً فقال لهما : ألا تستحيان ؟ رجل نطعن في عينه غدوةً وعشيةً تسألانه المال ؟ فقالا : بل حرمتنا أنت وجاد هولنا . وروى الأصمعي قال : وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية فقال للحسن : مرحباً وأهلاً بابن رسول الله ، وأمر له بثلاثمائة ألف ، وقال لابن الزبير : مرحباً وأهلاً بابن عمه رسول الله ، وأمر له بمائة ألف . وقال أبو مروان المرواني : بعث معاوية إلى الحسن بن علي بمائة ألف فقسمها على جلسائه ، وكانوا عشرة ، فأصاب كل واحد عشرة آلاف . وبعث إلى عبد الله بن جعفر بمائة ألف فاستوهبها منه امرأته فاطمة فأطلقها لها ، وبعث إلى مروان بن الحكم بمائة ألف فقسم منها خمسين ألفاً وخمسين ألفاً ، وبعث إلى ابن عمر بمائة ألف ففرق منها تسعين واستبقى عشرة آلاف . فقال معاوية : إنه لمقتصد يحب الاقتصاد . وبعث إلى عبد الله بن الزبير بمائة ألف فقال للرسول : لم جئت بها بالتهار ؟ هلا جئت بها بالليل ؟ ثم حبسها عنده ولم يعط منها أحداً شيئاً ، فقال معاوية : إنه نخب ضب ، كانك به قد رفع ذنبه وقطع حبله . وقال ابن دآب : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ، ويقضى له معها مائة حاجة ، فقدم عليه عاماً فأعطاه المال وقضى له الحاجات ، وبقيت منها واحدة ، فبينما هو عنده إذ قدم أصبغ بن سرجستان يطلب من معاوية أن يملكه على تلك البلاد ، ووعد من قضى له هذه الحاجة من ماله ألف ألف ، فطاف على رؤوس الأشراف والأمراء من أهل الشام وأمراء العراق ، ممن قدم مع الأخنف بن قيس ، فكلهم يقولون : عليك بعبد الله بن جعفر ، فقصداه الدهقان فكلهم فيه ابن جعفر معاوية فقضى حاجته تسكلة المائة حاجة ، وأمر السكائب فكتب له عهده ، وخرج به ابن جعفر إلى الدهقان فمسجد له وحمل إليه ألف ألف درهم ، فقال له ابن جعفر : اسجد لله واحمل مالك إلى منزلك ، فإننا أهل بيت لا نبيع المعروف بالثمن . فبلغ ذلك معاوية فقال : لأن يكون يزيد قاتلاً أحب إلي من خراج العراق ، أبت بنوهاشم إلا كرماً . وقال غيره : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ، فاجتمع عليه في بعض الأوقات دين خمسمائة ألف ، فألح عليه

غرماءه فاستنظرهم حتى يقدم على معاوية فيسأله أن يسلفه شيئاً من العطاء ، فركب إليه فقال له :
 ما أقدمك يا ابن جعفر ؟ فقال : دين ألح على غرماءه ، فقال : كم هو ؟ قال : خمسمائة ألف .
 فقضاها عنه وقال له : إن الألف ألف ستأتيتك في وقتها . وقال ابن سعيد : حدثنا موسى بن إسماعيل
 ثنا ابن هلال عن قتادة . قال قال معاوية : يا عجبا للحسن بن علي ! ! شرب شربة عسل يمانية بماء
 رومة فقطى نجبه ، ثم قال لابن عباس : لا يسؤك الله ولا يحزنك في الحسن بن علي ، فقال ابن عباس
 لمعاوية : لا يحزنني الله ولا يسوءني ما أبقى الله أمير المؤمنين . قال : فأعطاه ألف ألف درهم وعروضا
 وأشياء ، وقال : خذها فاقسمها في أهلك . وقال أبو الحسن المدايني عن سلمة بن محارب قال : قيل
 لمعاوية أيكم كن أشرف ، أنتم أو بنو هاشم ؟ قال : كنا أكثر أشرافاً وكانوا هم أشرف ، فيهم واحد لم
 يكن في بني عبد مناف مثل هاشم ، فلما هلك كنا أكثر عدداً وأكثر أشرافاً ، وكانت فيهم
 عبد المطلب لم يكن فينا مثله ، فلما مات صرنا أكثر عدداً وأكثر أشرافاً ، ولم يكن فيهم واحد
 كواحدنا ، فلم يكن إلا كقرار العين حتى قالوا : منا نبي ، فجاء نبي لم يسمع الأولون والآخرون بمثله ،
 محمد ﷺ ، فمن يدرك هذه الفضيلة وهذا الشرف ؟ . وروى ابن أبي خيثمة عن موسى بن إسماعيل
 عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمرو بن العاص قص
 على معاوية مناماً رأى فيه أبا بكر وعمر وعثمان وهم يحاسبون على ما وكّوه في أيامهم ، ورأى معاوية
 وهو موكل به رجلان يحاسبانه على ما عمل في أيامه ، فقال له معاوية : وما رأيت ثم دفنير مصر ؟ .
 وقال ابن دريد عن أبي حاتم عن العتي . قال : دخل عمرو على معاوية وقد ورد عليه كتاب فيه
 تمزيه له في بعض الصحابة ، فاسترجع معاوية فقال عمرو بن العاص : -

تموت الصالحون وأنت حي * تخطاك المنايا لا تموت

فقال له معاوية : -

أترجو أن أموت وأنت حي * فلست بميت حتى تموت

وقال ابن السكّ قال معاوية : كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فانه لا يرضيه إلا
 زوالها ، وقال الزهري عن عبد الملك عن أبي بكرة . قال قال معاوية : المروءة في أربع ، العفاف
 في الاسلام ، واستصلاح المال ، وحفظ الأخوان ، وحفظ الجار . وقال أبو بكر الهذلي : كان معاوية
 يقول الشعر فلما ولي الخلافة قال له أهله : قد بلغت الغاية فإذا تصنع بالشعر ؟ فارتاح يوماً فقال : -

صرمت سفاهتي وأرحت حلمي * وفي على تحملي اعتراضي

على أتى أجيب إذا دعيتني * إلى حاجتها الخدق المراض

وقال مغيرة عن الشعبي : أول من خطب جالساً معاوية حين كثر شحمه وعظم بطنه . وكذا

روى عن مغيرة عن إبراهيم أنه قال : أول من خطب جالساً يوم الجمعة معاوية . وقال أبو المليح عن
 ميمون : أول من جلس على المنبر معاوية واستأذن الناس في الجلوس . وقال قتادة عن سعيد بن
 المسيب : أول من أذن وأقام يوم الفطر والنحر معاوية . وقال أبو جعفر الباقر : كانت أبواب مكة
 لا أغلق لها ، وأول من اتخذ لها الأبواب معاوية . وقال أبو اليمان عن شعيب عن الزهري : مضت
 السنة أن لا يرث الكافر المسلم ، ولا المسلم الكافر ، وأول من ورث المسلم من الكافر معاوية ، وقضى
 بذلك بنو أمية بعده ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فراجع السنة ، وأعاد هشام ما قضى به معاوية
 وبنو أمية من بعده ، وبه قال الزهري ، ومضت السنة أن دية المعاهد كدية المسلم ، وكان معاوية
 أول من قصرها إلى النصف ، وأخذ النصف لنفسه . وقال ابن وهب عن مالك عن الزهري قال :
 سألت سعيد بن المسيب عن أصحاب رسول الله ﷺ فقال لي : اسمع يا زهري ، من مات محباً لأبي
 بكر وعمر وعثمان وعلي ، وشهد للعشرة بالجنة ، وترحم على معاوية ، كان حقاً على الله أن لا يناقشه
 الحساب . وقال سعيد بن يعقوب الطائفي : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : تراب في أنف
 معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز . وقال محمد بن يحيى بن سعيد : سئل ابن المبارك عن معاوية
 فقال : ما أقول في رجل قال رسول الله ﷺ : سمع الله لمن حمده ، فقال خلفه : ربنا ولك الحمد ،
 فقليل له : أيهما أفضل ؟ هو أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : لتراب في منخري معاوية مع رسول الله
 ﷺ خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز . وقال غيره عن ابن المبارك قال معاوية : عندنا محنة فمن
 رأيناه ينظر إليه شراً أتهمناه على القول - يعني الصحابة - وقال محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي
 وغيره : سئل العافى بن عمران أيهما أفضل ؟ معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فغضب وقال للسائل :
 أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين ؟ معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي
 الله . وقد قال رسول الله ﷺ : « دعوا لي أصحابي وأصحابي ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة
 والناس أجمعين » . وكذا قال الفضل بن عتيبة . وقال أبو توبة الربيع بن نافع الحلبى : معاوية ستر
 لأصحاب محمد ﷺ ، فإذا كشف الرجل السترا جثا على ما وراءه . وقال الميموني قال لي أحمد بن
 حنبل : يا أبا الحسن إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام . وقال الفضل
 ابن زياد : سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل تنقص معاوية وعمر بن العاص أيفال له رافضى ؟ فقال :
 إنه لم يجترأ عليهما إلا وله خبيثة سوء ، ما انتقص أحد أحداً من الصحابة إلا وله داخله سوء .
 وقال ابن المبارك عن محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة . قال : ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب
 إنساناً قط إلا إنساناً شتم معاوية ، فانه ضربه أسواطاً . وقال بعض السلف : بينما أنا على جبل بالشام
 إذ سمعت هاتفاً يقول : من أبغض الصديق فذاك زنديق ، ومن أبغض عمر فإلى جهنم ذمرا ، ومن

أبغض عثمان فذاك خصمه الرحمن ، ومن أبغض علياً فذاك خصمه النبي ، ومن أبغض معاوية سمعته الزبانية ، إلى جهنم الحامية ، يرجى به في الحامية الهاوية . وقال بعضهم : رأيت رسول الله ﷺ وعنده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية ، إذ جاء رجل فقال عمر : يا رسول الله هذا يتنقصنا ، فكأنه انتهره رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إني لا أتنقص هؤلاء ولكن هذا - يعني معاوية - فقال : « وبلك ! أو ليس هو من أصحابي ؟ قالوا ثلاثاً ، ثم أخذ رسول الله ﷺ حربة فناولها معاوية فقال : جابها ^(١) في لبتة » فضربه بها وانقهرت فبكرت إلى منزلي فإذا ذلك الرجل قد أصابته الذبحة من الليل ومات ، وهو راشد الكندي . وروى ابن عساکر عن الفضيل بن عياض أنه كان يقول : معاوية من الصحابة ، من العلماء الكبار ، ولكن ابتلى بحب الدنيا . وقال العتبي : قيل لمعاوية أسرع إليك الشيب ؟ فقال : كيف لا ولا أزال أرى رجلاً من العرب قائماً على رأسي يلقح لي كلاماً يلزمني جوابه ، فإن أصبت لم أحمد ، وإن أخطأت سارت بها البرود . وقال الشعبي وغيره : أصابت معاوية في آخر عمره لوفة [وروى ابن عساکر في ترجمة خديج الخصى مولى معاوية قال : اشترى معاوية جارية بيضاء جميلة فأدخلها عليه مجردة ، وبيده قضيب ، فجعل يهوى به إلى متاعها - يعني فرجها - ويقول : هذا المتاع لو كان لي متاع ، اذهب بها إلى يزيد بن معاوية ، ثم قال : لا ! ادع لي ربيعة بن عمرو الجرشي - وكان فقيراً - فلما دخل عليه قال : إن هذه أتيت بها مجردة فرأيت منها ذاك وذاك ، وإني أردت أن أبعث بها إلى يزيد ، قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ! فانها لا تصلح له ، فقال : نعم ما رأيت ، قال : ثم وهبها لعبد الله بن مسعدة الفزاري مولى فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وكان أسود فقال له : بيض بها ولدك ، وهذا من فقه معاوية وتحريه ، حيث كان نظر إليها بشهوة ، ولكنه استضعف نفسه عنها ، فتخرج أن يهبها من ولده يزيد لقوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء) وقد وافقه على ذلك الفقيه ربيعة بن عمرو الجرشي الدمشقي ^(٢)]

[و ذكر ابن جرير أن عمرو بن العاص قدم في وفد أهل مصر إلى معاوية ، فقال لهم في الطريق : إذا دخلتم على معاوية فلا تسلموا عليه بالخلافة فانه لا يحب ذلك ، فلما دخل عليه عمرو وقبلهم ، قال معاوية لحاجبه : أدخلهم ، وأوعز إليه أن يخوفهم في الدخول ويرعبهم ، وقال : إني لأظن عمراً قد تقدم إليهم في شيء ؟ . فلما أدخلوهم عليه - وقد أهانهم - جعل أحدهم إذا دخل يقول : السلام عليك يا رسول الله ، فلما نهض عمرو من عنده قال : قبحكم الله ! نهيتكم عن أن تسلموا عليه بالخلافة فسلمتم عليه بالنبوة .

وذكر أن رجلاً سأل من معاوية أن يساعده في بناء داره باثني عشر ألف جندع من الخشب .

(١) كذلك بالأصلين وصوابه : جؤ لأنه أمر من باب قال . ^(٢) سقط من المصرية

فقال له معاوية : أين دارك ؟ قال : بالبصرة ، قال : ومك اتساعها ؟ قال : فرسخان في فرسخين ، قال : لا تقبل داري بالبصرة ، ولكن قل : البصرة في داري . وذكر أن رجلاً دخل بابن معه فجلسا على سباط معاوية فجعل ولده يأكل أكلًا ذريعاً ، فجعل معاوية يلاحظه ، وجعل أبوه يريد أن ينهاه عن ذلك فلا يفتن ، فلما خرجا لأمه أبوه وقطعه عن الدخول ، فقال له معاوية : أين ابنتك التلقامة ؟ قال : اشتكى . قال : قد علمت أن أكله سيورثه داء . قال : ونظر معاوية إلى رجل وقف بين يديه يخاطبه وعليه عباءة فجعل يزدريه ، فقال : يا أمير المؤمنين إنك لا تخاطب العباءة ، إنما يخاطبك من بها . وقال معاوية : أفضل الناس من إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا غضب كظم ، وإذا قدر غفر ، وإذا وعد أنجز ، وإذا أساء استغفر . وكتب رجل من أهل المدينة إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : إذا الرجال ولدت أولادها ، واضطربت من كبر أعضادها وجعلت أسقامها تعادها ، فهي زروع قد دنا حصادها . فقال معاوية : نعي إلى نفسي ^(١)

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني هارون بن سفيان عن عبد الله السهمي حدثني ثمامة بن كلثوم أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس ! إن من زرع قد استحصد ، وإنى قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدى خير مني ، وإنما يليكم من هو شر مني ، كما كان من وليكم قبلي خيراً مني ، ويا يزيد إذا دنا أجلي فول غسلي رجلاً لبيباً ، فإن اللبيب من الله بمكان ، فلينعن الغسل وليجهر بالتكبير ، ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره ، فاستودع القراضة أنفي وفي ، وأذني وعيني ، واجعل ذلك الثوب مما يلي جلدي دون لفافي ، ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين ، فإذا أدرجتموني في جريدتي ووضعتوني في حفرتي نخلوا معاوية وأرحم الراحمين . وقال بعضهم : لما احتضر معاوية جعل يقول : -

لعمري لقد عمرت في الدهر برهة * ودانت لي الدنيا بوقع البواتر
وأعطيت حمر المال والحكم والنهي * ولي سلمت كل الملوك الجبابر
فأضحى الذي قد كان مما يسرني * كحكم مضى في المزمينات الغوابر
فيا ليتني لم أعن في الملك ساعة * ولم أسع في لذات عيش نواضر
وكنت كندى طمرين عاش ببلغة * فلم يك حتى زار ضيق المقابر

وقال محمد بن سعد . أنبأنا علي بن محمد عن محمد بن الحكم عن حدثه أن معاوية لما احتضر أوصى بنصف ماله أن يرد إلى بيت المال - كأنه أراد أن يطيب له - لأن عمر بن الخطاب قاسم عماله . وذكروا أنه في آخر عمره اشتد به البرد فكان إذا لبس أو تغطى بشيء ثقیل يغمه ، فاتخذ له

(١) سقط من نسخة طوب قيو بالأسطوانة .

ثوباً من حواصل الطير ، ثم ثقل عليه بعد ذلك ، فقال : تبا لك من دار ، ملكتك أربعين سنة ،
عشرين أميراً ، وعشرين خليفة ، ثم هذا حالى فيك ، ومصيرى منك ، تباً للعالمين ولجميعها . وقال
محمد بن سعد : أنبأنا أبو عبيدة عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير . قال : لما ثقل معاوية
وتحدث الناس بموته قال لأهله : احشوا عيني إماماً ، وأوسعوا رأسي دهنًا ، ففعلوا وغرقوا وجهه
بالدهن ، ثم مهد له مجلس وقال : اسندني ، ثم قال : إيدنوا للناس فليسوا على قيام ولا يجلس
أحد ، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائماً فيراه مكتحلاً متدهناً فيقول متقول الناس إن أمير المؤمنين
لما به وهو أصبح الناس ، فلما خرجوا من عنده قال معاوية في ذلك : -

وتجلى للشاميين أريهم * أنى لرب الدهر لا أتضع
وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميم لا تنفع

قال : وكان به النقاية - يعنى لوقه - فمات من يومه ذلك رحمه الله . وقال موسى بن عقبة : لما نزل
معاوية الموت قال : ياليتنى كنت رجلاً من قریش بنى طوى ، ولم أَل من هذا الأمر شيئاً . وقال
أبو السائب الخزومي : لما حضرت معاوية الوفاة تمثل بقول الشاعر : -

إن تناقش يكن نقاشك يارب * عذاباً لا طوق لى بالعذاب
أو تجاوز تجاوز العفو واصفح * عن مسىء ذنوبه كالتراب

وقال بعضهم : لما احتضر معاوية جعل أهله يلقبونه فقال لهم : أى شيخ تلقبون ؟ إن نجاه الله من
عذاب النار غداً .

وقال محمد بن سيرين : جعل معاوية لما احتضر يضع خدّاً على الأرض ثم يقلب وجهه ويضع
الخد الآخر ويبكى ويقول : اللهم إني كنت في كتابك (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء) اللهم فاجعلنى فيمن تشاء أن تغفر له . وقال العتيبي عن أبيه : تمثل معاوية عند موته
بقول بعضهم وهو في السياق

هو الموت لا منجاة من الموت والذي * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال : اللهم أقل العثرة ، واعف عن الزلة ، وتجاوز بحملك عن جهل من لم يرج غيرك ، فانك
واسع المغفرة ، ليس لى خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك . ورواه ابن دريد عن أبي حاتم عن
أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء فذكر مثله ، وزاد : ثم مات . وقال غيره : أغنى عليه ثم أفاق
فقال لأهله : اتقوا الله فإن الله تعالى يقي من اتقاه ، ولا يقي من لا يتقى ، ثم مات رحمه الله . وقد
روى أبو حنيفة عن عبد الملك بن نوفل . قال : لما مات معاوية صعد الضحاح بن قيس المنبر فخطب
الناس - وأكفان معاوية على يديه - فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن معاوية الذى كان سور

السرب وعونهم وجدهم ، قطع الله به الفتنة ، ومملكه على العباد ، وفتح به البلاد ، ألا إنه قد مات وهذه
أكفانه ، فتعجن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين عمله ، ثم هول البر زخ إلى يوم القيامة ،
فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضر عند الأولى . ثم نزل وبعث البريد إلى يزيد بن معاوية
يعلمه ويستحبه على المحي .

ولا خلاف أنه توفي بدمشق في رجب سنة ستين . فقال جماعة : ليلة الخميس لانسف من رجب
سنة ستين ، وقيل ليلة الخميس لثمان بقمين من رجب سنة ستين . قاله ابن إسحاق وغير واحد ، وقيل
لأربع خلت من رجب ، قاله الليث . وقال سعد بن إبراهيم لمسهل رجب ، قال محمد بن إسحاق
والشافعي : صلى عليه ابنه يزيد ، وقد ورد من غير وجه أنه أوصى إليه أن يكفن في ثوب رسول الله
ﷺ الذي كساه إياه ، وكان مدخرا عنده لهذا اليوم ، وأن يجعل ما عنده من شعره وقلامه أظفاره
في فيه وأنفه وعينه وأذنيه . وقال آخرون : بل كان ابنه يزيد غائبا فصلى عليه الضحاك بن قيس بعد
صلاة الظهر بمسجد دمشق ، ثم دفن فقبيل بدار الامارة وهي الخضراء ، وقيل بمقابر باب الصغير ،
وعليه الجمهور والله أعلم . وكان عمره إذ ذاك ثمانيا وسبعين سنة ، وقيل جاوز الثمانين وهو الأشهر
والله أعلم . ثم ركب الضحاك بن قيس في جيش وخرج ليلقي يزيد بن معاوية . وكانت يزيد
بحوارين . فلما وصلوا إلى ثنية العقاب تلقتهم أثقال يزيد ، وإذا يزيد راكب على بخفي وعليه الحزن
ظاهر ، فسلم عليه الناس بالامارة وعزوه في أبيه ، وهو يخفض صوته في رده عليهم ، والناس صامتون
لا يتكلم معه إلا الضحاك بن قيس ، فانهى إلى باب توما ، فظن الناس أنه يدخل منه إلى المدينة ،
فأجازه مع السور حتى انتهى إلى الباب الشرقي ، فقبيل : يدخل منه لأنه باب خالد ، فجازه حتى أتى
الباب الصغير فعرف الناس أنه قاصد قبر أبيه ، فلما وصل إلى باب الصغير ترجل عند القبر ثم دخل
فصلى على أبيه بعد ما دفن ثم القتل ، فلما خرج من المقبرة أتى براكب الخلافة فركب .

ثم دخل البلد وأمر فنودي في الناس إن الصلاة جامعة ، ودخل الخضراء فاغتسل ولبس ثيابا
حسنة ثم خرج فخطب الناس أول خطبة خطبها وهو أمير المؤمنين ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه :
أيها الناس ! إن معاوية كان عبدا من عبيد الله ، أنعم الله عليه ثم قبضه إليه ، وهو خير ممن بعده
ودون من قبله ، ولا أزكيه على الله عز وجل فانه أعلم به ، إن عفى عنه فبرحمته ، وإن عاقبه فبذنبه ،
وقد وليت الأمر من بعده ، ولست آسى على طالب ، ولا أعتذر من تقريط ، وإذا أراد الله شيئا
كان . وقال لهم في خطبته هذه : وإن معاوية كان يغزيكم في البحر ، وإنى لست حاملا أحدا من
المسلمين في البحر ، وإن معاوية كان يشتكم بأرض الروم ولست مشتيا أحدا بأرض الروم ، وإن
معاوية كان يخرج لكم العطاء أثلاثا وأنا أجمعه لكم كله . قال : فافترق الناس عنه وهم لا يفضلون

عليه أحداً . وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول : بعث معاوية وهو مريض إلى ابنه يزيد ، فلما جاءه البريد ركب وهو يقول : —

جاء البريد بقرطاس يحب به * فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا في صحيفتك * قال الخليفة أمسى مثقلا وجعا
فمادت الأرض أو كادت تميد بنا * كأن أغبر من أركانها انقلما
ثم انبعثنا إلى خوص مضمرة * نرمى الفجاج بها ما نأتلى سرعا
فما نبالي إذا بلبغ أرجلنا * ما مات منهم بالمرمات أو طلعا
لما انتهينا وباب الدار منصفق * بصوت رملة ريع القلب فأنصدعا
من لا نزل نفسه توفي على شرف * توشك مقاليد تلك النفس أن تقع
أودى ابن هند وأودى المجديتبعه * كأنا جميعاً خليطاً سالمين معا
أغر أبلج يستسقى الغمام به * لو قارع الناس عن أحلامهم قرعا
لا يرقع الناس ما أوهى وإن جهدوا * أن يرقعوه ولا يوهون ما رقعا

وقال الشافعي : سرق يزيد هذين البيتين من الأعشى ، ثم ذكر أنه دخل قبل موت أبيه دمشق وأنه أوصى إليه ، وهذا قد قاله ابن إسحاق وغير واحد ، ولكن الجمهور على أن يزيد لم يدخل دمشق إلا بعد موت أبيه ، وأنه صلى على قبره بالناس كما قدمناه والله أعلم . وقال أبو الورد الغنبري برئ معاوية رضي الله عنه : —

ألا أنعى معاوية بن حرب * نعمة الحل للشهر الحرام
نعاه الناعميات بكل فج * خواضع في الأزمة كالسهام
فها تيك النجوم وهن خرس * ينحن على معاوية الهمام
وقال أيمن بن خريم يرثيه أيضا : —

رمى الحدنان نسوة آل حرب * بمقدار سممن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا
فانك لو شهدت بكاء هند * ورملة إذ يصفقن الحدودا
بكيت بكاء معولة قريح * أصاب الدهر واحداها الفريدا

✽ ذكر من تزوج من النساء ومن ولده من الأولاد الذكور والاناث ✽

كان له عبد الرحمن وبه كان يكنى ، وعبد الله ، وكان ضعيف العقل ، وأمهما فاختة بنت قرظة ابن عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، وقد تزوج بأختها منفردة عنها بعدها ، وهي كنوة بنت قرظة وهي

التي كانت معه حين افتتح قبرص ، وتزوج نائلة بنت عمارة الكلبيّة فأعجبته وقال ليسون بنت
بجدل : ادخلي فانظري إلى ابنة عمك ، فدخلت فساأها عنها فقالت : إنها لكاملة الجمال ، ولكن
رأيت تحت سرتها خلا ، وإني لأرى هذه يقتل زوجها ويضع رأسه في حجرها . فطلقها معاوية
فتزوجها بعده حبيب بن سلمة الفهري ، ثم خلف عليها بعده النعمان بن بشير فقتل ووضع رأسه في
حجرها . ومن أشهر أولاده يزيد وأمه ميسون بنت بجدل بن أنيف بن دجلة بن قنافة الكلبي ، وهي
التي دخلت على نائلة فأخبرت معاوية عنها بما أخبرته ، وكانت حازمة عظيمة الشأن جمالا ورياسة
وعقلا ودينا ، دخل عليها معاوية يوما ودعه خادم خصي فاستترت منه وقالت : ما هذا الرجل معك ؟
فقال : إنه خصي فاظهري عليه ، فقالت : ما كانت المثلة لتحل له ما حرم الله عليه ، وحجبتة عنها .
وفي رواية أنها قالت له : إن مجرد مثلتك له أن تحل ما حرمه الله عليه ، فلهذا أولى الله ابنها يزيد
الخلافة بعده أبيه . وذكر ابن جرير أن ميسون هذه ولدت لمعاوية بنتا أخرى يقال لها : أمة رب
المشارق ، ماتت صغيرة ، وورثة تزوجها عمرو بن عثمان بن عفان ، كانت دارها بدمشق عند عقبة
السكك تجاه زقاق الرمان ، قاله ابن عسّاكر قال : ولها طاحون معروفة إلى الآن ، وهند بنت معاوية
تزوجها عبد الله بن عامر ، فلما أدخلت عليه بالخضراء جوار الجامع أرادها على نفسها فتمنعت عليه
وأبت أشد الأباء ، فضربها فصرخت ، فلما سمع الجوّاري صوتها صرخن وعلت أصواتهن ، فسمع
معاوية فنهض إليهن فاستعلمهن ما الخبر ؟ فقلن : سمعنا صوت سيدتنا فصحننا ، فدخل فاذا بها تبكي
من ضربه ، فقال لابن عامر : ويحك ! مثل هذه تضرب في مثل هذه الليلة ؟ ثم قال له : اخرج من
ههنا ، فخرج ابن عامر وخلاها معاوية فقال لها : يا بنية إنه زوجك الذي أحله الله لك ، أو ما سمعت
قول الشاعر : -

من الخفّرات البيض أما حرامها * فصعب وأما حلها فذلّول ؟

ثم خرج معاوية من عندها وقال لزوجها : ادخل فقد مهدت لك خلقها ووطأتها . فدخل ابن عامر
فوجدتها قد طابت أخلاقها فقضى حاجته منها رحمهم الله تعالى .

فصل

[كان على قضاء معاوية أبو الدرداء بولاية عمر بن الخطاب ، فلما حضره الموت أشار على معاوية
بولاية فضالة بن عبيد ، ثم مات فضالة فولى أبا إدريس الخولاني . وكان على حرسه رجل من الموالي
يقال له المختار وقيل مالك ، ويكنى أبا المخارق - مولى الحير - وكان معاوية أول من اتخذ الحرس ،
وعلى حجابته سعد مولاة وعلى الشرطة قيس بن حمزة ، ثم زميل بن عمرو العنزي ، ثم الضحّاك بن

قيس الفهرى ، وكان صاحب أمره سرجون بن منصور الرومى . وكان معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم وختم الكتب [١].

فصل

ومن ذكر أنه توفى فى هذه السنة - أعنى سنة ستين - (صفوان بن المفضل) بن رخصة بن المؤمل ابن خزاعى أبو عمرو ، وأول مشاهده المريسيع ، وكان فى الساقية يومئذ ، وهو الذى رماه أهل الألفك بأسم المؤمنين فبرأه الله وإياها مما قالوا ، وكان من سادات المسلمين ، وكان ينام نوما شديداً حتى كان ربما طلعت عليه الشمس وهو نائم لا يستيقظ ، فقال له رسول الله ﷺ : « إذا استيقظت فصل » وقد قتل صفوان شهيداً .

عبد بن ثوب الخولاني من خولان ببلاد اليمن . دعاه الأسود العنسى إلى أن يشهد أنه رسول الله فقال له : أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال : لا أسمع ، أشهد أن محمداً رسول الله ، فأجج له ناراً وألقاه فيها فلم تضره ، وأنجاه الله منها فكان يشبه إبراهيم الخليل ، ثم هاجر فوجد رسول الله ﷺ قد مات ، فقدم على الصديق فأجلسه بينه وبين عمر وقال له عمر : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرى فى أمة محمد من فعل به كما فعل إبراهيم الخليل ، وقبله بين عينيهِ ، وكانت له أحوال ومكاشفات والله سبحانه أعلم . ويقال إنه توفى فيها النعمان بن بشير ، والأظهر أنه مات بعد ذلك كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

﴿ إمارة يزيد بن معاوية وما جرى فى أيامه من الحوادث والغتن ﴾

بويج له بالخلافة بعد أبيه فى رجب سنة ستين ، وكان مولده سنة ست وعشرين ، فكان يوم بويج ابن أربع وثلاثين سنة ، فأقر نواب أبيه على الأقاليم ، لم يعزل أحداً منهم ، وهذا من ذكائه . قال هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف لوط بن يحيى الكوفي الأخبارى : ولى يزيد فى هلال رجب سنة ستين ، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وأمير الكوفة النعمان بن بشير ، وأمير البصرة عبد الله بن زياد ، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص ، ولم يكن ليزيد همّة حين ولى إلا البيعة النفر الذين أتوا على معاوية البيعة ليزيد ، فكتب إلى نائب المدينة الوليد بن عتبة : « بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد فإن معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكّن له ، فعاش بقدر ومات بأجل ، فرحمه الله ، فقد عاش محموداً ومات برّاً تقياً والسلام .

وكتب إليه فى صحيفة كأنها أذن الفارة : أما بعد فخذُ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن

الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام . فلما أتاه نعى معاوية فظم به
وكبر عليه ، فبعث إلى مروان فقرأ عليه الكتاب واستشاره في أمر هؤلاء النفر ، فقال : أرى أن
تدعُوهم قبل أن يعلموا بموت معاوية إلى البيعة ، فان أبو ضربت أعناقهم . فأرسل من فوره عبد الله
ابن عمرو بن عثمان بن عفان إلى الحسين وابن الزبير - وهما في المسجد - فقال لهما : أجيبا الأمير ،
فقالا : انصرف الآن تأتيه ، فلما انصرف عنهما قال الحسين لابن الزبير : إني أرى طاغيتهم قد
هلك ، قال ابن الزبير : وأنا ما أظن غيره . قال : ثم نبض حسين فأخذ معه مواليه وجاء باب الأمير
فاستأذن فأذن له ، فدخل وحده ، وأجلس مواليه على الباب ، وقال : إن سمعتم أمراً يريكم فادخلوا ،
فسلم وجلس ومروان عنده ، فناوله الوليد بن عتبة الكتاب ونعى إليه معاوية ، فاسترجع وقال :
رحم الله معاوية ، وعظم لك الأجر ، فدعاه الأمير إلى البيعة فقال له الحسين : إن مثلي لا يبايع
سراً ، وما أراك تجتري مني بهذا ، ولكن إذا اجتمع الناس دعوتنا معهم فكان أمراً واحداً ، فقال
له الوليد - وكان يحب العافية - فانصرف على اسم الله حتى تأتينا في جماعة الناس . فقال مروان
للوليد : والله لئن فارقت ولم يبايع الساعة ليكثرن القتل بينكم وبينه ، فاحبسه ولا تخرجه حتى يبايع
وإلا ضربت عنقه ، فنبض الحسين وقال : يا ابن الزرقاء أنت تقتلني ؟ كذبت والله وأثمت . ثم
انصرف إلى داره ، فقال مروان للوليد : والله لا تراه بعدها أبداً . فقال الوليد : والله يا مروان
ما أحب أن لي الدنيا وما فيها وأنني قتلت الحسين ، سبحان الله ! أقفل حسينا أن قال لا يبايع ؟
والله إني لأظن أن من يقتل الحسين يكون خفيف الميزان يوم القيامة . وبعث الوليد إلى عبد الله بن
الزبير فامتنع عليه وما طله يوماً وليلة ، ثم إن ابن الزبير ركب في مواليه واستصحب معه أخاه جعفرا
وسار إلى مكة على طريق الفرع ، وبعث الوليد خلف ابن الزبير الرجال والفرسان فلم يقدروا على
رده ، وقد قال جعفر لأخيه عبد الله وهما سائران متمثلا بقول صبرة الحنظلي : -

وكل بني أم سيمسون ليلة * ولم يبق من أعقابهم غير واحد

فقال : سبحان الله ! ما أردت إلى هذا ؟ فقال : والله ما أردت به شيئا يسوءك ، فقال : إن كان
إنما جرى على لسانك فهو أكره إلى ، قالوا وتطير به . وأما الحسين بن علي فان الوليد تشاغل عنه
بابن الزبير وجعل كلما بعث إليه يقول حتى تنظر وتنظر ، ثم جمع أهله وبنيه وركب ليلة الأحد ليلة
بقينا من رجب من هذه السنة ، بعد خروج ابن الزبير بليلة ، ولم يتخلف عنه أحد من أهله سوى
محمد بن الحنفية ، فانه قال له : والله يا أخي لأنت أعز أهل الأرض علي ، وإني ناصح لك لا تدخلن
مصرأ من هذه الأمصار ، ولكن اسكن البوادي والرمال ، وابعث إلى الناس فاذا بايعوك واجتمعوا
عليك فادخل مصر ، وإن أبييت إلا سكني المصر فاذهب إلى مكة ، فان رأيت مانحاً وإلا ترفعت

إلى الرمال والجبال . فقال له : جزاك الله خيراً فقد نصحت وأشفقت ، وسار الحسين إلى مكة فاجتمع هو وابن الزبير بها ، وبعث الوليد إلى عبد الله بن عمر فقال : بايع يزيد ، فقال : إذا بايع الناس بايعت ، فقال رجل : إنما تريد أن تختلف الناس ويقتتلون حتى يتفانوا ، فإذا لم يبق غيرك بايعوك ؟ فقال ابن عمر : لا أحب شيئاً مما قلت ، ولكن إذا بايع الناس فلم يبق غيري بايعت ، وكانوا يتخوفونه . وقال الواقدي : لم يكن ابن عمر بالمدينة حين قدم نعي معاوية ، وإنما كان هو وابن عباس بمكة فلقتهما وهما مقبلان منها الحسين وابن الزبير ، فقال : ما وراءكما ؟ قالا : موت معاوية والبيعة ليزيد بن معاوية ، فقال لهما ابن عمر : اتقيا الله ولا تفرقا بين جماعة المسلمين ، وقدم ابن عمر وابن عباس إلى المدينة فلما جاءت البيعة من الأمصار بايع ابن عمر مع الناس ، وأما الحسين وابن الزبير فأنهما قدما مكة فوجدا بها عمرو بن سعيد بن العاص نخافاه وقالوا : إنا جئنا عواذاً بهذا البيت .

وفي هذه السنة في رمضان منها عزل يزيد بن معاوية الوليد بن عتبة عن إمرة المدينة لتفريطه ، وأضافها إلى عمرو بن سعيد بن العاص نائب مكة ، فقدم المدينة في رمضان ، وقيل في ذي القعدة ، وكان متألفاً متكبراً ، وسلط عمرو بن الزبير - وكان عنواً لأخيه عبد الله - على حربه وجرده له ، وجعل عمرو بن سعيد يبعث البعوث إلى مكة للحرب ابن الزبير . وقد ثبت في الصحيحين أن أبا شريح الخزاعي قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : إني نذرت لي أيها الأمير أن أحدثك حديثاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح ، سمعته أذنأى ووعاه قلبي حين تكلم به إنه حمد الله وأثنى عليه وقال : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، وإنه لم يحل القتال فيها لأحد كان قبلي ، ولم تحل لأحد بعدي ، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار ، ثم قد صارت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » . وفي رواية « فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم » فقيل لأبي شريح : ما قال لك ؟ فقال : قال لي نحن أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيد عاصياً ولا فاراً بدم ، ولا فاراً بخربة .

قال الواقدي : ولي عمرو بن سعيد شرطة المدينة عمرو بن الزبير فقتل أصحاب أخيه ومن يهوى هواه ، فضربهم ضرباً شديداً حتى ضرب من جملة من ضرب أخاه المنذر بن الزبير ، وأنه لا بد أن يأخذ أخاه عبد الله في جامعة من فضة حتى يقدم به على الخليفة ، فضرب المنذر بن الزبير ، وابنه محمد بن المنذر ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، وخبيب بن عبد الله بن الزبير ، ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم ، ضربهم من الأربعين إلى الخمسين إلى الستين جلدة ، وفر منه عبد الرحمن بن عثمان التيمي ، وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أناس من مكة . ثم جاء العزم من يزيد إلى عمرو بن سعيد في تطلب ابن الزبير ، وأنه لا يقبل منه وإن

بأبيع حتى يؤتى به إلى في جامعة^(١) من ذهب أو من فضة تحت برنسه ، فلا ترى إلا أنه يسمع صوتها ، وكان ابن الزبير قد منع الحارث بن خالد الخزوعي من أن يصلي بأهل مكة ، وكان نائب عمرو بن سعيد عليها ، فحينئذ صمم عمرو على تجهيز سرية إلى مكة بسبب ابن الزبير ، فاستشار عمرو بن سعيد عمرو ابن الزبير : من يصلح أن تبعثه إلى مكة لأجل قتاله ؟ فقال له عمرو بن الزبير : إنك لا تبعث إليه من هو أنكى له مني ، فعينه على تلك السرية وجعل على مقدمته أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعائة مقاتل . وقال الواقدي : إنما عينهما يزيد بن معاوية نفسه ، وبعث بذلك إلى عمرو بن سعيد ، فعمسك أنيس بالجرف وأشار مروان بن الحكم على عمرو بن سعيد أن لا يغزو مكة وأن يترك ابن الزبير بها ، فإنه عما قليل إن لم يقتل يمت ، فقال أخوه عمرو بن الزبير : والله لنغزونه ولو في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم . فقال مروان : والله إن ذلك ليسرني . فسار أنيس واتباعه عمرو بن الزبير في بقية الجيش - وكانوا ألفين - حتى نزل بالأبطح ، وقيل بداره عند الصفا ، ونزل أنيس بندي طوى ، فكان عمرو بن الزبير يصلي بالناس ، ويصلي وراءه أخوه عبد الله بن الزبير ، وأرسل عمرو إلى أخيه يقول له : برمين الخليفة ، وأته وفي عنقك جامعة من ذهب أو فضة ، ولا تدع الناس يضرب بعضهم بعضا ، واتفق الله فانك في بلد حرام . فأرسل عبد الله يقول لأخيه : موعذك المسجد . وبعث عبد الله ابن الزبير عبد الله بن صفوان بن أمية في سرية فاقتتلوا مع عمرو بن أنيس الأسلمي فهزموا أنيسا هزيمة قبيحة ، وتفرق عن عمرو بن الزبير أصحابه وهرب عمرو إلى دار ابن علقمة ، فأجاره أخوه عبدة بن الزبير ، فلامه أخوه عبد الله بن الزبير وقال : نجير من في عنقه حقوق الناس ؟ ثم ضربه بكل من ضربه بالمدينة إلا المنذر بن الزبير وابنه فانهما أبيا أن يستقيدا من عمرو ، وسجنه ومعه عارم ، فسمى سجن عارم ، وقد قيل إن عمرو بن الزبير مات تحت السياط والله أعلم .

﴿ قصة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وسبب خروجه بأهله ﴾

من مكة إلى العراق في طلب الامارة وكيفية مقتله رضي الله عنه

ولنبداً قبل ذلك بشئ من ترجمته ثم نتبع الجميع بذكر مناقبه وفضائله .

هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم أبو عبد الله القرشي الهاشمي ، السبط الشهيد بكر بلاء ابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء ، وريحانته من الدنيا ، ولد بعد أخيه الحسن ، وكان مولد الحسن في سنة ثلاث من الهجرة ، وقال بعضهم : إنما كان بينهما طهر واحد ومدة الحمل ، وولد الحسن ليال خلون من شعبان سنة أربع . وقال قتادة : ولد الحسين لست سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ ، وقتل يوم الجمعة يوم عاشوراء في الحرم سنة إحدى وستين ، وله

(١) الجامعة الغل بضم الغين . وهو ما يوضع في اليد أو العنق .

أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف ، رضى الله عنه . وروى عن النبي ﷺ أنه حنكه وتفل في فيه ودعا له وسماه حسيناً ، وقد كان سماه أبوه قبل ذلك حرباً ، وقيل جعفر ، وقيل : إنما سماه يوم سابعه وعق عنه . وقال جماعة عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني عن علي رضى الله عنه قال : الحسن أشبه رسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه به ما بين أسفل من ذلك ، وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك الحزامي . قال : كان وجه الحسن يشبه وجه رسول الله ﷺ ، وكان جسد الحسين يشبه جسد رسول الله ﷺ . وروى محمد بن سيرين وأخته حفصة ، عن أنس . قال : كنت عند ابن زياد فحس برأس الحسين فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول : ما رأيت مثل هذا حسناً ، فقلت له : إنه كان من أشبههم برسول الله ﷺ . وقال سفيان : قلت لعبيد الله بن أبي زياد : رأيت الحسين ؟ قال : نعم أسود الرأس واللحية إلا شعرات ههنا في مقدم لحيته ، فلا أدري أخضب وترك ذلك المكان تشبهاً برسول الله ﷺ ، أو لم يكن شاب منه غير ذلك ؟ وقال ابن جريج : سمعت عمر بن عطاء قال : رأيت الحسين بن علي يصبغ بالوشمة ، أما هو فكان ابن ستين سنة ، وكان رأسه ولحيته شديدي السواد ، فأما الحديث الذي روى من طريقين ضعيفين أن فاطمة سألت رسول الله ﷺ في مرض الموت أن يتحل ولديها شيئاً فقال : « أما الحسن فله هيبتي وسؤددى ، وأما الحسين فله جرأتى وجودى » فليس بصحيح ، ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب المعتبرة ، وقد أدرك الحسين من حياة النبي ﷺ خمس سنين أو نحوها ، وروى عنه أحاديث ، وقال مسلم بن الحجاج له رؤية من النبي ﷺ ، وقد روى صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال في الحسن بن علي : إنه تابعي ثقة ، وهذا غريب فلأن يقول في الحسين إنه تابعي بطريق الأولى .

وسند كرم ما كان رسول الله ﷺ يكرمهما به ، وما كان يظهر من محبتهم والحنو عليهما . والمقصود أن الحسين عاصر رسول الله ﷺ وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض ، ولكنه كان صغيراً . ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه ، وكذلك عمر وعثمان ، وصحب أباه وروى عنه ، وكان معه في مغازيه كلها ، في الجمل وصفين ، وكان معظماً موقراً ، ولم يزل في طاعة أبيه حتى قتل ، فلما آتت الخلافة إلى أخيه وأراد أن يصالح شق ذلك عليه ولم يسدد رأى أخيه في ذلك ، بل حثه على قتال أهل الشام ، فقال له أخوه : والله لقد هممت أن أسجنك في بيت وأطبق عليك بابه حتى أفرغ من هذا الشأن ثم أخرجك . فلما رأى الحسين ذلك سكت وسلم ، فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراماً زائداً ، ويقول لهما : مرحبا وأهلا ، ويعطيهما عطاء جزيلاً . وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف ، وقال : خذاها وأنا ابن هند ، والله

لا يعطيكها أحد قبلي ولا بعدى ، فقال الحسين : والله لن تعطى أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلاً أفضل منا . ولما توفي الحسن كان الحسين ينفذ إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه ، وقد كان في الجيش الذين غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد ، في سنة إحدى وخمسين . ولما أخذت البيعة ليزيد في حياة معاوية كان الحسين ممن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن عباس ، ثم مات ابن أبي بكر وهو مصمم على ذلك ، فلما مات معاوية سنة ستين وبويع ليزيد ، بايع ابن عمر وابن عباس ، وصمم على مخالفة الحسين وابن الزبير ، وخرجوا من المدينة فأتوا مكة فأقاموا بها ، فمكف الناس على الحسين ينفذون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حوله ، ويستمعون كلامه ، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد ، وأما ابن الزبير فإنه لزم مصلاه عند الكعبة ، وجعل يتردد في غيابة ذلك إلى الحسين في جملة الناس ، ولا يمكنه أن يتحرك بشيء مما في نفسه مع وجود الحسين ، لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إياه عليه ، غير أنه قد تعينت السرايا والبعوث إلى مكة بسببه ، ولكن أظفره الله بهم كما تقدم ذلك آنفاً ، فانقضت السرايا عن مكة فلولين وانتصر عبد الله بن الزبير على من أراد هلاكه من يزيديين ، وضرب أخاه عمراً وسجنه واقتص منه وأهانته ، وعظم شأن ابن الزبير عند ذلك ببلاد الحجاز ، واشتهر أمره وبعد صيته ، ومع هذا كله ليس هو معظماً عند الناس مثل الحسين ، بل الناس إنما ميلهم إلى الحسين لأنه السيد الكبير ، وابن بنت رسول الله ﷺ ، فليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساميه ولا يساويه ، ولكن الدولة الزيدية كانت كلها تناوئه .

وقد كثر ورود الكتب عليه من بلاد العراق يدعونه إليهم . وذلك حين بلغهم موت معاوية وولاية يزيد ، ومصير الحسين إلى مكة فراراً من بيعة يزيد . فكان أول من قدم عليه عبد الله بن سبيع الحمدي ، وعبد الله بن وال ، معهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية ، فقدموا على الحسين لعشر مضي من رمضان من هذه السنة ، ثم بعثوا بعدهما نفران منهم قيس بن مسهر الصدائي ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن النكوا الأرحبي ، وعمارة بن عبد الله الساولي ، ومعهم نحو من مائة وخمسين كتاباً إلى الحسين ، ثم بعثوا هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي ومعهما كتاب فيه الاستمجال في السير إليهم ، وكتب إليه شيث بن راعي ، وحجار بن أبيجر ، ويزيد بن الحارث ابن رويم ، وعمر بن حجاج الزبيدي ، ونجد بن عمر بن يحيى التميمي : أما بعد فقد اخضرت الجنان وأينعت الثمار ولطمت الحمام ، فاذا شئت فأقدم على جنسك لك مجندة والسلام عليك . فاجتمعت الرسل كلها بكتبها عند الحسين ، وجعلوا يستحسنونه ويستقدمونه عليهم لبيابهم عوضاً عن يزيد بن معاوية ، ويذكرون في كتبهم أنهم فرحوا بموت معاوية ، وينالون منه ويتكلمون في دولته ، وأنهم

لما يبايعوا أحداً إلى الآن ، وأنهم ينتظرون قدومك إليهم ليقدموك عليهم ، فعند ذلك بعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى العراق ، ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق ، فإن كان متحماً وأمرأ حازماً محكماً بعث إليه ليركب في أهله وذويه ، ويأتي الكوفة ليظفر بمن يماديه ، وكتب معه كتاباً إلى أهل العراق بذلك ، فلما سار مسلم من مكة اجتاز بالمدينة فأخذ منها دليلين فسارا به على برارى مهجورة المسالك ، فكان أحد الدليلين منهما أول هالك ، وذلك من شدة العطش ، وقد أضلوا الطريق فهلك الدليل الواحد ، وكان يقال له المضيق ، من بطن خبيت ، فتطير به مسلم بن عقيل ، فتلث مسلم على ما هنالك ومات الدليل الآخر فكتب إلى الحسين يستشير به أمره ، فكتب إليه يعزم عليه أن يدخل العراق ، وأن يجتمع بأهل الكوفة ليستعلم أمرهم ويستخبر خبرهم . فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له مسلم بن عوسجة الأسدي ، وقيل نزل في دار المختار ابن أبي عبيد الثقفي فأنه أعلم . فتسارع أهل الكوفة بقدومه فجاؤا إليه فبايعوه على إمرة الحسين ، وحلفوا له لينصره بأنفسهم وأموالهم ، فاجتمع على بيعته من أهلها اثنا عشر ألفاً ، ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفاً ، فكتب مسلم إلى الحسين ليقدّم عليها فقد تمهدت له البيعة والأموار ، فتجهز الحسين من مكة قاصداً الكوفة كما سنده . وانتشر خبرهم حتى بلغ أمير الكوفة النعمان بن بشير خبره رجل بذلك ، فجعل يضرب عن ذلك صفحاً ولا يعبا به ، ولكنه خطب الناس ونهاهم عن الاختلاف والفتنة ، وأمرهم بالائتلاف والسنة ، وقال : إني لا أقاتل من لا يقاتلني ، ولا أثب على من لا يثب على ، ولا آخذكم بالظنة ، ولكن والله الذي لا إله إلا هو إثنان فارقتم إمامكم ونكثتم بيعته لأقاتلكم مادام في يدي من سيفي قائمته . فقام إليه رجل يقال له عبد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي فقال له : إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالغشمة ، وإن الذي سلكته أيها الأمير مسلك المستضعفين . فقال له النعمان : لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلى من أن أكون من الأقوياء الأعززين في معصية الله . ثم نزل فكتب ذلك الرجل إلى يزيد يعلمه بذلك ، وكتب إلى يزيد عمارة ابن عتبة وعمر بن سعد بن أبي وقاص ، فبعث يزيد فعزل النعمان عن الكوفة وضمها إلى عبيد الله ابن زياد مع البصرة ، وذلك بإشارة سرجون مولى يزيد بن معاوية ، وكان يزيد يستشير به ، فقال سرجون : أكنت قابلاً من معاوية ما أشار به لو كان حياً ؟ قال : نعم ! قال : فاقبل مني فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد ، فوله إياها . وكان يزيد يبعض عبيد الله بن زياد ، وكان يريد أن يعزله عن البصرة ، فولاه البصرة والكوفة معاً لما يريد الله به وبغيره .

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد : إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل فان قدرت عليه فاقتله أو انفسه ، وبعث الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي ، فسار ابن زياد من البصرة إلى

الكوفة ، فلما دخلها دخلها متلبها بجماعة سوداء ، فجعل لا يمر ببلأ من الناس إلا قال : سلام عليكم . فيقولون : وعليكم السلام مرحباً بابن رسول الله . يظنون أنه الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه . وتكثر الناس عليه ، ودخلها في سبعة عشر ركباً ، فقال لهم مسلم بن عمرو من جهة يزيد : تأخروا ، هذا الأمير عبيد الله بن زياد ، فلما علموا ذلك علمهم كآبة وحزن شديد ، فتحقق عبيد الله الخبر ، ونزل قصر الأمارة من الكوفة ، فلما استقر أمره أرسل مولى أبي رهم . وقيل كان مولى له يقال له معقل . معه ثلاثة آلاف درهم في صورة قاصد من بلاد حمص ، وأنه إنما جاء لهذه البيعة ، فذهب ذلك المولى فلم يزل يتلطف ويستدل على الدار التي يبايعون بها مسلم بن عقيل حتى دخلها ، وهي دار هاني بن عروة التي تحول إليها من الدار الأولى ، فبايع وأدخلوه على مسلم بن عقيل فزعمهم أياماً حتى اطلع على جليلة أمرهم ، فدفع المال إلى أبي ثمامة العامري بأمر مسلم بن عقيل . وكان هو الذي يقبض ما يؤتى به من الأموال ويشتري السلاح . وكان من فرسان العرب ، فرجع ذلك المولى وأعلم عبيد الله بالدار وصاحبها ، وقد تحول مسلم بن عقيل إلى دار هاني بن حميد بن عروة المرادي ، ثم إلى دار شريك بن الأعور وكان من الأمراء الأكابر ، وبلغه أن عبيد الله يريد عيادته ، فبعث إلى هاني يقول له : ابعت مسلم بن عقيل حتى يكون في داري ليقتل عبيد الله إذا جاء يهودي ، فبعثه إليه فقال له شريك : بكن أنت في الخباء ، فإذا جلس عبيد الله فاني أطلب الماء وهي إشارتي إليك ، فأخرج فاقته ، فلما جاء عبيد الله جلس على فراش شريك وعنده هاني بن عروة ، وقام من بين يديه غلام يقال له مهران ، فتحدث عنده ساعة ثم قال شريك : اسقوني ، فتعجب مسلم عن قتله ، وخرجت جارية بكوز من ماء فوجدت مسلماً في الخباء فاستحييت ورجعت بالماء ثلاثاً ، ثم قال : اسقوني ولو كان فيه ذهاب نفسي أحملوني من الماء ؟ ففهم مهران الغدر فغمز مولاه فمض سريماً وخرج ، فقال شريك : أيها الأمير ، إني أريد أن أوصي إليك ، فقال : سأعود ! فخرج به مولاه فأركبه وطرده به . أي ساق به . وجعل يقول له مولاد : إن القوم أرادوا قتلك فقال : وبمك إني بهم لرفيق . فما بالهم ؟ وقال شريك لمسلم : مامنك أن تخرج فتقتله ؟ قال : حديث بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال « الإيمان ضد الفتك ، لا يفتك مؤمن » وكرهت أن أقتله في بيتك ، فقال : أما لو قتله لجلست في القصر لم يستعد منه أحد وليكفينك أمر البصرة ، ولو قتلت لقتلت ظالماً فاجراً ، ومات شريك بعد ثلاث . ولما انتهى ابن زياد إلى باب القصر وهو متلبهم ظنه النعمان بن بشير الحسين قد قدم ، فأغلق باب القصر وقال : ما أنا بمسلم إليك أمانتي ، فقال له عبيد الله : افتح لافتحته ، ففتح وهو يظنه الحسين ، فلما تحقق أنه عبيد الله أسقط في يده ، فدخل عبيد الله إلى قصر الأمارة وأمر منادياً فنادى : إن الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخرج إليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن

أمير المؤمنين قد ولاني أمركم ونفركم وفيأكم ، وأمرني بأنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم ، والاحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، والشدة على مريبكم وعاصيكم ، وإنما أنا ممثّل فيكم أمره ومنفذ عهده ، ثم نزل وأمر العرفاء أن يكتبوا من عندهم من الزورية وأهل الريب والخلاف والشقاق ، وأما عريف لم يطاعنا على ذلك صلب أو نفي وأسقطت عرافته من الديوان - وكان هانيّ أحد الأمراء الكبار - ولم يسلم على عبيد الله منذ قدم وتمارض ، فذكره عبيد الله وقال : ما بال هانيّ لم يأتني مع الأمراء ؟ فقالوا : أيها الأمير إنه يشتكي ، فقال : إنه بلغني أنه يجلس على باب داره . وزعم بعضهم أنه عادده قبل شريك بن الأعور ومسلم بن عقيل عنده ، وقد هموا بقتله فلم يمكنهم هانيّ لكونه في داره ، فجاء الأمراء إلى هانيّ بن عروة فلم يزالوا به حتى أدخلوه على عبيد الله بن زياد ، فالتفت عبيد الله إلى القاضي شريح فقال ممثلاً بقول الشاعر :

أريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليك من مراد

فلما سلم هانيّ على عبيد الله قال : يا هانيّ أين مسلم بن عقيل ؟ قال : لا أدري ، فقام ذلك المولى التيمي الذي دخل دار هانيّ في صورة قاصد من حصن قبايع في داره ودفع الدراهم بحضرة هانيّ إلى مسلم ، فقال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ! فلما رآه هانيّ قطع وأسقط في يده ، فقال : أصاح الله الأمير ، والله ما دعوته إلى منزلي ، ولكم جاء فطرح نفسه على ، فقال عبيد الله : فأتني به ، فقال : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ، فقال : أدنوه مني ، فأدنوه فصر به بحربة على وجهه فشججه على حاجبه وكسر أنفه ، وتناول هانيّ سيف شرطي ليسله فدفع عن ذلك ، وقال عبيد الله : قد أحل الله لي دمك ، لأنك حروري ، ثم أمر به فحبسه في جانب الدار وجاء قوما من بني مذحج مع عمرو بن الحجاج فوقفوا على باب القصر يظنون أنه قد قتل ، فسمع عبيد الله لهم جلبة ، فقال لشريح القاضي وهو عنده : اخرج إليهم فقل لهم : إن الأمير لم يحبسه إلا ليسأله عن مسلم بن عقيل ، فقال لهم : إن صاحبكم حي وقد ضربه سلطانتنا ضرباً لم يبالغ نفسه ، فانصرفوا ولا تحلوا بأنفسكم ولا بصاحبكم . فنفروا إلى منازلهم ، وسمع مسلم بن عقيل الخبر فركب ونادى بشعاره « يا منصور امت » وفاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ، وكان معه المختار بن أبي عبيد ، ومعه راية خضراء ، عبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء ، فرتبهم ميمنة وميسرة وسار هو في القباب إلى عبيد الله ، وهو يخطب الناس في أمر هانيّ ويحذرهم من الاختلاف ، وأشرف الناس وأمرأؤهم تحت منبره ، فبينما هو كذلك إذ جاءت النظارة يقولون : جاء مسلم بن عقيل ، فبادر عبيد الله فدخل القصر ومن معه وأغلقت عليهم الباب ، فلما انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك ، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر ، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف ، وتهديدوهم وتوعدوهم ،

وأخرج عبيد الله بعض الامراء وأمرهم أن يركبوا في السكوفة يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل ، ففعلوا ذلك ، فجعلت المرأة تجي إلى ابنها وأخيها وتقول له : ارجع إلى البيت ، الناس يكفونك ويقول الرجل لابنه وأخيه : كأنك غدا يجنود الشام قد أقبلت فماذا تصنع معهم ؟ فتخاذل الناس وقصروا وتصبروا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل حتى لم يبق إلا في خمسمائة نفس ، ثم تقالوا حتى بقي في ثلاثمائة ثم تقالوا حتى بقي معه ثلاثون رجلاً ، فصلى بهم المغرب وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة ، ثم انصرفوا عنه فبقى وحده ليس معه من يده على الطريق ، ولا من يؤانسه بنفسه ، ولا من يأويه إلى منزله ، فذهب على وجهه واختلط انظلام وهو وحده يتردد في الطريق لا يدري أين يذهب ، فأتى باباً فنزل عنده وطرقه فخرجت منه امرأة يقال لها طوعة ، كانت أم ولد للأشعث بن قيس ، وقد كان لها ابن من غيره يقال له بلال بن أسيد ، خرج مع الناس وأمه قائمة بالباب تنتظره ، فقال لها مسلم بن عقيل : امسني ماء فسقته ، ثم دخلت وخرجت فوجدته ، فقالت : ألم تشرب ؟ قال : بلى ! قالت : فاذهب إلى أهلك عافاك الله ، فانه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أجهلك لك ، فقام فقال : يا أمة الله ليس لي في هذا البلد منزل ولا عشيرة ، فهل إلى أجر ومعرفة وفعل تكافئك به بعد اليوم ؟ فقالت : يا عبيد الله وما هو ؟ قال أنا مسلم بن عقيل ، كذبتني هؤلاء القوم وغروني ، فقالت : أنت مسلم ؟ قال : نعم ! قالت ادخل ! فأدخلته بيتاً من دارها غير البيت الذي يكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ، فلم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فآها تسكن الدخول والخروج ، فسألها عن شأنها فقالت : يا بني اله عن هذا ، فأح عليها فأخذت عليه أن لا يحدث أحداً ، فأخبرته خبر مسلم ، فاضطجع إلى الصباح ساكتاً لا يتكلم . وأما عبيد الله بن زياد فانه نزل من القصر بمن معه من الامراء والاشراف بعد العشاء الأخيرة فصلى بهم العشاء في المسجد الجامع ، ثم خطبهم وطلب منهم مسلم بن عقيل وحث على طلبه ، ومن وجد عنده ولم يعلم به فهدمه هدر ، ومن جاء به فله دينه ، وطلب الشرط وحثهم على ذلك وتهديمهم . فلما أصبح ابن تلك العجوز ذهب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأعلمه بأن مسلم بن عقيل في دارهم ، فجاء عبد الرحمن فسار آياه بذلك وهو عند ابن زياد ، فقال ابن زياد : ما الذي سارك به ؟ فأخبره الخبر فنخس بقضيب في جنبه وقال : قم فأنتي به الساعة . وبعث ابن زياد عمر بن حريث الخزومي - وكان صاحب شرطته - ومعه عبد الرحمن ومحمد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين فارساً ، فلم يشعر مسلم إلا وقد أحيط بالدار التي هو فيها ، فدخلوا عليه فقام إليهم بالسيف فأخرجهم من الدار ثلاث مرات ، وأصابت شفته العليا والسفلى ، ثم جعلوا يردونه بالحجارة ويلطمون النار في أطنا القصب فضاق بهم ذرعاً ، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم ، فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكنه من يده ، وجاؤا ببغلة فأركبوه عليها وسلبوا عنه سيفه فلم يبق يملك من نفسه شيئاً ، فبكي عند ذلك وعرف أنه مقتول ،

فبيّس من نفسه ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال بعض من حوله : إن من يطلب مثل الذي تطلب لا يبكي إذا نزل به هذا ، فقال : أما والله لست أبكي على نفسي ، ولكن أبكي على الحسين ، وآل الحسين ، إنه قد خرج إليكم اليوم أو أمس من مكة ، ثم التفت إلى محمد بن الأشعث فقال : إن استطعت أن تبعث إلى الحسين على لساني تأمره بالرجوع فافعل ، فبعث محمد بن الأشعث إلى الحسين يأمره بالرجوع فلم يصدق الرسول في ذلك ، وقال : كل ما حمى الله واقع . قالوا : ولما انتهى مسلم بن عقيل إلى باب القصر إذا على بابة جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة ممن يعرفهم ويعرفونه ، ينتظرون أن يؤذن لهم على ابن زياد ، ومسلم مخضب بالدماء في وجهه وثيابه ، وهو مشخن بالجراح ، وهو في غاية العطش ، وإذا قلة من ماء بارد هنالك فأراد أن يتناولها ليشرب منها فقال له رجل من أولئك : والله لا تشرب منها حتى تشرب من الحميم ، فقال له : ويلك يا ابن ناهلة ، أنت أولى بالحميم والخلود في نار الجحيم مني ، ثم جالس فتساند إلى الحائط من التعب والسكران والعطش ، فبعث عمارة بن عقبة بن أبي معيط دوى له إلى داره فجاء بقلعة عليها منديل ومعه قدح ، فجعل يفرغ له في القدح ويعطيه فيشرب فلا يستطيع أن يسيغه من كثرة الدماء التي تعلو على الماء مرتين أو ثلاثاً ، فلما شرب سقطت ثنياه مع الماء فقال : الحمد لله لقد كان بقي لي من الرزق المقسوم شربة ماء ، ثم أدخل على ابن زياد ، فلما وقف بين يديه لم يسلم عليه ، فقال له الحرسي : ألا تسلم على الأمير ؟ فقال : لا ! إن كان يريد قتلي فلا حاجة لي بالسلام عليه ، وإن لم يرد قتلي فسأسلم عليه كثيراً ، فأقبل ابن زياد عليه فقال : يا ابن عقيل ، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلتهم واحدة لتشتتهم وتفترق كلمتهم وتحمل بعضهم على قتل بعض ؟ قال : كلا لست لذلك أتيت ، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم ، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب . قال : وما أنت وذاك يا فاسق ؟ لم لا كنت تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ؟ فقال : أنا أشرب الخمر ! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق ، وأنت قلت بغير علم ، وأنت أحق بذلك مني ، إني لست كما ذكرت ، وإن أولى بها مني من يبلغ في دماء المسلمين ولعنا ، ويقتل النفس التي حرم الله بغير نفس ، ويقتل على الغضب والظن ، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً . فقال له ابن زياد : يا فاسق إن نفسك تمنيك ما حال الله دونك ودونه ، ولم يرك أهله ، قال : فمن أهله يا ابن زياد ؟ قال : أمير المؤمنين يزيد . قال : الحمد لله على كل حال ، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم . قال : كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً ؟ قال : لا والله ما هو بالظن ولكن باليقين . قال له : قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام من الناس . قال : أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه ،

أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبيث السيرة المكتسبة عن كتابكم وجهالكم [(١) وأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً ، ومسلم ساكت لا يكلمه رواه ابن جرير عن أبي مخنف وغيره من رواة الشيعة . ثم قال له ابن زياد : إني قاتلك . قال : كذلك ؟ قال : نعم . قال : فدعني أوصي إلى بعض قومي ، قال : أوص . فنظر في جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص . فقال : يا عمر إن بيني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة ، وهي سرقتم معي إلى ناحية القصر حتى أقولها لك ، فأبى أن يقوم معه حتى أذن له ابن زياد ، فقام فتنحى قريباً من ابن زياد فقال له مسلم : إن عليّ ديناً في الكوفة سبعائة درهم فاقضها عني ، واستوهب جثتي من ابن زياد فوارها ، وأبعث إلى الحسين ، فأبى كنت قد كتبت إليه أن الناس معه ، ولا أراه إلا مقبلاً ، فقام عمر فعرض على ابن زياد ما قال له فأجاز ذلك له كله ، وقال : أما الحسين فإنه لم يردنا لا نرده ، وإن أرادنا لم نكف عنه ، ثم أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل فأصعد إلى أعلا القصر وهو يكبر ويهمل ويسبح ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا ، ثم ضرب عنقه رجل يقال له بكير ابن حمران ، ثم ألقى رأسه إلى أسفل القصر ، وأتبع رأسه بجسده . ثم أمر بهاني بن عروة المذحجي فضربت عنقه بسوق الغنم ، وصلب بمكان من الكوفة يقال له الكناساة ، فقال رجل شاعر في ذلك قصيدة : —

فإن كنت لا تدبر من الموت فانظري * إلى هاني في السوق وابن عقيل
أصابهما أمر الامام فأصبعا * أحاديث من يفتش بكل سبيل
[إلى بطل قد هشم السيف وجهه * وآخر يهوى في طمار قتيل
تري جسداً قد غير الموت لونه * ونضح دم قد سال كل مسيل
فإن أنتم لم تنأروا بأخيك * فكونوا بغياً أراضيت بقليل

ثم إن ابن زياد قتل معها أناساً آخرين ، [(٢) ثم بعث برؤسهما إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ، وكتب له كتاباً صورة ما وقع من أمرهما

وقد كان عبيد الله قبل أن يخرج من البصرة بيوم خطب أهلها خطبة بليغة ووعظهم فيها وحذرهم وأنذرهم من الاختلاف والفتنة والفرق ، وذلك لما رواه هشام بن الكلبي وأبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن أبي عثمان النهدي . قال : بعث الحسين مع مولى له يقال له سلمان كتاباً إلى أشرف أهل البصرة فيه : أما بعد فإن الله اصطفى محمداً على خلقه وأكرمه بنبوته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به ، وكنا أهله وأولياءه وورثته وأحق الناس به وعمامة

في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة ، وأحببنا الساقية ، ونحن نعلم أنا أحق
بذلك الحق المستحق علينا من تولاه ، وقد أحسنوا وأصلحوا ، وتحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم ،
وقد بعثت إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فإن السنة قد أميتت ، وإن
البدعة قد أحييت ، فستمعوا قولي وتطيعوا أمري ، فإن فعلتم أهدكم سبيل الرشاد ، والسلام عليكم
ورحمة الله . وعندى في صحة هذا عن الحسين نظر ، والظاهر أنه مطرز بكلام يزيد من بعض رواة
الشيعة . قال : فشكل من قرأ ذلك من الأشراف كتبه إلا المنذر بن الجارود فإنه ظن أنه دسيصة من
ابن زياد فجاء به إليه ، فبعث خلف الرسول الذي جاء به من حسين فضرب عنقه ، وصعد عبيد الله
ابن زياد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فوالله ما بي تقرر الصعبة ، وما يقع لي بالشنان ،
وإني لنيكال لمن عاداني ، وسهام لمن حاربني ، أنصف « القارة » ^(١) من رماها ، يا أهل البصرة إن
أمير المؤمنين ولائي الكوفة وأنا غاد إليها القداة ، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان ،
وإياكم والخلاف والارجاف ، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتله وعريته
ووليّه ، ولا آخذن الأدنى بالأقصى ، حتى يستقيم لي الأمر ، ولا يكن فيكم مخالف ولا مشاqq ، أنا
ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصى ، ولم ينزعني شبه خال ولا عم . ثم خرج من البصرة ومعه مسلم
ابن عمرو الباهلي فكان من أمره ما تقدم .

قال أبو مخنف عن الصقيب بن زهير عن عون بن جحيفة قال : كان مخرج مسلم بن عقيل
بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة ، وقتل يوم الأربعاء لتسع مضين من ذي الحجة ،
وذلك يوم عرفة سنة ستين ، وكان ذلك بعد مخرج الحسين من مكة قاصداً أرض العراق بيوم
واحد ، وكان خروج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ،
ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان ، فأقام بمكة بقية شعبان ورمضان وشوال والقعدة ،
وخرج من مكة لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية [وفي رواية ذكرها ابن جرير أن
مسلم بن عقيل لما بكى قال له عبيد الله بن عباس السامي . إن من يطلب مثل ما تطلب لا يبكي إذ أنزل
به مثل الذي نزل بك ، قال : إني والله ما لنفسى أبكى ، وما لها من القتل أرثي ، وإن كنت لم أحب
لها طرفة عين تلعناً ، ولكنني أبكى لأهلي المقبلين إلى الكوفة ، أبكى الحسين وآل حسين ، ثم أقبل
على محمد بن الأشعث فقال : يا عبد الله ! إني والله أراك ستعجز عن أمانى ، فهل عندك خير تستطيع
أن تبعث رجلاً على لساني يبلغ حسيناً عنى رسالة ؟ فإني لأراه إلا قد خرج إليكم اليوم أو غداً هو
وأهل بيته ، وإن ماتوا من جزعى لذلك ، فتقول له : إن ابن عقيل بعثني إليك وهو في أيدي القوم

أسير لا يدرى أيصبح أم يمسي حتى يقتل ، وهو يقول لك : ارجع بأهلك ولا يفرناك أهل الكوفة فانهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأى ، فقال ابن الأشعث : والله لأفعلن ولأفعلن ابن زياد أتى قد أمنتك . قال أبو مخنف : فدعا محمد بن الأشعث إياس بن العباس الطائي من بنى مالك بن ثمامة من كان شاعراً - فقال له : اذهب فالحق حسينا فأبلغه هذا الكتاب - وكتب فيه الذى أمره به ابن عقيل - ثم أعطاه راحلة وتكفل له بالقيام بأهله وداره ، فخرج حتى لقي الحسين بزيالة ، لاربع ليال من الكوفة فأخبره الخبر وأبلغه الرسالة ، فقال الحسين : كل ما هم نازل ، عند الله نحتسب وأنفسنا وفساد أمتنا . ولما انتهى مسلم إلى باب القصر وأراد شرب الماء قال له مسلم بن عمرو الباهلى : أتراها ما أبردها ؟ والله لا تذوقها أبداً حتى تذوق الحميم فى نار جهنم . فقال له ابن عقيل : ويحك من أنت ؟ قال : أنا من عرف الحق إذ أنكرته ، ونصيح لا مامه إذ غششته ، وسمع وأطاع إذ عصيت ، أنا مسلم بن عمرو الباهلى . فقال له مسلم : لأملك الويل ! ما أجفاك وأفظاك ، وأغلظك يا ابن ناهلة !! أنت والله أولى بالحميم ونار الجحيم (١)

﴿ صفة مخرج الحسين إلى العراق وما جرى له بعد ذلك ﴾

لما تواترت الكتب إلى الحسين من جهة أهل العراق وتكررت الرسل بينهم وبينه ، وجاءه كتاب مسلم بن عقيل بالقدوم عليه بأهله ، ثم وقع فى غيور ذلك ما وقع من قتل مسلم بن عقيل ، والحسين لا يعلم بشئ من ذلك ، بل قد عزم على المسير إليهم والقدوم عليهم ، فاتفق خروجه من مكة أيام التروية قبل مقتل مسلم بيوم واحد - فان مسلماً قتل يوم عرفة - ولما استشعر الناس خروجه أشفقوا عليه من ذلك ، وحذروه منه ، وأشار عليه ذوو الرأي منهم والمحبة بعدم الخروج إلى العراق ، وأصروه بالمقام بمكة ، وذكره ماجرى لأبيه وأخيه معهم . قال سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاووس عن ابن عباس . قال : استشارنى الحسين بن على فى الخروج فقلت : لولا أن يبرى بى وبك الناس لشبثت يدي فى رأسك فلم أتركك تذهب ، فكان الذى رد على أن قال : لأن أقتل فى مكان كذا وكذا أحب إلى من أن أقتل بمكة . قال : فكان هذا الذى سلى نفسى عنه . وروى أبو مخنف عن الحارث بن كعب الوالى عن عقبة بن سيمان . أن حسينا لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه ابن عباس فقال : يا ابن عم إنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبين لى ما أنت صانع ؟ فقال : إني قد أجمعت المسير فى أحد يومى هذين إن شاء الله تعالى ، فقال له ابن عباس : أخبرنى إن كان قد دعوك بعد ما قتلوا أميرهم ونفوا عداوتهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم ، وإن كان أميرهم حى وهو مقيم عليهم ، فاهملهم ، وعماله تجبى بلادهم ، فانهم إنما دعوك للفتنه والقتال ، ولا آمن عليك

أن يستغزوا عليك الناس ويقلبوا قلوبهم عليك ، فيكون الذي دعوك أشد الناس عليك . فقال الحسين : إني أستخير الله وأنظر ما يكون . فخرج ابن عباس عنه ، ودخل ابن الزبير فقال له : ما أدرى ما تركنا هؤلاء القوم ونحن أبناء المهاجرين ، وولاة هذا الأمر دونهم ، أخبرني ما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حدثت نفسي بانيان النكوفة ، ولقد كتب إلى شيعتي بها وأشرافها بالقدوم عليهم ، وأستخير الله . فقال ابن الزبير : أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت عنها . فلما خرج من عنده قال الحسين : قد علم ابن الزبير أنه ليس له من الأمر معنى شيء ، وأن الناس لم يعدلوا بي غيري ، فود أني خرجت لتخلو له . فلما كان من العشي أو من الغد ، جاء ابن عباس إلى الحسين فقال له يا ابن عم ! إني أتصبر ولا أصبر ، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الملائك ، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم ، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم اقدم عليهم ، وإلا فسر إلى اليمن فإن به حصونا وشعبا ، ولأبيك به شيعة ، وكن عن الناس في معزل ، واكتب إليهم و بث دعواتك فيهم ، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب . فقال الحسين : يا ابن عم ! والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق ، ولكنني قد أزمعت المسير . فقال له : فإن كنت ولا بد سائرا فلا تسربأولادك ونسائك ، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونسأوه وولده ينظرون إليه . ثم قال ابن عباس : أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه بالحجاز ، فوالله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع على وعليك الناس أطعني وأقت لفعلت ذلك . قال : ثم خرج من عنده فلقى ابن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير ؟ ثم قال :

يا لك من قنبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ماشئت أن تنقري * صيادك اليوم قتيل فابشري

ثم قال ابن عباس : هذا حسين يخرج إلى العراق ويخيلك والحجاز وقال غير واحد عن شهاب بن سوار . قال : حدثنا يحيى بن إسماعيل بن سالم الأسدي قال سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر أنه كان بمكة فبلغه أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال ، فقال : أين تريد ؟ قال : العراق ، وإذا معه طوامير وكتب ، فقال : هذه كتبهم وبيعهم ، فقال : لاتأثم ، فأبى . فقال ابن عمر : إني محدثك حديثا ، إن جبريل أتى النبي ﷺ فخبره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا ، وإنك بضعة من رسول الله ، والله ما يليها أحد منكم أبدا ، وما صرفها الله عنكم إلا الذي هو خير لكم ، فأبى أن يرجع . قال فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل . وقال يحيى بن معين : حدثنا أبو عبيدة ثناء سليم بن حبان عن سعيد ابن مينا . قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : عجل حسين قدره ، والله لو أدر كته ما تركته يخرج

إلا أن يغلبني ، ببني هاشم فتح هذا الأمر ، وببني هاشم يختم ، فإذا رأيت الهاشمي قد ملك فقد ذهب الزمان . قالت : وهذا مع حديث ابن عمر يدل على أن الفاطميين أدعياء كذبة ، لم يكونوا من سلالة فاطمة كما نص عليه غير واحد من الأئمة على ما سند كره في موضعه إن شاء الله .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر الحليدي ثنا سفيان ثنا عبد الله بن شريك عن بشر ابن غالب . قال قال ابن الزبير للحسين : أين تذهب ؟ إلى قوم قتلوا أباك ووطعوا أخاك ؟ فقال : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلى من أن تستحل بي - يعني مكة - وقال الزبير بن بكار : حدثني عمي مصعب بن عبد الله أخبرني من سمع هشام بن يوسف يقول عن معمر قال : سمعت رجلاً يحدث عن الحسين أنه قال لعبد الله بن الزبير : أتتني بيعة أربعين ألفاً يحلفون بالطلاق والعناق إنهم معي ، فقال له ابن الزبير : أخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك ؟ قال هشام : فسألت معمرًا عن الرجل فقال : هو نقصة . قال الزبير : وقال عمي : وزعم بعض الناس أن ابن عباس هو الذي قال هذا . وقد ساق محمد بن سعد كاتب الواقدي هذا سياقاً حسناً مبسوطاً . فقال : أنبأنا علي ابن محمد عن يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه ، وعن لوط بن يحيى العامري عن محمد بن بشير الهمداني وغيره ، وعن محمد بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن هارون بن عيسى عن يونس بن إسحاق عن أبيه ، وعن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مجاهد عن الشعبي . قال محمد بن سعد : وغير هؤلاء قد حدثني أيضاً في هذا الحديث بطائفة فكتبت جوامع حديثهم في مقتل الحسين رضي الله عنه وأرضاه :

قالوا : لما بايع الناس معاوية ليزيد كان حسين ممن لم يبايع له ، وكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية ، كل ذلك يأتي عليهم ، فقدم منهم قوم إلى محمد بن الحنفية يطلبون إليه أن يخرج معهم فأبى ، وجاء إلى الحسين يعرض عليه أمرهم ، فقال له الحسين : إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا ، ويستطيخوا بنا ، ويستنبطوا دماء الناس ودماءنا ، فأقام حسين على ما هو عليه من الهموم ، مرة يريد أن يسير إليهم ، ومرة يجمع الإقامة عنهم . فجاء أبو سعيد الخدري فقال : يا أبا عبد الله ! إني لكم ناصح ، وإني عليكم مشفق ، وقد بلغني أنه قد كاتبك قوم من شيعتك بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم ، فلا تخرج إليهم ، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة : والله لقد ملأهم وأبغضتهم ، وماوني وأبغضوني ، وما يكون منهم وفاء قط ، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخبى ، والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر ، ولا صبر على السيف . قال : وقدم المسيب بن عتبة القزازي في عدة معه إلى الحسين بعد وفاة الحسن ، فدعوه إلى خلع معاوية وقالوا : قد علمنا رأيك ورأى أخيك ، فقال : إني لأرجو أن يعطيني الله أخى على نيته في حبه الكف ، وأن يعطيني على نيتي

في حيي جهاد الظالمين . وكتب مروان إلى معاوية : إني لست آمن أن يكون حسين مرصداً للفتنة ، وأظن يومكم من حسين طويلاً . فكتب معاوية إلى الحسين : إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء ، وقد أنبئت أن قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق ، وأهل العراق من قد جربت قد أفسدوا على أبيك وأخيك ، فائق الله واذكر الميثاق ، فانك متى تكذني أكذلك . فكتب إليه الحسين : أناني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عن جدير ، والحسنات لا يهدى لها إلا الله ، وما أردت لك محاربة ولا عليك خلافاً ، وما أظن لي عند الله عنراً في ترك جهادك ، وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة .

فقال معاوية : إن أثرتنا بأبي عبد الله إلا شراً . وكتب إليه معاوية أيضاً في بعض ما بلغه عنه : إني لأظن أن في رأسك نزوة فوددت أني أدركها فأغفرها لك . قالوا : فلما احتضر معاوية دعا يزيد فأوصاه بما أوصاه به ، وقال له : النظر حسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله ، فانه أحب الناس إلى الناس ، فصل رحمه ، وارفق به ، يصلح لك أمره ، فان يكن منه شيء فاني أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخاندل أخاه . وتوفي معاوية ليلة النصف من رجب سنة ستين ، وبايع الناس يزيد ، فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن أويس المماري عامر بن لؤي ، إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو على المدينة : أن ادع الناس فبايعهم ، وابدأ بوجوه قريش ، وليكن أول من قبضاً به الحسين بن علي ، فان أمير المؤمنين عهد إلي في أمره الرفق به واستصلاحه . فبعث الوليد من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فأخبرهما بوفاة معاوية ، ودعاهما إلى البيعة ليزيد ابن معاوية ، فقالا : إلى أن نصبح وننظر ما يصنع الناس ، ووثب الحسين فخرج وخرج معه ابن الزبير وقالوا : هو يزيد الذي نعرف ، والله ما حدث له عزم ولا مروءة . وقد كان الوليد أغلظ للحسين فشتبه الحسين وأخذ بعمامته فنزعها من رأسه ، فقال الوليد : إن هجنا بأبي عبد الله إلا شراً . فقال له مروان - أو بعض جلسائه - اقتاد ، فقال : إن ذلك لدم مضمون به مصون في بني عبد مناف . قالوا : وخرج الحسين وابن الزبير من ليلتهما إلى مكة ، وأصبح الناس فقدوا علي البيعة ليزيد ، وطلب الحسين وابن الزبير فلم يوجدوا ، فقال المسور بن مخرمة : عجل الحسين وابن الزبير يلفته ويرجيه ليخاها بمكة ، فقدم مكة فنزل الحسين دار العباس ، ولزم ابن الزبير الحجر ، ولبس المماري وجعل يحرض الناس على بني أمية ، وكان يغدو ويروح إلى الحسين ويشير عليه أن يقدم العراق ، ويقول : هم شيعتك وشيعتك أبيك ، وكان ابن عباس ينهيه عن ذلك ، وقال له عبد الله بن مطيع : إني فداؤك وأبي وأمي ، فأتمنا بنفسك ولا تسر إلى العراق ، فوالله لئن قتلت هؤلاء القوم ليتخذونا عبيداً وخولا . قالوا : ولقبهما عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وابن أبي ربيعة بالأبواء منصرفين

من العمرة فقال لهما ابن عمر : أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس ، وتنظرا
فان اجتمع الناس عليه فلم تشدا ، وإن افترقوا عليه كان الذي تريدان . وقال ابن عمر للحسين :
لا تخرج فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ، وإنك
بضعة منه ولاتنا لها - يعني الدنيا - واعتنقه وبكى وودعه ، فكان ابن عمر يقول : غلبنا حسين بن
علي بالخروج ، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة ، فرأى من الفتنة وخذلان الناس لهما ما كان
ينبغي له أن لا يتحرك ماعاش ، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس ، فان الجماعة خير . وقال له
ابن عباس : وأين تريد يا ابن فاطمة ؟ فقال : العراق وشيعتي ، فقال : إني لسكار لو جئت هذا تخرج
إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطا وبلا لطم ؟ أذكرك الله أن تغرر بنفسك .
وقال أبو سعيد الخدري : غلبني الحسين على الخروج ، وقلت له : اتق الله في نفسك والزم بيتك
ولا تخرج على إمامك . وقال أبو واقد الليثي : بلغني خروج الحسين بن علي فأدركته بمثل فناشدته
الله أن لا يخرج فانه يخرج في غير وجه خروج ، إنما خرج يقتل نفسه ، فقال : لا أرجع . وقال
جابر بن عبد الله : كلمت حسيناً فقلت : اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض ، فوالله ما حدثهم
ما صنعتهم فصاني . وقال سعيد بن المسيب : لو أن حسيناً لم يخرج لسكان خيراً له . وقال أبو سلمة
ابن عبد الرحمن : وقد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم ، ولكن شجعه على
ذلك ابن الزبير . وكتب إليه المنصور بن مخزومة : إياك أن تغتر بكتب أهل العراق ، يقول ابن
الزبير : الحق بهم فانهم ناصروك . وقال له ابن عباس : لا تبرح الحرم فانهم إن كانت بهم إليك
حاجة فيضربون إليك أباط الأبل حتى يوافوك فتخرج في قوة وعدة . فجزاه خيراً وقال : أستخير
الله في ذلك . وكتبت إليه عمرة بنت عبد الرحمن تعظم عليه ما يريد أن يصنع ، وتأمره بالطاعة
ولزوم الجماعة ، وتخبره أنه إن لم يفعل إنما يساق إلى مصره . وتقول : أشهد لسمعت عائشة تقول
إنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقتل الحسين بأرض بابل » فلما قرأ كتابها قال : فلا بد لي
إذا من مصرعي ومضي . وأتاه بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال له : يا ابن عم قد
رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك ، وأنت تريد أن تسير إليهم وهم بعيد الدنيا ، فيقتلك
من قد وعدك أن ينصرك ، ويخذلك من أنت أحب إليه من ينصره ، فأذكرك الله في نفسك .
فقال : جزاك الله يا ابن عم خيراً ، مهما يقضى الله من أمر يكن . فقال أبو بكر : إنا لله وإنا إليه
راجعون ، نحتسب أبا عبد الله عند الله . وكتب إليه عبد الله بن جعفر كتاباً يحذره أهل العراق
ويناشده الله إن شخص إليهم . فكتب إليه الحسين : إني رأيت رؤيا ، ورأيت رسول الله ﷺ
أمرني بأمر وأنا ماض له ، ولست بمخبر بها أحداً حتى ألقى عملي . وكتب إليه عمرو بن سعيد بن

العاص نائب الحرمين : إني أسأل الله أن يلهمك رشداً ، وأن يهزئك عما يرديك ، بلغني أنك قد عزمت على الشخوص إلى العراق ، وإني أعينك الله من الشقاق ، فانك إن كنت خائفاً فاقبل إلى ، فلك عندى الأمان والبر والصلة . فكتب إليه الحسين : إن كنت أردت بكتابك برى وصلتي فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة ، وإياه لم يشاقي من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إني من المسلمين ، وخير الأمان أمان الله ، ولم يؤمن بالله من لم يخفه في الدنيا ، فأسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أماناً يوم القيامة عنده . قالوا : وكتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكة ، وأحسبه قد جاءه رجال من أهل المشرق فنوه الخلافة ، وعندك منهم خبر وتجربة ، فان كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة ، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه ، فاكففه عن السعي في الفرقة . وكتب بهذه الأبيات إليه وإلى من بمكة والمدينة من قریش : -

يا أيها الركب العادي مطيته * على غداقة في سيرها فخم
أبلغ قریشا على نأى المزار بها * بيني وبين حسين الله والرحم
وموقف بفناء البيت أنشده * عهد الاله وما توفى به الدم
عنيت قومكم نفراً بأمكم * أم لعمرى حصان برة كرم
هي التي لا يداني فضلها أحد * بنت الرسول وخير الناس قد علموا
وفضلها لكم فضل وغيركم * من قومكم لهم في فضلها قسم
إني لأعلم أوظننا كماله * والظن يصدق أحياناً فينتظم
أن سوف يترككم ماتدعون بها * قتلى تهادكم العقبان والرخم
يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ مسكت * ومسكوا بحبال السلم واعتصموا
قد جرب الحرب من قد كان قبلكم * من القرون وقد بادت بها الأمم
فانصفوا قومكم لانهلكوا برحاً * قرب ذى برح زلت به القدم

قال : فكتب إليه ابن عباس : إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه ، ولست أدع النصيحة له في كل ما يجتمع به الألفة وتطابق به النائرة ، ودخل ابن عباس على الحسين فكلمه طويلاً وقال له : أنشدك أن تهلك غداً بحال مضیعة لاثاني العراق ، وإن كنت لا بد فاعلا فاقم حق ينقضى الموسم وتلقى الناس وتعلم ما يصدر عن ، ثم ترى رأيك ، وذلك في عشر ذي الحجة . فأبى الحسين إلا أن ينفي إلى العراق ، فقال له ابن عباس : والله إني لأظنك ستمتل غداً بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان بين نسائه وبناته ، والله إني لأخاف أن تكون أنت الذي يقاد به عثمان ، فأنا لله وإنا إليه راجعون . فقال له الحسين : أبا العباس إنك شيخ قد كبرت ، فقال له ابن عباس : لولا أن يزرى

ذلك بي وبك لنشبت يدي في رأسك ، ولو أعلم أنا إذا تباصينا أقت لفعلت ، ولكن لا أخال ذلك ما نملك . فقال الحسين : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلى من أن أقتل بمكة وتستحل بي ، قال : فبكى ابن عباس وقال : أقررت عين ابن الزبير بذلك ، وذلك الذي سلى نفسي عنه قال : ثم خرج ابن عباس عنه وهو مغضب وابن الزبير على الباب ، فلما رآه قال : يا ابن الزبير قد أتى ما أحببت ، قرت عينك ، هذا أبو عبد الله خارج ويتركك والحجاز ، ثم قال :

يا لك من قنبرة بمعر * خلالك الجو فبيضى واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري * صيادك اليوم قتيل فابشري

قال : وبعث الحسين إلى المدينة يقدم عليه من خف من بنى عبد المطلب ، وهم تسعة عشر رجلاً ونساء وصبيان من إخوته وبناته ونسائه ، وتبعهم محمد بن الحنفية ، فأدرك حسيناً بمكة ، فأعلمه أن الخروج ليس له برأى يومه هذا ، فأبى الحسين أن يقبل ، فحبس محمد بن الحنفية ولده فلم يبعث أحداً منهم حتى وجد الحسين في نفسه على محمد ، وقال : ترغب بولئك عن موضع أصاب فيه ؟ فقال : وما حاجتي إلى أن تصاب ويصابون معك ؟ وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم ؟ قالوا : وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتيب يدعونه إليهم ، فخرج متوجهاً إليهم في أهل بيته وستين شخصاً من أهل الكوفة صحبته ، وذلك يوم الاثنين في عشر ذي الحجة ، فكتب مروان إلى ابن زياد : أما بعد فإن الحسين بن علي قد توجه إليك ، وهو الحسين بن فاطمة . وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وتالله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين ، فإياك أن تهيج على نفسك مالا يسده شيء ، ولا تنساه العامة ، ولا تدع ذكره آخر الدهر والسلام . وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص : أما بعد فقد توجه إليك الحسين ، وفي مثلها تعتق أو تكون عبداً تسترق كما يسترق العبيد ، وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه . قال : كتب يزيد إلى ابن زياد : إنه قد بلغني أن حسيناً قد سار إلى الكوفة ، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ، وابتليت أنت به من بين العمال ، وعندنا تعتق أو تعود عبداً كما ترق العبيد وتعبّد ، قتلته ابن زياد وبعث برأسه إليه .

قلت : والصحيح أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام كما سيأتي | وفي رواية أن يزيد كتب إلى ابن زياد : قد بلغني أن الحسين قد توجه إلى نحو العراق ، فضع المناظر والمسلح ، واحترس واحبس على المظنة وخذ على التهمة ، غير أن لا تقتل إلا من قاتلك ، واكتب إلى كل ما يحدث من خبر والسلام | (١)

قال الزبير بن بكار : وحدثني محمد بن الضحاك قال : لما أراد الحسين الخروج من مكة إلى الكوفة من بيباب المسجد الحرام وقال :

لاذعرت السوام في فلق الصبح * مغيراً ولا دعيت يزيدا

يوم أعطى مخافة الموت ضيماً * والمنايا ترصدني أن أحيدا

وقال أبو مخنف : قال أبو جندب يحيى بن أبي خيثمة عن عدي بن حرملة الأسدي عن عبد الله ابن سليم والمنذر بن المشمعل الأسديين قالا : خرجنا حاجين من الكوفة فقدمنا مكة فدخلنا يوم التروية فإذا نحن بالحسين وابن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب ، فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين : إن شئت أن تقيم أقمت فوليت هذا الأمر فوازرناك وساعدناك ونصحنالك وبايعناك ؟ فقال الحسين : إن أبي حدثني أن لها كبشاً يستحل حرمها يقتل ، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش . فقال له ابن الزبير : فأقم إن شئت وولني أنا الأمر فتطاع ولا تعصى ، فقال : وما أريد هذا أيضاً ، ثم إنهما أخفيا كلامهما دوننا ، فسا زالا يقتناجيان حتى سمعنا دُعَاة الناس متوجهين إلى منى عند الظهيرة ، قالا : فطاف الحسين بالبیت وبين الصفا والمروة ، وقصر من شعره ، وحل من عمرته ، ثم توجه نحو الكوفة وتوجهنا نحن مع الناس إلى منى .

وقال أبو مخنف : حدثني الحارث بن كعب الوالبي عن عقبة بن سميان . قال : لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد - يعني نائب مكة - عليهم أخوه يحيى بن سعيد ، فقالوا له : انصرف أين تريد ؟ فأبى عليهم ومضى ، وتلافى الفريقان وتضاربوا بالسياط والعصى ، ثم إن حسيناً وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً ، ومضى الحسين على وجهه ذلك ، فناداه : يا حسين ألا تتقي الله ؟ تخرج من الجماعة وتفرق بين الأمة بعد اجتماع الكلمة ؟ قال : فتناول الحسين هذه الآية (لى على ولکم عملکم انتم بریثون مما عمل وأنا بری مما تعملون)

قال : ثم إن الحسين مر بالنعيم فلقى بها عيراً قد بعث بها بجير بن زياد الحميري نائب اليمن قد أرسلها من اليمن إلى يزيد بن معاوية ، عليها ورس وحلل كثيرة ، فأخذها الحسين وانطلق بها ، واستأجر أصحاب الجمال عليها إلى الكوفة ، ودفع إليهم أجرتهم ، ثم ساق أبو مخنف بأسناده الأول أن الفرزدق لقي الحسين في الطريق فسلم عليه وقال له : أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب . فسأله الحسين عن أمر الناس وما وراءه فقال له : قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بنى أمية ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء . فقال له : صدقت ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، يفعل ما يشاء ، وكل يوم ربنا في شأن ، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه . وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعد من كان الحق نيتيه ، والنقوى سريرته ، ثم حرك الحسين راحلته وقال :

السلام عليكم ثم اقتربا . وقال هشام بن الكلبي عن عوانة بن الحكم عن ليطة بن غالب بن الفرزدق عن أبيه . قال : حججت بأمي فبينما أنا أسوق بها بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج ، وذلك في سنة ستين ، إذ لقيت الحسين خارجا من مكة معه أسيفه وأتراسه ، فقلت له : بأبي وأمي يا ابن رسول الله ، ما أعجلك عن الحج ؟ فقال : لو لم أعجل لأخذت ، ثم سألتني : ممن أنت ؟ فقلت : امرؤ من العراق ، فسألتني عن الناس فقلت له : القلوب معك والسيوف مع بني أمية ، وذكري نحو ما تقدم .

[قال الفرزدق : وسألت الحسين عن أشياء وعن المناسك فأخبرني بها قال . وإذا هو ثقيل اللسان من برسام كان أصابه بمن بالعراق] ^(١) قال : ثم مضيت فاذا فسطاط مضروب في الحرم وهيئة حسنة ، فاذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، فسألتني فأخبرته أني لقيت الحسين ، قال : فهل اتبعته ؟ فان الحسين لا يحيك فيه السلاح ولا يجوز فيه وفي أصحابه . فندم الفرزدق وهم أن يلحق به ، ووقع في قلبه مقالة ابن عمرو ، ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم فصعدني ذلك عن اللحاق به ، فلما بلغه أنه قتل لعن ابن عمرو ، وكان ابن عمرو يقول : والله لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتى يبلغ هذا الأمر ويظهر ، وإنما أراد ابن عمرو بقوله : لا يحيك فيه السلاح ، أي السلاح الذي لم يقدر أن يقتل به ، وقيل غير ذلك وقيل أراد الهزل بالفرزدق . قالوا : ثم سار الحسين لا يلوي على شيء حتى نزل ذات عرق . قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن كعب الوالبي عن علي بن الحسين بن علي . قال : لما خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر إلى الحسين مع ابنه عون ومحمد : أما بعد فاني أسألك بالله لما انصرفت حتى تنظر في كتابي هذا ، فاني مشفق عليك من الوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، إن هلك اليوم طفء نور الاسلام ، فانك علم المهتدين ، ورجاء المؤمنين ، فلا تلجئ بالسير فاني في أثر كتابي والسلام . ثم نهض عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد نائب مكة فقال له : اكتب إلى الحسين كتابا يجعل له فيه الأمان ، وتمنيه في البر والصلة ، وتوثق له في كتابك ، وتسأله الرجوع لعله يطمن إلى ذلك فيرجع . فقال له عمرو : اكتب عني ما شئت وأتني به حتى أختمه . فمكتب ابن جعفر على لسان عمرو بن سعيد ما أراد عبد الله ، ثم جاء بالكتاب إلى عمرو فختمه بخاتميه ، وقال عبد الله لعمرو بن سعيد : ابست معي أمانك ، فبعث معه أخا بجي ، فانصرفا حتى لحقا الحسين فقرأ عليه الكتاب فأنى أن يرجع وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقد أمرني فيها بأمر وأنا ماض له ، فقالا : وما تلك الرؤيا ؟ فقال : لأحدث بها أحدا حتى ألقى ربي عز وجل .

قال أبو مخنف : وحدثني محمد بن قيس أن الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن ذي الرمة ،

بعث قيس بن مسهر الصيدأوى إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع مثلكم علي نصرنا ، والطلب بحقنا ، فنسأل الله أن يحسن لنا الصنيع ، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة يوم التروية ، فإذا قدم عليكم رسولي فاكتبوا أمركم وجدوا فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . قال : وكان كتاب مسلم قد وصل إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة ، ومضمونه : أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله ، وإن جميع أهل الكوفة معك ، فأقبل حين تقرأ كتابي هذا والسلام عليكم .

قال : وأقبل قيس بن مسهر الصيدأوى بكتاب الحسين إلى الكوفة ، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد فقال له ابن زياد : اصعد إلى أعلا القصر فاسبب الكذاب ابن الكذاب علي بن أبي طالب وابنه الحسين ، فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس : إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقت بالخاجر من بطن ذى الرمة ، فأجيبوه واسمعوا له وأطيعوا . ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعلي والحسين . فأمر به ابن زياد فألقي من رأس القصر فتقطع ، ويقال بل تكسرت عظامه وبقي فيه بقية رمق ، فقام إليه عبيد الملك بن عمير البجلي فذبجه ، وقال : إنما أردت إراحته من الألم ، وقيل إنه رجل يشبه عبيد الملك بن عمير وليس به ، وفي رواية أن الذي قدم بكتاب الحسين إنما هو عبد الله بن بقطر أخو الحسين من الرضاة ، فألقى من أعلى القصر والله أعلم .

ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة ولا يعلم بشيء مما وقع من الأخبار . قال أبو مخنف عن أبي علي الأنصاري عن بكر بن مصعب المزني . قال : وكان الحسين لا يمر بماء من مياه العرب إلا اتبعوه ، قال قال أبو مخنف عن أبي جناب عن عسدي بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمنذر بن المشعل الأسديين قالا : لما قضينا حجتنا لم يكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين ، فأدركناه وقد مر رجل من بني أسد فهم الحسين أن يكلمه ويسأله ثم ترك ، فحسنا ذلك الرجل فسألناه عن أخبار الناس فقال : والله لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ورأيتهما يجبران بأرجلهما في السوق . قالا : فليحسنا الحسين فأخبرناه فعمل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون مراراً . فقلنا له الله الله في نفسك . فقال : لا خير في العيش بعدهما . قلنا : خار الله لك . وقال له بعض أصحابه : والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قد قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع . وقال غيرهما : لما سمع أصحاب الحسين بمقتل مسلم بن عقيل ، وثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب وقالوا : لا والله

لا نرجع حتى ندرك ثأرنا ، أو نذوق مذاق أخونا . فسار الحسين حتى إذا كان بزورود بلغه أيضا مقتل الذي بعثه بكتابه إلى أهل الكوفة بعد أن خرج من مكة ووصل إلى حاجر ، فقال : خذلتنا شيعتنا ، فن أحب منكم إلا نصراف فليصرف من غير حرج عليه ، وليس عليه منا ذمام ، قال : فتفرق الناس عنه أيادي سبا يمينا وشمالا حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من مكة ، [وإنما فعل ذلك لأنه ظن أن من اتبعه من الأعراب إنما اتبعوه لأنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهلها ، فسكره أن يسيروا معه إلا وهم يملكون على م يقدمون ، وقد علم أنه إذا بين لهم الأمر لم يصحبه إلا من يريد مواساته في الموت معه] ^(١) قال : فلما كان السحر أمر فتيانه أن يستقوا من الماء ويكثروا منه ، ثم سار حتى مر ببطن العقبة فنزل بها

وقال محمد بن سعد : حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا جعفر بن سليمان عن يزيد الرشك قال : حدثني من شافه الحسين قال : رأيت أخبية مضروبة بفلاة من الأرض قتلت : لمن هند ؟ قالوا : هذه حسين قال فأتيته فإذا شيخ يقرأ القرآن والدهوع تسيل على خديه وحيته ، قال قلت : بأبي وأمي يا ابن بنت رسول الله ما أنزلك هذه البلاد والفلاة التي ليس بها أحد ؟ فقال : هذه كتب أهل الكوفة إلى ولا أراهم إلا قاتلي ، فإذا فعلوا ذلك لم يدعوا لله حرمة إلا اتهموها ، فسلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قرم الامة - يعني مقلتها - وأخبرنا علي بن محمد عن الحسن بن دينار عن معاوية بن قرة . قال قال الحسين : والله لتمعدن على كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت . وحدثنا علي بن محمد عن جعفر بن سليمان الضبعي . قال قال الحسين : والله لا يدعوني حتى يستخر جوا هذه العلقة من جوفى ، فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قرم الامة . فقتل بدينوى يوم عاشوراء سنة إحدى وستين . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر الحميدى ثنا سفيان ثنا شهاب بن حراش عن رجل من قومه . قال : كنت في الجيش الذين بعثهم ابن زياد إلى الحسين ، وكانوا أربعة آلاف يريدون قتال الديلم ، فبعثهم ابن زياد وصرفهم إلى قتال الحسين ، فلقيت حسيناً فرأيت أسود الرأس واللحية ، فقلت له : السلام عليك أبا عبد الله ، فقال : وعليك السلام - وكانت فيه غنة - فقال : لقد باتت فيكم سلالة منذ الليلة - يعني سراقا - قال شهاب : فحدثت به زيد بن علي فأعجبه وكانت فيه غنة - قال سفيان بن عيينة : وهي في الحسينيين

قال أبو مخنف عن أبي خالد الكاهلي . قال : لما أصبحت الخليل الحسين بن علي رفع يديه فقال : اللهم أنت تقى في كل كرب ، ورجائى في كل شدة ، وأنت لى من كل أمر نزل ثقة وعدة ، فكم من هم يضعف فيه الفؤاد ، وتقل فيه الحياة ، ويخذل فيه الصديق ، ويشمت فيه العدو ، فأثرت بك ^(١) سقط من المصرية

وشكوته إليك برغبة فيه إليك عن سواك ، ففرجته وكشفته وكفيتها ، فأنت لي ولي كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومنهمى كل غاية . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثني حجاج بن محمد عن أبي معشر عن بعض مشيخته . قال قال الحسين حين نزلوا كربلاء : ما اسم هذه الأرض ؟ قالوا كربلاء ، قال : كرب وبلاء . وبعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد لقتالهم ، فقال له الحسين : يا عمر اختر مني إحدى ثلاث خصال ، إما أن تتركني أرجع كما جئت ، فإن أبيت هذه فسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده فيحكم في مارأى ، فإن أبيت هذه فسيرني إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت . فأرسل إلى ابن زياد بذلك ، فهم أن يسيره إلى يزيد ، فقال شمر بن ذى الجوشن : لا ! إلا أن ينزل على حكمك ، فأرسل إلى الحسين بذلك فقال الحسين : والله لا أفعل ، وأبطأ عمر عن قتاله فأرسل ابن زياد شمر بن ذى الجوشن وقال له : إن تقدم عمر فقاتل وإلا فاقتله وكن مكانه ، فقد وليتك الامرة . وكان مع عمر قريب من ثلاثين رجلاً من أعيان أهل الكوفة ، فقالوا له : يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئاً ؟ فتحولوا مع الحسين يقاتلون معه .

وقال أبو زرعة : حدثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن حصين . قال : أدركت من مقتل الحسين قال : فحدثني سعد بن عبيدة قال : فرأيت الحسين وعليه جبة برود ورماد رجل يقال له عمرو ابن خالد الطهمي بسهم ، فنظرت إلى السهم معلقاً بجبته . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عمار الرازي حدثني سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام ثنا حصين أن الحسين بعث إليه أهل الكوفة : إن معك مائة ألف . فبعث إليهم مسلم بن عقيل فذكر قصة مقتل مسلم كما تقدم . قال حصين : فحدثني هلال بن يساف أن ابن زياد أمر الناس أن يأخذوا مابين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة حفظاً فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج ، وأقبل الحسين ولا يشعر بشئ حتى أتى الأعراب فسألهم عن الناس فقالوا : والله لا ندري ، غير أنك لا تستطيع أن تليج ولا تخرج ، قال : فانطلق يسير نحو يزيد بن معاوية ، فتلقته الخيول بكر بلاء ، فنزل يناشدهم الله والاسلام ، قال : وكان بعث إليه ابن زياد عمر بن سعد وشمر بن ذى الجوشن وحصين بن نمير ، فناشدهم الله والاسلام أن يسيروه إلى أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده ، فقالوا له : لا ! إلا أن تنزل على حكم ابن زياد ، وكان في جملة من معهم الحر بن يزيد الخطمي ثم النهشلي على خيل ، فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم : ألا تتقون الله ؟ ألا تتبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم ، والله لو سألناكم هذا الترك والديلم ما حل لكم أن تردوهم فأبوا إلا حكم ابن زياد ، فضرب الحروجه فرسه وانطلق إلى الحسين ، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم ، فلما دنا منهم قلب ترسه وسلم عليهم ثم كرّ على أصحاب ابن زياد فقتل منهم رجلين ثم قتل رحمه الله . وذكر أن زهير بن القين البجلي لقي الحسين وكان حاجباً فأقبل معه ، وخرج إليه ابن أبي مخزومة

المرادى ورجلان آخران ، وهما عمرو بن الحجاج ومن السامى ، وأقبل الحسين يكلم من بعث إليه ابن زياد وعليه جبة من برود ، فلما كلمهم انصرف فرماه رجل من بنى تميم يقال له عمرو الطهوى بسهم بين كتفيه ، فأتى لا نظر إلى السهم بين كتفيه متعلقا بجذبه ، فلما أبوا عليه رجع إلى مصافه وإلى لا نظر إليهم وهم قريب من مائة رجل ، فيهم لصلب على خمسة ، ومن بنى هاشم ستة عشر ، ورجل من بنى سليم حليف لهم ، ورجل من بنى كنانة حليف لهم ، وابن عم ابن زياد .

وقال حصين : حدثني سعد بن عبيدة قال : إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد إذ أتاه رجل فسارده فقال له : قد بعث إليك ابن زياد جو برية بن بدر التميمي وأمره إن لم تقا تل القوم أن يضرب عنقك . قال : فوثب إلى فرسه فركبها ثم دعا بسلاحه فلبسه وإنه لعلى فرسه ، ونهض بالناس إليهم فقاتلهم حتى برأس الحسين إلى ابن زياد فوضع بين يديه فجعل يقول بقضيبه في أنفه ويقول : إن أباه عبد الله كان قد شخط . قال : وجى بنسائه وبناته وأهلده قال : وكان أحسن شيء صنعه أن أمر لهم بمنزل في مكان معتزل وأجرى عليهم رزقا ، وأمر لهم بنفقة وكسوة . قال : وانطلق غلامان منهم من أولاد عبد الله بن جعفر - أو ابن أبي جعفر - فأتيا رجلا من طي فاجأ إليه مستجيران به ، فضرب أعناقهما وجاء برأسيهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد ، قال : فهشم ابن زياد بضرب عنقه وأمر بداره فهدمت . قال : وحدثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال : لما أتى يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه رأيت يمينه ويقول : لو كان بين ابن زياد وبينه رحم ما فعل هذا - يعني ابن زياد - قال الحصين : ولما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلتطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع

[قال أبو مخنف : حدثني لوزان حدثني عكرمة أن أحد عمومته سأل الحسين : أين تريد ؟ فحدثه ، فقال له : أنشدك الله لما انصرفت راجعا ، فوالله ما بين يديك من القوم أحد يذب عنك ولا يقاتل معك ، وإنما والله أنت قادم على الأسنة والسيوف ، فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفولا مؤنة القتال وطأوا لك الأشياء ، ثم قدمت عليهم بعد ذلك كان ذلك رأيا ، فأما على هذه الصفة فأتى لا أرى لك أن تفعل . فقال له الحسين : إنه ليس بخفي علي ما قلت وما رأيت ، ولكن الله لا يقلب على أمره ، ثم ارتحل قاصدا الكوفة . وقال خالد بن العاص : -

رُبَّ مستصحب يمش وُردى * وظنين بالغيب يلقي نصيحا^(١)

وقد حجج بالناس في هذه السنة عمرو بن سعيد بن العاص وكان عامل المدينة ومكة لي يزيد ، وقد عزل يزيد عن إمرة المدينة الوليد بن عتبة وولاهما عمرو بن سعيد بن العاص في شهر رمضان منها والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين ﴾

استهلت هذه السنة والحسين بن علي سائر إلى الكوفة فيما بين مكة والعراق ومعه أصحابه وقراباته ، فقتل في يوم عاشوراء من شهر المحرم من هذه السنة على المشهور الذي صححه الواقدي وغير واحد ، وزعم بعضهم أنه قتل في صفر منها والأول أصح .

﴿ وهذه صفة مقتله رضى الله عنه مأخوذة من كلام أئمة هذا الشأن ﴾

لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب الصريح والبهتان ﴾

قال أبو مخنف عن أبي جناب عن عدي بن حرملة عن عبد الله بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمذري ^(١) بن المشمعل الأسديين قالا : أقبل الحسين فلما نزل شرف قال لفلاناه وقت السحر : استقوا من الماء فأكثروا ، ثم ساروا إلى صدر النهار فسمع الحسين رجلا يكبر فقال له : مم كبرت ؟ فقال : رأيت النخيلة ، فقال له الأسديان : إن هذا المسكان لم ير أحد منه نخيلة ، فقال الحسين : فإذا تريانه رأى ؟ فقالا : هذه الخيل قد أقبلت ، فقال الحسين : أما لنا ملجأ نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد ؟ فقالا : بلى : ذو حسم . فأخذ ذات اليسار إليهما فنزل ، وأمر بأبنيتيه فضربت ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ، وهم مقدمة الجيش الذين بعثهم ابن زياد ، حتى وقفوا في مقابلته في نحو الظهيرة ، والحسين وأصحابه معتمون متقلدون سيوفهم ، فأمر الحسين أصحابه أن يترووا من الماء ويستقوا خيولهم ، وأن يستقوا خيول أعدائهم أيضا . وروى هو وغيره قاتوا : لما دخل وقت الظهر أمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفي فأذن ثم خرج الحسين في إزار ورداء ونعلين فخطب الناس من أصحابه وأعدائه واعتذر إليهم في مجيئه هذا إلى ههنا ، بأنه قد كتب إليه أهل الكوفة أنهم ليس لهم إمام ، وإن أنت قدمت علينا بإيعنك وقتلنا منك ، ثم أقيمت الصلاة فقال الحسين للحر : تريد أن تصلي بأصحابك ؟ قال لا ! ولكن صل أنت ونحن نصلي وراءك . فصلى بهم الحسين ، ثم دخل إلى خيمته واجتمع به أصحابه ، وانصرف الحر إلى جيشه وكل على أهبتة ، فلما كان وقت العصر صلى بهم الحسين ثم انصرف فخطبهم وحثهم على السمع والطاعة له وخلع من عاداهم من الاديعاء السائرين فيكم بالجور . فقال له الحر : إنا لا ندرى ما هذه الكتب ، ولما من كتبها ، فأحضر الحسين خر جين مملوءين كتباً فنثرها بين يديه وقرأ منها طائفة ، فقال الحر : لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك في شيء ، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى تقدمك على عبيد الله بن زياد ، فقال الحسين : الموت أدنى من ذلك ، ثم قال الحسين لأصحابه : اركبوا ! فركبوا وركب النساء ، فلما أراد الانصراف حال القوم بينه وبين الانصراف ، فقال الحسين للحر : مكثت أمك ، ماذا تريد ؟

فقال له الحر : أما والله لو غيرك يقولها لي من العرب وهو على مثل الحال التي أنت عليها لأقتصن منه ، ولما تركت أمه ، ولكن لأسبيل إلى ذكر أمك إلا بأحسن ما تقدر عليه ، وتناول القوم وتراجعوا فقال له الحر : إني لم أؤمر بقتلك ، وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد ، فإذا أبيت نخذ طريقا لا يقدمك الكوفة ولا تردك إلى المدينة ، واكتب أنت إلى يزيد ، واكتب أنا إلى ابن زياد إن شئت ، فعمل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشئ من أمرك . قال : فأخذ الحسين يساراً عن طريق العذيب والقادسية ، والحر بن يزيد يسيره وهو يقول له : يا حسين إني أذكرك الله في نفسك ، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن ، ولئن قوتلت لتهاكن فيما أرى . فقال له الحسين : أقبالموت تخوفني ؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه وقد لقيه وهو يريد نصرة رسول الله ﷺ فقال : أين تذهب فانك مقتول ؟ فقال : -

سأمضي وما بالموت عار على الفتى * إذا مانوى حقاً وجاهد مسلماً
وآسى الرجال الصالحين بنفسه * وفارق خوفاً أن يعيش ويرغماً

ويروى على صفة أخرى

سأمضي وما بالموت عار على امرئ * إذا مانوى حقاً ولم يلف مجرماً
فإن مت لم أندم وإن عشت لم ألم * كفى بك موتاً أن تذلل وترغماً

فلما سمع ذلك الحر منه تنهى عنه وجعل يسير بأصحابه ناحية عنه ، فأتوا إلى عذيب الهجانات وإذا سفر أربعة أي أربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يخبون ويجنبون فرسا لنافع بن هلال يقال له الكامل [قد أقبلوا من الكوفة يقصدون الحسين ودليلهم رجل يقال له الطرماح بن عدى راكب على فرس ^(١) وهو يقول

يا نافقي لا تدعني من زجري * وشمري قبل طلوع الفجر
بخير ركباً وخير سفر * حتى تحلى بكريم النجر
الماجد الحر رحيب الصدر * أتى به الله لخير أمر
ثم أتى بقاء الدهر

فأراد الحر أن يحول بينهم وبين الحسين فتمعه الحسين من ذلك ، فلما خلعوا إليه قال لهم : أخبروني عن الناس وراءكم ، فقال له مجمع بن عبد الله العامري أحد نفر الأربعة : أما أشرف الناس فهم إليك ، لأنهم قد عظمت رشوتهم وملئت غرأهم ، يستميل بذلك ودهم ويستخلص به نصيحتهم ، فهم إلب واحد إليك ، وأما سائر الناس فأقتلتهم تهوى إليك ، وسيوفهم غدا مشهورة عليك . قال

لهم : فهل لكم برسولي علم ؟ قالوا : ومن رسولك ؟ قال : قيس بن مسهر الصيداوى . قالوا : نعم أخذه
الحسين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك ، فصلى عليك وعلى
أبيك ولعن ابن زياد وأباه ، ودعا الناس إلى نصرتك وأخبرهم بقدمك فأمر به فألقى من رأس القصر
فمات ، فترقت عينا الحسين ، وقرأ قوله تعالى (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) الآية
ثم قال : اللهم اجعل منازلهم الجنة نزلا ، واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك ، وورغائب
مدخور ثوابك . ثم إن الطرماح بن عدى قال للحسين : انظر فما معك ؟ لا أرى معك أحداً إلا هذه
الشرذمة اليسيرة ، وإنى لأرى هؤلاء القوم الذين يسايرونك أكفأ من معك ، فكيف وظاهر الكوفة
مملوء بالخيول والجيوش يعرضون ليقصدونك ، فأنشك الله ، إن قدرت أن لا تتقدم إليهم شبرا فافعل ،
فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به من ملوك غسان وحجير ، ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود
والأحمر ، والله إن دخل علينا ذل قط فأسير معك حتى أتراك القرية ، ثم تبعث إلى الرجال من باجا
وسلمى من طى ، ثم أقم معنا ما بدالك ، فأنا زعيم بعشرة آلاف طائي يضربون بين يديك بأسيا فهم ،
والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف . فقال له الحسين : جزاك الله خيراً ، فلم يرجع عما هو
بصدده ، فودعه الطرماح ، ومضى الحسين ، فلما كان من الليل أمر فتيانه أن يستقوا من الماء
كفائتهم ، ثم سرى فنهس في مسيره حتى خفق برأسه ، واستيقظ وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ،
والحمد لله رب العالمين . ثم قال : رأيت فارساً على فرس وهو يقول : القوم يسرون والمنايا تسرى إليهم ،
فعلمت أنها أنفسنا نُعيت إلينا ، فلما طلع الفجر صلى بأصحابه وعجل الركوب ثم تيسر في مسيره حتى
انتهى إلى نينوى ، فاذا راكب متنكب قوساً قد قدم من الكوفة ، فسلم على الحر بن يزيد ولم يسلم على
الحسين ، ودفع إلى الحر كتاباً من ابن زياد ومضمونه أن يعدل بالحسين في السير إلى العراق في غير
قرية ولا حصن ، حتى تأتية رسله وجنوده ، وذلك يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين ،
فلما كان من الغد قدم عمر بن سعد بن أبي قاص في أربعة آلاف ، وكان قد جهزه ابن زياد في هؤلاء
إلى الديلم ، وخيم بظاهر الكوفة ، فلما قدم عليهم أمر الحسين قال له : سر إليه ، فاذا فرغت منه
فسر إلى الديلم ، فاستعفاه عمر بن سعد من ذلك . فقال له ابن زياد : إن شئت عفيتك وعزلتاك عن
ولاية هذه البلاد التي قد استنبتت عليها ، فقال : حتى أنظر في أمري ، فجعل لا يستشير أحداً إلا نهاه
عن المسير إلى الحسين ، حتى قال له ابن أخيه حمزة بن المغيرة بن شعبة : إياك أن تسير إلى الحسين فتعصى
ربك وتقطع رحلك ، فو الله لأن تخرج من سلطان الأرض كلها أحب إليك من أن تلقى الله بدم
الحسين ، فقال : إني أفعل إن شاء الله تعالى . ثم إن عبيد الله بن زياد تهده وتهوده بالعزل والقتل ،
فسار إلى الحسين فنارله في المكان الذى ذكرنا ، ثم بعث إلى الحسين الرسل : ما الذى أقدمك ؟ فقال

كتب إلى أهل الكوفة أن أقدم عليهم ، فاذ قد كرهوني فأتنا راجع إلى مكة وأذكرهم . فلما بلغ عمر بن سعد هذا قال : أرجو أن يعافيني الله من حربه ، وكتب إلى ابن زياد بذلك ، فرد عليه ابن زياد : أن حل بينهم وبين الماء كما فعل بالتي الزكي المظالم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، واعرض على الحسين أن يبايع هو ومن معه لأمر المؤمنين يزيد بن معاوية ، فإذا فعلوا ذلك رأينا رأينا ، وجعل أصحاب عمر بن سعد يمنعون أصحاب الحسين من الماء ، وعلى سرية منهم عمرو بن الحجاج ، فدعا عليهم بالعطش فمات هذا الرجل من شدة العطش . ثم إن الحسين طلب من عمر بن سعد أن يجتمع به بين العسكرين ، فجاء كل واحد منهما في نحو من عشرين فارساً ، فتكلموا طويلاً حتى ذهب هزيع من الليل ، ولم يدر أحد ما قالوا ، ولكن ظن بعض الناس أنه سأل أن يذهب معه إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ويترك العسكرين متواقفين ، فقال عمر إذا بهم ابن زياد داري ، فقال الحسين : أنا أبنائها لك أحسن مما كانت ، قال : إذا يأخذ ضياعي ، قال أنا أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز ، قال : فكره عمر بن سعد من ذلك . وقال بعضهم : بل سأل منه إما أن يذهب إلى يزيد ، أو يتركه يرجع إلى الحجاز أو يذهب إلى بعض الثغور فيقاتل الترك ، فكتب عمر إلى عبيد الله بذلك ، فقال : نعم ! قد قبلت ، فقام الشمر بن ذى الجوشن فقال : لا والله حتى ينزل على حكمتك هو وأصحابه ، ثم قال : والله لقد بلغني أن حسيناً وابن سعد يجلسان بين العسكرين فيحدثان عامة الليل ، فقال له ابن زياد : فنعهم ما رأيت . وقد روى أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب عن عقبة بن سميان . قال : لقد صحبت الحسين من مكة إلى حين قتل ، والله ما من كلمة قالها في موطن إلا وقد سمعتها ، وإنه لم يسأل أن يذهب إلى يزيد فيضع يده إلى يده ، ولا أن يذهب إلى ثغر من الثغور ، ولو سأل أن يذهب إلى أي مكان من أي مكان ، وإما أن يرجع من حيث جاء ، وإما أن يدعوهم يذهب في الأرض العريضة حتى ينظر ما يصير أمر الناس إليه . ثم إن عبيد الله بعث شمر بن ذى الجوشن فقال : اذهب فان جاء حسين وأصحابه على حكمي وإلا فمر عمر بن سعد أن يقاتلهم ، فان تباطأ عن ذلك فاضرب عنقه ثم أنت الأمير على الناس . وكتب إلى عمر بن سعد يهدده على توانيئه في قتال الحسين ، وأمره إن لم يجيء الحسين إليه أن يقاتله ومن معه ، فأنهم مشاقون . فاستأمن عبيد الله بن أبي الحجل لبني عمته أم البنين بنت حرام من علي ، وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان . فكتب لهم ابن زياد كتاب أمان وبعث عبيد الله بن الحجل مع مولى له يقال له كرماني ، فلما بلغهم ذلك قالوا : أما أمان ابن سمية . فلا نريده ، وإنا لمرجو أماناً خيراً من أمان ابن سمية . ولما قدم شمر بن ذى الجوشن على عمر بن سعد بكتاب عبيد الله بن زياد ، قال عمر : أبعد الله دارك ، وقبح ما جئت به ، والله إنى لأظنك الذي صرفته عن الذي عرضت عليه من الأمور الثلاثة التي طلبها الحسين ، فقال له شمر : فأخبرني ما أنت صانع ، أتقاتلهم أنت أو تاركهم وإياهم ؟

فقال له عمر : لا ولا كرامة لك ! أنا أتولى ذلك ، وجعلته على الرحالة ونهضوا إليهم عشية يوم الخميس التاسع من الحرم ، فقام شمر بن ذى الجوشن فقال : أين بنو أختنا ؟ فقام إليه العباس وعبد الله ، وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب ، فقال : أنتم آمنون . فقالوا : إن أمنتنا وابن رسول الله ﷺ ، وإلا فلا حاجة لنا بأمانك . قال : ثم نادى عمر بن سعد في الجيش : يا خيل الله اركبي وابشري ، فركبوا وزحفوا إليهم بعد صلاة العصر من يومئذ ، هذا وحسين جالس أمام خيمته محتبياً بسيفه ، ونفس تخفق برأسه وسمعت أخته الضجة فدنت منه فأيقظته ، فرجع برأسه كما هو ، وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي : « إنك تروح إلينا » فلطممت وجهها وقالت : يا ويلتنا . فقال : ليس لك الويل يا أخته : اسكني رحمتك الرحمن ، وقال له أخوه العباس بن علي : يا أخي جاءك القوم ، فقال : اذهب إليهم فسلمهم ما بدا لهم ، فذهب إليهم في نحو من عشرين فارساً فقال : ما لكم ؟ فقالوا : جاء أمر الأمير إما أن تأتوا على حكمه وإما أن تقتلكم . فقال : مكانكم حتى أذهب إلى أبي عبد الله فأعلمه ، فرجع ووقف أصحابه فجعلوا يتراجعون القول ويؤنب بعضهم بعضاً ، يقول أصحاب الحسين : بئس القوم ، أنتم تريدون قتل ذرية نبيكم وخيار الناس في زمانهم ؟ ثم رجع العباس بن علي من عند الحسين إليهم فقال لهم : يقول لكم أبو عبد الله : انصرفوا عشيتكم هذه حتى ينظر في أمره الليلة ، فقال عمر بن سعد لشمر بن ذى الجوشن : ما تقول ؟ فقال : أنت الأمير والرأى رأيك ، فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي : سبحان الله ! والله لو سألتكم ذلك رجل من الديلم لكان ينهني إجابته . وقال قيس بن الأشعث : أجبتهم إلى ما سألوكم ، فلمعري ليصبحنك بالقتال غدوة ، وهكذا جرى الأمر ، فان الحسين لما رجع العباس قال له : ارجع فارددهم هذه العشية لعلنا نصلي لربنا هذه الليلة ونستغفره ونسعوه ، فقد علم الله مني أني أحب الصلاة له ، وتلاوة كتابه ، والاستغفار والدعاء . وأوصى الحسين في هذه الليلة إلى أهله ، وخطب أصحابه في أول الليل فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على رسوله بعبارة فصيحة بليغة ، وقال لأصحابه : من أحب أن ينصرف إلى أهله في ليلته هذه فقد أذنت له فان القوم إنما يريدوني . [فقال مالك بن النضر : على دين ولى عيال ، فقال هذا الليل قد غشيتكم فاتخذوه حجلاً ، ليأخذ كل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم اذهبوا في بساط الأرض في سواد هذا الليل إلى بلادكم ومدائنكم ، فان القوم إنما يريدوني ، فلو قد أصابوني لخوا عن طلب غيري ، فاذهبوا حتى يفرج الله عز وجل . فقال له إخوته وأبناءؤه وبنو أخيه : لا بقاء لنا بعدك ، ولا أرانا الله فيك ما نكره ، فقال الحسين : يا بني عقيل حسبكم بمسلم أخيك ، اذهبوا فقصداً أذنت لكم ، قالوا : فما تقول الناس إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبنى عمومنا خير الأعمام ، لم نرم معهم بسهم ، ولم نعلمن معهم برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، رغبة في الحياة الدنيا ، لا والله لا نفعل ، ولكن نقديك

بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ، ونقاتل معك حتى نرد مورديك . فقبض الله العيش بمدك . وقال نحو ذلك
 مسلم بن عوسجة الأسدي ، وكذلك قال سعيد بن عبد الله الحنفي : والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا
 قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك ، والله لو علمت أني أقتل دونك ألف قتلة ، وأن الله يدفع
 بذلك القتل عنك وعن أنفس هؤلاء الفتيمة من أهل بيتك ، لأحببت ذلك ، وإنما هي قتلة واحدة .
 وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً من وجه واحد ، فقالوا : والله لا نفارقك ، وأنفسنا
 النداء لك ، فتيك بنحورنا وجباهنا ، وأيدينا وأبداننا ، فإذا نحن قتلنا وفينا وقضينا ما علينا . وقال
 أخوه العباس : لا أرانا الله يوم فقدك ولا حاجة لنا في الحياة بسبك . وتتابع أصحابه على ذلك [(١)]
 وقال أبو مخنف : حدثني الحارث بن كعب وأبو الضحاح عن علي بن الحسين زين العابدين .
 قال : إني جالس تلك العشي التي قتل أبي في صبيحتها ، وعني زينب تمرضني إذ اعتزل أبي في
 خبائه ومعه أصحابه ، وعنده حوى مولى أبي ذر الفمري ، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول : -

يادهر أف لك من خليل * كم لك بالأشراق والأصيل
 من صاحب أو طالب قتيل * والدهر لا يقنع بالبديل
 وإنما الأمر إلى الجليل * وكل حي سالك السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى حفظتها وفهمت ما أراد ، فنفقتني العبرة فرددتها ، ولزمت السكوت ،
 وعلمت أن البلاء قد نزل ، وأما عني فقامت حاسرة حتى انتهت إليه فقالت : وائسكلاه ! ليت
 الموت أعدمني الحياة اليوم ، ماتت أمي فاطمة وعلى أبي ، وحسن أخي ، يا خليفة الماضي ، ونمال الباقي
 فنظر إليها وقال : يا أخيه ، [لا يذهبن حلاك الشيطان ، فقالت : بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله ،
 استقملي ، واظمت وجهها وشقت جيها وخرت مغشياً عليها ، فقام إليها فصب على وجهها الماء
 وقال يا أخيه [(٢)] اتق الله وأحبري وتعززي بمراء الله ، واعلمي أن أهل الأرض يموتون ، وأن أهل
 السماء لا يبقون ، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته ، ويميتهم بقهره وعزته ،
 ويعيدهم فيعبده وحده ، وهو فرد وحده ، واعلمي أن أبي خير مني ، وأمي خير مني ، وأخي خير
 مني ، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة ، ثم خرج عليها أن لا تفعل شيئاً من هذا بعد
 مهلك . ثم أخذ بيدها فردّها إلى عندي ، ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يدنوا بيوتهم بعضها من
 بعض حتى تدخل الأضباب بعضها في بعض ، وأن لا يجعلوا للمدو خلفاً إليهم إلا من جهة واحدة ،
 وتكون البيوت عن أيمانهم وعن شمائلهم ، ومن وراءهم . وبات الحسين وأصحابه طول ليلهم يصاون
 ويستغفرون ويدعون ويتضرعون ، وخيل حرس عدوهم تدور من وراءهم ، عليها عزرة بن قيس

(١) سقط من المصنوعة (٢) سقط من نسخة طوب قبره بالأستانة :

الأحسى [والحسين يقرأ (ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيراً لا أنفسهم إنما نملى لهم
 ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين . ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من
 الطيب) الآية فسمعا رجل من تلك الخليل التي كانت تحرس من أصحاب ابن زياد فقال : نحن
 ورب الكعبة الطيبون ميزنا الله منكم . قال فعرفته فقلت لزيد^(١) بن حضير : أتدرى من هذا ؟ قال :
 لا ! فقلت هذا أبو حرب السبيعي عبيد الله بن شمير - وكان مضحكا بطالاً - وكان شريفاً شجاعاً
 فأنكنا ، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه في خبائه . فقال له يزيد بن حصين : يا فاسق متى كنت من
 الطيبين ؟ فقال : من أنت وياك ؟ قال : أنا يزيد بن حصين . قال : إنا لله ! هلك والله عدو الله !
 على م يريد قتلك ؟ قال فقلت له : يا أبا حرب هل لك أن تتوب من ذنوبك العظام ؟ فوالله إنا لنحن
 الطيبون وإنكم لأنتم الخبيثون . قال : نعم وأنا على ذلك من الشاهدين . قال : ويحك أفلا يتفكك
 معرفتك ؟ قال فأنه عزرة بن قيس أمير السرية التي تحرسنا فانصرف عنا^(٢) قالوا : فلما صلى
 عمر بن سعد الصبح بأصحابه يوم الجمعة وقيل يوم السبت - وكان يوم عاشوراء - انتصب للقتال ،
 وصلى الحسين أيضاً بأصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً ، ثم انصرف فصنفهم فجعل على
 ميمنته زهير بن القين ، وعلى الميسرة حبيب بن المظفر ، وأعطى رايته العباس بن علي أخاه ، وجعلوا
 البيوت بما فيها من الحرم وراء ظهورهم ، وقد أمر الحسين من الليل فحفرُوا وراء بيوتهم خندقاً وقذفوا
 فيه حطباً وخشباً وقصباً ، ثم أضرمت فيه النار لئلا يخلص أحد إلى بيوتهم من وراءها . وجعل عمر بن
 سعد على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي ، وعلى الميسرة شمر بن ذي الجوشن - واسم ذي الجوشن
 شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية من بني الضباب بن كلاب - وعلى الخليل عزرة بن قيس
 الأحسى ، وعلى الرجال شيبث بن ريمي ، وأعطى الراية لوردان مولاه ، وتواقف الناس في ذلك
 الموضع ، فعدل الحسين إلى خيمة قد نصبت فاغتسل فيها وانطلى بالنورة وتطيب بمسك كثير ،
 ودخل بعده بعض الأمراء ففعلوا كما فعل ، فقال بعضهم لبعض : ما هذا في هذه الساعة ؟ فقال بعضهم :
 دعنا منك ، والله ما هنه ساعة باطل ، فقال يزيد بن حصين : والله لقد علم قومي أني ما أحببت
 الباطل شاباً ولا كهلاً ، ولكن والله إني لمستبشر بما نحن للاحقون ، والله ما بيننا وبين الخور العين
 إلا أن يميل علينا هؤلاء القوم فيقتلوننا . ثم ركب الحسين على فرسه وأخذ مصحفاً فوضعه بين
 يديه ، ثم استقبل القوم رافعاً يديه يدعو بما تقدم ذكره : اللهم أنت تقى في كل كرب ، ورجائي
 في كل شدة ، إلى آخره . وركب ابنه علي بن الحسين - وكان ضعيفاً مريضاً - فرساً يقل له الأحق
 ونادى الحسين أيها الناس : اسمعوا مني نصيحة أقولها لكم ، فأصغت الناس كلهم ، فقال بعد حمد

(١) كذا بالأسلين . وفي الطبري : برير بن حضير (٢) سقط من المصرية

الله والثناء عليه : أيها الناس إن قبلتم مني وأنصفتُموني كتمت بذلك أسعد ، ولم يكن لكم على سبيل ، وإن لم تقبلوا مني (فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون . إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) .

فلما سمع ذلك أخواته وبناته ارتفعت أصواتهن بالبكاء فقال عند ذلك : لا يبعد الله ابن عباس .
- يعني حين أشار عليه أن لا يخرج بالنساء معه ويدعنه بمكة إلى أن ينظم الأمر - ثم بعث أخاه العباس فسكتن ، ثم شرع يذكّر للناس فضله وعظمته لسببه وعلو قدره وشرفه ، ويقول : راجعوا أنفسكم وحاسبوها . هل يصلح لكم قتال مثلي ، وأنا ابن بنت نبيكم ، وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري ؟ وعلى أبي ، وجهفر ذو الجناحين عمي ، وحزرة سيد الشهداء عم أبي ؟ وقال لي رسول الله ﷺ ولأخي : « هذان سيدي شباب أهل الجنة » . فان صدقتُموني بما أقول فهو الحق ، فوالله ما تعمدت كذبة منذ علمت أن الله يمت على الكذب ، وإلا فاسألوا أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك ، جابر بن عبد الله ، وأبا سعيد ، وسهل بن سعد ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، يخبرونكم بذلك ، ويحكم ! أما تتقون الله ؟ أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟ . فقال عند ذلك شمر بن ذى الجوشن : هو يعبد الله على حرف : إن كنت أدري ما يقول ؟ فقال له حبيب بن مطهر ^(١) : والله يا شمر إنك لتعبد الله على سبعين حرفاً ، وأما نحن فوالله إنا لندري ما يقول ، وإنه قد طبع على قلبك . ثم قال : أيها الناس ذروني أرجع إلى أمانتي من الأرض ، فقالوا : وما بمنك أن تنزل على حكم بني عمك ؟ فقال : معاذ الله (إني عندي بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) ثم أناخ راحلته وأمر عقبة بن سميان ففعلها [ثم قال : أخبروني أطلبوني بقتيل لكم قتلته ؟ أو مال لكم أكلته ؟ أو بقصاصة من جراحة ؟ قال : فأخذوا لا يكلمونه . قال : فنادى يا شبيب بن ربي ، يا حجار بن أبحر ، يا قيس بن الأشعث ، يا زيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إلي أنه قد أينعت الثمار واخضر الجنب ، فأقدم علينا فانك إنما تقدم على جند مجندة ؟ فقالوا له : لم نفعل . فقال : سبحان الله ! والله لقد فعلتم ، ثم قال : يا أيها الناس ! إذ قد كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم ، فقال له قيس بن الأشعث : ألا نزل على حكم بني عمك فانهم لن يؤذوك ، ولا ترى منهم إلا ما تحب ؟ فقال له الحسين : أنت أخو أخيك ، أتريد أن تطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم ابن عقيل ؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقر لهم إقرار العبيد] . ^(٢)

قال : وأقبلوا يزحفون نحوه وقد تميز إلى جيش الحسين من أولئك طائفة قريب من ثلاثين فارساً فيما قيل ، منهم الحر بن يزيد أمير مقدمة جيش ابن زياد ، فاعتذر إلى الحسين مما كان منهم ،

قال : ولو أعلم أنهم على هذه النية لسرت معك إلى يزيد ، فقبل منه الحسين ، ثم تقدم بين يدي أصحاب الحسين فخطب عمر بن سعد فقال : ويحكم ألا تقبلون من ابن بنت رسول الله ﷺ ما يعرض عليكم من انخصال الثلاث واحدة منها ؟ فقال : لو كان ذلك إلى قبلي .

قال : وخرج من أصحاب الحسين زهير بن القين على فرس له شاك في السلاح ، فقال : يا أهل الكوفة ، نذار لكم من عذاب الله نذار ، إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن أخوة ، وعلى دين واحد ، وملة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، فإذا وقع السيف انقطعت العصبة ، وكنا أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وإياكم بديرية نبيه لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية ، عبيد الله بن زياد ، فانكم لم تتركوا منهما الاسوء عموم سلطانهما ، يسمان أعينكم ، ويقطمان أيديكم وأرجلكم ، ويشلان بكم ، ويقتلان أمثالكم وقراءكم ، أمثال حجر بن عدي وأصحابه ، وهاني بن عروة وأشباؤه . قال : فسبوه وأثنوا على ابن زياد ودعوا له ، وقالوا : لا نزرع حتى نقتل صاحبك ومن معه . فقال لهم : إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية ، فإن أنتم لم تنصروهم فأعينكم بالله أن تقتلوهم ، خلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، نذهب حيث شاء ، فلم يرد ابن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين . قال : فرماد شمر بن ذى الجوشن بسهم وقال له : أسكت أسكت الله فامتك ، أبرمتا بكثرة كلامك ، فقال له زهير : يا ابن البوآل على عقبية ، إياك أخطب ؟ إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين ، فأبشر بالخرى يوم القيامة والعذاب الأليم . فقال له شمر : إن الله قاتلك وصاحبك بعد ساعة ، فقال له زهير : أبالموت تخوفني ؟ فوالله للموت معه أحب إلى من الخلد معكم . ثم إن زهيراً أقبل على الناس رافعاً صوته يقول : عباد الله لا يفرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباؤه ، فوالله لا ينال شفاعة محمد ﷺ قوم أهرقوا دماء ذريته ، وقتلوا من نصرهم وذبحوا عن حريمهم .

وقال الحر بن يزيد العامري : أصححك الله ! أذقاتك أنت هذا الرجل ؟ قال : إي والله قتالا أيسره أن تسقط الرأس وتطيح الأيدي ، وكان الحر من أشجع أهل الكوفة ، فلامه بعض أصحابه على الذهاب إلى الحسين ، فقال له : والله إنى أخير نفسي بين الجنة والنار ، والله لا أختار على الجنة غيرها ولو قطعت وحرقت . ثم ضرب فرسه فلاحق بالحسين فاعتذر إليه بما تقدم ، ثم قال : يا أهل الكوفة لا تمك الأهل ، ادعوتهم الحسين إليكم حتى إذا أنكم أسلمتموه وزعتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لثقتاوه ، ومنعتموه التوحيد في بلاد الله العريضة الوسيعة التي لا يمنع فيها الكلب والخنزير ، وحلتم بينه وبين المساء الغرات الجارية الذي يشرب منه الكلب والخنزير وقد صرعهم

العطاش ؟ بئس ما خلفتم محمداً في ذريته ، لا سقاكم الله يوم الظأ الا كبر إن لم تتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه . فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنبل فأقبل حتى وقف أمام الحسين ^(١) وقال لهم عمر بن سعد : لو كان الأمر لي لأجبت الحسين إلى ما طلب ولكن أبي على عبيد الله بن زياد ، وقد خاطب أهل الكوفة وأنهم ووبخهم وسبهم ، فقال لهم الحر بن يزيد : ويحكم منعتهم الحسين ونساءه وبناته الماء الفرات الذي يشرب منه اليهود والنصارى ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه ، فهو كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً .

قال فتقدم عمر بن سعد وقال لمولاه : يادريد أدن رأيتك ، فأدناها ثم شعر عمر عن ساعده ورمى بسهم وقال : اشهدوا أنني أول من رمى القوم ، قال : فترامى الناس بالنبال ، وخرج يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله ، فقالا : من يبارز ؟ فبرز لهما عبيد الله بن عمر السكابي بعد استئذنه الحسين فقتل يساراً أولاً ثم قتل سالماً بعده ، وقد ضربه سالم ضربة أطار أصابع يده اليسرى ، وحمل رجل يقال له عبد الله بن حوزة حتى وقف بين يدي الحسين فقال له : يا حسين أبتسر بالنار ! فقال له الحسين : كلا ويحك إني أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع ، بل أنت أولى بالنار . قالوا : فانصرف فوقصته فرسه فسقط وتملقت قدمه بالركاب ، وكان الحسين قد سأل عنه فقال : أنا ابن حوزة ، فرفع الحسين يده وقال : اللهم حره إلى النار ، فغضب ابن حوزة وأراد أن يتحطم عليه الفرس وبيته وبينه نهر ، فحالت به الفرس فانقطعت قدمه وساقه ونخذه وبقى جانبه الآخر متملقاً بالركاب ، وشد عليه مسلم بن عوسجة فضر به فأطار رجلاه اليمنى ، وغارت به فرسه فلم يبق حجر يمر به إلا ضربه في رأسه حتى مات .

[وروى أبو مخنف عن أبي جناب قال : كان منار رجل يدعى عبد الله بن نمير من بني عليم ، كان قد نزل الكوفة واتخذ داراً عند بئر الجعد من همدان ، وكانت معه امرأة له من النمر بن قاسط ، فرأى الناس يهيمون للخروج إلى قتال الحسين ، فقال : والله لقد كنت على قتال أهل الشرك حريصاً ، وإني لأرجو أن يكون جهادي مع ابن بنت رسول الله ﷺ لهؤلاء أفضل من جهاد المشركين ، وأيسر ثواباً عند الله ، فدخل إلى امرأته فأخبرها بما هو عازم عليه ، فقالت : أصبحت أصاب الله بك أرشد أمورك ، افعل وأخرجني معك . قال : فخرج بها ليلاً حتى أتى الحسين ، ثم ذكر قصة رمى عمر بن سعد بالسهم وقصة قتله يسار مولى زياد ، وسالم مولى ابن زياد ، وأن عبد الله ابن عمير استأذن الحسين في الخروج إليهما فنظر إليه الحسين . فرأى رجلاً آدم طويلاً شديداً الساعدين بعينه ما بين المنكبين ، فقال الحسين : إني لأحسبه للأقران قتلاً ، أخرج إن شئت ،

نخرج فقال له : من أنت ؟ فانتسب لهما ، فقالا : لا نمر فك إلا هو خير منكما ، ثم شدد على يسار فكان كأمس الذاهب ، فانه لمشتغل به إذ حمل عليه سالم مولى ابن زياد فصاح به صائح قد رهقك العبد ، قال : فلم ينتبه حتى غشيته فضربه على يده اليسرى فأطار أصابعه ، ثم مال على الكلابي فضربه حتى قتله وأقبل يرتجز ويقول : -

إن تمكراني فانا ابن كلب نسبي * يبقى في عليم حسبي * إني امرؤ ذو مروءة وغضب
ولست بالخوار عند الكرب * إني زعيم لك أم وهب * بالظعن فيهم مقدما والضرب
* ضرب غلام مؤمن بالرب *

فأخذت أم وهب عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول له : فداؤك أبي وأمي ، قاتل دون الطيبين ، ذرية محمد عليه السلام ، فأقبل إليها يردّها نحو النساء فأقبلت تجاذبه ثوبه ، قالت : دعني أكون معك ، فنادها الحسين : انصرفي إلى النساء فاجلسي مهن فانه ليس على النساء قتال ، فانصرفت إليهن^(١) قال : وكثرت المبارزة يومئذ بين الفريقين والنصر في ذلك لأصحاب الحسين لقوة بأسهم ، وأنهم مستميتون لا عاصم لهم إلا سيوفهم ، فأشار بعض الأمراء على عمر بن سعد بعدم المبارزة ، وحمل عمرو بن الحجاج أمير ميمنة جيش ابن زياد : وجعل يقول : قاتلوا من مرق من الدين وفارق الجماعة . فقال له الحسين : ويحك يا حجاج أعلني تحرض الناس ؟ أنحن مرقنا من الدين وأنت تقيم عليه ؟ ستملون إذا فارقت أرواحنا أجسادنا من أولى بصلى النار . وقد قتل في هذه الحملة مسلم بن عوسجة ، وكان أول من قتل من أصحاب الحسين فشى إليه الحسين فترحم عليه ، وهو على آخر رمق ، وقال له حبيب بن مظاهر : ابشر بالجنة ، فقال له بصوت ضعيف : بشرك الله بالخير . ثم قال له حبيب : لولا أني أعلم أني على أثرك لا حقت لكنت أقضى ما توصى به ، فقال له مسلم بن عوسجة : أوصيك بهذا - وأشار إلى الحسين - إلى أن تموت دونه . قالوا : ثم حمل شعر بن ذى الجوشن بليسرة وقصدوا نحو الحسين فدافعت عنه الفرسان من أصحابه دفاعاً عظيماً ، وكافحوا دونه مكافئة بليعة ، فأرسلوا يطلبون من عمر بن سعد طائفة من الرماة الرجالة ، فبعث إليهم نحواً من خمسمائة ، فجعلوا يرمون خيول أصحاب الحسين فمقروها كلها حتى بقي جميعهم رجالة ، ولما عقروا جواد الحر ابن يزيد نزل عنه وفي يده السيف كأنه ليث وهو يقول :

إن تمقروا بني فانا ابن الحر * أشجع من ذى لبد هزبر

ويقال إن عمر بن سعد أمر بتقويض تلك الأبنية التي تمنع من القتال من أتى ناحيتها ، فجعل أصحاب الحسين يقتلون من يتعاطى ذلك ، فأمر بتحريقها فقال الحسين : دعوهم يحرقونها فانهم

لا يستطيعون أن يجوزوا منها وقد أحرقت . وجاء شمر بن ذى الجوشن قبضه الله إلى فسطاط الحسين فطعنه برمح - يعنى الفسطاط - وقال : إيتونى بالنار لأحرقه على من فيه ، فصاحت النسوة وخرجن منه ، فقال له الحسين : أحرقت الله بالنار ، وجاء شبث بن ربعى إلى شمر قبضه الله فقال له : ما رأيت أقبح من قولك ولا من فعلك وموقفك هذا ، أتريد أن ترعب النساء ؟ فاستجى وهم بالرجوع وقال حميد بن مسلم : قلت لشمر سبحان الله !! إن هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين ؟ تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء ؟ والله إن فى قتلك الرجال لما ترضى به أميرك . قال فقال لى : من أنت ؟ قلت : لا أخبرك من أنا - وخشيت أنى إن أخبرته فعرفى أن يسوءنى عند السلطان - .

وشد زهير بن القين فى رجال من أصحاب الحسين على شمر بن ذى الجوشن فأزالوه عن موقفه ، وقتلوا أبا عزة الضبابى - وكان من أصحاب شمر - وكان الرجل من أصحاب الحسين إذا قتل بان فيهم الخلل ، وإذا قتل من أصحاب ابن زياد الجماعة الكثيرة لم يتبين ذلك فيهم لكثرتهم ، ودخل عليهم وقت الظهر فقال الحسين : مروهم فليكفوا عن القتال حتى نصلى ، فقال رجل من أهل الكوفة : إنها لا تقبل منكم ، فقال له حبيب بن مطهر : ويحك !! أتقبل منكم ولا تقبل من آل رسول الله ﷺ ؟

وقاتل حبيب قتلاً شديداً حتى قتل رجلاً يقال له بديل بن صريم من بنى عتفان وجعل يقول :

أنا حبيب وأبى مطهر * فارس هيجاء وحرب مسمر

أنتم أوفر عدة وأكثر * ونحن أوفى منكم وأصبر

ونحن أعلى حجة وأظهر * حقاً وأبقى منكم وأطهر

ثم حمل على حبيب هذا رجل من بنى تميم فطعنه فوق ، ثم ذهب ليقوم فضربه الحصين بن تمير على رأسه بالسيف فوق ، ونزل إليه التميمى فاحتز رأسه وجمده إلى ابن زياد ، فرأى ابن حبيب رأس أبيه فعرفه فقال له : اعطنى رأس أبى حتى أدفنه ، ثم بكى . قال : فسكت الغلام إلى أن بلغ أشده ثم لم تكن له همة إلا قتل قاتل أبيه ، قال : فلما كان زمن مصعب بن عمير دخل الغلام عسكر مصعب فاذا قاتل أبيه فى فسطاطه ، فدخل عليه وهو قاتل فضربه بسيفه حتى برد .

وقال أبو مخنف : حدثني محمد بن قيس قال : لما قتل حبيب بن مطهر هذا ذلك الحسين ، وقال عند ذلك : أحسب نفسى ، وأخذ الحرير يجز ويقول للحسين :

آليت لا تقتل حتى أقتلا * وإن أصاب اليوم إلا مقبلا

أضربهم بالسيف ضرباً مقصلاً * لا نا كلاً عنهم ولا مهلاً

ثم قاتل هو وزهير بن القين قتلاً شديداً فكان إذا شد أحدهما حتى استلحم شد الآخر حتى

يخلصه ، فعلا ذلك ساعة ، ثم إن رجالاً شذوا على الحر بن يزيد فقتلوه ، وقتل أبو ثمامة الصائدي ابن عم له كان عدواً له . ، ثم صلى الحسين بأصحابه الظهر صلاة الخوف ، ثم اقتتلوا بعدها قتلاً شديداً ودافع عن الحسين صناديد أصحابه ، وقاتل زهير بن القين بين يدي الحسين قتلاً شديداً ، ورمى بعض أصحابه بالنبل حتى سقط بين يدي الحسين وجعل زهير يرتجز ويقول : -

أنا زهير وأنا ابن القين * أذودكم بالسيف عن الحسين

قال : وأخذ يضرب على منكب الحسين ويقول :

أقدم هديت هاديا مهديا * فاليوم تلقى جدك النبيا

وحسنا والمرضى عليا * وذا الجناحين الفتي الكيا

* وأسند الله الشهيد الحيا *

قال : فشد عليه كثير بن عبد الله الشامي ومهاجر بن أوس فقتلاه .

قال : وكان من أصحاب الحسين نافع بن هلال الجلي ، وكان قد كتب على فوق نبله فجعل يرمى بها مسمومة وهو يقول :

أرمى بها معلما أفواقها * والنفس لا ينفعها شقاقها * أنا الجلي أنا على دين علي .

فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد ، سوى من جرح ، ثم ضرب حتى كسرت عضداه ، ثم أسروه فأثروا به عمر بن سعد فقال له : ويح لك يا نافع ، ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟ فقال : إن ربي يعلم ما أردت ، والدماء تسيل عليه وعلى لحيته ، ثم قال : والله لقد قتلت من جندكم اثني عشر سوى من جرح ، وما ألوم نفسي على الجهد ، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتوني . فقال عمر : اقتله ، قال : أنت جئت به ، فإن شئت اقتله . فقام شمر فألقى سيفه فقال له نافع : أما والله يا شمر لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا ، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه . ثم أقبل شمر فحمل على أصحاب الحسين وتكاثر معه الناس حتى كادوا أن يصلوا إلى الحسين ، فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا عليهم ، وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا الحسين ولا أنفسهم ، تنافسوا أن يقتلوا بين يديه ، فجاء عبد الرحمن وعبد الله ابنا عزة الغفاري ، فقالا : أبا عبد الله عليك السلام ، حازنا العدو إليك فأحببنا أن تقتل بين يديك وندفع عنك . فقال : مرحباً بكما ، ادنوا مني ، فدنا منه فجعل يقاتلان قريباً منه وهما يقولان :

قد علمت حقاً بنو غفار * وخندف بعد بني نزار

لشمر بن معشر الفجار * بكل عضب قاطع بتار

يا قوم ذودوا عن بني الأخيار * بالمشرفي والقنا الخطار

ثم أتاه أصحابه مثنى وفرادى يقاتلون بين يديه وهو يدعو لهم ويقول : جزاكم الله أحسن جزاء المتين ، فجمعوا يسلمون على الحسين و يقاتلون حتى يقتلوا ، ثم جاء عابس بن أبي شبيب فقال : يا أبا عبد الله ! أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز على منك ، ولو قدرت أن أدفع عنك الضيم أو القتل بشئ أعز على من نفسى ودعى لفلانة ، السلام عليك يا أبا عبد الله ، اشهدلى أنى على هديك . ثم مشى بسيفه صلتا وبه ضربة على جبينه - وكان أشجع الناس - فنادى : لأرجل رجل ؟ ألا ابرزوا إلى . فمرفوه فشكلوا عنه ، ثم قال عمر بن سعد : ارضعوا بالحقارة ، فرمى بالحقارة من كل جانب ، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومفره ، ثم شد على الناس ، والله لقد رأيته يكرد أكثر من مائتين من الناس بين يديه ، ثم إنهم عطفوا عليه من كل جانب فقتل رحمه الله ، فرأيت رأسه فى أيدي رجال ذوى عدد ، كل يدعى قتله ، فأتوا به عمر بن سعد فقتل لهم : لا تحتصموا فيه ، فإنه لم يقتله إنسان واحد ، ففرق بينهم بهذا القول [(١)]

ثم قاتل أصحاب الحسين بين يديه حتى تقاتلوا ولم يبق معه أحد إلا سويد بن عمرو بن أبي مطاع الخثعمي ، وكان أول قتيل قتل من أهل الحسين من بنى أبي طالب على الأكبر بن الحسين بن علي ، وأمه نيلي بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي ، طعنه مرة بن منقذ بن النعمان العبدي فقتله ، لأنه جعل يقي أباه ، وجعل يقصد أباه ، فقتل على بن الحسين :

أنا على بن الحسين بن علي * نحن وبيت الله أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي * كيف ترون اليوم ستري عن أبي

فلما طعنه مرة احتوشته الرجال فمطعوه بأسياهم ، فقال الحسين : قتل الله قوماً قتلوك يا بني ما أجزأهم على الله وعلى انتهاك محارمه ؟ ! فعلى الدنيا بعدك العفاء . قال : وخرجت جارية كأنها الشمس حسنا فقالت : يا أخياه ويا ابن أخاه ، فإذا هي زينب بنت علي من فاطمة ، فأكبت عليه وهو صريع . قال : فجاء الحسين فأخذ بيدها فأدخلها الفسطاط ، وأمر به الحسين فحوّل من هناك إلى بين يديه عند فسطاطه ، ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل . ثم قتل عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر ، ثم قتل عبد الرحمن وجعفر ابنا عقيل بن أبي طالب ، ثم قتل القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب . [قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج الكندي أن يزيد بن زياد ، وكان رامياً ، وهو أبو الشعثاء الكنعاني من بني بيلة . جئى على ركبته بين يدي الحسين فرمى بمائة سهم ما سقط منها على الأرض خمسة أسهم ، فلما فرغ من الرمي قال : قد تبين لى أنى قتلت خمسة نفر :

أنا يزيد وأنا المهاجر * أشجع من ليث قوى سادر

(١) سقط من المصرية .

رب إني للحسين ناصر * ولابن سعد تارك وهاجر [(١)]

قالوا : ومكث الحسين نهراً طويلاً وحده لا يأتى أحدٌ إليه إلا رجع عنه ، لا يجب أن يلى قتله ، حتى جاء رجل من بني بداء ، يقال له مالك بن البشير ، فضرب الحسين على رأسه بالسيف فأدعى رأسه ، وكان على الحسين برنس فقطعه وجرح رأسه فامتلاً انبرنس دمًا ، فقال له الحسين : لا أكلت بها ولا شربت ، وحشر ك الله مع الظالمين . ثم ألقى الحسين ذلك البرنس ودعا بعامة فلبسها .

[وقال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد . قال : خرج إلينا غلام كأن وجهه فاقعة قر في يده السيف وعليه قيض وإزار ونملان قد انقطع شمع أحدهما ، ما أنسى أنها اليسرى ، فقال لنا عمر بن سعد بن نعل الأزدى : والله لأشدن عليه . فقلت له : سبحان الله ! وما تريد إلى ذلك ؟ يكفيك . قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتلواهم . فقال : والله لأشدن عليه ، فشد عليه عمر بن سعد أمير الجيش ، فضربه وصاح الغلام : يا عمه ، قال : فشد الحسين على عمر بن سعد شدة ليث أعضب ، فضرب عمر بالسيف فاتقاه بالساعد فأطأها من لدن المرفق فصاح ثم تنحى عنه ، وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمر من الحسين ، فاستقبلت عمر بصدورها وحركت حوافرها ، وجالت بفرسانها عليه ، ثم انفجرت الغبرة فاذا بالحسين قائم على رأس الغلام ، والغلام ينفخ برجله والحسين يقول : بعداً لقوم قتلوك ، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك . ثم قال : عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثم لا ينفك ، صوت والله كثر واثره وقل ناصره . ثم احتمله فكأني أنظر إلى رجلى الغلام يخطان في الأرض ، وقد وضع الحسين صدره على صدره ، ثم جاء به حتى ألقاه مع ابنه على الأكبر ومع من قتل من أهل بيته ، فسألت عن الغلام فقيل لي هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

وقال هاني بن ثابت الحضرمي : إني لواقف يوم مقتل الحسين عاشر عشرة ليس منا رجل إلا على فرس ، إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية ، وعليه إزار وقيض ، وهو مدعور ياتفت يميناً وشمالاً ، فكأني أنظر إلى درتين في أذنيه تذبذبان كلما التفت ، إذ أقبل رجل يركض فرسه حتى إذا دنا من الغلام مال عن فرسه ثم أخذ الغلام فقطعه بالسيف . قال هشام السكوني : هاني بن ثابت هو الذي قتل الغلام ، خاف أن يعاب ذلك عليه فكأني عن نفسه [(١)]

قال : ثم إن الحسين أعيا فتعمد على باب فخطاه وأتى بصبي صغير من أولاده اسمه عبد الله ، فأجلسه في حجره ، ثم جعل يقبله ويشمه ويدعه ويوصي أهله ، فرماه رجل من بني أسد يقال له « ابن موقد النار » بسهم فذبح ذلك الغلام ، فتلقى حسين دمه في يده وألقاه نحو السماء وقال : رب

إن تلك قد حبست عنا النصر من السماء فاجعله لنا هو خير ، وانتقم لنا من الظالمين . ورحى عبد الله ابن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بسهم فقتله أيضا ، ثم قتل عبد الله والعباس وعثمان وجعفر ومحمد بنوا علي بن أبي طالب ، إخوة الحسين . وقد اشتد عطش الحسين فحاول أن يصل إلى أن يشرب من ماء الفرات فما قدره بل مانعوه عنه ، فخلص إلى شربة منه ، فرماه رجل يقال له حصين بن تميم بسهم في حنكه فأثبته ، فانتزعه الحسين من حنكه ففار الدم فتلقاها بيديه ثم رفعهما إلى السماء وهما مملوءتان دماً ، ثم رمى به إلى السماء وقال : اللهم احصهم عدداً واقتلهم بديداً ، ولا تدر على الأرض منهم أحداً . ودعا عليهم دعاء بليغا .

[قال : فوالله إن مكث الرجل الزامى له إلا يسيراً حتى صب الله عليه انظماً ، فجعل لا يروى ويسقى الماء مبرداً ، وتارة يبرده اللبن والماء جميعاً ، ويسقى فلا يروى ، بل يقول : ويلكم اسقوني قتلنى الظمأ . قال : فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انفد بطنه انفداً بطن البعير . ثم إن شمر بن ذى الجوش أقبل في نحو من عشرة من رجالة الكوفة قبل منزل الحسين الذى فيه قتله وغياله ، فشئ نحوهم فخالوا بينه وبين رحله ، فقال لهم الحسين : ويلكم ! ! إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المآد فكونوا في دنياكم أحراراً وذوى أحساب ، امنعوا رحلى وأهلى من طعامكم وجهالكم ، فقال ابن ذى الجوش : ذلك لك يا ابن فاطمة ، ثم أحاطوا به فجعل شمر يحرضهم على قتله ، فقال له أبو الجنوب : وما يمنك أنت من قتله ؟ فقال له شمر : إلى تقول ذا ؟ فقال أبو الجنوب : إلى تقول ذا ؟ فاستبأ ساعة ، فقال له أبو الجنوب : وكان شعاعاً . : والله لقد هممت أن أخضعض هذا السنان في عينك ، فأصرف عنه شمر] (١) .

ثم جاء شمر ومعه جماعة من الشجعان حتى أحاطوا بالحسين وهو عند فسطاطه ولم يبق معه أحد يحول بينهم وبينه ، فجاء غلام يشتد من الخيام كأنه البدر ، وفي أذنيه درتان ، فخرجت زينب بنت علي لترده فامتنع عليها ، وجاء يحاجف عن عمه فضر به رجل منهم بالسيف فانتفاد بيده فأنظفها سوى جملده ، فقال : يا أبتاه ، فقال له الحسين : يا بني احتست أجرك عند الله ، فانك تلمحق بأهلك الصالحين . ثم حمل على الحسين الرجال من كل جانب وهو يحول فيهم بالسيف عينا وشمالا ، فبتنافرون عنده اكتشاف المعزى عن السبع ، وخرجت أخته زينب بنت فاطمة إليه فجعلت تقول : ليت السماء تقع على الأرض ، وجاءت عمر بن سعد فقالت : يا عمر أراضيت أن يقتل أم عبد الله وأنت تنظر ؟ فنحادر الدموع على خيته وصرف وجهه عنها ، ثم جعل لا يقدم أحد على قتله ، حتى نادى شمر بن ذى الجوش : ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل ، فاقتلوه شكاتكم أمهاتكم . فحملت الرجال من كل جانب

على الحسين وضربه زرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى ، وضرب على عاتقه ، ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو ، ثم جاء إليه سنان بن أبي عمرو بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوقه ، ثم نزل فذبجه وحز رأسه ، ثم دفع رأسه إلى خولى بن يزيد . وقيل : إن الذي قتله شمر بن ذى الجوشن ، وقيل رجل من مذحج ، وقيل عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وليس بشيء ، وإنما كان عمر أمير السرية التي قتلت الحسين فقط . [والأول أشهر . وقال عبد الله بن عمار : رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على من على يمينه حتى اندغروا عنه ، فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل أولاده وأصحابه أربط جأشاً منه ولا أمضى جناحاً منه ، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله . وقال : ودنا عمر بن سعد من الحسين فقالت له زينب : يا عمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟ فبكى وصرف وجهه عنها . وقال أبو مخنف : حدثني الصقعب بن زهير عن حميد بن مسلم قال : جعل الحسين يشد على الرجال وهو يقول : أعلی قتلی تحابون ؟ أما والله لا تقتلون بمدى عبداً من عباد الله أسخط عليكم بقتله مني ، وأيم الله إنى أرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم الله لي منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله لو قد قتلتوني لقد ألقى الله بأسكم بينكم ، وسفك دماءكم ، ثم لا يرضى لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم . قال : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكن كان يتقى بعضهم ببعض دمه ، ويجب هؤلاء أن يكفهم هؤلاء مؤنة قتله ، حتى نادى شمر بن ذى الجوشن ماذا تنتظرون بقتله ؟ فتقدم إليه زرعة بن شريك التميمي فضربه بالسيف على عاتقه ، ثم طعنه سنان بن أنس بن عمرو النخعي بالرمح ، ثم نزل فاحتز رأسه ودفعه إلى خولى . وقد روى ابن عساكر في ترجمة شمر بن ذى الجوشن ، وذو الجوشن صحابي جليل ، قيل اسمه شرحبيل ، وقيل عثمان بن نوفل ، ويقال ابن أوس بن الأعور العامري الضبابي ، بطن من كلاب ، ويكنى شمر بأبي السابغة . ثم روى من طريق عمر بن شبة : ثنا أبو أحمد حدثني عبيد الله بن فضيل بن الزبير عن عبد الرحيم بن ميمون عن محمد بن عمرو بن حسن . قال : كنا مع الحسين بنهري كربلاء ، فنظر إلى شمر بن ذى الجوشن فقال : صدق الله ورسوله ، قال رسول الله ﷺ : « كأني أنظر إلى كلب أبتلع دماء أهل بيتي » وكان شمر قبحة الله أبرص [(١)] وأخذ سنان وغيره سلبه ، وتقاسم الناس ما كان من أمواله وحواصله ، وما في خبائه حتى ما على النساء من الثياب الطاهرة .

وقال أبو مخنف عن جعفر بن محمد . قال : وجدنا بالحسين حين قتل ثلاثة وثلاثين طعنة ، وأربعة وثلاثين ضربة ، وهم شمر بن ذى الجوشن بقتل علي بن الحسين الأصغر « زين العابدين » وهو صغير مر يض حتى صرفه عن ذلك حميد بن مسلم أحد أصحابه . وجاء عمر بن سعد فقال : ألا لا يدخان

على هذه النسوة أحد ، ولا يقتل هذا الغلام أحد ، ومن أخذ من متاعهم شيئا فليرده عليهم ، قال : فوالله ما ردَّ أحد شيئا . فقال له علي بن الحسين : جزيت خيرا فقد دفع الله عني بمقاتلتك شرًّا ، قالوا : ثم جاء سنان بن أنس إلى باب فسطاط عمر بن سعد فنادى بأعلا صوته :

أو قر ركابي فضة وذهبا * أنا قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم إذ ينسبون نسبنا

فقال عمر بن سعد : أدخلوه عليّ ، فلما دخل رماه بالسوط وقال : ويحك أنت مجنون ، والله لو سمعك ابن زياد تقول هذا لضرب عنقك . ومن عمر بن سعد على عقبة بن سميان حين أخبره أنه مولى ، فلم ينج منهم غيره . والمرفع بن يمانه أسرف من عليه ابن زياد ، وقتل من أصحاب الحسين اثنان وسبعون نفساً ، فدفنهم أهل الغاضرية من بني أسد بمد ما قتلوا بيوم واحد ، قال : ثم أمر عمر بن سعد أن يوطأ الحسين بالخيل ، ولا يصح ذلك والله أعلم . وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون نفساً . وروى عن محمد بن الحنفية أنه قال : قتل مع الحسين سبعة عشر رجلاً كلهم من أولاد فاطمة ، وعن الحسن البصري أنه قال : قتل مع الحسين ستة عشر رجلاً كلهم من أهل بيته ، ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبه . وقال غيره : قتل معه من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً ، فمن أولاد علي رضي الله عنه جعفر ، والحسين ، والعباس ، ومحمد ، وعثمان ، وأبو بكر . ومن أولاد الحسين علي الأكبر وعبد الله . ومن أولاد أخيه الحسن ثلاثة ، عبد الله ، والقاسم ، وأبو بكر بنو الحسن بن علي ابن أبي طالب . ومن أولاد عبد الله بن جعفر اثنان ، عون ومحمد . ومن أولاد عقيل ، جعفر ، وعبد الله وعبد الرحمن ، ومسلم قتل قبل ذلك كما قدمنا . فهؤلاء أربعة لأصلبه ، واثنان آخران هما عبد الله بن مسلم بن عقيل ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل ، فكمالوا ستة من ولد عقيل ، وفيهم يقول الشاعر . -

واندبني تسمة لأصلب علي * قد أصيبوا وستة لعقيل

وسمى النبي غودر فيهم * قد علوه بصارم مصقول

ومن قتل مع الحسين بكر بلاء أخوه من الرضاعة عبد الله بن قحطار ، وقد قيل إنه قتل قبل ذلك حيث بعث معه كتاباً إلى أهل الكوفة خُمل إلى ابن زياد فقتله . وقتل من أهل الكوفة من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى ، فصلى عليهم عمر بن سعد ودفنهم . ويقال إن عمر بن سعد أمر عشرة فرسان فداسوا الحسين بمخواف خيولهم حتى ألصقوه بالأرض يوم المعركة ، وأمر برأسه أن يحمل من يومه إلى ابن زياد مع خولي بن يزيد الأسدي ، فلما انتهى به إلى القصر وجدده مغلفاً فرجع به إلى منزله فوضعه تحت إجازة وقال لامرأته نواز بنت مالك : جئت بك بعد الدهر ، فقالت : وما هو ؟ فقال : برأس الحسين . فقالت : جاء الناس بالذهب والنضمة ، وجئت أنت برأس ابن بنت

رسول الله ﷺ ؟ والله لا يجمعني وإياك فراش أبداً ، ثم نهضت عنه من الفراش ، واستدعى بامرأة له أخرى من بنى أسد فنامت عنده قالت المرأة الثانية الاسدية : والله ما زلت أرى النور ساطعاً من تلك الاجانة إلى السماء ، وطيوراً بيضاً ترفرف حولها ، فلما أصبح غدا به إلى ابن زياد فأحضره بين يديه ، ويقال إنه كان معه رؤس بقية أصحابه ، وهو المشهور . ومجموعها اثنان وسبعون رأساً ، وذلك أنه ما قتل قتيل إلا احتزوا رأسه وحملوه إلى ابن زياد ، ثم بعث بها ابن زياد إلى يزيد بن معاوية إلى الشام . قال الامام أحمد : حدثنا حسين ثنا جرير عن محمد عن أنس . قال : أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعل في طست فجعل ينكت عليه وقال في حسنه شيئاً ، فقال أنس : إنه كان أشبههم برسول الله ﷺ ، وكان مخضوباً بالوشمة . ورواه البخاري في المناقب عن محمد بن الحسن بن إبراهيم - هو ابن إشكاب - عن حسين بن محمد عن جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أنس فذكره . وقد رواه الترمذي من حديث حفصة بنت سيرين عن أنس . وقال : حسن صحيح ، وفيه « فجعل ينكت بقضيب في أنفه ويقول : مارأيت مثل هذا حسناً » . وقال البزار : حدثنا مفرج بن شجاع بن عبيد الله الموصلي ثنا غسان بن الربيع ثنا يونس بن عبيدة عن ثابت وحديد عن أنس . قال : لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه ويقول : لقد كان - أحسبه قال جميلاً - فقلت : والله لأسوءئك « إني رأيت رسول الله ﷺ يلثم حيث يقع قضيبك » . قال فانقبض . تفرد به البزار من هذا الوجه وقال : لا أعلم رواه عن حميد غير يونس بن عبيدة وهو رجل من أهل البصرة مشهور وليس به بأس . ورواه أبو يعلى الموصلي عن إبراهيم بن الحجاج عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس فذكره . ورواه قرة بن خالد عن الحسن عن أنس فذكره . وقال أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم . قال : دعاني عمر بن سعد فسرّحني إلى أهلي لأبشرهم بما فتح الله عليه وبما فتيته ، فأجد ابن زياد قد جلس للناس ، وقد دخل عليه الوفد الذين قدموا عليه ، فدخلت فيمن دخل . فاذا رأس الحسين موضوع بين يديه ، وإذا هو ينكت فيه بقضيب بين ثناياه ساعة ، فقال له زيد بن أرقم : ارفع هذا القضيب عن هاتين الثديتين ، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفقتي رسول الله ﷺ على هاتين الثديتين يقبلهما « ثم انفضخ الشيخ يبكي ، فقال له ابن زياد : أبكي الله عينك ، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك ، قال : فتهض نخرج ، فلما خرج قال الناس : والله لقد قال زيد بن أرقم كلاماً لو سمعه ابن زياد لقتله ، قال : فقلت ما قال ؟ قالوا : مر بنا وهو يقول : ملك عبد عبيداً * فأنخذهم تليداً * أنتم يامعشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمرت ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ، وسيتعبد شراركم ، فبعداً لمن رضى بالذل . وقد روى من طريق أبي داود بإسناده عن زيد بن أرقم بنحوه .

ورواه الطبراني من طريق ثابت عن زيد .

وقد قال الترمذي : حدثنا واصل بن عبد الأعلى ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير . قال : لما جرى برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه فنصبته في المسجد في الرحبة فانهيت إليهم وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت ، فإذا حية قد جاءت تتخلل الرأس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد ، فمكمت هنيئة ثم خرجت ، فذهبت حتى ، تغيب ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا . ثم قال الترمذي : حسن صحيح .

وأمر ابن زياد فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فصعد المنبر فذكر ما فتح الله عليه من قتل الحسين الذي أراد أن يسلمهم الملك ويفرق الكلمة عليهم ، فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ، فقال : ويحك يا ابن زياد ! ! تقتلون أولاد النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين ! فأمر به ابن زياد فقتل وصلب . ثم أمر برأس الحسين فنصب بالكوفة وطيف به في أزقتها ، ثم سيره مع زحر بن قيس ومعه رؤس أصحابه إلى يزيد بن معاوية بالشام ، وكان مع زحر جماعة من الفرسان ، منهم أبو بردة بن حوف الأزدي : وطارق بن أبي ظبيان الأزدي ، فخرجوا حتى قدموا بالرؤس كلها على يزيد بن معاوية . قال هشام : فحدثني عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي عن أبيه عن الغاز بن ربيعة الجرجسي من حمير . قال : والله إني لاعتد يزيد بن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس فدخل على يزيد ، فقتل له يزيد : ويحك ما وراءك ؟ فقال أبشريا أمير المؤمنين بفتح الله عليك ونصره ، ورد علينا الحسين بن علي بن أبي طالب وثمانية عشر من أهل بيته ، وستون رجلا من شيعته ، فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال ، فاختاروا القتال ، فعدونا إليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف وأخذها من هام القوم ، فجعلوا يهربون إلى غير مهرب ولا وذر ، ويلوذون منا بالأسكاف والخفر ، لوإذا كالأحلام من صقر ، فوالله ما كانوا إلا حزر جزور ، أو نومة قاتل ، حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مجردة ، وثيابهم ممزقة ، وخدودهم مغمرة ، تصبرهم الشمس وتسفي عليهم الرياح ، وأزوح العقبان والرخم^(١) . قال : فذهبت عينا يزيد بن معاوية وقال : كنت أرى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سمية ، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه ، ورحم الله الحسين . ولم يصل الذي جاء برأسه بشيء . ولما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد قال : أما والله لو أني صاحبك ماقتلتك ، ثم أشد قول الحسين بن الحنظل المري الشاعر

يفلقن هاما من رجال أعزق * علينا وهم كانوا أعق وانظما

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جعفر المبرسي قال : وقام يحيى بن الحكم - أخو مروان بن الحكم - فقال : -
 لهام بجنب العلف أدنى قرابة * من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
 سمية أضحي نسلها عدد الحصى * وليس لآل المصطفى اليوم من نسل
 قال : فضرب يزيد في صدر يحيى بن الحكم وقال له : اسكت ، وقال محمد بن حميد الرازي -
 وهو شيعي - : ثنا محمد بن يحيى الأحمري ثنا ليث عن مجاهد قال ، لما جئ برأس الحسين فوضع
 بين يدي يزيد تمثل بهذه الأبيات : -

ليت أشياخي بيد شهدوا * جزع الخزر ج في وقع الأسل
 فأهلوا واستهلوا فرحا * ثم قالوا لي هنيئا لا تسأل
 حين حكك بفناء بركا * واستحرق القتل في عبد الأسل
 قد قتلنا الضعف من أشرفكم * وعدنا ميل بدر فاعتدل^(١)

قال مجاهد : نافق فيها ، والله ثم والله ما بقي في جيشه أحد إلا تركه أي ذمه وعابه .
 وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين هل سيره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا ، على
 قوانين ، الأظهر منهما أنه سيره إليه ، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة فإله أعلم . وقال أبو مخنف عن
 أبي حمزة الثمالي عن عبد الله التيمي عن القاسم بن بخيت ، قال : لما وضع رأس الحسين بين يدي
 يزيد بن معاوية جعل ينسكت بقضيب كان في يده في ثغره ، ثم قال : إن هذا وإيانا كما قال الحصين
 ابن الحمام المري : -

يفلقن هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظما

فقال له أبو برزة الأسلمي : أما والله لقد أخذ قضيبك هذا مأخذا لقد رأيت رسول الله ﷺ يرشقه ،
 ثم قال : ألا إن هذا سيحجي يوم القيامة وشفيعه محمد ، وتجيء وشفيعك ابن زياد . ثم قام فولى . وقد
 رواه ابن أبي الدنيا عن أبي الوليد عن خالد بن يزيد بن أسد عن عمار الداهني عن جعفر . قال :
 لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد وعنده أبو برزة وجعل ينسكت بالقضيب فقال له : « ارفع
 قضيبك فلقد رأيت رسول الله ﷺ يلثمه » . قال ابن أبي الدنيا : وحدثني مسامة بن شبيب عن
 الحميدي عن سفيان سمعت سالم بن أبي حفصة قال قال الحسن : لما جئ برأس الحسين جعل يزيد

(١) بالهامش : لا يتصور أن يكون يزيد قد تمثل بهذه الأبيات هذه الأيام ، فإن المؤرخين
 قاطبة ذكروا أنه تمثل بها لما جاءه خبر وقعة الحرة بالمدينة الشريفة ، وقتل الأنصار ، ووقعة الحرة
 بعد هذه كما ستراد . وأيضا فإن قضية الحسين رضي الله عنه لم يكن حاضرها أحد من الخزر ج ، يعلم
 ذلك من الأئمام بالأخبار وأيام الناس والله أعلم .

يطعن بالقضيبي ، قال سفيان وأخبرت أن الحسين كان يشد على إثر هذا : -

سمية أمسى نسلها عدد الخصى * وبنت رسول الله ليس لها نسل

وأما بنية أهله ونسائه فإن عمر بن سعد وكل بهم من يجرسهم ويكافهم ، ثم أركبهم على الر واهل في الهوادج ، فلما مروا بمكان المعركة ورأوا الحسين وأصحابه مطرحين هناك بكته النساء ، وصرخن ، وندبت زينب أخاها الحسين وأهلها ، فقالت وهي تبكي :

يا محمداه ، يا محمداه * صلى عليك الله * وملك السماء * هذا حسين بالعراء * مزمل بالدماء ، مقطوع الأعضاء يا محمداه * وبناتك سبايا ، وذريتك مقاتلة ، تسقى عليها الصبا . قال فأبكت والله كل عدو وصديق .

[قال قرة بن قيس لما مرت النسوة بالقتلى صحن وطمع خدودهن ، قال : فما رأيت من منظر من نسوة قط أحسن منظر رأيته منهن ذلك اليوم ، والله إنهن لأحسن من مهابيرين . وذكر الحديث كما تقدم] (١) . ثم قال : ثم ساروا بهم من كر بلاء حتى دخلوا الكوفة فأكرمهم ابن زياد وأجرى عليهم النفقات والكساوى وغيرها ، [قال : ودخلت زينب ابنة فاطمة في أزدل ثيابها قد تنكرت وحقت بها إماموها ، فلما دخلت على عبيد الله بن زياد قال : من هذه ؟ فلم تكلمه ، فقال بعض إمامها : هذه زينب بنت فاطمة ، فقال : الحمد لله الذى فضحككم وقتلكم وكذب أحد وتسم ، فقالت : بل الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد وظهرنا تطهيرا لا كما تقول ، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر . قال : كيف رأيت صنع الله بأهل بيتكم ؟ فقالت : كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسب جمع الله بينك وبينهم فيحاجونك إلى الله . فغضب ابن زياد واستشاط ، فقال له عمر و بن حريث : أصلح الله الأمير ! إنما هي امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشئ من منطلقها ؟ إنها لا تؤاخذ بما تقول ولا تلام على خطئ .

وقال أبو مخنف عن الجبالد عن سميد : إن ابن زياد لما نظر إلى على بن الحسين « زين العابدين » قال لشرطي : انظر أدرك هذا العلام ، فإن كان أدرك فاطموا به فاضربوا عنقه ، فكشف إزاره عنه فقال : نعم ! فقال : اذهب به فاضرب عنقه ، فقال له على بن الحسين : إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلا يحافظ عليهن ، فقال له ابن زياد : تعال أنت ! فبعثه معهن . قال أبو مخنف : وأما سليمان بن أبي راشد فحدثني عن حميد بن مسلم قال : إني للقائم عند ابن زياد حين عرض عليه على بن الحسين ، فقال له ما اسمك ؟ قال : أنا على بن الحسين ، قال : أو لم يقتل الله على ابن الحسين ؟ فسكت . فقال له ابن زياد : مالك لا تتكلم ؟ قال : كان لى أش يقال له على أيضا فته

(١) سقط من المصرية

الناس . قال : إن الله قتله ، فسكت ، فقال : مالك لا تتكلم ؟ فقال (الله يتوفى الأنفس حين موتها)
 (وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله) قال : أنت والله منهم ، ويحك !! انظروا هذا أدرك ؟
 والله إنى لأحسبه رجلاً ، فكشف عنه مرى بن معاذ الأحمري فقال : نعم قد أدرك ، فقال : اقتله ،
 فقال علي بن الحسين : من يוכל بهذه النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمته فقالت : يا ابن زياد حسبك
 منا ما فعلت بنا ، أما رويت من دماننا ؟ وهل أبقيت منا أحداً ؟ قال : واعتنقته وقالت : أسألك
 بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتني معه ، وناداه على فقال : يا ابن زياد !! إن كان بينك وبينهم
 قرابة فابعث معهم رجلاً تقياً يصحبهم بصحبة الاسلام . قال : فنظر إليهم ساعة ثم انظر إلى القوم
 فقال : عجبا للرحم !! والله إنى لأظن أنها ودت لو أنى قتلتها أن أقتلها معه ، دعوا الغلام ، انطلق مع
 نسائك . قال : ثم إن ابن زياد أمر بنساء الحسين وصبياناه وبناته فجهزهن إلى يزيد ، وأمر بعلي بن
 الحسين فغل بعل إلى عنقه ، وأرسلهم مع محقر بن ثعلبة العائذي - من عائلة قريش - ومع شمر بن
 ذي الجوشن قبحة الله ، فلما بلغوا باب يزيد بن معاوية رفع محقر بن ثعلبة صوته فقال : هذا محقر بن
 ثعلبة ، أنى أمير المؤمنين بالثام الفجرة ، فأجابه يزيد بن معاوية : ما ولدت أم محقر شر وألأم ^(١) .
 فلما دخلت الرؤس والنساء على يزيد دعا أشراف الشام فأجلسهم حوله ، ثم دعا بعلي بن الحسين
 وصبيان الحسين ونسائه ، فأدخلن عليه والناس ينظرون ، فقال لعلي بن الحسين : يا علي أبوك قطع
 رحمى وجهل حتى ونازعنى سلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيت . فقال علي : (ما أصاب من مصيبة
 في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب) فقال يزيد لابنه خالد : أجبه . قال : فما درى خالد ما يرد
 عليه ، فقال له يزيد : قل (ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) فسكت عنه
 ساعة ثم دعا بالنساء والصبيان فرأى هيئة قبيحة ، فقال : قبح الله بن مرجانة ، لو كانت بينهم وبينه
 قرابة ورحم ما فعل هذا بهم ، ولا بعث بكم هكذا .

وروى أبو مخنف عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت علي قالت : لما أجلسنا بين يدي يزيد
 رق لنا وأمر لنا بشئ وألطفنا ، ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمراً قام إلى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين
 هب لي هذه - يعني - وكنت جارية وضيئة ، فارتعدت فرعة من قوله ، وظننت أن ذلك جائز لهم ،
 فأخذت بثياب أختي زينب - وكانت أكبر مني وأعقل ، وكانت تعلم أن ذلك لا يجوز - فقالت
 لذلك الرجل : كذبت والله ولؤمت ، ما ذلك لك وله : فغضب يزيد فقال لها : كذبت ! والله إن
 ذلك لي ، ولو شئت أن أفعله لفعلت . قالت : كلا ! والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من
 ملتنا وتدين بغير ديننا . قالت : فغضب يزيد واستطار ثم قال : إياي تستقبلين بهذا ؟ إنما خرج من

الدين أبوك وأخوك ، فقالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخى وجدى اهتديت أنت وأبوك وجديك . قال : كذبت يا عدوة الله . قالت : أنت أمير المؤمنين مسلط تشتم ظالما وتقهّر بسلطانك . قالت : فوالله لكأنه استسحق فسكت ، ثم قام ذلك الرجل فقال : يا أمير المؤمنين هب لى هذه . فقال له يزيد : اعزب وهب الله لك حتماً قاضياً . ثم أمر يزيد النعمان بن بشير أن يبعث معهم إلى المدينة رجلاً أميناً معه رجال وخيل ، ويكون على بن الحسين معهم . ثم أنزل النساء عند حريمه فى دار الخلافة فاستقبلهن نساء آل معاوية يبكين وينحن على الحسين ، ثم أقمن المساحة ثلاثة أيام ، وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى إلا ومعه على بن الحسين وأخوه عمر بن الحسين ، فقال يزيد يوماً لعمر بن الحسين - وكان صغيراً جداً - أتقاتل هذا ؟ - يعنى ابنه خالد بن يزيد يريد بذلك مغازته وملاعبته ، فقال : اعطنى سكيناً واعطه سكيناً حتى نتقاتل ، فأخذته يزيد فضمه إليه وقال : شنشينة أعرفها من أخزم ، هل تلد الحية إلا حية ؟

ولما ودعهم يزيد قال لعلى بن الحسين : قبح الله بن سمية ، أما والله لو أنى صاحب أبيك ما سألتى خصلة إلا أعطيتها إياها ، ولدفعت الخنف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدى ، ولكن الله قضى ما رأيت ، ثم جهزه وأعطاه مالا كثيراً وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول ، وقال له : كاتبنى بكل حاجة تكون لك ، فكان ذلك الرسول الذى أرسله معهم يسير عنهن بمعزل من الطريق ، وبعد عنهن بحيث يدركهن طرفه وهو فى خدمتهم حتى وصلوا المدينة ، فقالت فاطمة بنت على : قلت لأختى زينب : إن هذا الرجل الذى أرسل معنا قد أحسن صحبتنا فهل لك أن نصله ؟ فقالت : والله ما معنا شئ نصله به إلا حليتنا ، قالت وقلت لها : نعمطينا حليتنا ، قالت : فأخذت سوارى ودملجى ، وأخذت أختى سوارها ودملجها وبعثنا به إليه واعتذرنا إليه وقتلنا : هذا جزاؤك بحسن صحبتك لنا ، فقال : لو كان الذى صنعت معكم إنما هو للدنيا كان فى هذا الذى أرسلتموه ما يرضينى وزيادة ، ولكن والله ما فعلت ذلك إلا لله تعالى ولقرابتكم من رسول الله ﷺ .

[وقيل إن يزيد لما رأى رأس الحسين قال : أتدرون من أين أتى ابن فاطمة ؟ وما الحال له على ما فعل ، وما الذى أوقعه فيما وقع فيه ؟ قالوا : لا ! قال : يزعم أن أباه خير من أبى ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمى ، وجده رسول الله خير من جدى ، وأنه خير منى وأحق بهذا الأمر منى ، فأما قوله أبوه خير من أبى فقد حاج أبى أباه إلى الله عز وجل ، وعلم الناس أمهما حكم له ، وأما قوله أمه خير من أمى فلمعمرى إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمى ، وأما قوله جده رسول الله خير من جدى ، فلمعمرى ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى أن لرسول الله فينا عدلاً ولا نداءً ، ولكنه إنما أتى من قلة فقده لم يقرأ (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن

تشاء وتعر من تشاء وتذل من تشاء) الآية ، وقوله تعالى (والله يؤثى ملسك من يشاء) . فلما دخلت النساء على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين - وكانت أكبر من سكينه - يا يزيد ! بنات رسول الله ﷺ سبايا . فقال يزيد : يا بنت أخى ، أنا لهذا كنت أكره . قالت قلت والله ما تركوا لنا خرساً ، فقال : ابنة أخى ! ما أنى إليك أعظم مما ذهب لك . ثم أدخلهن داره ثم أرسل إلى كل امرأة منهن ما إذا أخذ لك ؟ فليس منهن امرأة تدعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلا أضغفه لها .

وقال هشام عن أبي مخنف : حدثني أبو حمزة الثمالي عن عبد الله الثمالي عن القاسم بن نجيب . قال : لما أقبل وفد الكوفة برأس الحسين دخلوا به مسجد دمشق فقال لهم مروان بن الحكم : كيف صنعتم ؟ قالوا : ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأثينا والله على آخرهم ، وهند الرأس والسبايا ، فوثب مروان وانصرف ، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال : ما صنعتم ؟ فقالوا له مثل ما قالوا لأخيه ، فقال لهم : حجبتهم عن محمد ﷺ يوم القيامة ، لن أجامعكم على أمر أبداً ، ثم قام فانصرف . قال : ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين بكى عليه نساء بنى هاشم ونحن عليه . وروى أن يزيد استشار الناس في أمرهم فقال رجال من قبحهم الله : يا أمير المؤمنين لا يتخذن من كلب سوء جروا ، اقتل على ابن الحسين حتى لا يبقى من ذرية الحسين أحد ، فسكت يزيد فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين احمل معهم كما كان يعمل معهم رسول الله ﷺ لو رآهم على هذه الحال . فرق عليهم يزيد وبعث بهم إلى الحمام وأجرى عليهم الكساوى والمطايا والاطعمة ، وأنزلهم في داره ^(١) .

وهذا يرد قول الرافضة : إنهم حملوا على جنائب الابل سبايا عرايا ، حتى كذب من زعم منهم أن الابل البختى إنما نبتت لها الأسنمة من ذلك اليوم لتستر عوراتهن من قبلهن ودبرهن .

ثم كتب ابن زياد إلى عمرو بن سميد أمير الحرمين يبشره بمقتل الحسين ، فأمر منادياً فنادى بذلك . فلما سمع نساء بنى هاشم ارتفعت أصواتهن بالبكاء والنوح ، فجعل عمرو بن سميد يقول : هذا بكاء نساء عثمان بن عفان . وقال عبد الملك بن عمير : دخلت على عبيد الله بن زياد وإذا رأس الحسين بن على بين يديه على ترس ، فوالله ما لبثت إلا قليلاً حتى دخلت على المختار بن أبى عبيد وإذا رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار على ترس ، فوالله ما لبثت إلا قليلاً حتى دخلت على عبد الملك بن مروان وإذا رأس مصعب بن الزبير على ترس بين يديه .

وقال أبو جعفر بن جرير الطبري في تاريخه : حدثني زكريا بن يحيى الضرير ثنا أحمد بن خباب المصيصي ثنا خالد بن يزيد عن عبد الله القسري ثنا عمار الدهني قال : قلت لأبي جعفر : حدثني عن مقتل الحسين كأتى حضرته ، فقال : أقبل الحسين بكتاب مسلم بن عقيل الذي كان قد كتبه إليه يأمره

فيه بالقدوم عليه ، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاث أميال ، لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له : أين تريد ؟ فقال : أريد هذا المصر ، فقال له : ارجع فاني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه ، فهمّ الحسين أن يرجع ، وكان معه أخوة مسلم بن عقيل ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نأخذ بذارنا من قتل أخانا أو نقتل . فقال : لا خير في الحياة بعدكم ، فسار فلقية أوائل خيل ابن زياد ، فلما رأى ذلك عاد إلى كر بلاء فأسند ظهره إلى قصبتنا وحلفنا ليقاتل من جهة واحدة . فقتل وضرب أبيته وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل ، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه بن زياد الري وعهد إليه عهده ، فقال : اكنفي هذا الرجل واذهب إلى عمك ، فقال : اعفني . فآبى أن يعفيه ، فقال : أنظرني الليلة ، فأخره فنظر في أمره ، فلما أصبح غدا عليه راضياً بما أمره به ، فتوجه إليه عمر بن سعد فلما أتاه قال له الحسين : اختر واحدة من ثلاث ، إما أن تدعوني فألصق من حيث جئت ، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد ، وإما أن تدعوني فألحق بالثغور . فقبل ذلك عمر ، فكتب إليه عبيد الله بن زياد لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي ، فقال الحسين : لا والله لا يكون ذلك أبداً . فقاتله فقتل أصحاب الحسين كلهم وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته ، وجاءه سهم فأصاب ابنه في حجره فجعل يمسح الدم ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا ، ثم أمر بحجرة فشقها ثم لبسها وخرج بسيفه فقاتل حتى قتل ، قتله رجل من مدحج وحز رأسه فالطلق به إلى ابن زياد وقال في ذلك : -
أوفر ركابي فضة وذهباً * فقد قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم إذ ينسبون نسباً

قال فأوفده إلى يزيد بن معاوية فوضع رأسه بين يديه ، وعنده أبو برزة الأسلمي ، فجعل يزيد ينكت بالقضيب على فيه ويقول : -

يقلن هاناً من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلاما

فقال له أبو برزة : ارفع قضيبك ، فوالله لربما رأيت رسول الله ﷺ واضعاً فيه على فيه يلمسه . قال : وأرسل عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى ابن زياد ، ولم يكن بقي من آل الحسين إلا غلام ، وكان مريضاً مع النساء ، فأمر به ابن زياد ليقول فطرح زينب نفسها عليه وقالت : والله لا يقتل حتى تقتلوني ، فرق لها وكف عنه ، قال : فأرسلهم إلى يزيد فجمع يزيد من كان بحضرته من أهل الشام ثم دخلوا عليه فتهود بالفتح ، فقام رجل منهم أحر أزرق - ونظر إلى وصيفة من بناته - فقال : يا أمير المؤمنين هب لي هذه ، فقالت زينب : لا ولا كرامة لك ولا له . إلا أن تخرجنا من دين الله ، قال : فأعادها الأزرق فقال له يزيد : كف عن هذا . ثم أدخلهم على عياله ، ثم حملهم إلى المدينة ، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها واضعة كُفها على رأسها تلتفم وهي تبكي

وتقول : ماذا تقولون إن قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعتني وبأهلي بعد مفتقدى * منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم * أن تخلفوني بسوء في ذوى رحم
وقد روى أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيد أبي السكوند أن بنت
عقيل هي التي قالت هذا الشعر ، وهكذا حكى الزبير بن بكار أن زينب الصغرى بنت عقيل بن
أبي طالب هي التي قالت ذلك حين دخل آل الحسين المدينة النبوية . وروى أبو بكر بن الأثير
باسناده أن زينب بنت علي بن أبي طالب من فاطمة - وهي زوج عبد الله بن جعفر أم بنيه - رفعت
سجف خبايا يوم كربلاء يوم قتل الحسين وقالت هذه الأبيات فإله أعلم . وقال هشام بن الكلبي :
حدثني بعض أصحابنا عن عمرو بن المقدام قال : حدثني عمر بن عكرمة قال : أصبحنا صبيحة قتل
الحسين بالمدينة فإذا مولاة لنا تحدثنا قالت : سمعت البارحة منادياً ينادى وهو يقول :
أيها القاتلون ظمأً حسيناً * أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعوا عليكم * من نبي ومالك وقبيل
لقد لعنتم على لسان بن داود * وموسى وحامل الأنجيل
قال ابن هشام : حدثني عمرو بن حيزوم الكلبي عن أمه قالت : سمعت هذا الصوت . وقال
الليث وأبو نعيم يوم السبت . وما أنشده الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيره لبعض المتقدمين
في مقتل الحسين

جاؤا برأسك يا ابن بنت محمد * متزماً بدمائه ترميلاً
وكأنما بك يا ابن بنت محمد * قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاً ولم يتدبروا * في قتلك القرآن والتنزيلا
ويكبرون بأن قتلنا وإنما * قتلوا بك التكبير والتهليلاً

فصل

وكان مقتل الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة ، يوم عاشوراء من المحرم سنة إحدى وستين . وقال
هشام بن الكلبي ، سنة ثنتين وستين ، وبه قال علي بن المديني . وقال ابن لهيعة : سنة ثنتين أو
ثلاث وستين . وقال غيره سنة ستين . والصحيح الأول . بإمكان من الطّف يقال له كربلاء من
أرض العراق وله من العمر ثمان وخمسون سنة أو نحوها ، وأخطأ أبو نعيم في قوله : إنه قتل وله من
العمر خمس أو ست وستون سنة

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن حسان ثنا عمارة - يعني ابن زاذان - عن ثابت عن أنس قال : « استأذن ملك القطر أن يأتي النبي ﷺ فأذن له ، فقال لأم سلمة : احفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد ، فجاء الحسين بن علي فوثب حتى دخل ، فجعل يصعد على منكب النبي ﷺ ، فقال الملك : أتجبه ؟ قال ! نعم : فقال : إن أمتك تقتله ، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه ، قال : فضرب بيده فأراه تراباً أحمر ، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرت في طرف نوبها . قال : فكنا نسمع أنه يقتل بكر بلاء » وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثني عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عائشة - أو أم سلمة - أن رسول الله ﷺ قال : « لقد دخل على البيت ملك لم يدخل قبلها ، فقال لي : إن ابنك هذا حسين مقتول ، وإن شئت أريتك الأرض التي يقتل بها ، قال : فأخرج تربة حمراء . » وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أم سلمة . ورواه الطبراني عن أبي أمامة وفيه قصة أم سلمة . ورواه محمد بن سعد عن عائشة بنحو رواية أم سلمة . والله أعلم . وروى ذلك من حديث زينب بنت جحش ولبابة أم الفضل امرأة العباس . وأرسله غير واحد من التابعين .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا محمد بن هارون أبو بكر ثنا إبراهيم بن محمد الرقي وعلي بن الحسن الرازي قالا : ثنا سعيد بن عبيد الملك أبو واقد الحراني ثنا عطاء بن مسلم ثنا أشعث بن سحيم عن أبيه قال سمعت أنس بن الحارث يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن ابني - يعني الحسين - يقتل بأرض يقال لها كربلاء ، فمن شهد منكم ذلك فلينصره » . قال : فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء فقتل مع الحسين ، قال : ولا أعلم رواه غيره . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ثنا شراحيل بن مدرك عن عبيد الله بن يحيى عن أبيه أنه سار مع علي - وكان صاحب مطهرته - فلما جاؤا نينوى وهو منطلق إلى صفين ، فنادى علي : اصبر أبا عبد الله ، اصبر أبا عبد الله ، بشط الفرات قلت : وماذا تريد ؟ قال : « دخلت على رسول الله ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان فقلت : ما أبكاك يا رسول الله ؟ قال : بلى قام من عندي جبريل قبيل ، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات ، قال فقال : هل لك أن أشمك من تربته ؟ قال : فدیده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضت » . تفرد به أحمد .

وروى محمد بن سعد عن علي بن محمد عن يحيى بن زكريا عن رجل عن عامر الشعبي عن علي مثله . وقد روى محمد بن سعد وغيره من غير وجه عن علي بن أبي طالب أنه مر بكربلاء عند أشجار الخنظل وهو ذاهب إلى صفين ، فسأل عن اسمها فقيل كربلاء ، فقال : كرب وبلاء ، فنزل وصلى عند شجرة هناك ثم قال : يقتل ههنا شهداء هم خير الشهداء غير الصحابة ، يدخلون الجنة بغير حساب ،

- وأشار إلى مكان هناك - فملوه بشيء فقتل فيه الحسين . وقد روى عن كعب الأخبار أن رافى
كر بلاء وقد حكى أبو الجنب الكلبي وغيره أن أهل كربلاء لا يزالون يسمعون نوح الجن على
الحسين وهن يقلن :-

مسح الرسول جبينه * فله بريق في الحدود
أبواه من عليا قریش * جده خير الجدود
وقد أجابهم بعض الناس فقال :-

خرجوا به وفناً إليه فهم له شر الوفود
قتلوا ابن بنت نبهم * سكنوا به ذات الحدود
وروى ابن عساكر أن طائفة من الناس ذهبوا في غزوة إلى بلاد الروم فوجدوا في كنيسة مكتوبا
أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعته جده يوم الحساب ؟

فسألهم : من كتب هذا ؟ فقالوا : إن هذا مكتوب ههنا من قبل مبعث نبيكم بثلاثمائة سنة .
وروى أن الذين قتلوه رجعوا فماتوا وهم يشربون الخمر والرأس معهم ، فبرز لهم قلم من حديد فرسم
لهم في الحائط بدم هذا البيت

أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعته جده يوم الحساب ؟

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن وعفان ثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن
عباس . قال : « رأيت رسول الله ﷺ في المنام نصف النهار أشعث أغبر ، معه قارورة فيها دم ،
فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا ؟ قال : هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم » . قال
عمار : فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل في ذلك اليوم . تفرد به أحمد وإسناده قوى .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا عبد الله بن محمد بن هاني أبو عبد الرحمن النحوي ثنا مهدي
ابن سليمان ثنا علي بن زيد بن جدعان . قال : استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع وقال : قتل
الحسين والله ، فقال له أصحابه : لم يا ابن عباس ؟ فقال : « رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من
دم فقال : أتعلم ما صنعت أمتي من بعدى ؟ قتلوا الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعهما إلى الله » .
فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه ، وتلك الساعة ، فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوما حتى جاءهم الخبر
بالمدينة أنه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة . وروى الترمذي عن أبي سعيد الأشج عن أبي خالد
الأحمر عن دزين عن سلمى قالت : دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت : ما يبكيك ؟ فقالت :
رأيت رسول الله ﷺ وعلى رأسه لحيته التراب ، فقلت : ما لك يا رسول الله ؟ قال : « شهدت
قتل الحسين آنفا »

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري أنبأنا قرة بن خالد أخبرني عامر بن عبد الواحد عن شهر بن حوشب قال : إنا لعند أم سلمة زوج النبي ﷺ فسمعنا صارخة فأقبلت حتى انتهت إلى أم سلمة فقالت : قتل الحسين . فقالت : قد فعلوها ، ملأ الله قبورهم - أو بيوتهم - عليهم ناراً ، ووقعت مغشياً عليها ، وقنا . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا ابن مسلم عن عمار قال : سمعت أم سلمة قالت : سمعت الجن يبيكين على الحسين وسمعت الجن تنوح على الحسين . رواه الحسين بن إدريس عن هاشم بن هاشم عن أمه عن أم سلمة قالت : سمعت الجن ينحن على الحسين وهن يقفن .

أيها القاتلون جهلاً حسيماً * أبشروا بالمداب والتسكيل
كل أهل السماء يدعوا عليكم * ونبي ومرسل وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود * وموسى وصاحب الإنجيل

وقد روى من طريق أخرى عن أم سلمة بشعر غير هذا فالحق أعلم .

وقال الخطيب : أنبأنا أحمد بن عثمان بن سراج السكري ثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ثنا محمد بن شداد المسمعي ثنا أبو نعيم ثنا عبيد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : « أوحى الله تعالى إلى محمد إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً ، وأنا قاتل بابل بنذك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » . وهذا حديث غريب جداً ، وقد رواه الحاكم في مستدركه . وقد ذكر الطبراني ههنا آثاراً غريبة جداً ، ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء ، فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا فاحشا ، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وما رفع يومئذ حجر إلا وجد تحته دم ، وأن أرجاء السماء احمرت ، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم ، وصارت السماء كأنها علقمة ، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضاً ، وأمطرت السماء دماً أحمر ، وأن الحرة لم تكن في السماء قبل يومئذ ، ونحو ذلك . وروى ابن لهيعة عن أبي قبيل المعافري أن الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر ، وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الامارة جعلت الشيطان تسيل دماً ، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام ، ولم يمض زعفران ولا ورس (١) بما كان معه يومئذ إلا احترق من مسه ، ولم يرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحته دم عبيط ، وأن الأبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم . إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء .

وأما ما روى من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح ، فانه قل من نجا من

(١) كذا بالأصل ولعلها : مما .

أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا ، فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض ، وأكثرتهم أصابهم الجنون . والشيعية والرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة ، وفيما ذكرنا كفاية ، وفي بعض ما أوردناه نظر ، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروه ما سقته ، وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى ، وقد كان شيعيا ، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة ، ولكنه أخباري حافظ ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره ، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنفين في هذا الشأن من بعده والله أعلم .

وقد أسرف الرافضة في دولة بني عويث في حدود الأربعمائة وما حولها فكانت الدباب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء ، ويذبح الرماد والتبن في الطرقات والأسواق ، وتعلق المسوح على الدكاكين ، ويظهر الناس الحزن والبكاء ، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتشد موافقة للحسين لأنه قتل عطشانا . ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينعحن ويلطمن وجوههن وصدورهن ، حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشيعة ، والأهواء الفظمية ، والفتن الخبيثة وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشتموا على دولة بني أمية ، لأنه قتل في دولتهم .

[وقد عاكس الرافضة والشيعية يوم عاشوراء النواصب من أهل الشام ، فكانوا إلى يوم عاشوراء يطبخون الحبوب ويفتسلون ويتطيبون ويلبسون أغر ثيابهم ويتخذون ذلك اليوم عيداً يصنعون فيه أنواع الأطعمة ، ويظهرون السرور والفرح ، يريدون بذلك عناد الروافض ومما كسبهم] (١) . وقد تناول عليه من قتله أنه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بايعه من الناس واجتمعوا عليه ، وقد ورد في صحيح مسلم الحديث بالجزر عن ذلك ، والتحذير منه ، والتوعد عليه وتقدير أن تكون طائفة من الجبهة قد تناولوا عليه وقتلوه ولم يكن لهم قتله ، بل كان يجب عليهم إجابته إلى مسائل من تلك الخصال الثلاثة المتقدم ذكرها ، فإذا ذمت طائفة من الجبارين تدم الأئمة كلها بكلمتها وتنهم على نبيها ﷺ ، فليس الأمر كما ذهبوا إليه ، ولا كما سلكوه ، بل أكثر الأئمة قديما وحديثا كارد ما وقع من قتله وقتل أصحابه ، سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة قبحهم الله ، وأكثرهم كانوا قد كذبوه ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة .

[فلما علم ذلك ابن زياد منهم بلغهم ما يريدون من الدنيا وأخذهم على ذلك وحملهم عليه بالرغبة والرغبة ، فانكفوا عن الحسين وقتلوه ثم قتلوه] (٢) . وليس كل ذلك الجيش كان راضيا بما وقع من قتله ، بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك والله أعلم ، والذي يكاد يملب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لعنا عنده كما أوصاه بذلك أبوه ، وكما صرح هو به مخبراً عن

نفسه بذلك . [وقد آمن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو ، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك والله أعلم] (١) .

فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه قتله رضي الله عنه ، فانه من سادات المسلمين ، وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله ﷺ التي هي أفضل بناته ، وقد كان عابداً وشجاعاً وسعياً ، ولكن لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لمس أكثره تصنع ورياء ، وقد كان أبوه أفضل منه قتل ، وهم لا يتخذون مقتله مأتماً كيوم مقتل الحسين ، فان أباه قتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين ، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة ، وقد قتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين ، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد ، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً ، وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي ، قتل وهو قائم يصلي في الحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن ، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً ، وكذلك الصديق كان أفضل منه ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتماً ، ورسول الله ﷺ سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله ، ولم يتخذ أحد يوم موته مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجاهلة من الرافضة يوم مضرع الحسين . [ولا ذكر أحد أنه ظهر يوم موته وقبلهم شيء مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة ، مثل كسوف الشمس والحرة التي تطلع في السماء وغير ذلك] (٢) .

وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه علي بن الحسين عن جده رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من مسلم يصاب بحصية فيتركها وإن تقدم عهداً فيحدث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب منها » . رواه الامام أحمد وابن ماجه .
﴿ وأما قبر الحسين رضي الله عنه ﴾

فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه في مشهد علي . يمكن من الطف عند قبر كربلاء ، فيقال إن ذلك المشهد بنى على قبره فانه أعلم . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله على أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه بخبر . وقد كان أبو نعيم ، الفضل بن دكين . ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين . وذكر هشام بن الكلبي أن الماء لما أجرى على قبر الحسين ليصحب أثره نصب الماء بعد أربعين يوماً ، فجاء أعرجي من بني أسد فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى وقال : يا بني أنت وأمي ، ما كان أطيب وأطيب تربتكم ! ثم انشأ يقول : -

أرادوا ليخنوا قبره عن عدوه - فطيب تراب القبر دل على القبر

﴿ وأما رأس الحسين رضى الله عنه ﴾

فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير أنه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك . وعندى أن الأول أشهر فأنه أعلم . ثم اختلفوا بعد ذلك في المكان الذى دفن فيه الرأس ، فروى محمد بن سعد أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمه بالبيعة ، وذكر ابن أبي الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح - وهما ضعيفان - أن الرأس لم يزل فى خزانة يزيد بن معاوية حتى توفى فأخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق . قلت : ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراديس الثانى . وذكر ابن عساکر فى تاريخه فى ترجمته رياء حاضنة يزيد بن معاوية ، أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه تمثل بشعر ابن الزبير يعنى قوله : -

ليت أشياخى بيمر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ثم وضع فى خزانة السلاح ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جىء به إليه ، وقد بقى عظماً أبيض ، فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه فى مقبرة المسلمين ، فلما جاءت المسوذة - يعنى بنى العباس - نبشوه وأخذوه معهم . وذكر ابن عساکر أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بنى أمية ، وقد جاوزت المائة سنة فأنه أعلم . وادعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربع مائة إلى ما بعد سنة ستين وستمائة ، أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر ، الذى يقال له تاج الحسين ، بعد سنة خمس مائة . وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان^(١) ما ادعوه من النسب الشريف ، وهم فى ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضى الباقلانى وغير واحد من أئمة العلماء ، فى دولتهم فى حدود سنة أربع مائة ، كما سنين ذلك كله إذا انتهينا إليه فى مواضعه إن شاء الله تعالى . [قلت : والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا ، فانهم جاؤا برأس فوضعوه فى مكان هذا المسجد المذكور ، وقالوا : هذا رأس الحسين ، فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك والله أعلم]^(٢) .

فصل

﴿ فى ذكر شئ من فضائله ﴾

روى البخارى من حديث شعبة ومهدي بن ميمون عن محمد بن أبي يعقوب سمعت ابن أبي نعيم

(١) كذا بالأصل ولعلها : باطل . (٢) سقط من المصرية .

قال : سمعت عبد الله بن عمر وسأله رجل من أهل العراق عن الحرم يقتل الذناب فقال : أهل العراق يسألون عن قتل الذناب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ ، وقد قال رسول الله ﷺ : « هما ريحائتا من الدنيا » . ورواه الترمذى عن عقبة بن مكرم عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن أبي يعقوب به نحوه : أن رجلاً من أهل العراق سأل ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب ، فقال ابن عمر : أنظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت محمد ﷺ . وذكر تمام الحديث . ثم قال : حسن صحيح . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن أبي الحجاج عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ : « من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني » - يعني حسناً وحسيناً - . وقال الامام أحمد : حدثنا تليد بن سليمان كوفي ثنا أبو الحجاج عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال : « نظر النبي ﷺ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربكم ، سلم لمن سالمكم » . تفرد بهما الامام أحمد . وقال الامام أحمد : حدثنا ابن نمير ثنا حجاج - يعني ابن دينار - عن جعفر بن إياس عن عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة . قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه الواحد ، وهذا على عاتقه الآخر ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة ، حتى انتهى إلينا ، فقال له رجل يا رسول الله ! والله إنك لتحبهما ، فقال : من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني » . تفرد به أحمد . وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثني عقبة بن خالد حدثني يوسف بن إبراهيم النخعي أنه سمع أنس بن مالك يقول : سئل رسول الله ﷺ أي أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : « الحسن والحسين » . قال : وكان يقول « ادع لي ابني فيشهما ويضمهما إليه » . وكذا رواه الترمذى عن أبي سعيد الأشج به ، وقال : حسن غريب من حديث أنس . وقال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر وعفان عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جده عن أنس . أن رسول الله ﷺ « كان يمر ببית فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت ، (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) ورواه الترمذى عن عبد بن حميد عن عفان به ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة .

وقال الترمذى : حدثنا محمود بن غيلان ثنا أبو أسامة عن فضيل بن مرزوق عن عدي عن نابت عن البراء أن رسول الله ﷺ « أبصر حسناً وحسيناً فقال : اللهم إني أحبهما فأحبهما » . ثم قال : حسن صحيح . وقد روى الامام أحمد عن زيد بن الحباب عن الحسين بن واقد وأهل السنن الأربعة من حديث الحسين بن واقد عن بريدة عن أبيه . قال : « كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذا جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران ، يشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر

فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال : صدق الله ، (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويمثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما . وهذا لفظ الترمذى ، وقال غريب لا أعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد . ثم قال : حدثنا الحسين بن عرفة ثنا إسماعيل بن عيَّاش عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن راشد عن يعلى بن مرة . قال قال رسول الله ﷺ : « حسين منى وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط » . ثم قال الترمذى . هذا حديث حسن . ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به . ورواه الطبرانى عن بكر بن سهل عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح بن راشد بن سعد عن يعلى بن مرة أن رسول الله ﷺ قال : « الحسن والحسين سبطان من الأسباط » . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو نعيم ثنا سفیان عن يزيد بن أبي زياد عن أبي نعيم عن أبي سعيد الخدرى . قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . ورواه الترمذى من حديث سفیان الثورى وغيره عن يزيد بن أبي زياد ، وقال : حسن صحيح . وقد رواه أبو التماسم البغوى عن داود بن رشيد عن مروان الفزارى عن الحكم بن عيسى الرحمن بن أبي نعيم عن أبيه عن أبي سعيد . قال قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابنى الخالة ، يحيى وعيسى ﷺ » . وأخرجه النسائى من حديث [مروان بن معاوية الفزارى به ، ورواه سويد بن سعيد عن محمد بن حازم عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد . وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن ربيع بن سعد عن أبي سابط قال : دخل حسين بن على المسجد فقال جابر بن عبد الله : من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فليتنظر إلى هذا ، سمعته من رسول الله ﷺ . تفرد به أحمد ، وروى الترمذى والنسائى من حديث ^(١) إسرائيل عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن زبر بن حبیش عن حذيفة أن أمه بعثته ليستغفر له رسول الله ﷺ ولها ، قال : فأتيت به فصليت معه المغرب ثم صلى حين صلى العشاء ، ثم انفلت فتبعته فسمع صوتى فقال : « من هذا ؟ حذيفة ؟ قلت : نعم ا قال : ما حاجتك غفر الله لك ولأمك ؟ إن هذا ملك لم ينزل إلى الأرض قبل هذه الليلة ، استأذن ربه بأن يسلم على ويبشرنى بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب ، ولا يعرف إلا من حديث إسرائيل . وقد روى مثل هذا من حديث على بن أبى طالب ومن حديث الحسين نفسه ، وعمر وابنه عبد الله وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ، وفى أسانيدهم كلها ضعف والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا موسى بن عطية عن أبيه عن أبي هريرة . قال : سمعت رسول

الله ﷺ يقول في الحسن والحسين : « من أحبني فليحب هذين » . وقال الامام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا إسماعيل - يعني ابن جعفر - أخبرني محمد - يعني ابن حرملة - عن عطاء . أن رجلاً أخبره أنه رأى النبي ﷺ « يضم إليه حسناً وحسيناً ويقول : اللهم إني أحبهما فأحبهما » . وقد روى عن أسامة بن زيد وسلمان الفارسي شيء يشبه هذا وفيه ضعف وسقم والله أعلم . وقد قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا كامل وأبو المنذر ابنا كامل قال أسود : أنبأنا المعنى عن أبي صالح عن أبي هريرة . قال : « كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء فإذا سجد وثب الحسين والحسن على ظهره ، فإذا رفع رأسه أخذهما أخذا رفيقا فيضعهما على الأرض ، فإذا عاد عادا حتى قضى صلاته أقعدهما على فخذه ، قال : فتمت إليه فقلت : يا رسول الله أردتهما إلى أمهما ؟ قال فبرقت برقة فقال لهما : الحقا بأهلكما ، قال فكث ضوؤها حتى دخلا على أمهما » . وقد روى موسى بن عثمان الحضرمي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة نحوه ، وقد روى عن أبي سعيد وابن عمر قريب من هذا ، فقال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا معاذ بن معاذ ثنا قيس بن الربيع عن أبي المقدم عبد الرحمن الأزرق عن علي . قال : « دخل على رسول الله ﷺ وأنا نائم ، فاستسقى الحسن أو الحسين فقام رسول الله ﷺ إلى شاة لنا كي يحملها فمرت فجاءه الآخر فتعاه ، فقالت فاطمة : يا رسول الله كأنه أحبهما إليك ؟ قال : لا ولكنه استسقى قبله ، ثم قال : إني وإياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة » . تفرد به أحمد . ورواه أبو داود الطيالسي عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن أبي فاختة عن علي فذكر نحوه . وقد ثبت أن عمر بن الخطاب كان يكرمهما ويحملهما ويعطيهما كما يعطي أباهما ، وجيء مرة بحمل من اليمن فقسهما بين أبناء الصحابة ولم يعطهما منها شيئا ، وقال : ليس فيها شيء يصلح لهما ، ثم بعث إلى نائب اليمن فاستعمل لهما حلتين تناسبهما .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا قبيصة بن عقبة ثنا يونس بن أبي إسحاق عن العيزار بن حريث قال : بينما عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة إذ رأى الحسين مقبلا فقال : هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء . وقال الزبير بن بكار : حدثني سليمان بن الدلائل روى عن جعفر بن محمد عن أبيه « أن رسول الله ﷺ بايع الحسن والحسين وعبيد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صفار لم يبلغوا ، ولم يبايع صغيرا إلّا منا » . وهذا مرسل غريب . وقال محمد بن سعد : أخبرني يعلى ابن عبيد ثنا عبيد الله بن الوليد الرصافي عن عبيد الله بن عبيد الله بن حميرة . قال : حج الحسين ابن علي خمسا وعشرين حجة ماشيا ونجائبه تقاد بين يديه . وحدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه أن الحسين بن علي حج ماشيا وإن نجائبه لتقاد وراءه . والصواب أن ذلك إنما هو الحسن أخوه ، كما حكاه البخاري . وقال المدائني : جرى إيهين

الحسن والحسين كلام قهـاجرا ، فلما كان بعد ذلك أقبل الحسن إلى الحسين فأكب على رأسه يقبله ، فقام الحسين فقبله أيضا ، وقال : إن الذي منعتني من ابتداءك بهذا أتى رأيت أنك أحق بالفضل مني فكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به مني . وحكى الأصمعي عن ابن عون أن الحسن كتب إلى الحسين يعيب عليه إعطاء الشعراء فقال الحسين إن أحسن المال ما وقي العرض .

[وقد روى الطبراني : حدثنا أبو حنيفة محمد بن حنيفة الواسطي ثنا يزيد بن البراء بن عمرو ابن البراء الغنوي ثنا سليمان بن الهيثم قال : كان الحسين بن علي يطوف بالبيت فأراد أن يستلم فما وسع له الناس ، فقال رجل : يا أبا فراس من هذا فقال الفرزدق

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى التقى الطاهر العلم
يكاد بمسكه عرفان راحته * رُكن الحطيم إذا ما جاء يستلم
إذا رآته قریش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهي السكرم
يفضي حياء ويغضي من مهابته * فما يكلم إلا حين يتسم
في كفه خيزران ريحها عبق * بكف أورع في عرينه شمم
مشتقة من رسول الله نسبته * طابت عناصره والخيم والشيم
لا يستطيع جواد بعد غايته * ولا يدانيه قوم إن هموا كرموا
من يعرف الله يعرف أولية ذا * فالدين من بيت هذا ناله أمم
أى العشار هم ليست رقابهم * لاولية هذا أوله نعم

هكذا أوردھا الطبرانی فی ترجمة الحسين فی معجمه الكبير وهو غريب ، فان المشهور أنها من قبل الفرزدق فی علی بن الحسين لا فی أبيه ، وهو أشبه فان الفرزدق لم ير الحسين إلا وهو مقبل إلى الحج والحسين ذاهب إلى العراق ، فسأل الحسين الفرزدق عن الناس فذكر له ماتقدم ، ثم إن الحسين قتل بعد مفارقتها له بأيام يسيرة ، فتى رآه يطوف بالبيت والله أعلم ، وروى هشام عن عوانة قال : قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد : أين الكتاب الذي كتبتك إليك فی قتل الحسين ؟ فقال : مضيت لأمرک وضاع الكتاب ، فقال له ابن زياد : لتحيئن به ، قال : ضاع ، قال : والله لتحيئن به ، قال : ترك والله يُقرأ على عجائز قریش أعتذر إليهن بالمدينة ، أما والله لقد نصحتك فی حسين نصيحة لو نصحتها إلى سعد بن أبي وقاص لكنت قد أدبت حقه ، فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله ، صدق عمر والله : ولوددت والله أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأن حسيناً لم يقتل ، قال : فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله بن زياد . (١)

فصل

في ذكر شيء من أشعاره التي رويت عنه

فمن ذلك ما أنشده أبو بكر بن كامل عن عبد الله بن إبراهيم وذكر أنه للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما : -

إغنى عن الخلق بالخلق * تسد على الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله * فليس غير الله من رازق
من ظن أن الناس يغفونهُ * فليس بالرحمن بالوائق
أوظن أن المال من كسبه * زلت به التعلان من حلق
وعن الأعمش أن الحسين بن علي قال : -

كلما زيد صاحب المال مالا * زيد في همه وفي الاشتغال
قد عرفناك يا منغصة العيد * شويادار كل فان وبالي
ليس يصفوا لزامد طلب الزم * إذا كان مثقلا بالعيال
وعن إسحاق بن إبراهيم قال : بلغني أن الحسين زار مقابر الشهداء بالبقيع فقال : -
ناديت سكان القبور فأسكنوا * وأجاني عن صمتهم رب الحضا
قالت أتدري ما فعلت بساكني * مزقت لهمم وخرقت الكسا
وحشوت أعينهم ترابا بعد ما * كانت تأذى باليسير من القدا
أما العظام فأننى مزقتها * حتى تباينت المفاصل والشوا
قطعت ذا زاد من هذا كذا * فتركها رمما يطوف بها الهلا
وأنشد بعضهم للحسين رضي الله عنه أيضا : -

لئن كانت الدنيا تعد نفيسة * فدار ثواب الله أعلى وأنبى
وإن كانت الأبدان للموت أنشئت * فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل
وإن كانت الأرزاق شيئا مقدرًا * فقلة سعى المرء في الرزق أجل
وإن كانت الأموال للترك جمعها * فما بال متروك به المرء يبعث

ومما أنشد الزبير بن بكار من شعره في امرأته الرباب بنت أنيف ، ويقال بنت امرئ القيس ابن عدي بن أوس الكلابي أم ابنته سكينه .

لعمرك إننى لأحب دارا * تحل بها سكينه والرباب

أحبهما وأبذل جـل مالي * وليس للأنبي فيها عتاب
ولست لهم وإن عتبوا مطيعا * حياتي أو يعلىني التراب

وقد أسلم أبوها على يدي عمر بن الخطاب وأمره عمر على قومه ، فلما خرج من عنده خطب إليه على بن أبي طالب أن يزوج ابنه الحسن أو الحسين من بنته ، فزوج الحسن ابنته سلمى ، والحسين ابنته الرباب ، وزوج علياً ابنته الثالثة ، وهي الحياة بنت امرئ القيس في ساعة واحدة ، فأحب الحسين زوجته الرباب حباً شديداً وكان بها معجباً يقول فيها الشعر ، ولما قتل بكر بلاء كانت معه فوجدت عليه وجداً شديداً ، وذكر أنها أقامت على قبره سنة ثم انصرفت وهي تقول :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكم * ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وقد خطبها بعده خلق كثير من أشرف قريش فقالت : ما كنت لأتخذ حواً بعد رسول الله ﷺ ، ووالله لا يؤويني ورجلا بعد الحسين سقف أبداً . ولم تزل عليه كمدة حتى ماتت ، ويقال إنها إنما عاشت بعده أياماً يسيرة فالله أعلم ، وابتها سكينه بنت الحسين كانت من أجهل النساء حتى إنه لم يكن في زمانها أحسن منها فالله أعلم .

وروى أبو مخنف عن عبد الرحمن بن جندب أن ابن زياد بعد مقتل الحسين تفقد أشرف أهل الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحر بن يزيد ، فتطلبه حتى جاءه بعد أيام فقال : أين كنت يا ابن الحر ؟ قال : كنت مريضاً ، قال : مريض القلب أم مريض البدن ؟ قال : أما قلبي فلم يمرض ، وأما بدني فقد من الله عليه بالعافية ، فقال له ابن زياد : كذبت ، ولكنك كنت مع عدونا ، قال : لو كنت مع عدوك لم يخف مكان مثلي ، ولكن الناس شاهدوا ذلك ، قال : وعقل عن ابن زياد عقلاً فخرج ابن الحر فتمعد على فرسه . ثم قال : أبلغوه أني لا آتية والله طائماً فقال ابن زياد : أين ابن الحر ؟ قال : خرج ، فقال على به ، فخرج الشرط في طلبه فأسمهم غليظ ما يكرهون ، وترضى عن الحسين وأخيه وأبيه ثم أسمهم في ابن زياد غليظاً من القول ثم امتنع منهم وقال في الحسين وفي أصحابه شعراً :-

يقول أمير غادر حق غادر * ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة
فياندمي أن لا أكون نصرته * لذنو حسرة ما إن تفارق لازمه
سقى الله أرواح الذين تبارزوا * على نصره سقيا من الغيث دائماً
وقفت على أجسادهم وقبورهم * فكان الحشى ينقض والعين ساجمه
لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى * سراعاً إلى الهيجا حماة حضارمه
تأسوا على نصر بن بنت نعيمهم * بأسيا فهم أساد غبل ضارغهم
فان يقتلوا تلك النفوس التقية * على الأرض قد أضحت لذلك واجمه

فما إن رأى الرامون أفضل منهم * لدى الموت سادات وزهر قفاقه
 أتقتلهم ظلما وترجو ودادنا * فدى خطة ليست لنا بلامه
 لعمري لقد راغتمونا بقتلهم * فكم نأقِم منا عليكم وناقه
 أهمُّ مراراً أن أسير بجحفل * إلى فئة زاغت عن الحق ظالمه
 فيا ابن زياد إسمع لحربنا * وموقف ضحك تقصم الظاهر قاصمه
 وقال الزبير بن بكار : قال سليمان بن قتيبة يرى الحسين رضى الله عنه

وإن قتيل الطغ من آل هاشم * أذل رقاباً من قریش فذلت
 فان تقبوه عائداً لبیت تصبحوا * كهاد تعمت عن هداها فضلت
 مررت على أبيات آل محمد * فالقيتها أمثالها حيث حلت
 وكانوا لنا غنما فعادوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
 فلا يبعد الله الديار وأهلها * وإن أصبحت منهم بزعى تحلت
 إذا افتقرت قيس خبرنا فقيرها * وتقلنا قيس إذا النعل زلت
 وعند يزيد قطرة من دماءنا * سنجزيم يوماً بها حيث حلت
 ألم تر أن الأرض أضحت مريضة * لقتل حسين والبلاد اقشعرت

ومما وقع من الحوادث في هذه السنة - أعنى سنة إحدى وستين - بعد مقتل الحسين
 ففيها ولي يزيد بن معاوية سلم بن زياد سجستان وخراسان حين وفد عليه ، وله من العمر أربعة
 وعشرون سنة ، وعزل عنها أخويه عباداً وعبد الرحمن ، وسار سلم إلى عمه فجعل ينتخب الوجوه
 والفرسان ، ويحرض الناس على الجهاد ، ثم خرج في جحفل عظيم ليغزو بلاد الترك ، ومعه امرأته
 أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص ، فكانت أول امرأة من العرب قطع بها النهر ، وولدت
 هناك ولداً أسماه صفدي ، وبعثت إليها امرأة صاحب صفدي بتاجها من ذهب وكأل . وكان المسلمون
 قبل ذلك لا يشتون في تلك البلاد ، فشقي بها سلم بن زياد . | وبعث المهلب بن أبي صفرة إلى تلك
 المدينة التي هي للترك ، وهي خوارزم فحاصرهم حتى صالحوه على نيف وعشرين ألف ألف ، وكان
 يأخذ منهم عروضا عوضاً ، فيأخذ الشيء بنصف قيمته فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف ،
 فخطى بذلك المهلب عند سلم بن زياد | (١)

ثم بعث من ذلك ما اصطفاه يزيد بن معاوية مع مرزبان ومعه وفد ، وصالح سلم أهل سمرقند في
 هذه الغزوة على مال جزيل . وفيها عزل يزيد عن إمرة الحرميين عمرو بن سعيد وأعاد إليها الوليد بن

عتبة بن أبي سفيان ، فولاه المدينة ، وذلك أن ابن الزبير لما بلغه مقتل الحسين شرع يخطب الناس ويعظم قتل الحسين وأصحابه جدا ، ويعيب على أهل الكوفة وأهل العراق ما صنعوه من خذلانهم الحسين ، ويترحم على الحسين ويلعن من قتله ، ويقول : أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه ، كثيرا في النهار صيامه ، أما والله ما كان يستبدل بالقرآن الغنا والملاهي ، ولا بالبكاء من خشية الله اللغو والحسد ، ولا بالصيام شرب المدام وأكل الحرام ، ولا بالجلوس في حلق الذكر طلب الصيد ، - يُعرض في ذلك يزيد بن معاوية - فسوف يلقون غيا ، ويؤلب الناس على بنى أمية ويحشهم على مخالفتهم وخلع يزيد . فبايمه خلق كثير في الباطن ، وسألوه أن يظهرها فلم يمكنه ذلك مع وجود عمرو بن سعيد ، وكان شديدا عليه ولكن فيه رفق ، وقد كان كاتبه أهل المدينة وغيرهم ، وقال الناس : أما إذ قتل الحسين فليس ينزع أحد ابن الزبير ، فلما بلغ ذلك يزيد شق ذلك عليه وقيل له : إن عمرو بن سعيد لو شاء لبعث إليك برأس ابن الزبير ، أو يحاصره حتى يخرج منه من الحرم ، فبعث فعزله وولى الوليد بن عتبة فيها ، وقيل في مستهل ذي الحجة ، فأقام للناس الحج فيها ، وحلف يزيد ليأتيني ابن الزبير في سلسلة من فضة ، وبعث بها مع البريد ومعه برنس من خزليبر يمينه ، فلما مر البريد على مروان وهو بالمدينة وأخبره بما هو قاصد له وما معه من الغل أنشأ مروان يقول : -

نفسها فما هي العزيز بخطة * وفيها مقال لا مرئ متفذل

أعامر إن القوم ساموك خطة * وذلك في الجيران غزل بغزل

أراك إذا ما كنت في القوم ناصحا * يقال له بالدلو أدبر وأقبل

فلما انتهت الرسل إلى عبد الله بن الزبير بعث مروان ابنه عبد الملك وعبد العزيز ليحضرا مراجعته في ذلك ، وقال : اسمعاه قولي في ذلك ، قال عبد العزيز : فلما جلس الرسل بين يديه جعلت أنشده ذلك وهو يسمع ولا أشعره ، فالتفت إلى فقال : أخبرنا أبانا أي أقول : -

إني لمن نبعة صم مكاسرها * إذا تناوحت القصباء والعشر

ولا ألين لغير الحق أسأله * حتى يلين لضرر الماضع الحجر

قال عبد العزيز : فما أدري أيما كان أعجب ! !

قال أبو معشر : لا خلاف بين أهل السير أن الوليد بن عتبة حج بالناس في هذه السنة وهو أمير الحرمين وعلى البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد ، وعلى خراسان وسجستان سلم بن زياد أخو عبيد الله ابن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة .

ذكر من توفي فيها من الأعيان *

الحسين بن علي رضي الله عنهما ومعه بضعة عشر من أهل بيته قتلوا جميعا بكر بلاء ، وقيل بضعة

وعشرون كما تقدم . وقتل معهم جماعة من الأبطال والفرسان .

﴿ جابر بن عتيك بن قيس ﴾

أبو عبد الله الأنصاري السامي ، شهد بدرًا وما معه ، وكان حامل راية الأنصار يوم الفتح ، كذا قال ابن الجوزي ، قال : توفي في هذه السنة عن إحدى وسبعين سنة .

﴿ حمزة بن عمرو الأسلمي ﴾

صحابي جليل ثبت في الصحيحين عن عائشة أمها قالت : سألت حمزة بن عمرو رسول الله ﷺ فقال : إني كثير الصيام أفصوم في السفر ؟ فقال له : « إن شئت فصم ، وإن شئت فافطر » . وقد شهد فتح الشام ، وكان هو البشير للصدقي يوم أجنادين ، قال الواقدي : وهو الذي بشر كعب بن مالك بتوبة الله عليه فأعطاه توبه ، وروى البخاري في التاريخ بأسناد جيد عنه أنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاءت لي أصابعي حتى جمعت عليها كل متاع كان للنوم » . اتفقوا على أنه توفي في هذه السنة - أعني سنة إحدى وستين -

﴿ شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدري الحنفي ﴾

صاحب مفتاح الكعبة كان أبوه ممن قتل على بن أبي طالب يوم أحد كافرين ، وأظهر شيبة الإسلام يوم الفتح ، وشهد حنينًا وفي قلبه شيء من الشك ، وقد هم بالفتك برسول الله ﷺ ، فأطلع الله على ذلك رسوله فأخبره بما هم به فأسلم باطنًا وجاد إسلامه ، وقاتل يومئذ وصبر فيمن صبر . قال الواقدي عن أشياخه : إن شيبة قال : كنت أقول والله لو آذن محمد جميع الناس ما آمنت به ، فلما فتح مكة وخرج إلى هوازن خرجت معه رجاء أن أجِدَ فرصة أخذ بئار قریش كلها منه ، قال : فاختلط الناس ذات يوم ونزل رسول الله ﷺ عن بئانه فدنوت منه وانتضيت سبني لأضربه به ، فرفع لي شواظ من نار كاد يحترقني ، فالتفت إلى رسول الله ﷺ وقال : « يا شيبة ادن مني ، فدنوت منه فوضع يده على صدري وقال : اللهم أعنه من الشيطان . قال : فوالله ما رفع يده حتى لم يؤمئذ أحب إلي من سمعي وبصري ، ثم قال : اذهب فقاتل ، قال : فتقدمت إلى العدو والله لو لقيت أبي لقتلته لو كان حيًا ، فلما تراجع الناس قال لي : يا شيبة الذي أراد الله بك خير مما أردت لنفسك ، ثم حدثني بكل ما كان في نفسي مما لم يطلع عليه أحد إلا الله عز وجل ، فتشبهت وفلت : أستغفر الله ، فقال : غفر الله لك » . ولى الحجابة بعد عثمان بن طلحة واستقرت الحجابة في بيته ويده إلى اليوم ، وإليه ينسب بنو شيبة ، وهم حجابة الكعبة . قال خليفة بن خياط وغير واحد : توفي سنة تسع وخمسين . وقال محمد بن سعد : بقي إلى أيام يزيد بن معاوية . وقال ابن الجوزي في المنتظم : مات في هذه السنة . عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم صحابي انتقل إلى دمشق وله بها دار .

ولما مات أوصى إلى يزيد بن معاوية وهو أمير المؤمنين .

﴿ الوليد بن عقبة بن أبي معيط ﴾

ابن أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أبو وهب القرشي
المبشمي ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها
أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ، وللوليد من الأخوة خالد وعمارة وأم كلثوم ، وقد قتل رسول الله
ﷺ أباه بعد وقعة بدر من بين الأسرى صبراً بين يديه ، فقال : يا محمد من لأصيبة ؟ فقال : « لهم
النار » وكذلك فعل بالنضر بن الحارث . وأسلم الوليد هذا يوم الفتح ، وقد بعثه رسول الله ﷺ على
صدقات بني المصطلق فخرجوا يتلقونه فظن أنهم إنما خرجوا لقتاله فرجع ، فأخبر بذلك رسول الله
ﷺ فأراد أن يحجز إليهم جيشاً ، فبلغهم ذلك فجاء من جاء منهم ليعتذروا إليه ويخبرونه بصورة
ما وقع ، فأنزل الله تعالى في الوليد (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً
بجهالة) الآية . ذكر ذلك غير واحد من المفسرين والله أعلم بصحة ذلك . وقد حكى أبو عمرو بن
عبد البر على ذلك الإجماع . وقد ولاه عمر صدقات بني تغلب ، وولاه عثمان نيابة الكوفة بعد سعد
ابن أبي وقاص ، سنة خمس وعشرين ، ثم شرب الخمر وصلى بأصحابه ثم التفت إليهم فقال : أزيدكم ؟
ووقع منه تحبيط ، ثم إن عثمان جلده وعزله عن الكوفة بعد أربع سنين فأقام بها ، فلما جاء على إلى
العراق سار إلى الرقة واشترى له عندها ضيعة وأقام بها معتزلاً جميع الحروب التي كانت أيام علي
ومعاوية وما بعدها إلى أن توفي بضيعته في هذه السنة ، ودفن بضيعته وهي على خمسة عشر ميلاً من
الرقة ، ويقال : إنه توفي في أيام معاوية فأنزل الله عليه . روى له الإمام أحمد وأبو داود حديثاً واحداً في
فتح مكة ، وقد ذكر ابن الجوزي وفاته في هذه السنة ، وذكر أيضاً وفاة أم المؤمنين ميمونة بنت
الحارث الجلالية ، وقد تقدم ذكر وفاتها في سنة إحدى وخمسين ، وقيل إنها توفيت سنة ثلاث
وستين ، وقيل سنة ست وستين ، والصواب ما ذكرناه .

﴿ أم سلمة أم المؤمنين ﴾

هند بنت أبي أمية حذيفة وقيل سهل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، القرشية
المخزومية كانت أولاً تحت ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد فمات عنها ، فزوجها رسول الله ﷺ
ودخل بها في شوال سنة ثنتين بعد وقعة بدر ، وقد كانت سمعت من زوجها أبي سلمة : حديثاً عن
رسول الله ﷺ . أنه قال « ما من مسلم يصاب بمصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم
أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها ، إلا أبدله الله خيراً منها » قالت : فلما مات أبو سلمة قلت
ذلك ثم قلت : ومن هو خير من أبي سلمة أول رجل هاجر ؟ ثم عزم الله لي فقلت لها فابدلي الله خيراً

منه ، رسول الله ﷺ وكانت من حسان النساء وعابداتهن . قال الواقدي : توفيت سنة تسع وخمسين وصلى عليها أبو هريرة . وقال ابن أبي خيثمة : توفيت في أيام يزيد بن معاوية . قلت : والأحاديث المتقدمة في مقتل الحسين تدل على أنها عاشت إلى ما بعد مقتل الله أعلم . ورضي الله عنها والله سبحانه أعلم

(ثم دخلت سنة ثنتين وستين)

يقال فيها قدم وفد المدينة النبوية على يزيد بن معاوية فأكرمهم وأجازهم بجواز سنوية ، ثم عادوا من عنده بالجواز فخلعوه وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل ، فبعث إليهم يزيد جندياً في السنة الآتية [إلى المدينة فكانت وقعة الحرة على ما سنبينه في التي بعدها إن شاء الله تعالى ، وقد كان يزيد عزّل عن الحجاز عمرو بن سعيد بن العاص ، وولي عليهم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، فلما دخل المدينة] (١) احتاط على الأموال والحواصل والأموال ، وأخذ العبيد الذين لعمر بن سعيد فحبسهم . وكانوا نحو من ثلاثمائة عبد . فتجهز عمرو بن سعيد إلى يزيد وبعث إلى عبيده أن يخرجوا من السجن ويلحقوا به ، وأعد لهم إبلا يركبونها ، ففعلوا ذلك ، فلما لحقوه حتى وصل إلى يزيد فأكرمهم واحترمه ورحب به يزيد . وأدنى مجلسه ، ثم إنه عاتبه في تقصيره في شأن ابن الزبير ، فقال له : يا أمير المؤمنين الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وإن جل أهل مكة والحجاز مالأوه علينا وأحبوه ولم يكن لي جند أقوى بهم عليه لو أنا هضته ، وقد كان يحذرنى ويحترس منى ، وكنت أرفق به كثيراً وأداريه لأستمكن منه فأثب عليه ، مع أنى قد ضيقت عليه ومنعته من أشياء كثيرة ، وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجالاً لا يسعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا اسمه واسم أبيه ، ومن أى بلاد هو وما جاء له ، وماذا يريد ، فإن كان من أصحابه أو ممن عرف أنه يريد رددته صاغراً ، وإلا خلعت سبيله . وقد وليت الوليد وسياتيك من عمله وأمره ما أملك تعرف به فضل مسارعى واجتهادى في أمرك ومناصحتى لك إن شاء الله ، والله يصنع لك ويكتب عدوك . فقال له يزيد : أنت أصدق ممن رماك وحملنى عليك ، وأنت ممن آثق به وأرجو معونته وأدخره لذات الصدع ، وكفاية المهم وكشف نوازل الأمور العظام . في كلام طويل ،

وأما الوليد بن عتبة فإنه أقام بالحجاز وقد هم مراراً أن يبطش بعبد الله بن الزبير فيجده متحذراً متمتعاً قد أعد للأمر أقرانها . وثار بالجماعة رجل آخر يقال له نجدة بن عامر الحنفي حين قتل الحسين ، وخالف يزيد بن معاوية ، ولم يخالف ابن الزبير بل بقى على حدة ، له أصحاب يتبعونه ، فإذا كان ليلة عرفة دفع الوليد بن عتبة بالجهور وخالف عنه ابن الزبير وأصحاب نجدة ، ثم يدفع كل فريق وحدهم . ثم كتب نجدة إلى يزيد : إنك بعثت إلينا رجالاً أخرج لا يتجه لأمر رشد ولا يرعوى لعظة

الحكيم ، فلو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق لين الكسف ، رجوت أن يسهل به من الأمور ما استوعر منها وأن يجتمع ما تفرق ، فانظر في ذلك فإن فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله تعالى . قالوا : فعزل يزيد الوليد وولى عثمان محمد بن أبي سفيان ، فسار إلى الحجاز وإذا هو قتي غر حدث غمر لم يمارس الأمور ، فطمعوا فيه ، ولما دخل المدينة بعث إلى يزيد منها وفداً فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري ، وعبد الله بن أبي عمرو بن حنص بن المغيرة الحضرمي ، والمنذر بن الزبير ، ورجال كثير من أشرف أهل المدينة ، فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم وعظم جوائزهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة ، إلا المنذر بن الزبير فإنه سار إلى صاحبه عبيد الله بن زياد بالبصرة ، وكان يزيد قد أجازته بمائة ألف نظير أصحابه من أولئك الوفد ، ولما رجع وفد المدينة إليها أظهر وا شتم يزيد وعيبه وقالوا : قد كنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر وتعزف عنده القينات بالمعارف ، وإنا نشهدكم أننا قد خلعناه ، فتابعهم الناس على خلعهم ، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على الموت ، وأسكر عليهم عبد الله بن عمرو بن الخطاب ، ورجع المنذر بن الزبير من البصرة إلى المدينة فوافق أولئك على خلع يزيد ، وأخبرهم عنه أنه يشرب الخمر ويسكر حتى ترك الصلاة ، وعابه أكثر مما عابه أولئك . فلما بلغ ذلك يزيد قال : اللهم إني آثرته وأكرمته ففعل ماقد رأيت ، فأدركه وانتقم منه . ثم إن يزيد بعث إلى أهل المدينة النعمان بن بشير ينههم عما صنعوا ويحذرهم غيب ذلك ويأمرهم بالرجوع إلى السمع والطاعة ولزوم الجماعة ، فسار إليهم ففعل ما أمره يزيد وخوفهم الفتنة وقال لهم : إن الفتنة وخيمة ، وقال : لا طاقة لكم بأهل الشام ، فقال له عبد الله بن مطيع : ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من أمرنا ؟ فقال له النعمان : أما والله لسكأني وقد تركت تلك الأمور التي تدعو إليها ، وقامت الرجال على الركب التي تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ، ودأبت رحا الموت بين الفريقين ، وكأني بك قد ضربت جنب بغلتك إلى وخلفت هؤلاء المساكين . يعني الأنصار - يقتلون في سبكمهم ومساجدهم ، وعلى أبواب دورهم . فعصاه الناس فلم يسمعوا منه فانصرف وكان الأمر والله كما قال سواء . قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة كذا قال وفيه نظر ، فإنه إن كان في وفد أهل المدينة وقد رجعوا من عند يزيد قائماً وفد عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وإن كان قد حج بالناس فيها الوليد فما قدم وفد المدينة إلى يزيد إلا في أول سنة ثلاث وستين وهو أشبه والله أعلم .

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

بريدة بن الحصيص الأسدي كان إسلامه حين اجتاز به رسول الله ﷺ وهو مهاجر إلى المدينة عند كراع الغميم ، فلما كان هناك تلقاه بريدة في ثمانين نفساً من أهله فأسلموا ، وصلى بهم صلاة العشاء وعلمه

ليستند صدراً من سورة مريم ، ثم قدم على رسول الله ﷺ المدينة بعد أحد فشهد معه المشاهد كلها وأقام بالمدينة ، فلما فتحت البصرة نزلها واختط بها داراً ، ثم خرج إلى غزو خراسان فمات بمرو في خلافة يزيد بن معاوية . ذكر موته غير واحد في هذه السنة .

﴿ الربيع بن خثيم ﴾

أبو يزيد الثوري الكوفي أحد أصحاب ابن مسعود قال له عبد الله بن مسعود : ما رأيك قط إلا ذكرت المحبتين ، ولوراك رسول الله ﷺ لأحبك . وكان ابن مسعود يحله كثيراً ، وقال الشعبي : كان الربيع من معادن الصدق ، وكان أروع أصحاب ابن مسعود ، وقال ابن معين : لا يسأل عن مثله ، وله مناقب كثيرة جداً ، أرخ ابن الجوزي وفاته في هذه السنة .

﴿ علقمة بن قيس أبو شبل النخعي الكوفي ﴾ كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم وكان يشبه بابن مسعود . وقد روى عنقمة عن جماعة من الصحابة وعنه خلق من التابعين .

﴿ عقبة بن نافع الفهري ﴾

بعثه معاوية إلى إفريقية في عشرة آلاف فافتتحها ، واختط القيروان ، وكان موضعها غيضة لا ترام من السباع والحيات والحشرات ، فدعا الله تعالى فجعل يخرج منها بأولادهن من الأوكار والجحار ، فبناها ولم يزل بها حتى هذه السنة ، غزا أقواماً من البربر والروم فقتل شهيداً رضى الله عنه . ﴿ عمرو بن حزم ﴾ صحابي جليل استعمله رسول الله ﷺ على نجران وعمره سبع عشرة سنة وأقام بها مدة ، وأدرك أيام يزيد بن معاوية .

﴿ مسلم بن مخلد الأنصاري ﴾ الزرق ولد عام الهجرة ، وسمع من رسول الله ﷺ ، وشهد فتح مصر ، وولى الجند بها لمعاوية ويزيد ، ومات في ذى القعدة من هذه السنة .

﴿ نوفل بن معاوية الديلمي ﴾ صحابي جليل شهد بدرًا وأحداً والخندق مع المشركين ، وكانت له في المسلمين نسكية ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وشهد فتح مكة وخيبر ، وحج مع أبي بكر سنة تسع ، وشهد حجة الوداع ، وعمر ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام ، قاله الواقدي . قال : وأدرك أيام يزيد بن معاوية ، وقال ابن الجوزي : مات في هذه السنة .

وفيهما توفيت أرباب بنت أنيف امرأة الحسين بن علي التي كانت حاضرة أهل العراق إذ هم يعدون في السبت أو في الجمعة على زوجها الحسين بن علي ابن بنت رسول الله ﷺ

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين ﴾

ففيها كانت وقعة الحرة وكان سببها أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية وولوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ، فلما كان في أول هذه السنة أظهر وا

ذلك واجتمعوا عند المنبر فجعل الرجل منهم يقول : قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي هذه ، ويلقيها عن رأسه ، ويقول الآخر : قد خلعت كما خلعت نعلي هذه ، حتى اجتمع شيء كثير من العمام والنعال هناك ، ثم اجتمعوا على إخراج عامل يزيد من بين أظهرهم ، وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن عم يزيد ، وعلى إجلاله بنى أمية من المدينة ، فاجتمعت بنو أمية في دار مروان بن الحكم ، وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم ، واعتزل الناس على بن الحسين « زين العابدين » وكذلك عبد الله بن عمر ابن الخطاب لم يخلفا يزيد ، ولا أحد من بيت ابن عمر ، وقد قال ابن عمر لأهله : لا يخلعن أحد منكم يزيد فتكون الفيصل ويروى الصليم بيني وبينه ، وسيأتي هذا الحديث بلفظه وإسناده في ترجمة يزيد ، وأنكر على أهل المدينة في مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة على الموت ، وقال : إنما كنا نبايع رسول الله ﷺ على أن لا نفر ، وكذلك لم يخلف يزيد أحد من بنى عبد المطلب ، وقد سئل محمد بن الحنفية في ذلك فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، وناظرهم وجادلهم في يزيد ورد عليهم ما اتهموا يزيد به من شرب الخمر وتركه بعض الصلوات كما سيأتي مبسوطاً في ترجمة يزيد قريباً إن شاء الله ، وكتب بنو أمية إلى يزيد بما هم فيه من الحصر والاهانة ، والجوع والعطش ، وأنه إن لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه وإلا استؤصلوا عن آخرهم ، وبعثوا ذلك مع البريد ، فلما قدم بذلك على يزيد وجدته جالسا على سريره ورجلاه في ماء يتبرد به مما به من النقرس في رجله ، فلما قرأ الكتاب انزعج لذلك وقال : ويلك ! ما فيهم ألف رجل ؟ قال : بلى ، قال : فهل لا قاتلوا ساعة من نهار ؟ ثم بعث إلى عمرو بن سعيد ابن العاص فقرأ عليه الكتاب واستشاره فيمن يبعثه إليهم ، وعرض عليه أن يبعثه إليهم فأبى عليه ذلك ، وقال : إن أمير المؤمنين عزاني عنها وهي مضبوطة وأمورها محكمة ، فأما الآن فأنما دماء قریش تراق بالصعيد فلا أحب أن أتولى ذلك منهم ، ليتولى ذلك من هو أبعد منهم مني ، قال : فبعث البريد إلى مسلم بن عقبة المزني وهو شيخ كبير ضعيف فانتدب لذلك وأرسل معه يزيد عشرة آلاف فارس ، وقيل اثنا عشر ألفا وخمسة عشر ألف رجل ، وأعطى كل واحد منهم مائة دينار وقيل أربعة دنانير ، ثم استعرضهم وهو على فرس له ، قال المدائني : وجعل على أهل دمشق عبد الله بن مسعدة الفزاري ، وعلى أهل حمص حصين بن نمير السكوني ، وعلى أهل الأردن حبيش بن دجلة القيني ، وعلى أهل فلسطين روج بن زنباع الجذامي وشريك الكناني ، وعلى أهل قنسرين طريف بن الحسحاس الهاللي ، وعليهم مسلم بن عقبة المزني من غطفان ، وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة . فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين ولني عليهم أكفك - وكان العمان أخا عبد الله بن حنظلة لأنه عمرة بنت ربيعة - فقال يزيد لا ليس لهم إلا هذا الغشمة ، والله لأقتلنهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة . فقال النعمان يا أمير المؤمنين أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ . وقال له عبد الله بن جعفر : رأيت

إن رجعوا إلى طاعتك أيقبل منهم ؟ قال : إن فعلوا فلا سبيل عليهم ، وقال يزيد لمسلم بن عقبة : ادع القوم ثلاثاً فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكف عنهم ، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم ، وإذا ظهرت عايمهم فأبج المدينة ثلاثاً ثم اكشف عن الناس ، وانظر إلى علي بن الحسين فاكشف عنه واستوص به خيراً ، وأدن مجلسه ، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه ، وأمر مسلم إذا فرغ من المدينة أن يذهب إلى مكة لحصار ابن نمير ، وقال له : إن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن نمير السكوني . وقد كان يزيد كتب إلى عبد الله بن زياد أن يسير إلى الزبير فيحاصره بمكة ، فأبى عليه وقال : والله لا أجمعهما للفاسق أبداً ، أقتل ابن بنت رسول الله ﷺ ، وأغزو البيت الحرام ؟ وقد كانت أمه صر جانة قالت له حين قتل الحسين : ويحك ماذا صنعت وماذا ركبت ؟ وعنفته تعنيفاً شديداً . قالوا : وقد بلغ يزيد أن ابن الزبير يقول في خطبته : يزيد القرد ، شارب الخمر ، تارك الصلوات ، منعكف على القينات . فلما جهز مسلم بن عقبة واستعرض الجيش بدمشق جعل يقول : -

أبلغ أبا بكر إذا الجيش سرى * وأشرف الجيش على وادي القرى

أجمع سكان من القوم ترى * يا محبها من ملحد في أم القرى

* مخادع للدين يقضى بالقرى * وفي رواية

أبلغ أبا بكر إذا الأمر انبرى * ونزل الجيش على وادي القرى

عشرون ألفاً بين كهل وفتى * أجمع سكان من القوم ترى

قالوا : وسار مسلم بن معمر من الجيوش إلى المدينة ، فلما اقترب منها اجتهد أهل المدينة في حصار بني أمية ، وقالوا لهم : والله لنقتلنكم عن آخركم أو تعطوننا موثقاً أن لا تدلوا علينا أحداً من هؤلاء الشاميين ، ولا تمالئوهم علينا ، فأعطوهم العهد بذلك ، فلما وصل الجيش تلقاهم بنو أمية فجعل مسلم يسأله عن الأخبار فلا يجبره أحد ، فأنحصر لذلك ، وجاء عبد الملك بن مروان فقال له : إن كنت تريد النصر فانزل شرق المدينة في الحرة ، فإذا خرجوا إليك كانت الشمس في أفقيكم وفي وجوههم ، فادعهم إلى الطاعة ، فإن أجابوك وإلا فاستعن بالله وقاتلهم فإن الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الإمام وخرجوا عن الطاعة . فشكره مسلم بن عقبة على ذلك ، وأمثل ما أشار به ، فنزل شرق المدينة في الحرة ، ودعا أهلها ثلاثة أيام ، كل ذلك يابون إلا الحاربة والمقاتلة ، فلما مضت الثلاث قال لهم في اليوم الرابع - وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين - قال لهم : يا أهل المدينة : مضت الثلاث وإن أمير المؤمنين قال لي : إنكم أصل وعشيرة ، وإنه يكره إراقة دمائكم ، وإنه أمرني أن أوجلكم ثلاثاً فقد مضت ، فإذا أنتم صانعون ؟ أتسلمون أم تحاربون ؟ فقتلوا : بل نحارب . فقال : لا تفعلوا بل سلموا ونجعل جندنا وقوتنا على هذا الملحد - يعني ابن الزبير -

فقالوا : يا عدو الله ! لو أردت ذلك لما مكنناك منه ، ونحن نذركم تذهبون فتلهحدون في بيت الله الحرام ؟ ثم تهبأوا للقتال ، وقد كانوا اتخذوا خندقا بينهم وبين ابن عقبة ، وجعلوا جيشهم أربعة أرباع على كل ربع أمير ، وجعلوا أجمل الأرباع الربع الذي فيه عبد الله بن حنظلة الفسيل ، ثم اقتتلوا قتالا شديداً ، ثم انهزم أهل المدينة إليها . وقد قتل من الفريقين خلق من السادات والاعيان ، منهم عبد الله بن مطيع وبنون له سبعة بين يديه ، وعبد الله بن حنظلة الفسيل ، وأخوه لأمه محمد بن ثابت بن شماس ، ومحمد بن عمرو بن حزم ، وقد مر به مروان وهو مجندل فقال : رحمك الله فكم من سارية قد رأيتك تطيل عندها القيام والسجود .

ثم أباح مسلم بن عقبة ، الذي يقول فيه السلف مسرف بن عقبة - قبحه الله من شيخ سوء ما أجمله - المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد ، لا جزاءه الله خيراً ، وقتل خلقاً من أشرافها وفرأها وانتهب أموالا كثيرة منها ، ووقع شر عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد . فسكران ممن قتل بين يديه صبوا معقل بن سنان ، وقد كان صديقه قبل ذلك ، ولكن أسمعته في يزيد كلاما غليظاً فقم عليه بسببه ، واستدعى بعلي بن الحسين فجاء بمشي بين مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، ليأخذ له بهما عنده أمانا ، ولم يشعر أن يزيد أوصاه به ، فلما جلس بين يديه استدعى مروان بشارب - وقد كان مسلم بن عقبة حمل معه من الشام فلجأ إلى المدينة فكان يشاب له بشاربه - فلما جرى بالشراب شرب مروان قليلا ثم أعطى الباقي لعلي بن الحسين ليأخذ له بذلك أمانا ، وكان مروان مواداً لعلي ابن الحسين ، فلما نظر إليه مسلم بن عقبة قد أخذ الاناء في يده قال له : لا تشرب من شرابنا ، ثم قال له : إنما جئت مع هذين لتأمن بهما ؟ فارتعدت يد علي بن الحسين وجعل لا يضع الاناء من يده ولا يشربه ، ثم قال له : لولا أن أمير المؤمنين أوصاني بك لضربت عنقك ، ثم قال له : إن شئت أن تشرب فاشرب ، وإن شئت دعونا لك بغيرها ، فقال : هذه الذي في كفي أريد ، فشرب ثم قال له مسلم بن عقبة : قم إلى ههنا فاجلس ، فأجلسه معه على السرير وقال له : إن أمير المؤمنين أوصاني بك ، وإن هؤلاء شغلوني عنك . ثم قال لعلي بن الحسين : لعل أهلك فزعوا ، فقال : إني والله . فأمر بدابته فأسرجت ثم حملها عليها حتى رده إلى منزله مكرما . ثم استدعى بعمر بن عثمان بن عفان - ولم يكن خرج مع بني أمية - فقال له : إنك إن ظهر أهل المدينة قلت أنا معكم ، وإن ظهر أهل الشام قلت أنا ابن أمير المؤمنين ، ثم أمر به ففتفت حليته بين يديه - وكان ذا حلية كبيرة -

قال المدائني : وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام ، يقتلون من وجدوا من الناس ، ويأخذون الأموال . فأرسلت سعدى بنت عوف المريفة إلى مسلم بن عقبة تقول له : أنا بنت عمك فمر أصحابك أن لا يتعرضوا لابلنا بمكان كذا وكذا ، فقال لأصحابه : لا تبدؤوا إلا بأخذ إبلها أولا . وجاءته امرأة فقالت :

أنا مولاتك وابني في الأسارى ، فقال : عجولوه لها ، فضربت عنقه ، وقال : اعطود رأسه ، أما ترضين أن لا يقتل حتى تتكلمي في ابنك ؟ ووقفوا على النساء حتى قيل إنه حبلى ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج فأنشأ الله أعلم . قال المدائني عن أبي قرة قال قال هشام بن حسان : ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرة من غير زوج . وقد اختفى جماعة من سادات الصحابة منهم جابر بن عبد الله ، وخرج أبو سعيد الخدري فلجأ إلى غار في جبل فلحقه رجل من أهل الشام ، قال : فلما رأيته انتضيت سيفي فقصصني ، فلما رأيته صمم على قتلي فشتمت سيفي ثم قلت : (إني أريد أن تبوء بائني وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) فلما رأى ذلك قال : من أنت ؟ قلت : أنا أبو سعيد الخدري قال : صاحب رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم ! ففضى وتركني .

قال المدائني : وجيء إلى مسلم بن سعيد بن المسيب فقال له : بايع ! فقال : أبايح على سيرة أبي بكر وعمر . فأمر بضرب عنقه ، فشهد رجل أنه مجنون فحلى سبيله . وقال المدائني عن عبد الله القرشي وأبي إسحاق التميمي قالا : لما انهزم أهل المدينة يوم الحرة صاح النساء والصبيان ، فقال ابن عمر : بعثان ورب الكعبة . قال المدائني عن شيخ من أهل المدينة . قال : سألت الزهري كم كان القتلى يوم الحرة قال : سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ووجوه الموالى ومن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف . قال : وكانت الوقعة ثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين ، وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام . قال الواقدي وأبو معشر : كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء ليلة ثلثين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين .

قال الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن ابن عون قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكانوا يسمونه المائد - يعني المائد بالبيت - ويرون الأمر شوري ، وجاء خسير الحرة إلى أهل مكة ليلة استهل الحرم مع سعيد مولى المسور بن مخرمة ، فحزنوا حزناً شديداً وتأهبوا لقتال أهل الشام . قال ابن جرير : وقد رويت قصة الحرة على غير ما رواه أبو مخنف ، فحدثني أحمد بن زهير ثنا أبي سمعت وهب بن جرير ثنا جويرية بن أسماء قال : سمعت أشياخ أهل المدينة يتحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا ابنه يزيد فقال له : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فإن فعلوا فارمهم بمسلم ابن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته لنا ، فلما هلك معاوية وفد إلى يزيد وفد من أهل المدينة ، وكان ممن وفد إليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر - وكان شريفاً فاضلاً سيداً عابداً - ومعه ثمانية بنين له فأعطاه يزيد مائة ألف درهم ، وأعطى بنه كل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملاتهم ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قدمها أتاه الناس فقالوا له : ما وراءك ؟ فقال : جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدت بهم . قالوا : قد بلغنا أنه أعطاك وأخذك وأخذك

وأكرمك . قال : قد فعل وما قبلت منه إلا لأتقوى به على قتاله ، فحضر الناس فبايعوه ، فبلغ ذلك يزيد فبعث إليهم مسلم بن عقبة ، وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين الشام فصعبوا فيه زقا من قطران وغوروه ، فأرسل الله على جيش الشام السماء مدراراً بالمطر ، فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة ، فخرج أهل المدينة بجمع كثيرة وهيئة لم ير مثلها ، فلما رأهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ، وكان أميرهم مسلم شديد الوجد ، فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة ، قد أقحم عليهم بنو حارثة من أهل الشام وهم على الجدر ، فانهمز الناس فكان من أصيب في الخندق أعظم من قتل ، فدخلوا المدينة وعبد الله بن حنظلة مستند إلى الجدار يغط نوماً ، فنبهه ابنه ، فلما فتح عينيه ورأى ما صنع الناس ، أمر أ كبر بنيه فتقدم فقاتل حتى قتل ، فدخل مسلم بن عقبة المدينة فدعا الناس للبيعة على أنهم خول يزيد بن معاوية ، ويحكم في دماءهم وأموالهم وأهلهم ماشاء . وقد روى ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد الصمد من تاريخه من كتاب المجالسة لأحمد بن مروان المالكي : ثنا الحسين بن الحسن اليشكري ثنا الزبيري عن الأصمعي ح . وحدثنني محمد بن الحارث عن المدائني قال : لما قتل أهل الحرة هتف هاتف بمكة على أبي قبيس مساء تلك الليلة ، وابن الزبير جالس يسمع : —

والصائمون القاتلون * ن أولوا العبادة والصلاح
المبتدون الحسنو * ن السابقون إلى الفلاح
ماذا بواقم والبقية * مع من الجحاجة الصباح
وبقاع يثرب ويحنه * ن من النوادب والصياح
قتل الخيل بنوا الخيا * ر ذوى المهابة والسماح

فقال ابن الزبير : يا هؤلاء قتل أصحابكم فانا لله وإنا إليه راجعون .

وقد أخطأ يزيد خطأ فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيع المدينة ثلاثة أيام ، وهذا خطأ كبير فاحش ، مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأنصارهم ، وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدى عبيد الله بن زياد . وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاصد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحصى ولا يوصف ، مما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقد أراد بارسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكوته ، ودوام أيامه من غير منازع ، فعاقبه الله بنقيض قصده ، وحال بينه وبين ما يشتهي ، فقصمه الله قاسم الجبارة ، وأخذه أخد عزيز مقدر [وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد .] (١)

قال البخاري في صحيحه : حدثنا الحسين بن الحارث ثنا الفضل بن موسى ثنا الجعد عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء » . وقد رواه مسلم من حديث أبي عبد الله القراظ المديني - واسمه دينار - عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال : « لا يريد أحد المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص - أو ذوب الملح في الماء » . وفي رواية لمسلم من طريق أبي عبد الله القراظ عن سعد وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء » وقال الامام أحمد : حدثنا أنس بن عياض ثنا يزيد بن خصيفة عن عطاء بن يسار عن السائب ابن خلاد أن رسول الله ﷺ قال : « من أخاف أهل المدينة ظمأً أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً » . ورواه النسائي من غير وجه عن علي ابن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة عن عطاء بن يسار عن خلاد بن منجوف بن الخزرج أخبره فذكره . وكذلك رواه الحميدي عن عبد العزيز بن أبي حازم عن يزيد بن خصيفة . ورواه النسائي أيضاً عن يحيى بن حبيب بن عربي عن حماد عن يحيى بن سعيد عن مسلم بن أبي مريم عن عطاء بن يسار عن ابن خلاد - وكان من أصحاب النبي ﷺ - فذكره . وقال ابن وهب : أخبرني حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن أبي بكر عن عطاء بن يسار عن السائب بن خلاد ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أخاف أهل المدينة أخافه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وقال الدارقطني : ثنا علي بن أحمد بن القاسم ثنا أبي ثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن أنيس الأنصاري عن محمد وعبد الرحمن ابني جابر عبد الله قالاً : خرجنا مع أبينا يوم الحرة وقد كف بصره فقال : تمس من أخاف رسول الله ﷺ . ابن فقلنا : يا أبة وهل أحد يخيف رسول الله ﷺ ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أخاف أهل هذا الحى من الأنصار فقد أخاف ما بين هذين - ووضع يده على جبينه - » قال الدارقطني : تفرد به سعد بن عبد العزيز لفظاً وإسناداً ، وقد استعمل بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخيص في لعنة يزيد بن معاوية وهو رواية عن أحمد بن حنبل اختارها الخلال وأبو بكر عبد العزيز والقاضي أبو يعلى وابنه القاضي أبو الحسين وانتصر لذلك أبو الفرج بن الجوزي في مصنف مفرد ، وجوز لعنته . ومنع من ذلك آخرون وصنفوا فيه أيضاً لئلا يجعل لعنة وسيلة إلى أبيه أو أحد من الصحابة ، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنه تأول وأخطأ ، وقالوا : إنه كان مع ذلك إماماً فاسقاً ، والامام إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح قول العلماء ، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من

إثارة الفتنة ، ووقوع المخرج [وسفك الدماء الحرام ، ونهب الأموال ، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن ، وغير ذلك مما كل واحدة فيها من الفساد أضاعاف فسقه كما جرى مما تقدم إلى يومنا هذا] (١) وأما ما يذكروه بعض الناس من أن يزيد لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحرة من مسلم بن عقبة وجيشه ، فرح بذلك فرحاً شديداً ، فإنه كان يرى أنه الامام وقد خرجوا عن طاعته ، وأمروا عليهم غيره ، فله قتلهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة ، كما أنذرهم بذلك على لسان النعمان بن بشير ومسلم بن عقبة كما تقدم ، وقد جاء في الصحيح : « من جاءكم وأمركم بجميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائناً من كان » . وأما ما يوردونه عنه من الشعر في ذلك واستشهاده بشعر ابن الزبير في وقعة أحد التي يقول فيها

ليت أشياخي يبدرو شهدوا * جزع الخرزج من وقع الأسل
حين حلت بفنائهم برّكها * واستحر القتل في عبد الأسل
قد قتلنا الضعف من أشرافهم * وعدلنا ميل بدر فاعتدل

وقد زاد بعض الرواقي فيها فقال : -

لعبت هاشم بالملك فلا * ملك جاءه ولا وحى نزل

فهذا إن قاله يزيد بن معاوية فلمنة الله عليه ولعنة اللاحنين ، وإن لم يكن قاله فلمنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه ، وسيدكر في ترجمة يزيد بن معاوية قريباً ، وما ذكر عنه وما قيل فيه وما كان يعاينه من الأفعال والقبائح والأقوال في السنة الآتية ، فإنه لم يعمل بعد وقعة الحرة وقتل الحسين إلا يسيراً حتى قصمه الله الذي قصم الجبابرة قبله وبعده ، إنه كان عليماً قديراً . وقد توفي في هذه السنة خلق من المشاهير والأعيان من الصحابة وغيرهم في وقعة الحرة مما يطول ذكرهم . فمن مشاهيرهم من الصحابة عبد الله بن حنظلة أمير المدينة في وقعة الحرة ، ومعقل بن سنان وعبيد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنهم ، ومسروق بن الأجدع .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين ﴾

ففيها في أول الحرم منها سار مسلم بن عقبة إلى مكة قاصداً قتال ابن الزبير ومن التف عليه من الأعراب ، على مخالفة يزيد بن معاوية ، واستخلف على المدينة روح بن زنباع ، فلما بلغ ثنية هرشا بعث إلى رؤوس الأجناد فجمعهم ، فقال : إن أمير المؤمنين عهد إلي إن حدث بي حدث الموت أن أستخلف عليكم حصين بن نمير السكوني ، والله لو كان الأمر لي ما فعلت ، ثم دعا به فقال : انظريا ابن بردعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به ، ثم أمره إذا وصل مكة أن ينادي ابن الزبير قبل ثلاث ، ثم

قال : اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أحب إلى من قتل أهل المدينة ، وأجزى عندي في الآخرة . وإن دخلت النار بعد ذلك إني لاشق ، ثم مات قبضه الله ودفن بالمسلك فيما قاله الواقدي .

[ثم أتبعه الله يزيد بن معاوية فمات بعده في ربيع الأول لأربع عشرة ليلة خلت منه ، فمات معهما الله بشيء مما رجوه وأملوه ، بل قهرهم القاهر فوق عبادهم ، وسلمهم الملك ، ونزعه منهم من ينزع الملك ممن يشاء] (١)

وسار حصين بن تمير بالجيش نحو مكة فأنتهى إليها لأربع بقين من الحرم فيما قاله الواقدي ، وقيل لسبع مضي من ، وقد تلاحق بابن الزبير جماعات ممن بقي من أشرف أهل المدينة ، وانضاف إليه أيضاً نجدة بن عامر الحنفي - من أهل البصرة - في طائفة من أهلها لينموا البيت من أهل الشام ، فقتل حصين بن تمير ظاهر مكة ، وخرج إليه ابن الزبير في أهل مكة ومن النف معه فاقتتلوا عند ذلك قتالاً شديداً ، وتبارز المنذر بن الزبير ورجل من أهل الشام فقتل كل واحد منهما صاحبه ، وحمل أهل الشام على أهل مكة حملة صادقة ، فانكشف أهل مكة ، وعثرت بغلة عبد الله بن الزبير به ، فكرر عليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف وطائفة فقاتلوا دونه حتى قتلوا جميعاً ، وصابروا ابن الزبير حتى الليل فانصرفوا عنه ثم اقتتلوا في بقية شهر الحرم وصفرًا بكالاه ، فلما كان يوم السبت ثالث ربيع الأول سنة أربع وستين نصبوا المجانيق على الكعبة ورموها حتى بالنار ، فاحترق جدار البيت في يوم السبت ، هذا قول الواقدي ، وهم يقولون :

خُطَّارُهُ مِثْلُ الْفَتِيْقِ الْمَزْبُودِ * تُرْمِي بِهَا جِدْرَانِ هَذَا الْمَسْجِدِ

وجعل عمر بن حوطة السدوسي يقول :-

كَيْفَ تَرَى صَنْبِيعَ أُمِّ فُرُودِ * تَأْخُذُهُمْ بَيْنَ الصُّفَا وَالْمَرْوَةِ

وأم فروة اسم المنجنيق ، وقيل : إنما احترقت لأن أهل المسجد جعلوا يوقدون النار وهم حول الكعبة ، فعلمت النار في بعض أسنار الكعبة فسرت إلى أخشابها وسقوفها فاحترقت ، وقيل إنما احترقت لأن ابن الزبير سمع التكبير على بعض جبال مكة في ليلة ظلماء فظن أنهم أهل الشام ، فرفعت نار على رمح لينظروا من هؤلاء الذين على الجبل ، فطارت الرمح شررة من رأس الرمح إلى ما بين الركن اليماني والأسود من الكعبة ، فعلمت في أسنارها وأخشابها فاحترقت ، واسود الركن والصدع في ثلاثة أمكنة منه . واستمر الحصار إلى مستهل ربيع الآخر ، وجاء الناس فعلى يزيد بن معاوية ، وأنه قد مات لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين ، وهو ابن خمس

(١) سقط من المصرية .

أو ثمان أو تسع وثلاثين سنة ، فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أو ثمانية أشهر ، فغلب أهل الشام هنالك وانقلبوا صاغرين ، فحينئذ خمدت الحرب وطفئت نار الفتنة ، ويقال : إنهم مكثوا يحاصرون ابن الزبير بعد موت يزيد نحو أربعين ليلة ، ويذكر أن ابن الزبير علم بموت يزيد قبل أهل الشام فنادى فيهم : يا أهل الشام قد أهلك الله طاعتكم ، فمن أحب منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل ، ومن أحب أن يرجع إلى شامه فليرجع ، فلم يصدق الشاميون أهل مكة فيما أخبروهم به ، حتى جاء ثابت بن قيس بن القيقع بالخبر اليقين . ويذكر أن حصين بن نمير دعاه ابن الزبير ليحدثه بين الصفيين فاجتمعا حتى اختلفت رؤوس فرسيهما ، وجعلت فرس حصين تنفر ويكفها ، فقال له ابن الزبير : مالك ؟ فقال : إن الحمام تحت رجلى فرسى تأكل من الروث فأكره أن أطأ حمام الحرم ، فقال له : تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين ؟ فقال له حصين . فأذن لنا فلنطف بالكعبة ثم نرجع إلى بلادنا ، فأذن لهم فطافوا .

وذكر ابن جرير أن حصينا وابن الزبير اتفدا ليلة أن يجتمعا فاجتمعا بظاهر مكة ، فقال له حصين : إن كان هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر بعده ، فسلم فارحل معي إلى الشام ، فوالله لا يختلف عليك اثنان . فيقال : إن ابن الزبير لم يثق منه بذلك وأغلظ له في المقال فنفر منه ابن نمير وقال : أنا أدعوه إلى الخلافة وهو يغاظ لي في المقال ؟ ثم كر بالجيش راجعاً إلى الشام ، وقال : أعدته بالملك ويتواعدني بالقتل ؟ . ثم ندم ابن الزبير على ما كان منه إليه من الغلظة ، فبعث إليه يقول له : أما الشام فلست آتية ولكن خذني البيعة على من هناك ، فأتى أوأمسك وأعدل فيكم . فبعث إليه يقول له : إن من يبتغيها من أهل هذا البيت بالشام لكثير . فرجع فاجتاز بالمدينة فطمع فيه أهلها وأهائوهم إهانة بالغة ، وأكرمهم على بن الحسين « زين العابدين » وأهدى لخصين ابن نمير قنا وعلفاً ، وارتحلت بنو أمية مع الجيش إلى الشام فوجدوا معاوية بن يزيد بن معاوية قد استخلف مكان أبيه بدمشق عن وصية من أبيه له بذلك ، والله سبحانه أعلم بالصواب .

﴿ وهذه ترجمة يزيد بن معاوية ﴾

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، أمير المؤمنين أبو خالد الأموي ، ولد سنة خمس أو ست أو سبع وعشرين ، وبويع له بالخلافة في حياة أبيه أن يكون ولي العهد من بعده ، ثم أكد ذلك بعد موت أبيه في النصف من رجب سنة ستين ، فاستمر متولياً إلى أن توفي في الرابع عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين . وأمه ميسون بنت مخول بن أنيف بن دجلة بن نفاثة بن عدى بن زهير بن حارثة الكلبي . روى عن أبيه معاوية أن رسول الله ﷺ قال : « من برد الله به خيراً يققه في الدين » . وحديث آخر في الوضوء . وعنه ابنه خالد

وعبد الملك بن مروان ، وقد ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة التي تلى الصحابة ، وهي العليا ، وقال : له أحاديث ، وكان كثير اللحم عظيم الجسم كثير الشعر جيلا طويلا ضخما الهامة محمد الأصابع غليظها مجدرا ، وكان أبوه قد طلق أمه وهي حامل به ، فرأت أمه في المنام أنه خرج منها قمر من قبلها ، فقصت رؤياها على أمها فقالت : إن صدقت رؤياك لتلدن من يمايع له بالخلافة . وجلست أمه ميسون يوماً تمشطه وهو صبي صغير ، وأبوه معاوية مع زوجته الحظية عنده في المنطرة ، وهي فاختة بذت قرظة ، فلما فرغت من مشطه نظرت أمه إليه فأعجبها فقبلته بين عيديه ، فقال معاوية عند ذلك : إذا مات لم تفلح مزينة بعده * فنوطى عليه يامزين النعائم .

وانطلق يزيد يمشي وفاخنة تتبعه بصرها ثم قالت : لعن الله سواد ساقى أمك ، فقال معاوية : أما والله إنه خير من ابنك عبد الله - وهو ولده منها وكان أحق - فقالت فاختة : لا والله لكنك تؤثر هذا عليه ، فقال : سوف أبين لك ذلك حتى تعرفينه قبل أن تقومى من مجلسك هذا ، ثم استدعى بابنها عبد الله فقال له : إنه قد بدالى أن أعطيك كل ما تسألنى في مجلسي هذا ، فقال : حاجتى أن تشتري لى كلبا فارهاً وحماراً فارهاً ، فقال : يا بنى أنت حمار وتشتري لك حماراً ؟ قم فاخرج . ثم قال لأمه : كيف رأيت ؟ ثم استدعى يزيد فقال : إني قد بدالى أن أعطيك كل ما تسألنى في مجلسي هذا ، فسألنى ما بدالك . فخر يزيد ساجداً ثم قال حين رفع رأسه : الحمد لله الذى بلغ أمير المؤمنين هذه المدة ، وأراه فى هذا الراى ، حاجتى أن تعمد لى العهد من بعدك ، وتولىنى العام صائفة المسلمين ، وتأذن لى فى الحج إذا رجعت ، وتولىنى الموسم ، وتزيد أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل فى عطائه ، وتجعل ذلك بشفاعتى ، وتمرض لأيتام بنى جهم ، وأيتام بنى سهم ، وأيتام بنى عدى . فقال : مالك ولا أيتام بنى عدى ؟ فقال : لأنهم حالفونى وانتقلوا إلى دارى . فقال معاوية : قد فعلت ذلك كله ، وقبل وجهه ، ثم قال لفاختة بذت قرظة : كيف رأيت ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين أوصه بى فأنت أعلم به منى ، ففعل . وفى رواية أن يزيد لما قال له أبوه : سلنى حاجتك ، قال له يزيد : اعتقنى من النار . اعتق الله رقبته منها ، قال : وكيف ؟ قال : لأننى وجدت فى الآثار أنه من تقلد أمر الأمة ثلاثة أيام حرّمه الله على النار ، فاعهد إلى بالأمر من بعدك ففعل .

وقال العتيبي : رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاماً له فقال له : اعلم أن الله أقدر عليك منك عليه ، سواء لك ! ! أتضرب من لا يستطيع أن يمنع عليك ، والله أقدر من القدرة من الانتقام من ذوى الآحن ، وإن أحسن من عقاب من قدر .

قلت : وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ رأى أبا مسعود يضرب غلاماً له فقال : « اعلم أبا مسعود الله أقدر عليك منك عليه » . قال العتيبي : وقدم زياد بأموال كثيرة وبسقط مملوء بجواهر

على معاوية فسر بذلك معاوية ، فقام زياد فصعد المنبر ثم افتخر بما يفعله بأرض العراق من تمهيد الممالك لمعاوية ، فقام يزيد فقال : إن تفعل ذلك يا زياد فنحن نقلناك من ولاء ثقيف إلى قریش ، ومن القلم إلى المنابر ، ومن زياد بن عبيد إلى حرب بن أمية . فقال له معاوية : اجلس فداك أبي وأمي . وعن عطاء بن السائب قال : غضب معاوية على ابنه يزيد فهجره فقال له الأحنف بن قيس : يا أمير المؤمنين إنما هم أولادنا ، نمار قلوبنا وعهاد ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليمة ، وأرض ذليلة ، إن غضبوا فارضهم ، وإن طلبوا فاعطهم ، ولا تكن عليهم ثقلاً فيملوا حياتك ويتمنوا موتك . فقال معاوية : لله درك يا أبا بجر ، يا غلام أنت يزيد فأقره مني السلام وقل له : إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة ألف درهم ، ومائة ثوب . فقال يزيد : من عند أمير المؤمنين ؟ فقال : الأحنف ، فقال يزيد : لا جرم لأقاسمه ، فبعث إلى الأحنف بخمسين ألفاً وخمسين ثوباً .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا ابن عائشة عن أبيه . قال : كان يزيد في حداته صاحب شراب يأخذ مأخذ الأحداث ، فأحس معاوية بذلك فأحب أن يعظه في رفق ، فقال : يا بني ما أقدرك على أن تصل إلى حاجتك من غير تهتك يذهب بمرءتك وقدرك ، ويشمت بك عدوك ويسئ بك صديقك ، ثم قال : يا بني إني منذك أبيتاً فتأدب بها واحفظها ، فأنشده : -

انصب نهاراً في طلاب العلا * واصبر على هجر الحبيب القريب
حتى إذا الليل أتى بالدجا * واكتحل بالغمض عين الرقيب
فبشر الليل بما تشتهي * فانما الليل نهار الأريب
كم فاسق تحسبه ناسكا * قد باشر الليل بأمر عجيب
عطى عليه الليل أسناره * فبات في أمن وعيش خصيب
ولذة الأحق مكشوفة * يسمى بها كل عدو مريب^(١)

قلت : وهذا كما جاء في الحديث « من ابتلى بشئ من هذه القاذورات فليست بستر الله عز وجل » .

وروى المدائني أن عبد الله بن عباس وفد إلى معاوية فأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتيه فيعزيه في الحسن بن علي ، فلما دخل على ابن عباس رحب به وأكرمه ، وجلس عنده بين يديه ، فأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبى وقال : إنما أجلس مجلس المعزى لا المهنى ، ثم ذكر الحسن فقال : رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها ، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاك ، وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبي . فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس : إذا ذهب بنو حرب

(١) بالهامش - ونسبة هذا الشعر إلى معاوية فيه نظر والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذهب علماء الناس ، ثم أشد متمثلاً .

مفاض عن العوراء لا ينطقوا بها * وأصل وراثات الخلوم الأوائل

وقد كان يزيد أول من غزى مدينة قسطنطينية في سنة تسع وأربعين في قول يعقوب بن سفيان . وقال خليفة بن خياط : سنة خمسين . ثم حج بالناس في تلك السنة بعد ترجمته من هذه الغزوة من أرض الروم . وقد ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أول جيش يفزو مدينة قيصر مغفور لهم » . وهو الجيش الثاني الذي رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه عند أم حرام فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « أنت من الأولين » . يعني جيش معاوية حين غزا قبرص ، ففتحها في سنة سبع وعشرين أيام عثمان بن عفان ، وكانت معهم أم حرام فأتت هنالك بقبرص ، ثم كان أمير الجيش الثاني ابنه يزيد بن معاوية ، ولم تدرك أم حرام جيش يزيد هذا . وهذا من أعظم دلائل النبوة .

وقد أورد الحافظ ابن عساكر ههنا الحديث الذي رواه محاضر عن الأعمش عن إبراهيم بن عبيدة عن عبد الله . أن رسول الله ﷺ قال : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » . وكذلك رواه عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مثله . ثم أورد من طريق حماد بن سلمة عن أبي محمد عن زرارة بن أوفى قال : القرن عشرون ومائة سنة ، فبعث رسول الله ﷺ في قرن وكان آخره موت يزيد بن معاوية . قال أبو بكر بن عياش : حج بالناس يزيد بن معاوية في سنة إحدى وخمسين وثلثين وخمسين وثلاث خمسين . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو كرييب ثنا رشيد بن عمرو بن الحارث عن أبي بكير بن الأشج أن معاوية قال ليزيد : كيف تراك فاعلا إن وليت ؟ قال : يمتع الله بك يا أمير المؤمنين ، قال لتخبرني : قال ، كنت والله يا أبا عبد الله فيهم عمل عمر بن الخطاب . فقال معاوية : سبحان الله يا بني والله لقد جهمت على سيرة عثمان بن عفان فما أطقها فكيف بك وسيرة عمر ؟

وقال الواقدي : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن مروان بن أبي سميد بن المعلى قال قال معاوية ليزيد وهو يوصيه عند الموت : يا يزيد اتق الله فقد وطأت لك هذا الأمر ، ووليت من ذلك ما وليت ، فإن يك خير آفانا أسعد به ، وإن كان غير ذلك شقيت به ، فافرق بالناس وأغض عما بلغك من قول تؤذى به وتلتقص به ، وطأ عليه يهلك عيشك ، وتصلح لك رعييتك ، وإياك والمنافسة وحمل الغضب ، فإنك تهلك نفسك ورعييتك ، وإياك وخيرة أهل الشرف وإسعادتهم والتكبر عليهم ، وإن لهم لنا بحيث لا يروا منك ضعفا ولا خورا ، وأوطئهم فراشك وقر بهم إليك وأدبر منك ، فإنهم يعلموا لك حقتك . ولا تبهتهم ولا تستخف بحقهم فيمنوك ولا يستخفوا بحقتك ويقعوا فيك ،

فاذا أردت أمراً فادع أهل السن والتجربة من أهل الخير من المشايخ وأهل التقوى فشاوهم ولا تخالفهم ، وإياك والاستبداد برأيك فان الرأي ليس في صدر واحد ، وصدق من أشار عليك إذا حملك على ما تعرف ، واخزن ذلك عن نسائك وخدمك ، وشمر إزارك ، وتماهد جندك ، وأصلح نفسك تصلح لك الناس ، لا تدع لهم فيك مقالا فان الناس سراع إلى الشر ، واحضر الصلاة ، فانك إذا فعلت ما أوصيك به عرف الناس لك حقك ، وعظمت مملكته ، وعظمت في أعين الناس ، واعرف شرف أهل المدينة ومكة فانهم أصلك وعشيرتك ، واحفظ لأهل الشام شرفهم فانهم أهل طاعتك ، واكتب إلى أهل الأمصار بكتاب تعدم فيه منك بالمعروف ، فان ذلك يبسط آمالهم ، وإن وفد عليك وافد من الكور كلها فأحسن إليهم وأكرمهم فانهم لمن ورائهم ، ولا تسمعن قول قاذف ولا ما حل فاني رأيتهم وزراء سوء .

ومن وجه آخر أن معاوية قال ليزيد : إن لي خليلاً من أهل المدينة فأكرمه ، قال : ومن هو ؟ قال : عبد الله بن جعفر . فلما وفد بعد موت معاوية على يزيد أضعف جائزته التي كان معاوية يعطيه إياها ، وكانت جائزته على معاوية ستمائة ألف ، فأعطاه يزيد ألف ألف ، فقال له : بأبي أنت وأمي ، فأعطاه ألف ألف أخرى . فقال له ابن جعفر : والله لا أجمع أبوي لأحد بعدك . ولما خرج ابن جعفر من عند يزيد وقد أعطاه ألفي ألف ، رأى على باب يزيد بخاتي مبركات قد قدم عليها هدية من خراسان ، فرجع عبد الله بن جعفر إلى يزيد فسأله منها ثلاث بخاتي ليركب عليها إلى الحج والعمرة ، وإذا وفد إلى الشام على يزيد ، فقال يزيد للحاجب : ما هذه البخاتي التي على الباب ؟ - ولم يكن شعر بها - فقال : يا أمير المؤمنين هذه أربعمائة بختية جاءتنا من خراسان تحمل أنواع الألف - وكان عليها أنواع من الأموال كلها - فقال : اصرفها إلى أبي جعفر بما عليها . فكان عبد الله بن جعفر يقول : أتولمونني على حسن الرأي في هذا ؟ - يعني يزيد -

وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك . وكان ذا جمال حسن المعاشرة ، وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات ، وإماتتها في غالب الأوقات . وقد قال الامام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ثنا حيوة حدثني بشير بن أبي عمر والوليد بن قيس حدثه أنه سمع أباسعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون خلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وفاجر » . فقلت للوليد : ماهؤلاء الثلاثة ؟ قال : المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به . تفرد به أحمد . وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا زهير بن حرب ثنا الفضل بن دكين ثنا كامل أبو العلاء سمعت

أبا صالح سمعت أبا هريرة . يقول قال رسول الله ﷺ : « تعوذوا بالله من سنة سبعين ، ومن إماراة الصبيان » . وروى الزبير بن بكار عن عبد الرحمن بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه قال في يزيد بن معاوية : -

لست منا وليس خالك منا * يا مضيع الصلوات للشهوات

قال : وزعم بعض الناس أن هذا الشعر لموسى بن يسار ، ويعرف بموسى شهوات ، وروى عن عبد الله بن الزبير أنه سمع جارية له تغنى بهذا البيت فضربها وقال قولي :

أنبت منا وليس خالك منا * يا مضيع الصلوات للشهوات

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الحكم بن موسى ثنا يحيى بن حمزة عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي عبيدة : أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال أمر أمتي قائما بالتسبط حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد » . وهذا منقطع بين مكحول وأبي عبيدة بل معضل . وقد رواه ابن عساكر من طريق صدقة بن عبد الله الدمشقي عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة . عن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال أمر هذه الأمة قائما بالتسبط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد » . ثم قال وهو منقطع أيضا بين مكحول وأبي ثعلبة . وقال أبو يعلى : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن عوف عن خالد بن أبي المهاجر عن أبي العالية . قال : كنا مع أبي ذر بالشام فقال أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أول من يغير سنتي رجل من بني أمية » . ورواه ابن خزيمة عن بندار عن عبد الوهاب بن عبد المجيد عن عوف : حدثنا مهاجر بن أبي مخلد حدثني أبو العالية حدثني أبو مسلم عن أبي ذر فذكر نحوه ، وفيه قصة وهي أن أبا ذر كان في غزاة عليهم يزيد بن أبي سفيان فاعتصب يزيد من رجل جارية ، فاستعان الرجل بأبي ذر على يزيد أن يردّها عليه ، فأمره أبو ذر أن يردّها عليه ، فتلكأ فذكر أبو ذر له الحديث فردّها ، وقال يزيد لأبي ذر : نشدتك بالله أهوانا ؟ قال : لا . وكذا رواه البخاري في التاريخ وأبو يعلى عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب . ثم قال البخاري : والحديث معلول ولا نعرف أن أبا ذر قدم الشام زمن عمر بن الخطاب . قال : وقد مات يزيد بن أبي سفيان زمن عمر فولى مكانه أخاه معاوية . وقال عباس الدوري : سألت ابن معين : أسمع أبو العالية من أبي ذر ؟ قال : لا إنما يروى عن أبي مسلم عنه ، قلت : فمن أبو مسلم هذا ؟ قال : لا أدري .

وقد أورد ابن عساكر أحاديث في ذم يزيد بن معاوية كلها موضوعة لا يصح شيء منها ، وأجود ما ورد ما ذكرناه على ضعف أسانيد وانقطاع بعضها والله أعلم . قال الحارث بن مسكين عن سفيان عن شبيب عن عرقدة بن المستظل . قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قد علمت ورب الكعبة

مضى تهلك العرب ، إذا ساسهم من لم يدرك الجاهلية ولم يكن له قدم في الاسلام . قلت : يزيد بن معاوية أكثر ما نقم عليه في عمله شرب الخمر وإتيان بعض الفواحش ، فأما قتل الحسين فانه كما قال جده أبو سفيان يوم أحد لم يأمر بذلك ولم يسؤه . وقد قدمنا أنه قال : لو كنت أنا لم أفعل معه ما فعله ابن مرجانة - يعني عبيد الله بن زياد - وقال للرسول الذين جاؤا برأسه : قد كان يكفيناكم من الطاعة دون هذا ، ولم يعطهم شيئاً ، وأكرم آل بيت الحسين ورد عليهم جميع ما فقد لهم وأضماهم ، ووردهم إلى المدينة في محامل وأهبة عظيمة ، وقد ناح أهله في منزله على الحسين حين كان أهل الحسين عندهم ثلاثة أيام ، وقيل إن يزيد فرح بقتل الحسين أول ما بلغه ثم ندم على ذلك ، فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : إن يونس بن حبيب الجرمي حدثه قال : لما قتل ابن زياد الحسين ومن معه بعث رؤسهم إلى يزيد ، فسرّ بقتله أولاً وحسنت بذلك منزلة ابن زياد عنده ، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم فـكان يقول : وما كان علي لو احتملت الأذى وأنزلته في دارى وحكمته فيما يريد ، وإن كان علي في ذلك وكف ووهن في سلطاني ، حفظاً لرسول الله ﷺ ، ورعاية لحقه وقرابته ، ثم يقول : لعن الله ابن مرجانة فانه أخرجني واضطره ، وقد كان سأله أن يخلى سبيله أو يأتيني أو يكون بشعر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله ، فلم يفعل ، بل أبى عليه وقتله ، فبغضني بقتله إلى المسلمين ، وزرع لي في قلوبهم العداوة ، فأبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً ، مالى ولا ابن مرجانة قبحه الله وغضب عليه .

ولما خرج أهل المدينة عن طاعته وخلصوه وولوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة ، لم يندكروا عنه سؤم أشد الناس عداوة له - إلا ما ذكره عنه من شرب الخمر وإتيانه بعض القاذورات ، لم يتهموا بزندقة كما يقذفه بذلك بعض الروافض ، بل قد كان فاسقاً والفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يشور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع الهرج كما وقع زمن الحرة ، فانه بعث إليهم من يردّهم إلى الطاعة وأنظرهم ثلاثة أيام ، فلما رجعوا قاتلهم وغير ذلك ، وقد كان في قتال أهل الحرة كفاية ، ولكن تجاوز الحد باباحة المدينة ثلاثة أيام ، فوقع بسبب ذلك شرٌّ عظيم كما قدمنا ، وقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد . ولا يبيع أحداً بعد بيعته يزيد . كما قال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل بن علية حدثني صخر بن جويرية عن نافع . قال : لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ثم قال : أما بعد فانا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول . « إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ، وإن من أعظم الغدر إلا أن يكون الاشرار بالله ، أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته » . فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر ، فيكون الفيصل بيني وبينه .

وقد رواه مسلم والترمذى من حديث صفخر بن جويرية ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وقد رواه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني عن صفخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر فذكر مثله .

ولما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم ، فقال ابن مطيع : إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب . فقال لهم : ما رأيت منه ما نذكرون ، وقد حضرته وأقت عند فرأيت مواظباً على الصلاة متحريراً للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسنة ، قالوا : فإن ذلك كان منه تصنعاً لك . فقال : وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إلى الخشوع ؟ فأطلمكم على ما نذكرون من شرب الخمر ؟ فلو كنتم أظلمكم على ذلك إنكم لشركاؤه ، وإن لم يكن أظلمكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : إنه عندنا لحق وإن لم يكن رأينا . فقال لهم أبي الله ذلك على أهل الشهادة ، فقال : (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) ولست من أمركم في شيء ، قالوا : فإفعلنا ما نكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نؤتيك أمرنا . قال : ما أستحل القتال على ما تريدونني عليه تاباً ولا متبوعاً . قالوا : فقد قاتلت مع أبيك ، قال : جيتوني بمنزل أبي أقاتل على مثل ما قاتل عليه ، فقالوا : فمر ابنك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا ، قال : لو أمرتهم ما قاتلت . قالوا : فقم معنا مقاماً تحض الناس فيه على القتال ، قال : سبحان الله ! أمر الناس بما لا أفعله ولا أَرْضاه إذا ما نصحت لله في عباده . قالوا : إذا نكرهك . قال : إذا أمر الناس بتقوى الله ولا يرضون الخلق بسخط الخالق ، وخرج إلى مكة .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا مصعب الزبيري ثنا ابن أبي حازم عن هشام عن زيد بن أسلم عن أبيه أن ابن عمر دخل وهو معه علي ابن مطيع ، فلما دخل عليه . قال : مرحباً بأبي عبد الرحمن ضعوا له وسادة ، فقال : إنما جئتكم لأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول : « من نزع يداً من طاعة فانه يأتي يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات متارق الجماعة فانه يموت مائة جاهلية » . وهكذا رواه مسلم من حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر به ، وتابعه إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة عن زيد بن أسلم عن أبيه . وقد رواه الليث عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فذكره . وقال أبو جعفر الباقر : لم يخرج أحد من آل أبي طالب ولا من بني عبد المطلب أيام الحرة ، ولما قدم مسلم بن عقبة المدينة أكرمه وأذن مجلسه وأعطاه كتاب أمان . وروى المدائني أن مسلم بن عقبة بعث روح بن زباب إلى يزيد ببشارة الحرة ، فلما أخبره بما وقع قال : واقوماه ، ثم دنا الضحالك بن قيس الفهري فقال له : ترى مالني أهل المدينة ؟ فما الذي يجبرهم ؟ قال : الطعام والأعطية ، فأمر بحمل الطعام إليهم وأفاض عليهم أعطيتهم . وهذا خلاف ما ذكره كذبة الروافض

عنه من أنه سميت بهم واشتفى بقتلهم ، وأنه أنشد ذكرًا وأثرا شعر ابن الزبير المتقدم ذكره . وقال أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام : حدثني محمد بن القاسم سمعت الأصمعي يقول سمعت هارون الرشيد ينشد ليزيد بن معاوية : -

إنها بين عامر بن لؤى * حين تمى وبين عبد مناف
ولها في الطيبين حدود * ثم نالت مكارم الأخلاف
بنت عم النبي أكرم من * عشى بنعل على التراب وحاف
إن تراها على التبدل والغلا * ظلة إلا كدرة الأصداف
وقال الزبير بن بكار : أنشدني عمي مصعب ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان
آب هذا الهم فاكتنفا * ثم مر النوم فامتنعا
راعيا للنجم أرقبه * فاذا ما كوكب طلعا
حام حتى أننى لأرى * أنه بالغور قد وقعا
ولها بالمطارون إذا * أكل النمل الذى جمعا
نزعه حتى إذا بلغت * نزلت من خلق تبعنا
في قباب وسط دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا
ومن شعره

[وقائلة لى حين شـبـهت وجهها * ببدر الدجى يوما وقد ضاق منهجى
تشبى بالبدر هذا تناقص * بقدرى ولكن لست أول من هجى
ألم تر أن البدر عند كماله * إذا بلغ التشبيه عاد كسملجى
فلا تغر إن شـبـهت بالبدر مبسمى * وبالسحر أجفانى وبالميل مدعجى]^(١)

وقد ذكره الزبير بن بكار عن أبي محمد الجزرى قال : كانت بالمدينة جارية مغنية يقال لها سلامة ، من أحسن النساء وجهاً ، وأحسن عقلاً وأحسن قدا ، قد قرأت القرآن ، وروت الشعر وقالته ، وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يجلسان إليها ، فعلمت الأحوص فصحت عن عبد الرحمن ، فرحل ابن حسان إلى يزيد بن معاوية إلى الشام فاستدحه ودله على سلامة وجهاتها وحسنها وفصاحتها ، وقال : لا تصلح إلا لك يا أمير المؤمنين ، وأن تكون من سهارك ، فأرسل يزيد فاشترى له وحملت إليه ، فوَقعت منه ، ووقعا عظيما ، وفضلها على جميع من عنده ، ورجع عبد الرحمن إلى المدينة فر بالاحوص فوجدته مهموما ، فأراد أن يزيد إلى مابه من الهم هماً فقال :

يا مبتلى بالحب مقروحا * لاقى من الحب تباريحها
أفحمه الحب فما ينثى * إلا بكاس الحب مصبوحا
وصار ما يعجبه منلقا * عنه وما يكره مفتوحا
قد حازها من أصبحت عنده * ينال منها الشم والزبحا
خليفة الله فسل الهوى * وعز قلبا منك مجروحا

قال : فأمسك الأحوص عن جوابه ثم غلبه وجده عليها فسار إلى يزيد فامتدحه فأكرمه يزيد وحظي عنده ، فدمست إليه سلامة خادمها وأعطته مالا على أن يدخله إليها ، فأخبر الخادم يزيد بذلك ، فقال : امض لرسالتها ، ففعل وأدخل الأحوص عليها وجلس يزيد في مكان يراها ولا يريانه ، فلما بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها ، وأمرت فألقى له كرسي فقعده عليه ، وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدة شوقه إليه فلم يزل يتحدثان إلى السحر ، ويزيد يسمع كلامهما من غير أن يكون بينهما ريب ، حتى إذا هم الأحوص بالخروج قال : -

أمسى فؤادي في هم وبلبال * من حب من لم أزل منه على بال
فقلت : صحا المحبون بعد الذأى إذ يشوا * وقد نأست وما أضحوا على حال
فقال : من كان يسلو بئاس عن أخى ثقة * فعنك سلام ما أمسيت بالسالى
فقلت : والله والله لا أنساك يا شجنى * حتى تفارق منى الروح أوصالى
فقال : والله ما خاب من أمسى وأنت له * يا قرة العين فى أهل وفى مال

قال : ثم ودعها وخرج ، فأخذ يزيد ودعها فقال : أخبرانى عما كان فى ليلتكما وأصدقائى ، فأخبراه وأنشداه ما قالاه ، فلم يحرفا منه حرفا ولا غيرا شيئا مما سمعه ، فقال لها يزيد : أتحييته ؟ قالت : إى والله يا أمير المؤمنين

حبا شديدا جرى كالروح فى جسدى * فهل يفرق بين الروح والجسد ؟
فقال له : أتحييه ؟ فقال : إى والله يا أمير المؤمنين

حبا شديدا تديدا غير مطرف * بين الجوانح مثل النار يضطرم

فقال يزيد : إنكما لتصفان حبا شديدا أخذها يا أحوص فبى لك ، ووصلت سنية ففرج بها الأحوص إلى الحجاز وهو قريير العين ، | وقد روى أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغنا والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والمكالب والسطاح بين الكباش والذباب والقروء ، وما من يوم إلا يصبح فيه مخمورا ، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بمجال ويسوق به ، ويلبس القرد قلانس الذهب ، وكذلك الغلمان ، وكان يسابق بين الخيل ، وكان إذا مات القرد حزن عليه . وقيل :

إن سبب موته أنه حمل قردة وجمل ينقرها فعضته . وذكروا عنه غير ذلك والله أعلم بصحة ذلك [(١)]
 وقال عبد الرحمن بن أبي مدعورة حدثني بعض أهل العلم قال : آخر ما تكلم به يزيد بن معاوية : اللهم لا تؤاخذني بما لم أحب ، ولم أرد ، واحكم بيني وبين عبيد الله بن زياد . وكان نقش خاتمه آمنت بالله العظيم

مات يزيد بحوارين من قرى دمشق في رابع عشر ربيع الأول ، وقيل يوم الخميس للنصف منه ، سنة أربع وستين . وكانت ولايته بعد موت أبيه في منتصف رجب سنة ستين ، وكان مولده في سنة خمس ، وقيل سنة ست ، وقيل سبع وعشرين . ومع هذا فقد اختلف في سنه ومبلغ أيامه في الامارة على أقوال كثيرة ، وإذا تأملت ما ذكرته لك من هذه التحديدات انزاح عنك الأشكال من هذا الخلاف ، فإن منهم من قال : جاوز الأربعين حين مات الله أعلم . ثم حمل بعد موته إلى دمشق وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد أمير المؤمنين يومئذ ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وفي أيامه وسع النهر المسمى بيزيد في ذيل جبل قاسيون ، وكان جدولاً صغيراً فوسعه أضعاف ما كان يجري فيه من الماء .

وقال ابن عساکر : حدثنا أبو الفضل محمد بن محمد بن الفضل بن المظفر العبدى قاضى البحرین - من لفظه وكتبه لى بخطه - قال : رأيت يزيد بن معاوية فى النوم قتلته له : أنت قتلت الحسين ؟ فقال : لا ! قتلته له : هل غفر الله لك ؟ قال : نعم ، وأدخلنى الجنة . قلت : فالحديث الذى يروى أن رسول الله ﷺ « رأى معاوية يحمل يزيد فقال : رجل من أهل الجنة يحمل رجلاً من أهل النار » ؟ فقال : ليس بصحيح . قال ابن عساکر . وهو كما قال ، فإن يزيد بن معاوية لم يولد فى حياة النبي ﷺ . وإنما ولد بعد العشرين من الهجرة .

وقال أبو جعفر بن جرير :

﴿ ذكر أولاد يزيد بن معاوية وعددهم ﴾

فمنهم معاوية بن يزيد بن معاوية يكنى أبا ليلي وهو الذى يقول فيه الشاعر : -

إني أرى فتنة قدحان أولها * والمالك بعد أبي ليلي لمن غلبا

وخالد بن يزيد يكنى أبا هاشم كان يقال إنه أصاب علم السكيمياء ، وأبو سفيان ، وأمهما أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وقد تزوجها بعد يزيد مروان بن الحكم ، وهى التى يقول فيها الشاعر :

أنعمى أم خالد * رب ساع كقاعد

وعبد المزي بن يزيد ويقال له الأسوار ، وكان من أرمى العرب ، وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهو الذي يقول فيه الشاعر :

زعم الناس أن خير قریش * كلهم حين يذكرون الأساور

وعبد الله الأصغر ، وأبو بكر ، وعتبة ، وعبد الرحمن ، والربيع ، ومحمد ، لأمهات أولاد شق .
ويزيد وحرب وعمر وعثمان . فهؤلاء خمسة عشر ذكراً ، وكان له من البنات عاتكة ورملة وأم عبد الرحمن
وأم يزيد ، وأم محمد . فهؤلاء خمس بنات . وقد انقضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب ، والله سبحانه أعلم .

✽ إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية ✽

أبي عبد الرحمن ويقال أبو يزيد ويقال أبو يعلى القرشي الأموي ، وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم
ابن عتبة بن ربيعة ، بويع له بعد موت أبيه - وكان ولي عهده من بعده - في رابع عشر ربيع
الأول سنة أربع وستين ، وكان رجلاً صالحاً ناسكاً ، ولم تطل مدته ، قيل : إنه مكث في الملك
أربعين يوماً ، وقيل عشرين يوماً ، وقيل شهرين ، وقيل شهراً ونصف شهر ، وقيل ثلاثة أشهر
وعشرون يوماً ، وقيل أربعة أشهر فله أعلم .

وكان في مدة ولايته مريضاً لم يخرج إلى الناس ، وكان الضحاک بن قيس هو الذي يصلي بالناس
ويسد الأمور ، ثم مات معاوية بن يزيد هذا عن إحدى وعشرين وقيل ثلاث وعشرين سنة وثمانية
عشر يوماً ، وقيل تسع عشرة سنة ، وقيل عشرين سنة ، وقيل ثلاث وعشرون سنة ، وقيل : إنما
عاش ثمانى عشرة سنة ، وقيل تسع عشرة سنة ، وقيل عشرين ، وقيل خمس وعشرون فله أعلم .
وصلى عليه أخوه خالد ، وقيل عثمان بن عتبة ، وقيل الوليد بن عتبة وهو الصحيح ، فانه أوصى إليه
بذلك ، وشهد دفنه مروان بن الحكم ، وكان الضحاک بن قيس هو الذي يصلي بالناس بعده حتى
استقر الأمر لمروان بالشام ، ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق ، ولما حضرته الوفاة قيل له ألا توصي
فقال : لا أتزوّد مراتها إلى إخوتي وأترك حلالها لبي أمية ، وكان رحمه الله أبيض شديد البياض
كثير الشعر كبير العينين جمع الشعر أقبى الأنف ، مدور الرأس ، جميل الوجه كثير شعر الوجه
دقيقه حسن الجسم . قال أبو زرعة الدمشقي : معاوية وعبد الرحمن وخالد أخوه ، وكانوا من صالحى
القوم وقال فيه بعض الشعراء - وهو عبد الله بن همام الباهلي : -

تلقاها يزيد عن أبيه * فدونها معاوية عن يزيدا

أدبروها بني حرب عليكم * ولا ترموا بها الغرض البعيدا

ويروى أن معاوية بن يزيد هذا نادى في الناس الصلاة جامعة ذات يوم ، فاجتمع الناس فقال
لهم فيما قال : يا أيها الناس ! إنى قد وليت أمركم وأنا ضعيف عنه ، فإن أحببتكم تركتها لرجل قوى كما

تركها الصديق لعمره ، وإن شئتم تركتها شورى في ستة منكم كما تركها عمر بن الخطاب ، وليس فيكم من هو صالح لئلك ، وقد تركت لكم أمركم فولوا عليكم من يصلح لكم . ثم نزل ودخل منزله فلم يخرج منه حتى مات رحمه الله تعالى . ويقال إنه سقى ويقال إنه طعن .

ولما دفن حضر مروان دفنه فلما فرغ منه قال مروان : أتدرون من دفنتم ؟ قالوا : نعم معاوية ابن يزيد ، فقال مروان : هو أبو ليلى الذي قال فيه أرثم الفزارى

إني أرى فتنة تغلبى مراجلها * والمالك بعد أبي ليلى لمن غلبا

قالوا : فكان الأمر كما قال ، وذلك أن أبا ليلى توفي من غير عهد منه إلى أحد ، فتناهب إلى الحجاز عبد الله بن الزبير ، وعلى دمشق وأعمالها مروان بن الحكم ، وبايع أهل خراسان سلم بن زياد حتى يتولى على الناس خليفة ، وأحبوه محبة عظيمة ، وسار فيهم سلم سيرة حسنة أحبوه عليها ، ثم أخرجوه من بين أظهرهم . وخرج القراء والخوارج بالبصرة وعليهم نافع بن الأزرق ، وطردهوا عنهم عبيد الله بن زياد بعد ما كانوا بايعوه عليهم حتى يصير للناس إمام ، فأخرجوه عنهم ، فذهب إلى الشام بعد فصول يطول ذكرها ، وقد بايعوا بعده عبد الله بن الحارث بن نوفل المعروف ببة ، وأمه هند بنت أبي سفيان ، وقد جعل على شرطة البصرة هميان بن عدي السدوسي ، فبايعه الناس في مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وستين ، وقد قال الفرزدق

وبايعت أقواماً وفيت بعهدهم * وبية قد بايعته غير نادم

فأقام فيها أربعة أشهر ثم لزم بيته ، فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير فكتب ابن الزبير إلى أنس بن مالك يأمره أن يصلي بالناس ، فصلى بهم شهرين ، ثم كان ماسئداً كره . وخرج نجدة بن عامر الحنفي بالجماعة ، وخرج بنو ماحورا في الأهواز وفارس وغير ذلك على ماسئتي تفصيله قريباً إن شاء الله تعالى .

﴿ إمارة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ﴾

وعند ابن حزم وطائفة أنه أمير المؤمنين في هذا الحين

قد قدمنا أنه لما مات يزيد أقطع الجيش عن مكة وهم الذين كانوا يحاصرون ابن الزبير وهو عائد بالبيت فلما رجع حصين بن نمير السكوني بالجيش إلى الشام ، استنحل ابن الزبير بالحجاز وما والاها ، وبايعه الناس بعد يزيد ببيعة هناك ، واستناب على أهل المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير ، وأمره بإجلاء بني أمية عن المدينة فأجلاهم فرحلوا إلى الشام ، وفيهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، ثم بعث أهل البصرة إلى ابن الزبير بعد حروب جرت بينهم وقتن كثيرة يطول استقصاؤها ، غير أنهم في أقل من ستة أشهر أقاموا عليهم نحواً من أربعة أمراء من بينهم ثم اضطرب أمورهم ، ثم بعثوا إلى ابن الزبير

وهو بمكة يخطبونه لأفئدتهم ، فكتب إلى أنس بن مالك ليصلي بهم ، ويقال إن أول من بايع ابن الزبير مصعب بن عبد الرحمن ، فقال الناس : هذا أمر فيه صموية ، وبايعه عبد الله بن جعفر وعبد الله بن علي بن أبي طالب ، وبعث إلى ابن عمر وابن الحنفية وابن عباس ليبايعوا فأبوا عليه . وبويع في رجب بعد أن أقام الناس نحو ثلاثة أشهر بلا إمام . وبعث ابن الزبير إلى أهل الكوفة عبد الرحمن ابن يزيد الأنصاري على الصلاة ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج ، واستوثق له المصران جميعاً ، وأرسل إلى مصر فبايعوه . واستتاب عليهما عبد الرحمن بن جحدر ، وأطاعت له الجزيرة ، وبعث على البصرة الحارث بن عبد الله بن ربيعة ، وبعث إلى اليمن فبايعوه ، وإلى خراسان فبايعوه ، وإلى الضحاك بن قيس بالشام فبايع ، وقيل إن أهل دمشق وأعماها من بلاد الأردن لم يبايعوه ، لأنهم بايعوا مروان بن الحكم لما رجع الحصين بن نمير من مكة إلى الشام ، وقد كان التف على عبيد الله بن الزبير جماعة من الخوارج يدافعون عنه ، منهم نافع بن الأزرق ، وعبيد الله بن أباض ، وجماعة من رؤسهم . فلما استقر أمره في الخلافة قالوا فيما بينهم : إنكم قد أخطأتم لأنكم قاتلتم مع هذا الرجل ولم تعلموا رأيته في عثمان بن عفان . وكانوا ينتقصون عثمان - فاجتمعوا إليه فسألوه عن عثمان فأجابهم فيه بما يسوؤهم ، وذكر لهم ما كان متصفاً به من الإيمان والتصديق ، والعدل والاحسان والسيرة الحسنة ، والرجوع إلى الحق إذا تبين له ، فعند ذلك نفروا عنه وفارقوه وقصدوا بلاد العراق وخراسان ، فنفروا فيها بأبدانهم وأديانهم ومذاهبهم ومسالكتهم المختلفة المنتشرة ، التي لا تنضبط ولا تنحصر ، لأنها مفرقة على الجهل وقوة النفوس ، والاعتقاد الفاسد ، ومع هذا استحوذوا على كثير من البلدان والكور ، حتى انتزعت منهم على ما سذكركه فيما بعد إن شاء الله .

﴿ ذكربيعة مروان بن الحكم ﴾

وكان سبب ذلك أن حصين بن نمير لما رجع من أرض الحجاز وارتحل عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الشام ، وانتقلت بنو أمية من المدينة إلى الشام ، اجتمعوا إلى مروان بن الحكم بعد موت معاوية بن يزيد ، وقد كان معاوية بن يزيد قد عزم على أن يبايع لابن الزبير بدمشق ، وقد بايع أهلها الضحاك بن قيس على أن يصلح بينهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على إمام ، والضحاك يريد أن يبايع لابن الزبير ، وقد بايع لابن الزبير النعمان بن بشير بمحصر ، وبايع له زفر بن عبد الله السكلابي بقنسرين ، وبايع له نائل بن قيس بفلسطين ، وأخرج منها روح بن زبياع الجذامي ، فلم يزل عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير بمروان بن الحكم يحسنون له أن يتولى ، حتى ثنوه عن رأيه وحذروه من دخول سلطان ابن الزبير وملكه إلى الشام ، وقالوا له : أنت شيخ قريش وسيدها ، فأنت أحق بهذا الأمر . فرجع عن البيعة لابن الزبير ، وخاف ابن زياد الهلاك إن تولى غير بني

أمية ، فعند ذلك التف هؤلاء كلهم مع قومه بنى أمية ومع أهل اليمن على مروان ، فوافقهم على ما أرادوا ، وجعل يقول ما قالت شي ، وكتب حسان بن مالك بن بحدل السكابي إلى الضحاك بن قيس يثنيه عن المبايعة لابن الزبير ، ويمرغه أيادي بنى أمية عنده وإحسانهم ، ويدكر فضلهم وشرفهم ، وقد بايع حسان بن مالك أهل الأردن لبنى أمية ، وهو يدعو إلى ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان ، وبعث إلى الضحاك كتابا بذلك ، وأمره أن يقرأ كتابه على أهل دمشق يوم الجمعة على المنبر ، وبعث بالكتاب مع رجل يقال له ناعضة بن كريب الطابجي ، وقيل هو من بنى كلب وقال له : إن لم يقرأه هو على الناس فقرأ أنت ، فأعطاه الكتاب فسار إلى الضحاك فأمره بقراءة الكتاب فلم يقبل ، فقام ناعضة فقرأه على الناس فصعدت جماعة من أمراء الناس ، وكذبه آخرون ، وثارت فتنة عظيمة بين الناس ، فقام خالد بن يزيد بن معاوية وهو شاب حدث على درجتين من المنبر فسكن الناس ، ونزل الضحاك فصلى بالناس الجمعة ، وأمر الضحاك بن قيس بأولئك الذين صدقوا ناعضة أن يسجنوا ، فثارت قبائلهم فأخرجوهم من السجن ، واضطرب أهل دمشق في ابن الزبير وبنى أمية ، وكان اجتماع الناس لذلك ووقوفهم بعد صلاة الجمعة بباب الجيرون « فسمى هذا اليوم يوم جيرون »

قال المدائني : وقد أراد الناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يتولى عليهم فأبى ، وهلك في تلك الليالي ، ثم إن الضحاك بن قيس صعد منبر المسجد الجامع فخطبهم به ، ونال من يزيد بن معاوية ، فقام إليه شاب من بنى كلب فضربه بمصبي كانت معه ، والناس جاوس متقلدي سيوفهم ، فقام بعضهم إلى بعض فاقتتلوا في المسجد قتالا شديدا ، فقيس ومن لف ليفها يدعون إلى ابن الزبير وينصرون الضحاك بن قيس ، وبنو كلب يدعون إلى بنى أمية وإلى البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية ، ويتمصبون ليزيد وأهل بيته ، فنهض الضحاك بن قيس فدخل دار الامارة وأغلق الباب ولم يخرج إلى الناس إلا يوم السبت أصلا الفجر ، ثم أرسل إلى بنى أمية فجمعهم إليه فدخلوا عليه وفيهم مروان بن الحكم ، وعمر بن سميد بن العاص ، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية . قال المدائني : فاعتذر إليهم مما كان منه ، واتفق معهم أن يركب معهم إلى حسان بن مالك السكابي فيتفقوا على رجل يرتضونه من بنى أمية للامارة ، فركبوا جميعا إليه ، فبينما هم يسرون إلى الجابية لقصد حسان ، إذ جاء معن بن نور بن الأخنس في قومه قيس ، فقال له : إنك دعوتنا إلى بيعة ابن الزبير فأجبتك ، وأنت الآن ذاهب إلى هذا الأعرابي ليستخلف ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية ، فقال له الضحاك : وما الرأي ؟ قال : الرأي أن نظهر ما كنا نسر ، وأن ندعو ابن الزبير ونقاتل عليها من أبائها . فقال الضحاك بن معاوية فرجع إلى دمشق ، فأقام بها معن معه من الجيش من قيس ومن لف ليفها ،

وبعث إلى أمراء الأجناد وبايع الناس لابن الزبير ، وكتب بذلك إلى ابن الزبير يعلمه بذلك ، فذكره ابن الزبير لأهل مكة وشكره على صنيعه ، وكتب إليه بنبأ الشام ، وقيل بل بايع نفسه بالخلافة فآله أعلم .

والذي ذكره المدائني أنه إنما دعا إلى البيعة ابن الزبير أولاً ، ثم حسن له عبيد الله بن زياد أن يدعو إلى نفسه ، وذلك إنما فعله مكرًا منه وكبارًا ليفسد عليه ما هو بصدده ، فدعا الضحاك إلى نفسه ثلاثة أيام ، فنقم الناس عليه ذلك وقالوا : دعوتنا إلى بيعة رجل فبايعناه ثم خلعته بلا سبب ولا عذر ، ثم دعوتنا إلى نفسك ؟ فرجع إلى البيعة لابن الزبير فسقط بذلك عند الناس ، وذلك الذي أراد ابن زياد . وكان اجتماع عبيد الله بن زياد به بعد اجتماعه مروان وتحسينه له أن يدعو إلى نفسه ، ثم فارق مروان ليخضع له الضحاك ، فقتل عنقه بدمشق وجعل يركب إليه كل يوم ، ثم أشار ابن زياد على الضحاك أن يخرج من دمشق إلى الصحراء ويدعو بالجيوش إليه ليكون أمكن له ، فركب الضحاك إلى مرج راهط فقتل بمن معه من الجنود ، وعند ذلك اجتمع بنو أمية ومن اتبعهم بالأردن واجتمع إليهم من هنالك من قوم حسان بن مالك من بني كلب . وما رأى مروان بن الحكم ما انتظم من البيعة لابن الزبير ، وما استوثق له من الملك ، عزم على الرحيل إليه لمبايعته ولأخذ منه أمانًا لبني أمية ، فسار حتى بلغ أذرعات فلقبه ابن زياد مقبلاً من العراق فصد عنه ذلك وهجن رأيه ، واجتمع إليه عمرو بن سعيد بن العاص ، وحصين بن نمير ، وابن زياد ، وأهل اليمن وخلق ، فقالوا لمروان : أنت كبير قریش ، وخالد بن يزيد غلام ، وعبد الله بن الزبير كهل ، فانما يقرع الحديد ببعضه يبعث ، فلا تناوئه بهذا الغلام ، وارم بشرك في نحره ، ونحن نبايعك ، ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه بالجابية في يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين ، قاله الواقدي ، فلما تم له الأمر سار بمن معه نحو الضحاك بن قيس فالتقيا بمرج راهط فعلمه مروان بن الحكم وقتله وقتل من قيس مقتله لم يسمع بمثلهما ، على ما سيأتي تفصيله في أول سنة خمس وستين . [فان الواقدي وغيره قالوا : إنما كانت هذه الواقعة في المحرم من أول سنة خمس وستين . وفي رواية محمد بن سعد : وعن الواقدي وغيره قالوا : إنما كانت في أواخر هذه السنة . وقال الليث بن سعد ^(١)] والواقدي والمدائني وأبو سليمان بن يزيد وأبو عبيدة وغير واحد : كانت وقعة مرج راهط للنصف من ذي الحجة سنة أربع وستين والله سبحانه وتعالى أعلم .

[وقعة مرج راهط ومقتل الضحاك بن قيس الفهري رضي الله عنه]

قد تقدم أن الضحاك كان نائب دمشق لمعاوية بن أبي سفيان ، وكان يصلي عنهم إذا اشتغلوا

(١) سقط من نسخة طوب قمو بالاستانة .

أوغابوا ، ويقوم الحدود ويسد الأمور ، فلما مات معاوية قام بأعباء بيعة يزيد ابنه ، ثم لما مات يزيد بايع الناس لمعاوية بن يزيد ، فلما مات معاوية بن يزيد بايعه الناس من دمشق حتى يجتمع الناس على إمام ، فلما انسمت البيعة لابن الزبير عزم على المباينة له ، فخطب الناس يوماً وتكلم في يزيد بن معاوية وذمه ، فقامت فتنه في المسجد الجامع ، حتى أقتتل الناس فيه بالسيف ، فسكن الناس ثم دخل دار الإمارة من الخضراء وأغلق عليه الباب ، ثم اتفق مع بني أمية على أن يركبوا إلى حسان ابن مالك بن بحمل وهو بالأردن فيجتمعوا عنده على من يراه أهلاً للإمارة ، وكان حسان يريد أن يبايع لابن أخيه خالد بن يزيد ، ويزيد ابن ميسون ، وميسون بنت بحمل ، أخت حسان ، فلما ركب الضحاك معهم أخذوا بأكثر الجيش فرجع إلى دمشق فامتنع بها ، وبعث إلى أمراء الأجناد فبايعهم لابن الزبير ، وسار بنو أمية ومعهم مروان وعمر بن سعيد ، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية ، حتى اجتمعوا بحسان بن مالك بالجابية . وليس لهم قوة طائلة بالنسبة إلى الضحاك بن قيس ، فعزم مروان على الرحيل إلى ابن الزبير ليبايعه ويأخذ أماناً منه لبني أمية ، فانه كان قد أمر بأجلأهم عن المدينة ، فسار حتى وصل إلى أذرعات فلقه عبيد الله بن زياد مقبلاً من العراق ، فاجتمع به ومعه حصين بن نمير ، وعمر بن سعيد بن العاص ، فحسنوا إليه أن يدعو إلى نفسه ، فانه أحق بذلك من ابن الزبير الذي قد فارق الجماعة وخلع ثلاثة من انصاره ، فلم يزالوا بمروان حتى أجابهم إلى ذلك ، وقال له عبيد الله بن زياد : وأنا أذهب لك إلى الضحاك إلى دمشق فأخذه لك وأخذل أمره ، فسار إليه وجعل يركب إليه كل يوم ويظهر له الود والنصيحة والحبة ، ثم حسن له أن يدعو إلى نفسه ويخلع ابن الزبير فانك أحق بالأمر منه ، لأنك لم تزل في الطاعة مشهوراً بالأمانة ، وابن الزبير خارج عن الناس ، فدعا الضحاك الناس إلى نفسه ثلاثة أيام فلم يصمد معه ، فرجع إلى الدعوة لابن الزبير ، ولكن انحط بها عند الناس ، ثم قال له ابن زياد : إن من يطلب ما تطلب لا يزل المدن والحصون ، وإنما ينزل الصحراء ويدعو إليه بالجنود ، فبرز الضحاك إلى مرج راهط فتره ، وأقام ابن زياد بدمشق وبنو أمية يتقدم ، وخالد وعبد الله عند خالهم حسان بالجابية ، فكتب ابن زياد إلى مروان يأمره أن يظهر دعوته ، فدعا إلى نفسه ، وتزوج بأم خالد بن يزيد - وهي أم هاشم - بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة - فعظم أمره وبايعه الناس ، واجتمعوا عليه ، وسار إلى مرج راهط نحو الضحاك بن قيس ، وركب إليه عبيد الله بن زياد وأخوه عباد بن زياد ، حتى اجتمع مع مروان ثلاثة عشر ألفاً ، ودمشق من جهته يزيد بن أبي الثمر ، وقد أخرج عامل الضحاك منها وهو عند مروان بالسلاح والرجال وغير ذلك . ويقال كان نائبه على دمشق يومئذ عبد الرحمن بن أم الحكم ، وجعل مروان على ميمنته عبيد الله بن زياد ، وعلى ميسرته عمرو بن سعيد بن العاص ، وبعث الضحاك

إلى النعمان بن بشير فأمدته النعمان بأهل حمص عليهم شرحبيل بن ذى الكلاع . وركب إليه زفر ابن الحارث الكلابي في أهل قنسرين . فكان الضحاك في ثلاثين ألفاً ، على ميمنته زياد بن عمرو العقيلي ، وعلى ميسرته زكريا بن شمر الهلالي ، فتصافوا وتقاتلوا بالمرج عشرين يوماً ، يلتقون بالمرج في كل يوم فيقتتلون قتلاً شديداً ، ثم أشار عبيد الله على مروان أن يدعوهم إلى المواجهة خديعة فان الحرب خدعة ، وأنت وأصحابك على الحق ، وهم على الباطل ، فتودى في الناس بذلك ، ثم غدر أصحاب مروان فما لوا يقتلونهم قتلاً شديداً ، وصبر الضحاك صبراً بليفاً ، فقتل الضحاك بن قيس في المعركة ، قتله رجل يقال له زحمة بن عبد الله من بني كلب ، طعنه بحرية فأنفذه ولم يعرفه . وصبر مروان وأصحابه صبراً شديداً حتى فر أولئك بين يديه ، فنادى مروان : ألا لا تتبعوا مدبراً ، ثم جىء برأس الضحاك ، ويقال إن أول من بشره بقتله روح بن زنباع الجذامي ، واستقر ملك الشام بيد مروان بن الحكم . وروى أنه بكى على نفسه يوم مرج راهط ، فقال : أبعد ما كبرت وضعفت صرت إلى أن أقتل بالسيوف على الملك ؟

قلت : ولم تطل مدته في الملك إلا تسعة أشهر على ما سنده .

وقد كان الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان ابن محارب بن فهر بن مالك ، أبو أنيس الفهري أحد الصحابة على الصحيح ، وقد سمع من النبي ﷺ وروى عنه أحاديث عدة ، وروى عنه جماعة من التابعين ، وهو أخو فاطمة بنت قيس وكانت أكبر منه بعشر سنين ، وكان أبو عبيدة بن الجراح ع . حكاه ابن أبي حاتم . وزعم بعضهم أنه لا صحبة له ، وقال الواقدي : أدرك النبي ﷺ وسمع منه قبل البلوغ . وفي رواية عن الواقدي أنه قال : ولد الضحاك قبل وفاة النبي ﷺ بستين . وقد شهد فتح دمشق وسكنها وله بها دار عند حجر الذهب مما يلي نهر بردا ، وكان أميراً على أهل دمشق يوم صفين مع معاوية ، ولما أخذ معاوية الكوفة استنابه بها في سنة أربع وخمسين . وقد روى البخاري في التاريخ أن الضحاك قرأ سورة ص في الصلاة فسجد فيها فلم يتابعه علقمة وأصحاب ابن مسعود في السجود . ثم استنابه معاوية عنده على دمشق فلم يزل عنده حتى مات معاوية وتولى ابنه يزيد ، ثم ابن ابنه معاوية بن يزيد ، ثم صار أمره إلى ما ذكرنا .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبأنا علي بن زيد عن الحسن بن الضحاك بن قيس كتب إلى الهيثم حين مات يزيد بن معاوية : السلام عليك أما بعد فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن بين يدي الساعة فتنة كقطع الليل المظلم ، فتننا كقطع الدخان ، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح

كفرًا ، يبيع أقوام أخلاقهم ودينهم بمرض من الدنيا قليل . وإن يزيد بن معاوية قد مات وأنتم إخواننا وأشقائنا فلا تسبونا حتى نحتال لأنفسنا . وقد روى ابن عساكر من طريق ابن قتيبة عن العباس بن الفرج الرياشي عن يعقوب بن إسحاق بن ثوبة عن حماد بن زيد . قال : دخل الضحاك ابن قيس على معاوية فقال معاوية منشدًا له :

تطاولت للضحاك حتى رددته * إلى حسب في قومه متقاصر

فقال الضحاك : قد علم قومنا أنا أحلاس الخيل ، فقال : صدقت ، أنتم أحلاسها ونحن فرسانها يريد معاوية أنتم راضة وساسة ، ونحن الفرسان . ورأى أن أصل الكرامة من الحلاس وهو كساء يكون تحت البرذعة . أي أنه لازم ظهر الفرس كما يلزم الحلاس ظهر البعير والدابة . وروى أن مؤذن دمشق قال للضحاك بن قيس : والله أيها الأمير إنني لأحبك في الله . فقال له الضحاك : وليكني والله أبغضك في الله . قال : ولم أصلحك الله ؟ قال : لأنك تتراءى في أذانك وتأخذ على تعليمك أجرا . قتل الضحاك رحمه الله يوم مرج راهط وذلك للنصف من ذى الحجة سنة أربع وستين ، قاله الليث بن سعد وأبو عبيد والواقدي وابن زير والمدائني .

﴿ وفيها قتل النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ﴾

وأمه عمرة بنت رواحة ، كان النعمان أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة للأنصار ، في جمادى الأولى سنة ثنتين من الهجرة ، فأثت به أمه تحمله إلى النبي ﷺ فحسكه وبشرها بأنه يعيش حميداً ، ويقتل شهيداً ، ويسخل الجنة ، فعاش في خير وسعة ، ولي نيابة الكوفة لمعاوية تسعة أشهر ، ثم سكن الشام ، وولى قضاءها بعد فضالة بن عبيد ، وفضالة بعد أبي الدرداء . وناب بحمص لمعاوية ، وهو الذي رد آل رسول الله ﷺ إلى المدينة بأمر يزيد له في ذلك ، وهو الذي أشار على يزيد بالاحسان إليهم فرق لهم يزيد وأحسن إليهم وأكرمهم ، ثم لما كانت وقعة مرج راهط وقتل الضحاك بن قيس ، وكان النعمان قد أمده بأهل حمص . فقتلوه بقرية يقال لها بيرين ، قتله رجل يقال له خالد بن خلي المازني وقتل خلي بن داود وهو جد خالد بن خلي . وقد رثته ابنته فقالت :

ليت ابن مرنة وابنه * كانوا لقتلك واقية
وبني أمية كلهم * لم تبقى منهم باقية
جاء البريد بقتله * يا للكلاب المعاوية
يستفتحون برأسه * دارت عليهم فانية
فلأبكين سريرة * ولأبكين علانية
ولا بكينك ما حيد * ت مع السباع العادية

| وقيل إن أعشى همدان قدم على النعمان بن بشير وهو على حمص وهو من رضى ، فقال له النعمان : ما أقدمك ؟ قال : لتصلني وتحفظ قرابتي وتقتضى ديني ، فقال : والله ما عندي ، وإن كنتي سألتهم لك شيئاً ، ثم قام فصعد المنبر ثم قال : يا أهل حمص ، إن هذا ابن عمكم من العراق ، وهو يسترقكم شيئاً فساترون ؟ فقالوا : احكمكم في أموالنا ، فأبى عليهم ، فقالوا : قد حكمنا من أموالنا كل رجل دينارين - وكانوا في الدايون عشرين ألف رجل - فمجدلها له النعمان من بيت المسال أربعين ألف دينار ، فلما خرجت أعطيتهم أسقط من عطاء كل رجل منهم دينارين | (١)

ومن كلام النعمان بن بشير رضى الله عنه قوله : إن الهلكة كل الهلكة أن تعمل السيئات في زمان البلاء . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو اليان ثنا إسماعيل بن عياش عن أبي رباح يزيد ابن أبيهم عن الهيثم بن مالك الطائي سمعت النعمان بن بشير على المنبر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن للشيطان مصالي ونفوخاً ، وإن من مصاليه ونفوخه البطر بنعم الله ، والفخر بمطاء الله ، والكبر على عباد الله ، واتباع الهوى في غير ذات الله » . ومن أحاديثه الحسان الصحاح ما سمعته من رسول الله ﷺ يقول : « إن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وبين ذلك أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه . ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله تعالى محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » . رواه البخاري ومسلم .

وقال أبو مسهر : كان النعمان بن بشير على حمص عاملاً لابن الزبير ، فلما تملك مروان خرج النعمان هارباً فاتبعه خالد بن خلى الكلاعي فقتله . قال أبو عبيدة وغير واحد : في هذه السنة . وقد روى محمد بن سعد بأسانيد أن معاوية تزوج امرأة جميلة جداً فبعث إحدى امرأته - قيسون أو فاختة - لتنظر إليها ، فلما رأتها أعجبها جداً ، ثم رجعت إليه فقال : كيف رأيتهما ؟ قالت : بديمة الجمال ، غير أني رأيت تحت سترتها خالاً أسود . وإني أحسب أن زوجها يقتل ويلقى رأسه في حجرها . فطلعتها معاوية وتزوجها النعمان بن بشير ، فلما قتل أنى برأسه فألقى في حجرها سنة خمس وستين ، وقال سليمان بن زبير قتل بسلمية سنة ست وخمسين . وقال غيره : سنة خمس وستين ، وقيل سنة ستين ، والصحيح ما ذكرناه . وفيها توفي المسور بن مخزومة بن نوفل ، صحابي صغير ، أسامة بن جبر المنحليق مع ابن الزبير بمكة وهو قائم يضل في الحجر . [وهو من أعيان من قتل في حصار مكة وهو المسور بن مخزومة بن نوفل أبو عبد الرحمن الزهري ، أمه عائكة أخت عبد الرحمن بن عوف ، له صحبة وبرواية ، ووفد على معاوية ،

(١) سقط من المصرية .

وكان ممن يلزم عمر بن الخطاب ، وقيل إنه كان ممن يصوم الدهر ، وإذا قدم مكة طاف لكل يوم غاب عنها سبعة ، وصلى ركعتين ، وقيل إنه وجد يوم القادسية إبريق ذهب مرصع بالياقوت فلم يدر ماهو ، فلقبه رجل من الفرس فقال له : بعنيه بمشرة آلاف ، فلم أنه شيء له قيمة ، فبعث به إلى سعد بن أبي وقاص فنقله إياه ، فباعه بمائة ألف . ولما توفي معاوية قدم مكة فأصابه حاجر المتجنيق مع ابن الزبير الماروا به السكبة ، فمات من بعد خمسة أيام ، وغسله عبد الله بن الزبير ، وحمله في جملة من حمل إلى الحجون ، وكانوا يطأون به القتل ، ويمشون به بين أهل الشام ، واحتكر المسور بن مخرمة طعاماً في زمن عمر بن الخطاب ، فرأى أصحابا فكرهه ، فلما أصبح عدا إلى السوق فقال : من جاءني أعطيته ، فقال عمر : أجننت يا أبا مخرمة ؟ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيت أصحابا فكرهت ما فيه الناس فكرهت أن أربح فيه شيئاً ، فقال له عمر : جزاك الله خيراً . ولد المسور بمكة بعد الهجرة بسنتين .

﴿ المنذر بن الزبير بن العوام ﴾

ولد في خلافة عمر بن الخطاب ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وقد غزا المنذر القسطنطينية مع يزيد بن معاوية ، ووفد على معاوية فأجازه بمائة ألف ، وأقطعه أرضاً ، فمات معاوية قبل أن يقبض المال . وكان المنذر بن الزبير وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام يقاتلون أهل الشام بالنهار ، ويطعمونهم بالليل . قتل المنذر بمكة في حصارها مع أخيه ، ولما مات معاوية أوصى إلى المنذر أن ينزل في قبره

﴿ مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ﴾

كان شاباً ديناً فاضلاً . قتل مصعب أيضاً في حصار مكة مع ابن الزبير . ومن قتل في وقعة الحرة محمد بن أبي بن كعب ، وعبد الرحمن بن أبي قتادة ، وأبو حكيم معاذ بن الحارث الأنصاري الذي أقامه عمر يصلي بالناس ، وقتل يومئذ ولدان لزييد بنت أم سلمة ، وزيد بن محمد بن سلمة الأنصاري قتل يومئذ ، وقتل معه سبعة من إخوته وغير هؤلاء رحمهم الله ورضى عنهم أجمعين . وفيها توفي الأخنس بن شريق ، شهد فتح مكة وكان مع علي يوم صفين ^(١) وفي هذه السنة - أعني سنة أربع وستين - جرت حروب كثيرة وقين منتشرة ببلاد المشرق واستعوز على بلاد خراسان رجل يقال له عبد الله بن خازم ، وقهر عاملها وأخرجهم منها ، وذلك بعد موت يزيد وابنه معاوية ، قبل أن يستقر ملك ابن الزبير على تلك النواحي ، وجرت بين عبد الله ابن خازم وهذا وبين عمرو بن مرثد حروب يطول ذكرها وتفصيلها ، اكتفينا بذكرها إجمالاً إذ لا يتعلق بذكرها كبير فائدة ، وهي حروب فتنة وقتال بغاة بعضهم في بعض ، والله المستعان .

| وقال الواقدي : وفي هذه السنة بعد موت معاوية بن يزيد بايع أهل خراسان سلم بن زياد بن

أبيه ، وأحبوه حتى أنهم سمو باسمه في تلك السنة أكثر من ألف غلام مولود ، ثم نكثوا واختلفوا
فخرج عنهم سلم وترك عليهم المواب بن أبي صفرة ^(١)]

وفيها اجتمع ملا الشيمة على سليمان بن صرد بالكوفة ، وتواعدوا النخيلة ليأخذوا بشأر الحسين
ابن علي بن أبي طالب ، وما زالوا في ذلك مجدين ، وعديسه عازمين ، من مقتل الحسين بكر بلاء من
يوم عاشوراء عشرة المحرم سنة إحدى وستين ، وقد ندموا على ما كان منهم من بئسهم إليه ، فلما أنهم
خذلوه وتخاوا عنه ولم ينصروه * فجاءت بوصل حين لا ينفع الوصل * فاجتمعوا في دار سليمان بن صرد
وهو صحابي جليل ، وكان رؤس القائمين في ذلك خمسة ، سليمان بن صرد الصحابي ، والمسيب بن نجبة
الغزاري أحد كبار أصحاب علي ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي ، وعبد الله بن وائل التيمي ،
ورفاعه بن شداد البجلي . وكلهم من أصحاب علي رضي الله عنه ، فاجتمعوا كلهم بعد خطب ومواعظ
على تأخير سليمان بن صرد عليهم ، فتعاهدوا وتعاهدوا وتواعدوا النخيلة ، وأن يجتمع من يستجيب
لهم إلى ذلك الموضع بها في سنة خمس وستين ، ثم جمعوا من أموالهم وأسلحتهم شيئا كثيرا وأعدوه
لذلك . [وقام المسيب بن نجبة خطيبا فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فقد ابتلينا بطول
العمر وكثرة الفتن ، وقد ابتلانا الله فوجدنا كاذبين في نصرة ابن بنت رسول الله ﷺ ، بعد أن
كتبنا إليه ورأسلناه ، فأتانا طمعا في نصرتنا إياه ، فخذ لنا وأخلفناه ، وأتينا به إلى من قتله وقتل أولاده
وذريته وقراباته الأخيار ، فما نصرناهم بأيدينا ، ولا خذلنا عنهم بالسنة ، ولا قويناهم بأموالنا ،
فالويل لنا جميعا وبلا متصلا أبدا لا يفتروا ولا يبيد دون أن تقتل قاتله والمقاتلين عليه ، أو تقتل دون
ذلك وتذهب أموالنا وتخرب ديارنا ، أيها الناس قوموا في ذلك قومة رجل واحد ، وتوبوا إلى بارئكم
فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم . وذكر كلاما طويلا . ثم كتبوا إلى جميع إخوانهم أن
يجتمعوا بالنخيلة في السنة الآتية . ^(٢)]

وكتب سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان وهو أمير على المدائن يدعوه إلى ذلك
فاستجاب له ودعا إليه سعد من أطاعه من أهل المدائن ، فبادروا إليه بالاستجابة والقبول ، وتماثلوا
عليه وتواعدوا النخيلة في التاريخ المذكور . وكتب سعد بن حذيفة إلى سليمان بن صرد بذلك فخرج
أهل الكوفة من موافقة أهل المدائن لهم على ذلك ، وتنشطوا لأمرهم الذي تماثلوا عليه . فلما مات
يزيد بن معاوية وابنه معاوية بعد قليل ، طمعو في الأمر ، واعتقدوا أن أهل الشام قد ضعفوا ، ولم
يبق من يقيم لهم أمرا ، فاستشاروا سليمان في الظهور وأن يخرجوا إلى النخيلة قبل الميقات ، فنهاهم عن
ذلك وقال : لا ! حتى يأتي الأجل الذي واعدنا إخواننا فيه ، ثم هم في الباطن يعدون السلاح والقوة

ولا يشعر بهم جمهور الناس ، وحينئذ عمد جمهور أهل الكوفة إلى عمرو بن حريث نائب عبيد الله ابن زياد على الكوفة فأخرجوه من القصر ، واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الملقب بـ حروجة ، فبايع لعبد الله بن الزبير ، فهو يسد الأمور حتى تأتي نواب ابن الزبير . فلما كان يوم الجمعة الثمان بقين من رمضان من هذه السنة - أثنى سنة أربع وستين - قدم أميران إلى الكوفة من جهة ابن الزبير ، أحدهما عبد الله بن يزيد الخطمي ، على الحرب والشفر ، والآخر إبراهيم بن محمد ابن طلحة بن عبيد الله التيمي ، على الخراج والأموال . وقد كان قدم قبلهما بجمعة واحدة للنصف من هذا الشهر المختار بن أبي عبيد - وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب - فوجد الشيعة قد انفتت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيماً زائداً ، وهم معدون للحرب . فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب ، وهو محمد بن الحنفية في الباطن ، ولقبه المهدي ، فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة وفارقوا سليمان بن صرد ، وصارت الشيعة فرقتين ، الجمهور منهم مع سليمان يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بنار الحسين ، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفية ، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه ، وإنما يتقولون عليه ليرجوا على الناس به ، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة ، وجاءت العيين الصافية إلى عبد الله بن يزيد الخطمي نائب ابن الزبير بما تمألاً عليه فرقتا الشيعة على اختلافهما من الخروج على الناس والدعوة إلى ما يريدون ، وأشار من أشار عليه بأن يبادر إليهم ويحتاط عليهم ويبيعت الشرط والمقاتلة فيقيمهم عما هم يجمعون عليه من إرادة الشر والفتنة . فقام خطيباً في الناس وذكر في خطبته ما بلغه عن هؤلاء القوم ، وما أجمعوا عليه من الأمر ، وأن منهم من يريد الأخذ بنار الحسين ، ولقد علموا أنني لست ممن قتله ، وإني والله لمدن أصيب بقتله وكره قتله ، فرحمه الله ولمن قتله ، وإني لا أعرض لأحد قبل أن يبدأني بالشر ، وإن كان هؤلاء يريدون الأخذ بنار الحسين فليعمدوا إلى ابن زياد فإنه هو الذي قتل الحسين وخيار أهله فليأخذوا منه بالنار ، ولا يخرجوا بسلاحهم على أهل بلدهم ، فيكون فيه حنظهم واستئصالهم . فقام إبراهيم بن محمد بن طلحة الأمير الآخر فقال : أيها الناس لا يفرنكم من أنفسكم كلام هذا المذاهر . إنا والله قد استيقنا من أنفسنا أن قوماً يريدون الخروج علينا ، ولناخذن الوالد بالولد والولد بالوالد ، والحليم بالحليم ، والمريف بما في عرافته ، حتى تدينوا بالحق وتذلوا للطاعة . فوثب إليه المسيب بن نجبة الفزاري فقطع كلامه فقال : يا ابن النواكسين أتهمدنا بسيغتك وغشمك ؟ أنت والله أذل من ذلك ، إنا لا نلوذك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدك ، وإنا نترجوا أن نملكك ، بما قبل أن تخرج من هذا القصر . وساعد المسيب بن نجبة من أصحاب إبراهيم بن محمد ابن طلحة جماعة من العمال ، وجرت فتنة وشيء كبير في المسجد ، فنزل عبد الله بن يزيد الخطمي

عن المنبر وحاولوا أن يوقفوا بين الأمرين فلم يتفق لهم ذلك ، ثم ظهرت الشيعة أصحاب سليمان بن
صرد بالسلاح ، وأظهروا ما كان في أنفسهم من الخروج على الناس ، وركبوا مع سليمان بن صرد
فقصصوا نحو الجزيرة ، وكان من أمرهم ما سنده .

وأما المختار بن عبيد الثقفي الكذاب فإنه قد كان بفيضا إلى الشيعة من يوم طعن الحسين وهو
ذاهب إلى الشام بأهل العراق ، فلجأ إلى المدائن ، فأشار المختار على عمه وهو نائب المدائن بأن يقبض
على الحسين ويبعثه إلى معاوية فيتخذ بذلك عنده اليد البيضاء ، فلم تنع عم المختار من ذلك ، فأبغضته
الشيعة بسبب ذلك ، فلما كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان وقتله ابن زياد ، كان المختار يومئذ بالكوفة
فبلغ ابن زياد أنه يقول : لأقوم بنصرة مسلم ولا آخذن بثأره ، فأحضره بين يديه وضرب عينه
بقضيب كان بيده فشرها ، وأمر بسجنه ، فلما بلغ أخته سجنه بكت وجزعت عليه ، وكانت تحت
عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكتب ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يشفع عنده في إخراج المختار من
السجن ، فبعث يزيد إلى ابن زياد : أن ساعة وقوفك على هذا الكتاب تخرج المختار بن عبيد من
السجن ، فلم يمكن ابن زياد غير ذلك ، فأخرجه وقال له : إن وجدت لك بعد ثلاثة أيام بالكوفة ضربت
عنقك . فخرج المختار إلى الحجاز وهو يقول : والله لأقضي أمان عبيد الله بن زياد ، ولأقتلن
بالحسين بن علي على عدد من قتل بدم يحيى بن زكريا . فلما استفحل أمر عبيد الله بن الزبير بإيحه
المختار بن عبيد ، وكان من كبار الأمراء عنده ، ولما حاصره الحصين بن نمير مع أهل الشام قاتل
المختار دون ابن الزبير أشد القتال ، فلما بلغه موت يزيد بن معاوية واضطراب أهل العراق ، تقم على
ابن الزبير في بعض الأمر وخرج من الحجاز فقصص الكوفة فدخلها في يوم الجمعة والناس يتهيئون
للاصلاة ، فجعل لا يمر بعلأ إلا سلم عليه وقال : أبشروا بالنصر . ودخل المسجد فصلى إلى سارية
هنالك حتى أقيمت الصلاة ، ثم صلى من بعد الصلاة حتى صليت العصر ، ثم انصرف فلم عليه
الناس وأقبلوا إليه وعليه وعظموه ، وجعل يدعو إلى إمامة المهدي محمد بن الحنفية ، ويظهر الانتصار
لأهل البيت ، وأنه ما جاء إلا بصدد أن يقيم شعارهم ، ويظهر منارهم ، ويستوفي ثأرهم ، ويقول للناس
الذين اجتمعوا على سليمان بن صرد من الشيعة - وقد خشى أن يبادروا إلى الخروج مع سليمان -
فجعل يخذلهم ويستميلهم إليه ويقول لهم : إني قد جئتكم من قبل ولي الأمر ، ومعين الفضل ،
وصي الرضى ، والامام المهدي ، بأمر فيه الشفاء ، وكشف الغطاء ، وقتل الأعداء ، ونهاج النعماء ،
وإن سليمان بن صرد يرحمنا الله وإياه إنما هو غشمة من الغشم ، وشن بال ليس بنى تجربة للأمر ،
ولله علم بالحروب ، إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم ، وإني إنما أعمل على مثل مثل لي ،
وأمر قد بين لي ، فيه عز وليكم ، وقتل عدوكم ، وشفاء صدوركم ، فاستمعوا مني وأطيعوا أمري ، ثم أبشروا

وتباشروا ، فاني لكم بكل ما تأملون وتحبون كنيل . فالتف عليه خلق كثير من الشيعة ، ولكن الجمهور منهم مع سليمان بن صرد ، فلما خرجوا مع سليمان إلى النخيلة قال عمر بن سعد بن أبي وقاص وشبث بن ربعي وغيرهما لعبد الله بن زياد نائب الكوفة : إن المختار بن أبي عبيد أشد عليكم من سليمان بن صرد ، فبعث إليه الشرط فأحاطوا به فأتوا به فأخذ فذهب به إلى السجن مقيداً ، وقيل بغير قيد ، فأقام به مدة ومرض فيه . قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبي عيسى أنه قال : دخلت إليه مع حميد بن مسلم الأزدي فعوده وتماهده . فسمعتة يقول : أما ورب البحار ، والنخيل والأشجار ، والمهامه والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصلين الأخيار ، لأقتلن كل جبار ، بكل لدن جئار خطار ، ومهند بتار ، بجند من الأخيار ، وجهوع من الأنصار ، ليسوا بميل الأغمار ، ولا بعزل أشرار ، حتى إذا أقمت عمود الدين ، وجبرت صدع المسامين ، وشفيت غليل صدور المؤمنين ، وأدركت ثار أولاد النبيين ، لم أبك على زوال الدنيا ، ولم أحفل بالموت إذا دنا . قال : وكان كلما أتيناوه وهو في السجن يردد علينا هذا القول حتى خرج .

(ذكر هدم الكعبة وبنائها في أيام ابن الزبير)

قال ابن جرير : وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة ، وذلك لأنه مال جدارها من رمي المنجنيق فهدم الجدار حتى وصل إلى أساس إبراهيم ، وكان الناس يطوفون ويصلون من وراء ذلك ، وجعل الحجر الأسود في تابوت في سرق من حرير ، وأدخروا ما كان في الكعبة من حلل وثياب وطيب ، عند الخزان حتى أعاد ابن الزبير بناءها على ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يبنيهما عليه من الشكل ، وذلك كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن ، من طرق عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال : «لولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة ولأدخلت فيها الحجر ، فان قومك قصرت بهم النفقة ، ولجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً ، يدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر ، ولألصقت بابها بالأرض فان قومك رفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا » . فبناها ابن الزبير على ذلك كما أخبرته به خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله ﷺ ، فجزاه الله خيراً . ثم لما غلبه الحجاج بن يوسف في سنة ثلاث وسبعين كما سيأتي ، هدم الحائط الشمالي وأخرج الحجر كما كان أولاً ، وأدخل الحجارة التي هدمها في جوف الكعبة فرصها فيه ، فارتفع الباب وسد الفربي ، وتلك آثاره إلى الآن ، وذلك بأمر عبد الملك بن مروان في ذلك ، ولم يكن بلغه الحديث ، فلما بلغه الحديث قال : وددنا أننا تركناه وما تولى من ذلك . وقد هم ابن المنصور المهدي أن يميدها على ما بناها ابن الزبير ، واستشار الإمام مالك بن أنس في ذلك ، فقال : إني أكره أن يتخذها الملوكة لعبة ، - يعني يتلاعبون في بنائها بحسب آرائهم - فهذا يرى رأي ابن الزبير ، وهذا يرى رأي

عبد الملك بن مروان ، وهذا يرى رأياً آخر والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال ابن جرير : وحجج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عاملاً على المدينة أخوه عبيد الله ، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي ، وعلى قضائها سعيد بن المرزبان ، وامتنع شريح أن يحكم في زمان الفتنة . وعلى البصرة عمر بن معمر التيمي ، وعلى قضائها هشام بن هبيرة ، وعلى خراسان عبيد الله بن خازم ، وكان في أواخر هذه السنة وقعة مرج راهط كما قدمنا ، وقد استقر ملك الشام لمروان بن الحكم ، وذلك بعد ظفرو بالضحاك بن قيس وقتله له في الوقعة ، وقيل إن فيها دخل مروان مصر وأخذها من نائبها الذي من جهة ابن الزبير ، وهو عبد الرحمن بن جندب . واستقرت يد مروان على الشام ومصر وأعمالها والله أعلم .

[وقال الواقدي : لما أراد ابن الزبير هدم البيت شاور الناس في هدمها فأشار عليه جابر بن عبد الله وعبيد بن عمير بذلك ، وقال ابن عباس : أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها ، فلا تزال تهدم حتى يتهاون الناس بحرقتها ، ولكن أرى أن تصلح ما يهدم من بنيانها . ثم إن ابن الزبير استخار الله ثلاثة أيام ، ثم غدا في اليوم الرابع فبدأ ينقض الركن إلى الأساس ، فلما وصلوا إلى الأساس وجدوا أصلاً بالحجر مشبكاً كأصابع اليمدين ، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً فأمرهم أن يحفروا ، فلما ضربوا بالمعاول في تلك الأحجار المشبكة ارتجت مكة فتركه على حاله ، ثم أسس عليه البناء ، وجعل للكعبة بابين موضوعين بالأرض ، باب يدخل منه وباب يخرج منه ، ووضع الحجر الأسود بيده ، وشده بفضة لأنه كان قد تصدع ، وزاد في وسع الكعبة عشرة أذرع ، ولطخ جدرانها بالمسك وسترها بالديباج ، ثم اعتمر من مساجد عائشة وطاف بالبيت وصلى وسعى ، وأزال ما كان حول الكعبة من الزباله ، وما كان حولها من الدماء ، وكانت الكعبة قد وهت من أعلاها إلى أسفلها من حجارة المنجنيق ، واسود الركن وانصدع الحجر الأسود من النار التي كانت حول الكعبة ، وكان سبب تجديد ابن الزبير لها ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة المتقدم ذكره والله أعلم (١) .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين ﴾

فيها اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفاً ، كلهم يطلبون الأخذ بثأر الحسين من قتله ، قال الواقدي : لما خرج الناس إلى النخيلة كانوا قليلاً ، فلم تعجب سليمان قتلهم ، فأرسل حكيم ابن منقذ فنادى في الكوفة بأعلى صوته : يا ثارات الحسين ، فلم يزل ينادى حتى بلغ المسجد الأعظم ، فسمع الناس فخرجوا إلى النخيلة وخرج أشراف الكوفة فكانوا قريباً من عشرين ألفاً أو يزيدون ، في ديوان سليمان بن صرد ، فلما عزم على المسير بهم لم يصف معه منهم سوى أربعة آلاف ، فقال

المسيب بن نجبة سليمان : إنه لا ينفعك الكاره ، ولا يقايل معك إلا من أخرجته النية ، وباع نفسه لله عز وجل ، فلا تنتظر أن أحداً وامض لأمرك في جهاد عدوك واستمع بالله عليهم . فقام سليمان في أصحابه وقال : يا أيها الناس : من كان إنما خرج لوجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ومن كان خروجه معنا للدنيا فليس منا ولا يصحبنا . فقال الباقر معه : ما للدنيا خرجنا ، ولا لها طلبنا ، فقبل له : ألسير إلى قتلة الحسين بالشام وقتلته عندنا بالكوفة كلهم مثل عمر بن سعد وغيره ؟ فقال سليمان : إن ابن زياد هو الذي جهز الجيش إليه وفعل به ما فعل ، فاذا فرغنا منه عدنا إلى أعدائه بالكوفة ، ولو قاتلناهم أولاً ، وهم أهل مصركم ما عدم الرجل منكم أن يرى رجلاً قد قتل أباه قد قتل أخاه أوحيمه ، فيقع التخاذل ، فاذا فرغتم من الفاسق ابن زياد حصل لكم المراد . فقالوا : صدقت . فنادى فيهم : سيروا على اسم الله تعالى ، فساروا عشية الجمعة لخمس ماضين من ربيع الأول ^(١) .

وقال في خطبته : من كان خرج منكم للدنيا ذهبها وزبرجدها فليس معنا مما يطلب شيء ، وإنما معنا سيوف على عواتقنا ، ورماح في أكفنا ، وزاد يكفيننا حتى نلقى عدونا . فأجابوه إلى السمع والطاعة والحالة هذه ، وقال لهم : عليكم بابن زياد الفاسق أولاً ، فليس له إلا السيف ، وها هو قد أقبل من الشام قاصداً العراق . فصمم الناس معه على هذا الرأي ، فلما أزمعوا على ذلك بمش عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد أمراء الكوفة من جهة ابن الزبير ، إلى سليمان بن صرد يقولان له : إنا نحب أن تكون أيدينا واحدة على ابن زياد ، وأنهم يريدون أن يبعثوا معهم جيشاً ليقومهم على ما هم قد قصدوا له ، وبعثوا يريدوا بذلك ينتظروهم حتى يقدموا عليه ، فتهباً سليمان بن صرد لتقدمهم عليه في رؤس الأمراء ، وجلس في أبنته والجيش محدقة به ، وأقبل عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن طلحة في أشرف أهل الكوفة من غير قتلة الحسين ، لئلا يطعموا فيهم ، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص في هذه الأيام كلها لا يبيت إلا في قصر الإمارة عند عبد الله بن يزيد خوفاً على نفسه ، فلما اجتمع الأميران عند سليمان بن صرد قالوا له وأشارا عليه أن لا يذهبوا حتى تكون أيديهما واحدة على قتال ابن زياد ، ويجهزوا معهم جيشاً ، فان أهل الشام جمع كثير وجهم غفير ، وهم يحاجفون عن ابن زياد ، فامتنع سليمان من قبول قولهما وقال : إنا خرجنا لأمر لا نرجع عنه ولا نتأخر فيه . فانصرف الأميران راجعين إلى الكوفة ، وانتظر سليمان بن صرد وأصحابه أصحابهم الذين كانوا قد واعدهم من أهل البصرة وأهل المدائن فلم يقدموا عليهم ولا واحد منهم ، فقام سليمان في أصحابه خطيباً وحرضهم على الذهاب لما خرجوا عليه ، وقال : لو قد سمع إخوانكم بخروجكم للحقكم سراعا . فخرج سليمان وأصحابه من النخيلة يوم الجمعة لخمس ماضين من ربيع الأول سنة خمس وستين ، فسار بهم ^(١) سقط من النصية

مراحل ، ما يتقدمون مرحلة إلى نحو الشام إلا تخلف عند طائفة من الناس الذين معه ، فلما مروا بقبر الحسين صاحوا صيحة واحدة وتباكوا وباتوا عنده ليلة يصاون ويدعون ، وظلوا يوماً يترحمون عليه ويستغفرون له ويترضون عنه ويتمنون أن لو كانوا ماتوا معه شهداء . قلت : لو كان هذا العزم والاجتماع قبل وصول الحسين إلى تلك المنزلة ، لكان أنفع له وأنصر من اجتماع سليمان وأصحابه لنصرته بعد أربع سنين ، ولما أرادوا الانصراف جعل لا يريم أحد منهم حتى يأتي القبر فيترحم عليه ويستغفر له ، حتى جعلوا يزدهون أشد من ازدحامهم عند الحجر الأسود . ثم ساروا قاصدين الشام ، فلما اجتازوا بقرقيسيا تحصن منهم زفر بن الحارث ، فبعث إليه سليمان بن سرد : إنا لم نأت اقتالك فإخرج إلينا سوفاً فانا إنما نقيم عندكم يوماً أو بعض يوم ، فأمر زفر بن الحارث أن يخرج إليهم سوقاً ، وأمر للرسول إليه وهو المسيب بن نجبة بفارس وألف درهم . فقال : أما المال فلا . وأما الفرس فنعم . وبعث زفر بن الحارث إلى سليمان بن سرد ورؤس الأمراء الذين معه إلى كل واحد عشرين جزوراً وطعاماً وعلفاً كثيراً ، ثم خرج زفر بن الحارث فشيّعهم ، وسار مع سليمان بن سرد وقال له : إنه قد بلغني أن أهل الشام قد جهزوا جيشاً كثيراً وعدداً كثيراً ، مع حصين بن نمير ، وشريحيل بن ذى الكلاع ، وأدهم بن محرز الباهلي . وريمة بن مخارق الغنوي ، وجبله بن عبد الله الخثعمي . فقال سليمان بن سرد : على الله توكلنا وعلى الله فنبتوكل المؤمنون . ثم عرض عليهم زفر أن يدخلوا مدينته أو يكونوا عند بابها ، فان جاءهم أحد كان معهم عليه ، فأبوا أن يتقبلوا وقالوا : قد عرض علينا أهل بلدنا مثل ذلك فلم ننعنا . قال : فاذا أبيتم ذلك فبادروهم إلى عين الوردة ، فيكون الماء والمدينة والأسواق والسباق خلف ظهوركم ، وما بيننا وبينكم فائتم آمنون منه ، ثم أشار عليهم بما يعتمدونه في حال القتال [فقال : ولا تقاتلوهم في فضاء فائتم أكثر منكم عدداً فيحيطون بكم ، فإني لا أرى معكم رجالاً والقوم ذوو رجال وفرسان ، ومعهم كراديس فاحذروهم] ^(١) فأثنى عليه سليمان بن سرد والناس خيراً ، ثم رجع عنهم ، وسار سليمان بن سرد فبادر إلى عين الوردة فنزل غريبها ، وأقام هناك قبل وصول أعدائه إليه ، واستراح سليمان وأصحابه وأطمأنوا

(وقعة عين وردة)

فلما اقترب أهل الشام إليهم خطب سليمان أصحابه فرغهم في الآخرة وزهدهم في الدنيا ، وحثهم على الجهاد ، وقال : إن قتلت فالأمر عليكم المسيب بن نجبة ، فان قتل فعبد الله بن سعد بن نفل ، فان قتل فعبد الله بن وال ، فان قتل فرفاعة بن شداد ، ثم بعث بين يديه المسيب بن نجبة في خمسمائة فارس ، فأغاروا على جيش ابن ذى الكلاع وهم عارون ، فقتلوا منهم جماعة وجرحوا آخرين .

واستاقوا لها ، وأتى أنطرب إلى عبيد الله بن زياد فأرسل بين يديه الحصين بن نمير في إثني عشر ألفاً ، فصبح سليمان بن صرد وجيشه واقفون في يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى ، وحصين بن نمير قائم في إثني عشر ألفاً ، وقد تهيأ كل من الفريقين لصاحبه ، فدعا الشاميون أصحاب سليمان إلى الدخول في طاعة مروان بن الحكم ، ودعا أصحاب سليمان الشاميين إلى أن يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد فيقتلونه عن الحسين ، وامتنع كل من الفريقين أن يجيب إلى مادعا إليه الآخر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً عامة يومهم إلى الليل ، وكانت الدائرة فيه للعراقيين على الشاميين ، فلما أصبح أصبح ابن ذى السكلاع وقد وصل إلى الشاميين في ثمانية عشرة ألف فارس ، وقد أتبه وشمه ابن زياد ، فاقتتل الناس في هذا اليوم قتالاً لم ير الشيب والمرد مثله قط ، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل ، فلما أصبح الناس من اليوم الثالث وصل إلى الشاميين أدهم بن محرز في عشرة آلاف ، وذلك في يوم الجمعة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى حين ارتفاع الضحى ، ثم استدار أهل الشام بأهل العراق وأحاطوا بهم من كل جانب ، فخطب سليمان بن صرد الناس وحرضهم على الجهاد ، فاقتتل الناس قتالاً عظيماً جداً ، ثم ترجل سليمان بن صرد وكسر جفن سيفه ونادى يا عباد الله ، من أراد الرواح ، إلى الجنة والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فليأت إلى ، فترجل معه ناس كثيرون وكسروا جفون سيوفهم ، وحملوا حتى صاروا في وسط القوم . وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة حتى خاضوا في الدماء ، وقتل سليمان بن صرد أمير العراقيين ، رماه رجل يقال له يزيد بن الحصين بسهم فوقه ، ثم وثب ثم وقع ثم وثب ثم وقع ، وهو يقول : فزت ورب الكعبة ، فأخذ الراية المسيب بن نجبة فقاتل بها قتالاً شديداً وهو يقول : -

قد علمت ميالة الذوائب * واضحة اللبات والثرائب

أنى غداة الروح والنغال * أشجع من ذى لبدة موائب

* قصاع أقران مخوف الجانب *

ثم قاتل قتالاً شديداً فتغنى ابن نجبة نجبه ، ولحق في ذلك الموقف صحبه رحمه الله ، فأخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل فقاتل قتالاً شديداً أيضاً ، وحمل حينئذ ربيعة بن مخارق على أهل العراق حملة منكراً . وتبارز هو وعبد الله بن سعد بن نفيل ، ثم اتحدا فحمل ابن أخي ربيعة على عبد الله بن سعد فقتله . ثم احتمل عمه ، فأخذ الراية عبد الله بن وال ، فحرض الناس على الجهاد وجعل يقول : الرواح إلى الجنة - وذلك بعد العصر - وحمل بالناس ففرق من كان حوله ثم قتل - وكان من الفقهاء المفتين - قتله أدهم بن محرز الباهلي أمير حرب الشاميين ساعته ، فأخذ الراية رفاعه بن شداد فأنحاز بالناس وقد دخل الظلام ، ورجع الشاميون إلى رحالهم ، وانشمر رفاعه بن بقي معه راجعاً إلى بلاده ، فلما أصبح الشاميون إذا العراقيون قد كروا راجعين إلى بلادهم ، فلم يبعثوا وراءهم طلباً ولا أحداً

لما لقوا منهم من القتل والجراح ، فلما وصلوا الى هيت إذا سعد بن حذيفة بن اليمان قد أقبل بن معه من أهل المدائن ، قاصدين إلى نصرتهم ، فلما أخبروه بما كان من أمرهم وما حل بهم ، ونفوا إليه أصحابهم ترحموا عليهم واستغفروا لهم وتبوا كوا على إخوانهم ، وانصرف أهل المدائن إليها ، ورجع راجعة أهل السكوفة إليها ، وقد قتل منهم خلق كثير وجهم غفير ، وإذا المختار بن أبي عبيد كما هو في السجن لم يخرج منه ، فكتب إلى رفاعه بن شداد يعزيه فيمن قتل منهم ويترحم عليهم ويغبطهم بما نالوا من الشهادة ، وجزيل الثواب [ويقول : مرحبا بالذين أعظم الله أجورهم ورضى عنهم ، والله ما خطا منهم أحد خطوة إلا كان ثواب الله له فيها أعظم من الدنيا وما فيها ، وإن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه في أرواح النبيين والشهداء والصالحين ، وبعد فأنا الأمير المأمون ، قاتل الجبارين والمفسدين إن شاء الله ، فأعدوا واستعدوا وأبشروا ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، والطلب بدماء أهل البيت . وذكر كلاما كثيرا في هذا المعنى] (١)

وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن ربه الذي كان يأتي إليه من الشياطين ، فانه قد كان يأتي إليه شيطان فيوحى إليه قريبا مما كان يوحى شيطان مسيلمة إليه ، وكان جيش سليمان بن صرد وأصحابه يسمى بجيش التوابين رحمهم الله ، وقد كان سليمان بن صرد الخزرجي صحابيا جليلا نبيلًا عابداً زاهداً ، روى عن النبي ﷺ أحاديث في الصحيحين وغيرهما ، وشهد مع علي صفين ، وكان أحدهم من كان يجتمع الشيعة في داره لميعة الحسين ، وكتب إلى الحسين فيمن كتب بالقسوم إلى العراق ، فلما قدمها تخلوا عنه وقتل بكر بلاء بعد ذلك ، ورأى هؤلاء أنهم كانوا سببا في قدومه ، وأنهم خذلوه حتى قتل هو وأهل بيته ، فندموا ، على ما فعلوا معه ، ثم اجتمعوا في هذا الجيش وسماوا جيشهم جيش التوابين ، وسماوا أميرهم سليمان بن صرد أمير التوابين ، فقتل سليمان رضي الله عنه في هذه الواقعة بعين وردة سنة خمس وستين ، وقيل سنة سبع وستين . والأول أصح . وكان عمره يوم قتل ثلاثا وتسعين سنة رحمه الله . وحمل رأسه ورأس المسيب بن نجبة إلى مروان بن الحكم بعد الواقعة ، وكتب أمراء الشاميين إلى مروان بما فتح الله عليهم وأظفرهم من عسدهم . فخطب الناس وأعلمهم بما كان من أمر الجنود ومن قتل من أهل العراق ، وقد قال : أهلك الله رؤس الضلال سليمان ابن صرد وأصحابه ، وعلق الرأس بدمشق ، وكان مروان بن الحكم قد عهد بالأمر من بعده إلى ولديه عبد الملك ثم من بعده عبد العزيز . وأخذ بيعة الأمراء على ذلك في هذه السنة ، قاله ابن جرير وغيره . وفيها دخل مروان بن الحكم وعمر بن سعيد الأشدق إلى الديار المصرية فأخذناها من نائبها الذي كان لعبد الله بن الزبير ، وهو عبيد الرحمن بن حجاج ، وكان سبب ذلك أن مروان قصد

نفرج إليه فأتىها ابن جهم فقاتله مروان ليمتلكه فاشتغل به ، وخلص عمرو بن سميد بطائفة من الجيش من وراء عبد الرحمن بن جهم فدخل مصر فملكها ، وهرب عبد الرحمن ودخل مروان إلى مصر فملكها ، وجعل عليها ولده عبد العزيز . وفيها بعث ' بن الزبير أخاه مصعبا ليفتح له الشام ، فبعث إليه مروان عمرو بن سميد فتلقاه إلى فلسطين فهرب منه مصعب بن الزبير وكر راجعا ولم يظفر بشيء . واستقر ملك الشام ومصر لمروان .

١ وقال الواقدي : إن مروان حاصر مصر فنحنى عبد الرحمن بن جهم على البلد خندقا ، وخرج في أهل مصر إلى قتاله ، وكانوا يتناوبون القتال ويستريحون ، ويسمى ذلك يوم التراويح ، واستمر القتل في خواص أهل البلد فقتل منهم خلق كثير ، وقتل يومئذ عبد الله بن يزيد بن معدى كرب الكلاعي أحد الأشراف . ثم صالح عبد الرحمن مروان على أن يخرج إلى مسكة بماله وأهله ، فأجابه مروان إلى ذلك ، وكتب إلى أهل مصر كتاب أمان بيده ، وتفرق الناس وأخذوا في دفن موتاهم والبكاء عليهم ، وضرب مروان عنق ثمانين رجلا تخلفوا عن مبايعته ، وضرب عنق الأكبر بن حملة اللخمي ، وكان من قلة عثمان ، وذلك في نصف جمادى الآخر يوم توفي عبد الله بن عمرو بن العاص ، فما قدروا أن يخرجوا بجنازته فدفنوه في داره ، واستولى مروان على مصر وأقام بها شهرا ، ثم استعمل عليها ولده عبد العزيز ، وترك عنده أخاه بشر بن مروان وموسى بن نصير وزيراً له ، وأوصاه بالاحسان إلى الأكابر ورجع إلى الشام [(١)]

وفيها جهز مروان جيشين أحدهما مع جبش بن دلجة العتيبي ليأخذ له المدينة ، وكان من أمره ما سئد كره ، والاخر مع عبيد الله بن زياد إلى العراق لينتزع من نواب ابن الزبير ، فلما كانوا ببعض الطريق لقوا جيش التوابين مع سليمان بن صرد وكان من أمرهم ما تقدم ذكره . واستمر جيش الشاميين ذاهبا إلى العراق ، فلما كانوا بالجزيرة بلغهم موت مروان بن الحكم

وكانت وفاته في شهر رمضان من هذه السنة ، وكان سبب موته أنه تزوج بأُم خالد امرأة يزيد ابن معاوية ، وهي أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة ، وإنما أراد مروان بتزويجها إليها ليصغر ابنها خالداً في أعين الناس ، فانه قد كان في نفوس كثير من الناس منه (٢) أن يذكوه بعد أخيه معاوية ، فتزوج أمه ليصغر أمره ، فبينما هو ذات يوم داخل إلى عند مروان ، إذ جعل مروان يتكلم فيه عند جلسائه ، فلما جلس قال له فيما خاطبه به : يا ابن الرطبة الامت ، فذهب خالد إلى أمه فأخبرها بما قال له ، فقالت : اكتم ذلك ولا تعلمه أنك أعلمتني بذلك ، فلما دخل عليها مروان قال لها : هل ذكرني خالد عندك بسوء ؟ فقالت له : وما عساه يقول لك وهو يحبك ويعظمك ؟ ثم إن

(١) سقط من المصرية (٢) كذا بالأصدين ، ولعل كلمة : منه زائدة ، أو أن في العبارة سقطا .

مروات رقد عندها ، فلما أخذته النوم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه وتحملت عليها هي وجواربها حتى مات غما ، وكان ذلك في ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين بدمشق ، وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وقيل إحدى وثمانون سنة ، وكانت إمارته تسعة أشهر ، وقيل عشرة أشهر إلا ثلاثة أيام

(وهذه ترجمة مروان بن الحكم أحد خلفاء بني أمية ^(١))

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، أبو عبد الملك ويقال أبو الحكم ، ويقال أبو القاسم ، وهو صحابي عند طائفة كثيرة لأنه ولد في حياة النبي ﷺ ، وروى عنه في حديث صلح الحديبية ، وفي رواية في صحيح البخاري عن مروان والمصور بن محزمة عن جماعة من الصحابة الحديث بطوله ، وروى مروان عن عمر وعثمان وكان كاتبه - أي كان كاتب عثمان - وعلى وزيد بن ثابت وبسيرة بنت صفوان الأزدية وكانت حماته ، وقال الحاكم أبو أحمد : كانت خالته ، ولا منافاة بين كونها حماته وخالته . وروى عنه ابنه عبد الملك وسهل بن سعد وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلى بن الحسين زين العابدين ومجاهد وغيرهم . قال الواقدي ومحمد بن سعد : أدرك النبي ﷺ ولم يحفظ عنه شيئا ، وكان عمره ثمان سنين حين توفي النبي ﷺ ، وذكره بن سعد في الطبقة الأولى من التابعين ، وقد كان مروان من سادات قریش وفضلها ، روى ابن عساکر وغيره أن عمر بن الخطاب خطب امرأة إلى أمها فقالت : قد خطبها جرير بن عبد الله البجلي وهو سيد شباب المشرق ، ومروان بن الحكم وهو سيد شباب قریش ، وعبد الله بن عمر وهو من قد علمتم ، فقالت المرأة : أجاد يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قالت : قد زوجناك يا أمير المؤمنين . وقد كان عثمان بن عفان يكرمه ويعظمه ، وكان كاتب الحكم بين يديه ، ومن تحت رأسه جرت قضية الدار ، وبسببه حصر عثمان بن عفان فيها . وألح عليه أولئك أن يسلم مروان إليهم فامتنع عثمان أشد الامتناع ، وقد قاتل مروان يوم الدار قتالا شديدا ، وقتل بعض الخوارج ، وكان على الميسرة يوم الجمل ، ويقال إنه رمى طلحة بسهم في ركبته فقتله فأنه أعلم .

وقال أبو الحكم : سمعت الشافعي يقول : كان على يوم الجمل حين انهزم الناس يكثر السؤال عن مروان فقيل له في ذلك فقال : إنه يعطيني عليه رحم مائة ، وهو سيد من شباب قریش . وقال ابن المبارك عن جرير بن حازم عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر أنه قال لمعاوية : من تركت لهذا الأمر من بعدك ؟ فقال : أما القارئ لمكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، الشديدي في حدود الله ، مروان بن الحكم . وقد استنابته على المدينة غير مرة ، يعزله ثم يعيده إليها ، وأقام للناس

(١) كذا بنسخة طوب قبو بالاستانة ، وفي المصرية : جد خلفاء بني أمية الذين كانوا بعده

الحج في سنين متعددة ، وقال حنبل عن الامام أحمد ، قال يقال كان عند مروان قضاء ، وكان يتتبع قضايا عمر بن الخطاب . وقال ابن وهب : سمعت مالكاً يقول وذكر مروان يوماً فقال قال مروان : قرأت كتاب الله منذ أربعين سنة ثم أصبحت فيما أنا فيه ، من إهراق الدماء وهذا الشأن . وقال إسماعيل ابن عياش عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد وغيره . قال : كان مروان إذا ذكر الاسلام قال : بنعمت ربي لا بما قدمت يدي * ولا بترائي إني كنت خاطئاً

وقال الليث عن يزيد بن حبيب عن سالم أبي النضر أنه قال : شهد مروان جنازة فلما صلى عليها انصرف ، فقال أبو هريرة : أصاب قيراطاً وحرم قيراطاً ، فأخبر بذلك مروان فأقبل يجرى حتى بدت ركبتاه ، فقام حتى أذن له . وروى المدائني عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد أن مروان كان أسلف على بن الحسين حتى يرجع إلى المدينة بعد مقتل أبيه الحسين ستة آلاف دينار ، فلما حضرته الوفاة وصى إلى ابنه عبد الملك أن لا يسترجع من علي بن الحسين شيئاً ، فبعث إليه عبد الملك بذلك فامتنع من قبولها . فألح عليه فقبلها . وقال الشافعي : أنبأنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه أن الحسن والحسين كانا يصليان خلف مروان ولا يعيدانها ، ويعتدان بها . وقد روى عبد الرزاق عن الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : أول من قدم الخطبة على الصلاة يوم العيد مروان ، فقال له رجل : خالفت السنة ، فقال له مروان : إنه قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكماً منكراً فليغيره بيده » فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان . قالوا : ولما كان نائباً بالمدينة كان إذا وقعت معضلة جمع من عنده من الصحابة فاستشارهم فيها . قالوا : وهو الذي جمع الصبيان فأخذ بأعدائها فنسب إليه الصاع ، فقيل صاع مروان ، وقال الزبير بن بكار : حدثنا إبراهيم ابن حمزة حدثني ابن أبي علي عن إسماعيل بن أبي سعيد الخدري عن أبيه . قال : خرج أبو هريرة من عند مروان فلقبه قوم قد خرجوا من عنده فقالوا له : يا أبا هريرة ، إنه أشهدنا الآن على مائة رقبة أعنتها الساعة ، قال : فتمز أبو هريرة يدي وقال : يا أبا سعيد ، بك من كسب طيب خير من مائة رقبة . قال الزبير : البك الواحد .

وقال الامام أحمد : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد . قال قال رسول الله ﷺ : « إذا بلغ بنو أبي فلان ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً ، ودين الله دخلاً ، وعباد الله خولاً » . ورواه أبو يعلى عن زكريا بن زحمويه عن صالح بن عمر عن مطرف عن عطية عن أبي سعيد . قال قال رسول الله ﷺ : « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دخلاً ، وعباد الله خولاً ، ومال الله دولاً » . وقد رواه الطبراني عن أحمد بن عبد الوهاب عن أبي

المنيرة عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد عن أبي ذر . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا بلغ بنو أمية أربعين رجلاً » . وذكره ، وهذا منقطع ، ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة من قوله « إذا بلغ بنو أبي الماص ثلاثين رجلاً » ، وذكره ، ورواه البيهقي وغيره من حديث ابن لهيعة عن أبي قبيل عن ابن وهب عن معاوية وعبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين اتخذوا مال الله بينهم دولا ، وعباد الله خولا ، وكناب الله دغلا ، فإذا بلغوا ستة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لو كتمرة ، وأن رسول الله ﷺ ذكر عبد الملك بن مروان فقال أبو الجبارة الأربعة » . وهذه الطرق كلها ضعيفة . وروى أبو يعلى وغيره من غير وجه عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة : « أن رسول الله ﷺ رأى في المنام أن بني الحكم يرقون على منبره وينزلون ، فأصبح كالمثقيظ ، وقال : رأيت بني الحكم ينزلون على منبري نزل القردة » ، فما روى رسول الله ﷺ مستحكما ضاحكا بعد ذلك حتى مات » ، ورواه الثوري عن علي بن زيد عن سميد بن المسيب مرسل وفيه « فأوحى الله إلي إنما هي دنيا أعطوها » . ففرت عينه » وهي قوله (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) يعني بلاء للناس واختباراً ، وهذا مرسل وسنده إلى سميد ضعيف . وقد ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة ، فلهاذا أضربنا صفحاً عن إيرادها لعدم صحتها .

[وقد كان أبوه الحكم من أكبر أعماء النبي ﷺ ، وإنما أسلم يوم الفتح ، وقدم الحكم المدينة ثم طرده النبي ﷺ إلى الطائف ، ومات بها ، ومروان كان أكبر الأسباب في حصار عمان لأنه زور على لسانه كتاباً إلى مصر بقتل أولئك الوفد ، ولما كان متولياً على المدينة لمعاوية كان يسب علياً كل جمعة على المنبر ، وقال له الحسن بن علي : لقد لعن الله أباك الحكم وأنت في صلبه على لسان نبيه فقال : لعن الله الحكم وما ولد والله أعلم ^(١)]

وقد تقدم أن حسان بن مالك لما قدم عليه مروان أرض الجابية ، أعجبه إتيانه إليه ، فبايع له وبايع أهل الأردن على أنه إذا انتظم له الأمر نزل عن الأمانة خالد بن يزيد ، ويكون مروان مرة حمص ، وعمر بن سميد نيابة دمشق ، وكانت البيعة لمروان يوم الاثنين النصف من ذي القعدة سنة أربع وستين ، قاله الليث بن سعد وغيره ، وقال الليث : وكانت وقعة مرج راهط في ذي الحجة من هذه السنة بعد عيد النحر بيومين ، قالوا : فغلب الضحاحك بن قيس واستوثق له ملك الشام ومصر ، فلما استقر ملكه في هذه البلاد بايع من بعده لولده عبد الملك ، ثم من بعده لولده عبد العزيز ، ووالده عمر بن عبد العزيز . وترك البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية ، لأنه كان لا يراه أملاً بالخلافة ،

ووافقته على ذلك مالك بن حسان ، وإن كان خلا لخالد بن يزيد ، وهو الذي قام بأعباء بيعة عبد الملك ، ثم إن أم خالد دبرت أمر مروان فسمته ويقال : بل وضعت على وجهه وهو نائم وسادة فثابت مخنوقاً ثم إنهما أعلنت الصراخ هي وجواريهما وصحن : مات أمير المؤمنين فجأة . ثم قام من بعده ولده عبد الملك بن مروان كما سنده . وقال عبد الله بن أبي مذعور : حدثني بعض أهل العلم قال : كان آخر ما تكلم به مروان : وجبت الجنة لمن خاف النار ، وكان نقش خاتمه العزة لله . وقال الأصمعي : حدثنا عدى بن أبي عمار عن أبيه عن حرب بن زياد قال : كان نقش خاتم مروان آمنت بالعز بن الرحيم

وكانت وفاته بدمشق عن إحدى وقيل ثلاث وستين سنة ، وقال أبو معشر : كان عمره يوم توفى إحدى وثمانين سنة ، وقال خليفة : حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال : مات مروان بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمس وستين ، وهو ابن ثلاث وستين ، وصلى عليه ابنه عبد الملك ، وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وقال غيره : عشرة أشهر . وقال ابن أبي الدنيا وغيره : كان قصيراً أحمر الوجه أوقص دقيق العنق كبير الرأس واللحية ، وكان يلقب خيط باطل ، قال ابن عساکر وذكر سعيد بن كثير بن عفير أن مروان مات حين انصرف من مصر بالصنبرة ويقال بلد ، وقد قيل إنه مات بدمشق ودفن بين باب الجابية وباب الصغير .

[وكان كاتبه عبيد بن أوس ، وحاجبه المنهال مولاة ، وقاضيه أبو إدريس الخولاني ، وصاحب شرطته يحيى بن قيس الفسائي ، وكان له من الولد عبد الملك : وعبد العزيز ، ومعاوية ، وغير هؤلاء ، وكان له عدة بنات من أمهات شقي ^(١)]

﴿ خلافة عبد الملك بن مروان ﴾

بويح له بالخلافة في حياة أبيه ، فلما مات أبوه في ثالث رمضان منها جددت له البيعة بدمشق ومصر وأعمالهما ، فاستقرت يده على ما كانت يد أبيه عليه ، وقد كان أبوه قبل وفاته بعث بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد إلى العراق لينتزعها من نواب ابن الزبير ، فلقى في طريقه جيش التوابين مع سليمان بن صرد عند عين الوردة ، فكان من أمرهم ما تقدم ، من ظفروهم ، وقتله أميرهم وأكثرتهم ، والبعث الآخر مع حبش بن دجلة إلى المدينة ليرتجعها من نائب ابن الزبير : فسار نحوها ، فلما انتهى إليها هرب نائبها جابر بن الأسود بن عوف ، وهو ابن أخى عبد الرحمن بن عوف ، فجهز نائب البصرة من قبل ابن الزبير وهو الحارث بن عبيد الله بن ربيعة ، جيشاً من البصرة إلى ابن دجلة بالمدينة ، فلما سمع بهم حبش بن دجلة سار إليهم . وبعث ابن الزبير عباس بن سهل بن سعد نائباً عن المدينة ،

وأمره أن يسير في طلب حبيش ، فسار في طلبهم حتى لحقهم بالرابعة فرمى يزيد بن سياه حبيشا بسهم فقتله ، وقتل بعض أصحابه وهزم الباقون ، وتحصن منهم خمسمائة في المدينة ثم نزلوا على حكم عباس ابن سهل فقتلهم صبراً ، ورجع فلهم إلى الشام

[قال ابن جرير : ولما دخل يزيد بن سياه الاسوارى قاتل حبيش بن دجلة إلى المدينة مع عباس ابن سهل كان عليه ثياب بياض وهو راكب برذوناً أشهب ، فلما لبث أن اسودت ثيابه ودابته مما يتمسح الناس به ومن كثرة ما صبوا عليه من الطيب والمسك .

وقال ابن جرير : وفي هذه السنة اشدت شوكة الخوارج بالبصرة ، وفيها قتل نافع بن الأزرق وهو رأس الخوارج ورأس أهل البصرة ، مسلم بن عبيس فارس أهل البصرة ، ثم قتل ربيعة السلوطي وقتل بينهما نحو خمسة أمراء ، وقتل في وقعة الخوارج قرّة بن إلياس المزني أبو معاوية ، وهو من الصحابة . ولما قتل نافع بن الأزرق رأست الخوارج عليهم شبيب بن عبد الله بن ماجور ، فسار بهم إلى المدائن فقتلوا أهلها ثم غلبوا على الأهواز وغيرها ، وجبوا الأموال وأتت بهم الأمداد من الحامية والبحرين ، ثم ساروا إلى أصفهان وعليها عتاب بن ورقاء الرياحي ، فالتقاهم فهزمهم ، ولما قتل أمير الخوارج ابن ماجور كما سنذكر ، أقاموا عليهم قطري بن الفجاءة أميراً ^(١)]

ثم أورد ابن جرير قصة قتالهم مع أهل البصرة بمكان يقال له دولاب ، وكانت الدولة للخوارج على أهل البصرة ، وخاف أهل البصرة من الخوارج أن يدخلوا البصرة ، فبعث ابن الزبير فعمل نائباً عبد الله بن الحارث المعروف ببيته ، بالحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع ، وأرسل ابن الزبير المهلب بن أبي صفرة الأزدي على عمل خراسان ، فلما وصل إلى البصرة قالوا له : إن قتال الخوارج لا يصلح إلا لك ، فقال : إن أمير المؤمنين قد بعثني إلى خراسان ، ولست أعصى أمره . فاتفق أهل البصرة مع أميرهم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على أن كتبوا كتاباً على لسان ابن الزبير إلى المهلب يأمره فيه بالمسير للخوارج ليكفهم عن الدخول إلى البصرة ، فلما قرئ عليه الكتاب اشترط على أهل البصرة أن يقوى جيشه من بيت مالهم ، وأن يكون له ما غلب عليه من أموال الخوارج ، فأجابوه إلى ذلك ، ويقال إنهم كتبوا بذلك إلى ابن الزبير فأعضى عنهم ذلك وسوّغه ، فسار إليهم المهلب . وكان شجاعاً بطالاً صديداً ، فلما أراد قتال الخوارج أقبلوا إليه يزفون في عدة لم ير مثلاً من الدروع والزرود والخيول والسلاح ، وذلك أن لهم مدة يأكلون تلك النواحي ، وقد صار لهم تحمل عظيم مع شجاعة لاتدانا ، وإقدام لا يسامى ، وقوة لا تجارى ، وسبق إلى حومة الوعى فلما تواقف الناس بمكان يقال له سل وسيل أبرى ، اقتنوا قتالاً شديداً عظيماً ، وصبر كل من الفريقين

صبراً باهراً ، وكان في نحو من ثلاثين ألفاً ، ثم إن الخوارج حملوا حملة منكراً ، فانهمزم أصحاب المهلب لا يلاوى والد على والد ، ولا يلتفت أحد إلى أحد ، ووصل إلى البصرة فلأطعمهم ، وأما المهلب فانه سبق المنهزمين فوقف لهم بمكان مرتفع ، وجعل ينادى : إلى عباد الله ، فاجتمع إليه من جيشه ثلاثة آلاف من الفرسان الشجعان ، فقام فيهم خطيباً فقال في خطبته : أما بعد أيها الناس ، فإن الله تعالى ربما يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فيهمزمون ، وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ، ولعمري ما بكم الآن من قلة ، وأنتم فرسان الصبر وأهل النصر ، وما أحب أن أحداً ممن انهزموا معكم الآن (ولو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً) ثم قال : عزمت على كل رجل منكم إلا أخذ عشرة أحجار معه ، ثم امشوا بنا إلى عسكرهم فانهم الآن آمنون ، وقد خرجت خيولهم في طلب إخوانكم ، فوالله إني لأرجو أن لا ترجع خيولهم إلا وقد استبجتم عسكرهم ، وتقاتلوا أميرهم . ففعل الناس ذلك ، فزحف بهم المهلب بن أبي صفرة على مشر الخوارج فقتل منهم خلقاً كثيراً نحواً من سبعة آلاف ، وقتل عبيد الله بن المناجور في جماعة كثيرة من الأزارقة ، واحتاز من أموالهم شيئاً كثيراً ، وقد أرصد المهلب خيولاً بينه وبين الذين يرجعون من طلب المنهزمين ، فجعلوا يقتطمون دون قومهم ، وانهمزم فلمهم إلى كرمان وأرض أصبهان ، وأقام المهلب بالأهواز حتى قدم مصعب بن الزبير إلى البصرة ، وعزل عنها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة كما سيأتي قريباً

قال ابن جرير : وفي هذه السنة وجه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمداً إلى الجزيرة ، وذلك قبل مسيره إلى مصر . قلت : محمد بن مروان هذا هو والد مروان الحمار ، وهو مروان بن محمد بن مروان ، وهو آخر خلفاء بني أمية ، ومن يده استلبت الخلافة المباسيون كما سيأتي .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة عزل ابن الزبير أخاه عبيد الله عن إمرة المدينة وولاهها أخاه مصعباً ، وذلك أن عبيد الله خطب الناس فقال في خطبته : وقد رأيتم ما صنع الله يقوم صالح في ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فلما بلغت أخاه قال : إن هذا هو التكلف ، وعزله . ويسمى عبيد الله مقوم الناقة لذلك ، قال ابن جرير : وفي آخرها عزل ابن الزبير عن الكوفة عبيد الله بن يزيد الخطمي ، وولى عليها عبد الله بن مطيع الذي كان أمير المهاجرين يوم الحرة ، لما خلعوا يزيد .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة كان الطاعون الجارف بالبصرة ، وقال ابن الجوزي في المنتظم : كان في سنة أربع وستين ، وقد قيل إنما كان في سنة تسع وستين ، وهذا هو المشهور الذي ذكره شيخنا الذهبي وغيره ، وكان معظم ذلك بالبصرة ، وكان ذلك في ثلاثة أيام ، فأت في أول يوم من الثلاثة من أهل البصرة سبعون ألفاً ، وفي اليوم الثاني منها إحدى وسبعون ألفاً ، وفي اليوم الثالث منها ثلاثة وسبعون ألفاً ، وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى إلا قليل من آحاد الناس ، حتى ذكر أن

أم الأمير بها ماتت فلم يوجد لها من يحملها ، حتى استأجروا لها أربعة أنثى . وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : حدثنا عبيد الله ثنا أحمد بن عصام حدثني معدي عن رجل يكنى أبا النقيد ، وكان قد أدرك من هذا الطاعون ، قال : كنا نطوف بالقبائل وندفن الموتى ، فلما كثروا لم نقو على الدفن ، فكنا ندخل الدار وقد مات أهلها فنسد بابها عليهم . قال فدخلنا دارا ففتشناها فلم نجد فيها أحداً حياً فسدنا بابها ، فلما مضت الطواعين كنا نطوف فنتفتح تلك السدود عن الأبواب ، ففتحننا سدة الباب الذي كنا فتنسناه . أو قال الدار التي كنا سدناها . وفتشناها فإذا نحن بعلام في وسط الدار طرى دهين ، كأنما أخذ ساعتئذ من حجر أمه ، قال : فبينما نحن وقوف على الغلام تعجب منه إذ دخلت كلبسة من شق في الحائط فجعلت تلوز بالعلام والغلام يحبو إليها حتى مص من لبنها ، قال معدي : وأنا رأيت ذلك الغلام في مسجد البصرة وقد قبض على لحيته .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة بنى عبد الله بن الزبير الكعبة البيت الحرام ، يعني أكل بناءها وأدخل فيها الحجر ، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر .

[قال ابن جرير : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثني عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعائي أبو محمد حدثني زياد بن جبل أنه كان بمكة يوم كان عليها ابن الزبير ، فسمعه يقول : حدثتني أمي أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال لمائشة : « لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فأزيد في الكعبة من الحجر » : قال : فأمر ابن الزبير فحفروا فوجدوا تلالاً أمثال الابل ، فحركوا منها تلمة . أو قال صخرة . فبرقت برققة فقال : أقروها على أساسها ، فبناها ابن الزبير وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر ^(١)]

قلت : هذا الحديث له طرق متعددة عن عائشة في الصحيح والحسان والمسانيد ، وموضوع سياق طرق ذلك في كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى .

وذكر ابن جرير في هذه السنة حر و باجرت بين عبيد الله بن خازم بخراسان ، وبين الحرشي ابن هلال القرظي بطول تفصيلها . قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة مصعب بن الزبير ، وعلى الكوفة عبد الله بن مطيع ، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة الخزومي .

[ومن توفي فيها من الأعيان عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل أبو محمد السهمي كان من خيار الصحابة وعلمائهم وعبادهم ، وكتب عن النبي ﷺ كثيراً ، أسلم قبل أبيه ، ولم يكن أصغر من أبيه إلا باني عشرة سنة ، وكان واسع العلم مجتهداً في العبادة ، عافلاً ، وكان يوماً في القيام مع معاوية ،

وكان سميماً ، وكان يقرأ الكتابين القرآن والتوراة ، وقيل إنه بكى حتى عمى ، وكان يقوم الليل ويصوم يوماً ويفطر يوماً ويصوم يوماً . استنابه معاوية على الكوفة ثم عزله عنها بالمغيرة بن شمسة ، توفي في هذه السنة بمصر . وقتل بمكة عبد الله بن سعد الغزاري ، له صحبة ، نزل دمشق وقيل إنه من سبي فزارة (١)

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين ﴾

ففيها وثب المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب بالكوفة ليأخذوا ثأر الحسين بن علي فيما يزعم ، وأخرج عنها عاملها عبد الله بن مطيع ، وكان سبب ذلك أنه لما رجع أصحاب سليمان بن صرد مقلوبين إلى الكوفة وجدوا المختار بن أبي عبيد مسجوناً فكتب إليهم يعزيهم في سليمان بن صرد ويقول : أنا عوضه وأنا أقتل قتلة الحسين . فكتب إليه رفاعه بن شداد وهو الذي رجع بمن بقي من جيش التوابين نحن على ما تحب ، فشرع المختار يعدمهم ويمسهم وما يعدمهم الشيطان إلا غروراً ، وقال لهم فيما كتب به إليهم خفية : أبشروا فاني لو قد خرجت إليهم جردت فيما بين المشرق والمغرب من أعدائكم السيف فجلبتهم باذن الله ركلاً ، وقتلهم أفراداً وتوأماً ، فرحب الله بمن قارب منهم واهتدى ، ولا يبعد الله إلا من أبي وعصى ، فلما وصلهم الكتاب قرؤوه سرّاً وردوا إليه : إنا كما تحب ، فحقى أحببت أخرجناك من محسبك ، فكره أن يخرجوه من مكانه على وجه القهر لنواب الكوفة ، فتلطف فكتب إلى زوج أخته صفية ، وكانت امرأة صالحة ، وزوجها عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكتب إليه أن يشفع في خروجه عند نائبي الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، فكتب ابن عمر إليهما يشفع عندهما فيه ، فلم يمكنهما رده ، وكان فيما كتب إليهما ابن عمر : قد علمتما ما بيني وبينكما من الود ، وما بيني وبين المختار من القرابة والصهر ، وأنا أقسم عليكم لما خليتما سبيله والسلام .

فاستدعيا به فضمنه جماعة من أصحابه ، واستخلفه عبد الله بن يزيد إن هو بغى المسلمين غائلة فعليه ألف بدنة ينحرها تجاه الكعبة ، وكل مملوك له عبد وأمة حر ، فالتزم لهما بذلك ، ولزم منزله ، وجعل يقول : قاتلها الله ، أما خلفائي بالله ، فاني لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني ، وأتيت الذي هو خير ، وأما إهدائي ألف بدنة فيسير ، وأما عتقي مما لي بكى فوددت أنه قد استتم لي هذا الأمر ولا أملك مملوكاً واحداً ، واجتمعت الشيعة عليه وكثر أصحابه وبايعوه في السر . وكان الذي يأخذ البيعة له ويحرض الناس عليه خمسة ، وهم السائب بن مالك الأشعري ، ويزيد بن أنس ، وأحمد بن شحيط ، ورفاعة بن شداد ، وعبد الله بن شداد الجشمي . ولم يزل أمره يقوى ويشدد ويستفحل ويرتفع ، حتى عزل عبد الله بن الزبير عن الكوفة عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد

ابن طلحة ، وبعث عبد الله بن مطيع نائبا عليها ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة نائبا على البصرة ، فلما دخل عبد الله بن مطيع الحزوي إلى الكوفة في رمضان سنة خمس وستين ، خطب الناس وقال في خطبته : إن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير أمرني أن أسير في فيثكم بسيرة عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان . فقام إليه السائب بن مالك الشيعي فقال : لا نرضى إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا ، ولا نريد سيرة عثمان . وتكلم فيه . ولا سيرة عمر وإن كان لا يريد للناس إلا خيرا ، وصدقه على ما قال بعض أمراء الشيعة فسكت الأمير وقال : إني سأسير فيكم بما يحبون من ذلك ، وجاء صاحب الشرطة وهو ياس بن مضارب البجلي إلى ابن مطيع فقال : إن هذا الذي يرد عليك من رؤس أصحاب المختار ، ولست آمن من المختار ، فابعث إليه فاردده إلى السجن فان عيوني قد أخبروني أن أمره قد استجمع له ، وكأنك به وقد وثب في مصر . فبعث إليه عبد الله بن مطيع زائدة بن قدامة وأميرا آخر معه ، فدخلا على المختار فقالا له : أجب الأمير . فدعا بشيابه وأمر بأسراج دابته ، وتبأ للذهب متهما ، فقرا زائدة بن قدامة (وإذ يمسرك بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك) الآية . فألقى المختار نفسه وأمر بقطيفة أن تلقى عليه ، وأظهر أنه مريض ، وقال : أخبروا الأمير بحالي ، فرجما إلى ابن مطيع فاعتذرا عنه ، فصدقهما وطاعنه ، فلما كان شهر المحرم من هذه السنة عزم المختار على الخروج لطلب الأخذ بئثار الحسين فيما يزعم ، فلما صمم على ذلك اجتمعت عليه الشيعة وثبطوه عن الخروج الآن إلى وقت آخر ، ثم أخذوا طائفة منهم إلى محمد بن الحنفية يسألونه عن أمر المختار وما دعا إليه ، فلما اجتمعوا به كان ملخص ما قال لهم : إنا لا نكره أن ينصرنا الله عن شاء من خلقه ، وقد كان المختار بلغه مخرجهم إلى محمد بن الحنفية ، فكره ذلك وخشى أن يكذبه فيما أخبر به عنه ، فانه لم يكن باذن محمد بن الحنفية ، وهم بالخروج قبل رجوع أولئك ، وجعل يسجع لهم سجعاً من سجع السكمان بذلك ، ثم كان الأمر على ما سجع به ، فلما رجعوا أخبروه بما قال ابن الحنفية ، فعند ذلك قوى أمر الشيعة على الخروج مع المختار بن أبي عبيد وقد روى أبو مخنف أن أمراء الشيعة ظفروا بالمختار : اعلم أن جميع أمراء الكوفة مع عبد الله بن مطيع وهم إلب علينا ، وإنه إن بايعك إبراهيم بن الأشتر النخعي وحده أغنانا عن جميع من سواه . فبعث إليه المختار جماعة يدعونه إلى الدخول معهم في الأخذ بئثار الحسين ، وذكره سابقة أبيه مع علي رضي الله عنه ، فقال : قد أجبتكم إلى ما سألتكم ، على أن أكون أنا ولي أمركم ، فقالوا : إن هذا لا يمكن ، لأن المهدي قد بعث لنا المختار وزيراً له وداعياً إليه ، فسكت عنهم إبراهيم بن الأشتر فرجعوا إلى المختار فأخبروه ، فسكت ثلاثاً ثم خرج في جماعة من رؤس أصحابه إليه ، فدخل على ابن الأشتر فقام إليه واحترمه وأكرمه وجلس إليه ، فدعا إلى الدخول معهم ، وأخرج له كتاباً على اسم ابن الحنفية

يدعوه إلى الدخول مع أصحابه من الشيعة فيما قاموا فيه من نصرة آل بيت النبي ﷺ ، والأخذ
بشارهم . فقال ابن الأشتر : إنه قد جائتني كتب محمد بن الحنفية بغير هذا النظام ، فقال المختار : إن
هذا زمان وهذا زمان ، فقال ابن الأشتر : فمن يشهد أن هذا كتابه ؟ فتقدم جماعة من أصحاب
المختار فشهدوا بذلك ، فقام ابن الأشتر من مجلسه وأجلس المختار فيه وبايعه ، ودعا لهم بفاكهة وشراب
من غسل . قال الشعبي : وكنت حاضرا أنا وأبي أمر إبراهيم بن الأشتر . ذلك المجلس ، فلما انصرف
المختار قال إبراهيم بن الأشتر : يا شعبي ما ترى فيما شهد به هؤلاء ؟ فقلت : إنهم قراء وأمراء ووجوه
الناس : ولا أراهم يشهدون إلا بما يعمون ، قال : وكتمته ما في نفسي من اتهامهم ، ولكني كنت
أحب أن يخرجوا للأخذ بشار الحسين ، وكنت على رأى القوم . ثم جعل إبراهيم يختلف إلى المختار
في منزله هو ومن أطاعه من قومه ، ثم اتفق رأى الشيعة على أن يكون خروجهم ليلة الخميس لأربع عشرة
ليلة خلت من هذه السنة - سنة ست وستين .

وقد بلغ ابن مطيع أمر القوم وما اشتوروا عليه ، فبعث الشرط في كل جانب من جوانب الكوفة
وألزم كل أمير أن يحفظ ناحيته من أن يخرج منها أحد ، فلما كان ليلة الثلاثاء خرج إبراهيم بن الأشتر
قاصداً إلى دار المختار في مائة رجل من قومه ، وعليهم الدروع تحت الاقيصة ، فلقبه إلياس بن
مضارب فقال له : أين تريد يا ابن الأشتر في هذه الساعة ؟ إن أمرك لمريب ، فوالله لا أدعك حتى
أحضرك إلى الأمير فيرى فيك رأيه ، فتناول ابن الأشتر رجلاً من يده رجل قطعته في ثقرة نحره
فسقط ، وأمر رجلاً فاحتز رأسه ، وذهب به إلى المختار فألقاه بين يديه ، فقال له المختار : بشرك الله
بخير ، فهنا طائر صالح . ثم طلب إبراهيم من المختار أن يخرج في هذه الليلة ، فأمر المختار بالنار أن
ترفع وأن ينادى شعار أصحابه : يا منصور أمت ، يا ثارات الحسين . ثم نهض المختار فجعل يلبس درعه
وسلاحه وهو يقول :

قد علمت بيضاء حسناء الطلل * واضحة الخدين عجزاء الكف * أنى غداة الروع مقدم بطل
وخارج بين يديه إبراهيم بن الأشتر فجعل يتعصد الأمراء الموكلين بنواحي البلد فيطردهم عن أماكنهم
واحدًا واحدًا . وينادى بشعار المختار ، وبعث المختار أبا عثمان النهدي فنادى بشعار المختار ، يا ثارات
الحسين . فاجتمع الناس إليه من ههنا وههنا ، وجاء شيث بن ربيعة فاقتتل هو والمختار عند داره
وحصره حتى جاء ابن الأشتر فطرده عنه ، فرجع شيث إلى ابن مطيع وأشار عليه بأن يجمع الأمراء
إليه ، وأن ينهض بنفسه ، فان أمر المختار قد قوى واستفحل ، وجاءت الشيعة من كل فج عميق إلى
المختار ، فاجتمع إليه في أثناء الليل قريب من أربعة آلاف ، فأصبح وقد عبي جيشه وصلى بهم
الصبح ، فقرأ فيها (والنازعات غرقا) (وعبس ونولى) في الثانية قال بعض من سمعه : فما سمعت إماما

أفصح لهجة منه ، وقد جهز ابن مطيع بجيشه ثلاثة آلاف عليهم شعث بن ربيعة ، وأربعة آلاف أخرى مع راشد بن إلياس بن مضارب ، فوجه المختار ابن الأشر في ستائة فارس وستائة راجل إلى راشد بن إلياس ، وبعث نعيم بن هبيرة في ثلاثمائة فارس وستائة راجل إلى شعث بن ربيعة ، فأما ابن الأشر فإنه هزم قرنه راشد بن إلياس وقتله وأرسل إلى المختار يبشره ، وأما نعيم بن هبيرة فإنه لقي شعث بن ربيعة فهزمه شعث وقتله وجاء فأحاط بالمختار وحصره . وأقبل إبراهيم بن الأشر نحوه فاعترض له حسان بن قائد بن العباسي في نحو من ألفي فارس من جهة ابن مطيع ، فاقتتلوا ساعة . فهزمه إبراهيم ، ثم أقبل نحوه المختار فوجد شعث بن ربيعة قد حصر المختار وجيشه ، فما زال حتى طردهم ففكروا راجعين ، وخلص إبراهيم إلى المختار ، وارتحوا من مكانهم ذلك إلى غير ذي ظاهر الكوفة ، فقال له إبراهيم بن الأشر اعمد بنا إلى قصر الامارة فليس دونه أحد يرد عنه ، فوضعوها معهم من الأتقال ، وأجلسوا هنالك ضعفة المشايخ والرجال ، واستخلف على من هنالك أبا عثمان النهدي ، وبعث بين يديه ابن الأشر ، وعبأ المختار جيشه كما كان ، وسار نحو القصر ، فبعث ابن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل ، فبعث إليه المختار يزيد بن أنس وسار هو وابن الأشر أمامه حتى دخل الكوفة من باب الكناسية ، وأرسل ابن مطيع شمر بن ذي الجوشن الذي قتل الحسين في الفين آخرين ، فبعث إليه المختار سعد بن منقذ الحمداني ، وسار المختار حتى انتهى إلى سكة شعث . وإذا نوفل بن مساحق ابن عبد الله بن محمرة في خمسة آلاف وخرج ابن مطيع من القصر في الناس ، واستخلف عليه شعث بن ربيعة ، فتقدم ابن الأشر إلى الجيش الذي مع ابن مساحق ، فكان بينهم قتال شديد ، ثم قتل فيه رفاعه بن شداد أمير جيش التوابين الذين قدم بهم ، وعبد الله بن سعد وجهاعة غيرهم ، ثم انتصر عليهم ابن الأشر فهزمهم ، وأخذ بلجام دابة ابن مساحق فت إلى بالقرابة ، فأطلقه ، وكان لا ينسأها بعد لابن الأشر . ثم تقدم المختار بجيشه إلى الكناسية وحصروا ابن مطيع بقصره ثلاثاً ، ودمعه أشرف الناس سوى عمرو بن حريث فإنه لم يزد دابة ، فلما ضلح الحال على ابن مطيع وأصحابه استشارهم فأشار عليه شعث بن ربيعة أن يأخذ له ولهم من المختار أماناً ، فقال : ما كنت لأفعل هذا وأمر المؤمنين مطاع بالحجاز وبالبصرة ، فقال له : فإن رأيت أن تذهب بنفسك مخفياً حتى تلتحق بصاحبك فتخبره بما كان من الأمر وما كان منافي نصره وإقامة دولته . فلما كان الليل خرج ابن مطيع مخفياً حتى دخل دار أبي موسى الأشعري ، فلما أصبح الناس أخذ الأتراء إليهم أماناً من ابن الأشر فأتهم ، ونفروا من القصر وجاءوا إلى المختار فبايعوه ، ثم دخل المختار إلى القصر فبات فيه ، وأصبح أشرف الناس في المسجد وعلى باب القصر ، فخرج المختار إلى المسجد فصعد المنبر وخطب الناس خطبة بليغة ثم دعا الناس إلى البيعة وقال : فوالذي جعل السماء سقفاً مكشوفاً والأرض فجاًجاً

سبلا ، ما بايعتم بعد بيعة عليٍّ أهدى منها . ثم نزل فدخل الساس يبائعونه على كتاب الله وسنة رسوله ، والطلب بشأ أهل البيت وجاء رجل إلى المختار فأخبره أن ابن مطيع في دار أبي موسى ، فأراه أنه لا يسمع قوله ، فمكر ذلك ثلاثا فسكت الرجل ، فلما كان الليل بعث المختار إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم . وقال له : اذهب فقد أخذت مكانك - وكان له حسيديقاً قبل ذلك - فذهب ابن مطيع إلى البصرة وكره أن يرجع إلى ابن الزبير وهو مغلوب ، وشرع المختار يتعجب إلى الناس بحسن السيرة ، ووجد في بيت المال تسعة آلاف ألف ، فأعطى الجيش الذين حضروا معه القتال نفقات كثيرة : واستعمل على شرطته عبد الله بن كادل اليشكري ، وقرب أشرف الناس فكانوا جلساءه ، فشق ذلك على الموالي الذين قاموا بنصره ، وقالوا : لأبي عمرة كيسان مولى غزينة - وكان على حرسه - قدم والله أبو إسحاق العرب وتركنا ، فأنهى ذلك أبو عمرة إليه ، فقال : بل هم مني وأنا منهم ، ثم قال (إنا من المجرمين منتقمون) فقال لهم أبو عمرة : أبشروا فإنه سيدنيكم ويقربكم . فأعجبهم ذلك وسكتوا .

ثم إن المختار بعث الأمراء إلى النواحي والبلدان والرسائيق ، من أرض المراق وخراسان ، وعقد الألوية والرايات ، وقرر الامارة والولايات ، وجعل يجلس للناس غدوة وعشية يحكم بينهم ، فلما طال ذلك عليه استنقى شريحا فتكلم في شريح طائفة من الشيعة ، وقالوا : إنه شهد حجر بن عدي ، وإنه لم يبلغ عن حنفي بن عروة كما أرسل به ، وقد كان علي بن أبي طالب عزله عن القضاء . فلما بلغ شريحا ذلك تمارض ولزم بيته ، فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم عزله وجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضيا .

فصل

ثم شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضع فيقتله ، وكان سبب ذلك أن عبيد الله ابن زياد كان قد جهزه مروان من دمشق ليدخل الكوفة ، فان ظفر بها فليحبها ثلاثة أيام ، فسار ابن زياد قاصدا الكوفة ، فلقى جيش التوابين فكان من أمرهم ما تقدم . ثم سار من عين وردة حتى انتهى إلى الجزيرة فوجد بها قيس غيلان ، وهم من أنصار ابن الزبير ، وقد كان مروان أصاب منهم قتلى كثيرة يوم مرج راخط ، فهم إلب عليه ، وعلى ابنه عبد الملك من بعده ، فتعوق عن المسير سنة وهو في حرب قيس غيلان بالجزيرة ، ثم وصل إلى الموصل فأنحازنا بها عنه إلى تكريت ، وكتب إلى المختار يعلمه بذلك فسحب المختار يزيد بن أنس في ثلاثة آلاف اختارها ، وقال له : إني سأمدك بالرجال بعد الرجال . فقال له : لا تمدني إلا بالدعاء . وخرج معه المختار إلى ظاهر الكوفة فودعه ودعاه

وقال له : ليكن خبرك في كل يوم عندي ، وإذا لقيت عدوك فناجرك فناجزه ، ولا تؤخر فرصة . ولما بلغ نحر جهنم ابن زياد جهز بين يديه سريتين إحداهما مع ربيعة بن مخارق ثلاثة آلاف ، والأخرى مع عبد الله بن حملة ثلاثة آلاف ، وقال : أيكم سبق فهو الأمير ، وإن سبقتما معا فالأمير عليكم أسنكا . فسبق ربيعة بن مخارق إلى يزيد بن أنس فالتقيا في طرف أرض الموصل مما يلي الكوفة ، فتواقفا هنالك ، ويزيد بن أنس مريض مدنف ، وهو مع ذلك يحرض قومه على الجهاد ويدور على الأرباع وهو محمول مضنى وقال للناس : إن هلكت فالأمير على الناس عبد الله بن ضمرة الفزارى ، وهو رأس الميمنة ، وإن هلك فسعر بن أبي دسر رأس اليسرة ، وكان ورقاء بن خالد الاسدي على الخيل . وهو وهؤلاء الثلاثة أمراء الأرباع ، وكان ذلك في يوم عرفة من سنة ست وستين عند إضاءة الصبح ، فاقتتلوا هم والشاميون قتالا شديداً ، واضطربت كل من الميمنتين واليسرتين ، ثم حل ورقاء على الخيل فهزمها وفر الشاميون وقتل أميرهم ربيعة بن مخارق ، واحتار جيش المختار ما في مسكر الشاميين ، ورجع فرارهم فلقوا الأمير الآخر عبد الله بن حملة ، فقال : ما خبركم ؟ فأخبروه فرجع بهم وسار بهم نحو يزيد بن أنس فالتقى إليهم عشاء ، فبات الناس متعاجزين ، فلما أصبحوا تواقفوا على تعبئتهم ، وذلك يوم الأضحى من سنة ست وستين ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فهزم جيش المختار جيش الشاميين أيضاً ، وقتلوا أميرهم عبد الله بن حملة واستولوا على ما في مسكرهم ، وأسروا منهم ثلاثمائة أسير ، فجاؤا بهم إلى يزيد بن أنس وهو على آخر رمق ، فأمر بضرب أعناقهم

ومات يزيد بن أنس من يومه ذلك وصلى عليه خليفته ورقاء بن عامر ودفنه ، وسقط في أيدي أصحابه وجعلوا يتسللون راجعين إلى الكوفة ، فقال لهم ورقاء يا قوم ماذا ترون ؟ إنه قد بلغني أن ابن زياد قد أقبل في ثمانين ألفاً من الشام ، ولا أرى لكم بهم طاقة ، وقد هلك أميرنا ، وتفرق عنا طائفة من الجيش من أصحابنا فلو انصرفنا راجعين إلى بلادنا ونظهر أنا إنعنا انصرفنا حزنا منا على أميرنا اسكان خيراً لنا من أن نلقاهم فهزمونا ونرجع مغلوبين ، فاتفق رأي الأمراء على ذلك ، فرجعوا إلى الكوفة . فلما بلغ خبرهم أهل الكوفة ، وأن يزيد بن أنس قد هلك ، أرجف أهل الكوفة بالمختار وقالوا قتل يزيد بن أنس في المعركة وانهمز جيشه ، وعما قليل يقدم عليكم ابن زياد فيستأصلكم ويشطف خضراكم ، ثم تمالؤا على الخروج على المختار وقالوا : هو كذاب ، وانفقوا على حربه وقتلوه وإخراجه من بين أظهرهم ، واعتقدوا أنه كذاب ، وقالوا : قد قدم موالينا على أشرفنا ، وزعم أن ابن الحنفية قد أمره بالأخذ بثأر الحسين وهو لم يأمره بشئ ، وإنما هو منقول عليه . وانتظروا بخبر وجههم عليه أن يخرج من الكوفة إبراهيم بن الأشتر فإنه قد عينه المختار أن يخرج في سبعة آلاف للقضاء ابن زياد ، فلما خرج ابن الأشتر اجتمع أشراف الناس من كان في جيش قتلة الحسين وغيرهم

في دار شبت بن ربي وأجمعوا أمرهم على قتال المختار ، ثم وثبوا فركبت كل قبيلة مع أميرها في ناحية من نواحي الكوفة ، وقصدوا قصر الامارة ، وبعث المختار عمرو بن ثوبة يريد إلى إبراهيم بن الأشتر ليرجع إليه سريعا وبعث المختار إلى أولئك يقول لهم : ماذا تنعمون ؟ فاني أجيبكم إلى جميع ما تطلبون ، وإنما يريد أن يثبطهم عن مناهضته حتى يقدم إبراهيم بن الأشتر ، وقال : إن كنتم لا تصدقونني في أمر محمد بن الحنفية فابعثوا من جهنكم وأبعث من جهتي من يسأله عن ذلك ، ولم يزل يطاؤهم حتى قدم ابن الأشتر بعد ثلاث ، فانقسم هو والناس فرقتين ، فتكفل المختار بأهل اليمن ، وتكفل ابن الأشتر بمصر وعليهم شبت بن ربي ، وكان ذلك بشارة المختار ، حتى لا يتولى ابن الأشتر بقتال قومه من أهل اليمن فيعضو عليهم وكان المختار شديدا عليهم .

ثم اقتتل الناس في نواحي الكوفة قتالا عظيما وكثرت القتل بينهم من الفريقين ، وجرت فصول وأحوال حربية يطول استقصاؤها ، وقتل جماعة من الأشراف ، منهم عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الكندي ، وسبعمائة وثمانين رجلا من قومه ، وقتل من مصر بضعة عشر رجلا ، ويعرف هذا اليوم بجبانة السبيع ، وكان ذلك يوم الأربعاء است بقين من ذي الحجة سنة ست وستين ، ثم كانت النصر للمختار عليهم ، وأسر منهم خمسمائة أسير ، فعرضوا عليه فقال : انظروا من كان منهم شهد مقتل الحسين فاقتلوه ، فقتل منهم مائتان وأربعون رجلا ، وقتل أصحابه منهم من كان يؤذيهم ويسئ إليهم بغير أمر المختار ، ثم أطلق الباقين ، وهرب عمرو بن الحجاج الزبيدي ، وكان ممن شهد قتل الحسين فلا يدري أين ذهب من الأرض .

﴿ ذكر مقتل شمر بن ذي الجوشن . أمير السرية التي قتلت حسيناً ﴾

وهرب أشراف الكوفة إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير ، وكان ممن هرب لقصد شمر بن ذي الجوشن قبحة الله ، فبعث المختار في أثره غلاما له يقال له زرنب ، فلما دنا منه قال شمر لأصحابه : تقدموا وذرروني وراءكم بصفتي أنكم قد هربتم وتركتموني حتى يطعم في هذا العليج ، فساقوا وتأخر شمر فأدركه زرنب فعطف عليه شمر فدفق ظهره فقتله ، وسار شمر وتركه ، وكتب كتابا إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة ينذره بقدومه عليه ، ووفادته إليه ، وكان كل من فر من هذه الواقعة يهرب إلى مصعب بالبصرة ، وبعث شمر الكتاب مع عليج من علوج قرية قد نزل عندها يقال لها الكلبانية عند نهر إلى جانب تل هناك ، فذهب ذلك العليج فلقية عليج آخر فقال له : إلى أين تذهب ؟ قال : إلى مصعب . قال : ممن ؟ قال : من شمر ، فقال : اذهب معي إلى سيدي ، وإذا سيده أبو عمرة أمير حرس المختار ، وهو قد ركب في طلب شمر ، فدلّه العليج على مكانه فقصد أبو عمرة ، وقد أشار أصحاب شمر عليه أن يتحول من مكانه ذلك ، فقال لهم : هذا كله فرق من الكتاب ، والله لا أرتحل من ههنا

إلى ثلاثة أيام حتى أملاً قلوبهم رعباً فلما كان الليل كلبهم أبو عجرة في الخيل فأعجلهم أن يركبوا أو يلبسوا أسلحتهم ، ونار إليهم شمر بن ذى الجوشن فطاعهم برحمة وهو عريان ثم دخل خيمته فاستخرج منها سيفاً وهو يقول : -

نبتهم ليث عرين باسلاً * جهماً محياه يدق الكاهلاً
لم يريوما عن عدو ناكلاً * إلا أكرّ مقاتلاً أو قاتلاً
﴿ بزعمهم ضرباً و بروي العاملاً ﴾

ثم ما زال يناضل عن نفسه حتى قتل ، فلما سمع أصحابه وهم منهزمون صوت التكبير وقول أصحاب المختار الله أكبر قتل الخبيث عرفوا أنه قد قتل قبيحه الله

قال أبو مخنف عن يونس بن أبي إسحاق قال : ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل إلى القصر - يعنى منصوره من القتال - ناداه سراق بن مرداس بأعلا صوته وكان فى الأسرى

أمن على اليوم يا خير معد * وخير من حل بشجر والجند * وخير من لى وصام وسجد

قال : فبعث إلى السجن فاعتقله ليلة ثم أطلقه من الفد ، فأقبل إلى المختار وهو يقول

ألا أخبر أبا إسحاق أنا * نزلونا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً * وكان خروجنا بطراً وشيئاً
نراهم فى مصافهم قايلاً * وهم مثل الربا حين التقينا
برزنا إذ رأيناهم فلما * رأينا القوم قد برزوا إلينا
رأينا منهم ضرباً وطحناً * وطعنناً صائناً حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم * بكل كثيبة تنهى حسينا
كنصر محمد فى يوم بدر * ويوم الشعب إذ لاقى حنينا
فأسجج إذ ملكك فلو ملكنا * لجرنا فى الحكومة واعتدينا
تقبل توبة منى فانى * سأسكر إذ جعلت العفو ديناً

وجعل سراق بن مرداس يحلف أنه رأى الملائكة على الخيول البلق بين السماء والأرض ، وأنه لم يأسره إلا واحد من أولئك الملائكة ، فأمره المختار أن يصعد المنبر فيخبر الناس بذلك . فصعد

المنبر فأخبر الناس بذلك ، فلما نزل خلا به المختار فقال له : إني قد عرفت أنك لم تر الملائكة : وإنما أردت بقولك هذا أنى لا أقتلك ، ولست أقتلك فأذهب حيث شئت لئلا تفسد على أصحابي ، فذهب

سراق إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير وجعل يقول : -

ألا أخبر أبا إسحاق أنى * رأيت البلق دهما مصمتات

كفرت بوحيمكم وجعلت نذراً * على قتالكم حتى الممات
رأيت عيني ما لم تبصراه * كلاًنا عالم بالترهات
إذا قالوا : أقول لهم كذبتم * وإن خرجوا لبست لهم أداق

قالوا : ثم خطب المختار أصحابه فخرضهم في خطبته تلك على من قتل الحسين من أهل الكوفة المقيمين بها ، فقالوا : ما ذنبنا نترك أقواماً قتلوا حسيناً يمشون في الدنيا أحياء آمنين ، بئس ناصر آل محمد إني إذا كذاب كما سمعتموني أتم ، فاني بالله أستعين عليهم ، فالحمد لله الذي جعلني سيفاً أضر بهم ، وروحاً أطعمهم ، وطالب وترهم ، وقائماً بحقوقهم ، وإنه كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم ، وأن يذل من جعل حقهم ، فسموهم ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم ، فانه لا يسيع لي الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم ، وأنفي من في المصر منهم . ثم جعل يقتبع من في الكوفة - وكانوا يأتون بهم حتى يوقفوا بين يديه فيأمر بقتلهم على أنواع من القتلات مما يناسب ما فعلوا - ، ومنهم من حرقه بالنار ، ومنهم من قطع أطرافه وتركه حتى مات ، ومنهم من يرمى بالنبال حتى يموت ، [فأتوه بمالك ابن بشر فقال له المختار : أنت الذي نزعنا برنس الحسين عنه ؟ فقال : خرجنا ونحن كارهون فأمين علينا ، فقال : اقطعوا يديه ورجليه . ففعلوا به ذلك ثم تركوه يضطرب حتى مات ، وقتل عبدالله بن أسيد الجهمي وغيره شر قتلة ^(١)]

﴿ مقتل خولى بن يزيد الأصبحي الذي احتز رأس الحسين رضي الله عنه ﴾

بعث إليه المختار أبا عمرة صاحب حرسه ، فكبس بيته فخرجت إليهم امرأته فسألوها عنه فقالت : لا أدري أين هو ، وأشارت بيدها إلى المكان الذي هو مختبئ فيه ، وكانت تبغضه من ليلة قدم برأس الحسين معه إليها ، وكانت تلومه على ذلك - واسمها العبوق بنت مالك بن نهار بن عقرب الحضرمي ، فدخلوا عليه فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة فحملوه إلى المختار فأمر بقتله قريباً من داره ، وأن يحرق بعد ذلك . وبعث المختار إلى حكيم بن فضيل السنبسي - وكان قد سلب العباس بن علي بن أبي طالب يوم قتل الحسين - فأخذ فذهب أهله إلى عدى بن حاتم ، فركب ليشفع فيه عند المختار ، فحشي أولئك الذين أخذوه أن يسبقهم عدى إلى المختار فيشفعه فيه ، فقتلوا حكيماً قبل أن يصل إلى المختار ، فدخل عدى فشفع فيه فشفعه فيه . فلما رجعوا وقد قتلوا شتمهم عدى وقام متغضباً عليهم وقد تقلد نمة المختار . وبعث المختار إلى يزيد بن ورقاء وكان قد قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل ، فلما أحاط الطلب بداره خرج فقاتلهم فرموه بالنبل والحجارة حتى سقط ، ثم حرقوه وبه رمق الحياة ، وطلب المختار سنان بن أنس ، الذي كان يدعى أنه قتل الحسين ، فوجدوه قد هرب إلى البصرة أو الجزيرة ^(١) سقط من المصرية .

فهدمت داره ، وكان محمد بن الأشعث بن قيس ممن هرب إلى مصعب فأمر المختار بهدم داره وإن يبنى بها دار حجر بن عدى التي كان زياد هدمها .

(مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص وهو أمير الجيش الذين قتلوا الحسين)

[قال الواقدي : كان سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه جالساً ذات يوم إذ جاء غلام له ودمه يسيل على عقيقه ، فقال له سعد : من فعل بك هذا ؟ فقال : ابنك عمر ، فقال سعد : اللهم اقتله وأسل دمه . وكان سعد مستجاب الدعوة ، فلما خرج المختار على الكوفة استجار عمر بن سعد بعبد الله بن جعدة بن هيرة ، وكان صديقاً للمختار من قرابته من علي ، فأتى المختار فأخذ منه لعمر بن سعد أماناً مضمونه أنه آمن على نفسه وأهله وماله ما أطاع ولزم رحله ومصره ، ما لم يحدث حدثاً . وأراد المختار ما لم يأت الخلاء فيبول أو يغوط . ولما بلغ عمر بن سعد أن المختار يريد قتله خرج من منزله ليلاً يريد السفر نحو مصعب أو عبيد الله بن زياد ، فسمى للمختار بمض هواليه ذلك ، فقال المختار : وأى حدث أعظم من هذا ؟ وقيل إن مولاه قال له ذلك ، وقال له : تخرج من منزلك ورحلك ؟ ارجع ، فرجع . ولما أصبح يمشى إلى المختار يقول له : هل أنت مقيم على أمانك ؟ وقيل إنه أتى المختار يتعرف منه ذلك فقال له المختار : اجلس ، وقيل إنه أرسل عبد الله بن جعدة إلى المختار يقول له : هل أنت مقيم على أمانك له ؟ فقال له المختار : اجلس ، فلما جلس قال المختار لصاحب حرسه : اذهب فأنتى برأسه فذهب إليه فقتله وأناه برأسه] (١)

وفي رواية أن المختار قال ليلة : لأقتلن غدا رجلاً عظيم القدمين غائر العينين ، مشرف الحاجبين يسر بقتله المؤمنون والملائكة المقربون ، وكان الهيثم بن الأسود حاضراً فوقع في نفسه أنه أراد عمر بن سعد فبعث إليه ابنه العرثان فأنذره ، فقال : كيف يكون هذا بعد ما أعطاني من العهود والمواثيق ؟ وكان المختار حين قدم الكوفة أحسن السيرة إلى أهلها أولاً وكتب لعمر بن سعد كتاب أمان إلا أن يحدث حدثاً

قال أبو مخنف : وكان أبو جعفر الباقر يقول : إنما أراد المختار إلا أن يدخل الكنيف فيحدث فيه ، ثم إن عمر بن سعد قلق أيضاً ، ثم جعل ينتقل من محلة إلى محلة ثم صار أمره أنه رجع إلى داره . وقد بلغ المختار انتقاله من موضع إلى موضع فقال : كلا والله إن في عنقه ساسنة تردده لوجهه ، إن يطير لا أدركه دم الحسين فأخذ برجله . ثم أرسل إليه أبا عمرة فأراد الفرار منه فعثر في جيبه ، ففضربه أبو عمرة بالسيف حتى قتله ، وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار ، فقال المختار ، لا بد

(١) سقط من المصرية .

حفص - وكان جالسا عند المختار - فقال : أتعرف هذا الرأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ولا خير في العيش بعده ، فقال : صدقت ، ثم أمر فضربت عنقه ووضع رأسه مع رأس أبيه ، ثم قال المختار : هذا بالحسين وهذا بعلي بن الحسين الأكبر ، ولا سواء ، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قریش ماوفوا أمانة من أمانه . ثم بعث المختار برأسيهما إلى محمد بن الحنفية ، وكتب إليه كتابا في ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد ، سلام عليك أيها المهدي فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فان الله بعثني تقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد ، فالحمد لله الذي قتل قاتلكم ، ونصر مؤازركم ، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه وقد قتلنا من اشتراك في دم الحسين وأهل بيته كل من قدرنا عليه ، وإن يعجز الله من بقي ، ولست تمنحهم عنهم حتى يبلغني أنه لم يبق على وجه الأرض منهم أحد ، فاكتب إلى أيها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه ، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته . ولم يذكر ابن جرير أن محمد بن الحنفية رد جوابه ، مع أن ابن جرير قد تضمن هذا الفصل وأطال شرحه ، ويظهر من غبون كلامه قوة وجدده وغرامه ، ولهذا توسع في إيراد روايات أبي مخنف لوط بن يحيى ، وهو متهم فيما يرويه ، ولا سيما في باب التشيع ، وهذا المقام للشيعنة فيه غرام وأي غرام ، إذ فيه الأخذ بثأر الحسين وأهله من قتلهم ، والانتقام منهم : ولا شك أن قتل قتلته كان متحما ، والمبادرة إليه كان مقما ، ولكن إنما قدره الله على يد المختار الكذاب الذي صار بدعواه إتيان الوحي إليه كافرا ، وقد قال رسول الله ﷺ « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . وقال تعالى في كتابه الذي هو أفضل ما يكتبه الكتاتيون (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) وقال بعض الشعراء : -

وما من يد إلا يد الله فوقها * ولا ظالم إلا سبيلى بظالم

وسياتى في ترجمة المختار ما يدل على كذبه وافتراءه ، وادعائه نصرة أهل البيت ، وهو في نفس الأمر متستر بذلك ليجمع عليه رعا من الشيعة الذين بالكوفة ، ليقم لهم دولة ويصل بهم ويجول على مخالفته صولة .

ثم إن الله تعالى سلط عليه من انتقم منه ، وهذا هو الكذاب الذي قال فيه الرسول في حديث أسماء بنت الصديق : « إنه سيكون في تقيف كذاب ومبير » . فهذا هو الكذاب وهو يظهر التشيع وأما المبير فهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقد ولي الكوفة من جهة عبد الملك بن مروان كما سياتى ، وكان الحجاج عكس هذا ، كان ناصبيا جلدأ ظالما غاشما ، ولكن لم يكن في طبقة هذا ، متهم على دين الاسلام ودعوة النبوة ، وأنه يأتيه الوحي من العلى العلام .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة بعث المختار المثني بن مخزومة العبدي إلى البصرة يدعو إليه من

استطاع من أهلها ، فدخلها وابتنى بها مسجداً يجتمع فيه إليه قومه ، فجعل يدعو إلى المختار ، ثم أتى مدينة الوراق فمسكروا عندها فبعث إليه الحارث بن عبد الله بن ربيعة القبايع - وهو أمير البصرة قبل أن يعزل بمصعب - جيشاً مع عباد بن الحصين أمير الشرطة ، وقيس بن الهيثم . فقاتلوه وأخذوا منه المدينة وانهمزم أصحابه ، وكان قد قام بنصرتهم بنو عبد القيس . فبعث إليهم الجيش فبعثوا إليه فأرسل الأحنف بن قيس وعمرو بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا بين الناس ، وساعدهما مالك بن مسمع ، فالتحقز الناس بعضهم عن بعض ، ورجع إلى المختار في نفر يسير مغلولاً مغلوباً مسلوباً ، وأخبر المختار بما وقع من الصالح على يدى الأحنف وغيره من أولئك الأمراء ، وطمع المختار فيهم وكاتبهم في أن يدخلوا معه فيما هو فيه من الأمر ، وكان كتابه إلى الأحنف بن قيس : من المختار إلى الأحنف بن قيس ومن قبله من الأمراء : أفسلم أنتم أما بعد فويل لبني ربيعة من مضر ، وأن الأحنف يورد قومه سقر ، حيث لا يستطيع لهم صدر ، وإني لا أملك لكم ما قد خط في القدر ، وقد بلغني أنكم سمعتموني الكذاب ، وقد كذب الأنبياء من قبلي ولست بخير منهم .

وقال ابن جرير : حدثني أبو السائب سلم بن جنادة ثنا الحسن بن حماد عن حماد بن علي عن مجاهد عن الشعبي . قال : دخلت البصرة فقدمت إلى حلقة فيها الأحنف بن قيس ، فقال لبعض القوم : ممن أنت ؟ فقلت : رجل من أهل السكوفة ، فقال : أنتم موال لنا ، قلت : وكيف ؟ قال : أتقنناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار ، قلت : أتدرى ما قال شيخ من همدان فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف : وما قال ؟ قلت : قال : -

أنفرتم أن قتلتم أعبيدا * وهزمتهم مرة آل عدل
فاذا فخرتمونا فاذكروا * ما فعلنا بكم يوم الجمل
بين شيخ خاضب عشونه * وفقى البيضاء وضاحا دقل
جاء يهْدج في سابغة * فذبجناه ضحى ذبح الجمل
وعفونا فنسيتم عفونا * وكفرتكم نعمة الله الأجل
وقتلتم بحسين منهم * بدلا من قومكم شر بدل

قال : فغضب الأحنف وقال : يا غلام هات الصحيفة ، فأتى بصحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ، أما بعد فويل لبني ربيعة من مضر فإن الأحنف يورد قومه سقر حيث لا يقدر على الصدر ، وقد بلغني أنكم تكذبوني ، فإن كذبت فقد كذبت رسل من قبلي ، ولست بخير منهم ، ثم قال الأحنف : هذا منا أو منكم .

فصل

ولما علم المختار أن ابن الزبير لا ينام عنهم ، وأن جيش الشام من قبل عبد الملك مع ابن زياد يقصدونه في جمع كثير لا يرام ، شرع يصانع ابن الزبير ويعمل على خداعه والمكر به ، فكتب إليه : إني كنت بأيمتك على السمع والطاعة والنصح لك ، فلما رأيتك قد أعرضت عني تباعدت عنك ، فان كنت على ما أعهد منك فأنا على السمع والطاعة لك ، والمختار يخفي هذا كل الاخفاء عن الشيعة ، فاذا ذكر له أحد شيئاً من ذلك أظهر لهم أنه أبعد الناس من ذلك ، فلما وصل كتابه إلى ابن الزبير أراد أن يعلم أصادق أم كاذب ، فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الخزرجي ، فقال له : تجهز إلى الكوفة فقد وليتكم ، فقال : وكيف وبها المختار ؟ فقال : يزعم أنه سامع لنا مطيع ، وأعطاه قريبا من أربعين ألفا يتجهز بها ، فسار فلما كان ببعض الطريق لقيه زائدة بن قدامة من جهة المختار في خمسمائة فارس ملبسة ، ومعه سبعون ألفا من المال ، وقد تقدم إليه المختار فقال : أعطه المال فان هو انصرف والافأره الرجال فقاتله حتى ينصرف ، فلما رأى عمر بن عبد الرحمن الجند قبض المال وسار إلى البصرة فاجتمع هو وابن مطيع بها عند أميرها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وذلك قبل ونوب المثنى بن مخزومة كما تقدم ، وقبل وصول مصعب بن الزبير إليها .

وبعث عبد الملك بن مروان بن عمه عبد الملك بن الحارث بن الحكم في جيش إلى وادي القرى ليأخذوا المدينة من نواب ابن الزبير ، وكتب المختار إلى ابن الزبير إن أحببت أن أمدك بمدد ، وإنما يريد خديعته ومكايده ، فكتب إليه ابن الزبير : إن كنت على طاعتي فلست أكره ذلك فابعث بجند إلى وادي القرى ليكونوا مددا لنا على قتال الشاميين . فجهز المختار ثلاثة آلاف عليهم شرحبيل بن ورس الهمداني ، ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة ، وقال له : سر حتى تدخل المدينة ، فاذا دخلت فاكتب إلي حتى يأتيك أمرى ، وإنما يريد أخذ المدينة من ابن الزبير ، ثم يركب بعد ذلك إلى مكة ليحاصر ابن الزبير بها ، وخشى ابن الزبير أن يكون المختار بعث ذلك الجيش مكرافبعث العباس ابن سهل بن سعد الساعدي في ألفين ، وأمره أن يستعين بالأعراب وقال لهم : إن رأيتموهم في طاعتي وإلا فكأيدوهم حتى يهلكهم الله . فأقبل العباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقيم ، وقد بقي ابن ورس في جيشه ، فاجتمعوا على ماء هنالك ، فقال له العباس : ألتسم في طاعة ابن الزبير ؟ فقال : بلى ، قال : فانه قد أمرني أن نذهب إلى وادي القرى فنقاتل من به من الشاميين . فقال له ابن ورس : فاني لم أؤمر بطاعتك ، وإنما أمرني أن أدخل المدينة ثم أكتب إلى صاحبي فانه يأمرني بأمره ، ففهم عباس مفراذ ولم يظهر له أنه فطن لذلك ، فقال له : رأيك أفضل ، فاعمل ما بدالك . ثم نهض

العباس من عنده وبعث إليهم الجزر والغنم والدقيق ، وقد كان عندهم حاجة شديدة إلى ذلك ، وجوع كثير ، فجاءوا يذبحون ويطبخون ويختبزون ويأكلون على ذلك الماء ، فلما كان الليل بينهم عباس بن سهل فقتل أميرهم وطائفة منهم نحواً من سبعين ، وأسر منهم خلقاً كثيراً فقتل أكثرهم ، ورجع القليل منهم إلى المختار وإلى بلادهم خائبين

قال أبو مخنف : فحدثني يوسف أن عباس بن سهل انتهى إليهم وهو يقول : -

أنا ابن سهل فارس غير وكل * أروع مقدام إذا الكباش نكل

وأعتلى رأس الطرماسح البطل * بالسيف يوم الروع حتى ينجدل

فلما بلغ خبرهم المختار قام في أصحابه خطيباً فقال : إن الفجار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار ، ألا إنه كان أمراً مأتياً ، وقضاء مقضياً . ثم كتب إلى محمد بن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي كتاباً يذكر فيه أنه بعث إلى المدينة جيشاً لنصرته فغدر بهم جيش ابن الزبير ، فان رأيت أن أبعث جيشاً آخر إلى المدينة وتبعث من قبلك رسلاً إليهم فافعل ، فكتب إليه ابن الحنفية : أما بعد فان أحب الأمور كلها إلى ما أطيع الله فيه ، فاطع الله فيما أسرت وأعلنت ، واعلم أني لو أردت القتال لوجدت الناس إلى سراع ، والأعوان لي كثيرة ، ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين . وقال لصالح بن مسعود : قل للمختار فليثق الله وليكف عن الدماء . فلما انتهى إليه كتاب محمد بن الحنفية قال : إني قد أمرت بجمع البر واليسر ، وبطرح الكفر والغدر .

وذكر ابن جرير من طريق المدائني وأبي مخنف أن ابن الزبير عمد إلى ابن الحنفية وسبعة عشر رجلاً من أشرف أهل الكوفة فحبسهم حتى يبايعوه ، فسكرها أن يبايعوا إلا من اجتمعت عليه الأمة ، فهددهم وتوعدهم واعتقلهم برزخهم ، فكتبوا إلى المختار بن أبي عبيد يستصرخونه ويستنصرونه ، ويقولون له : إن ابن الزبير قد توعدنا بالقتل والحرق ، فلا نخذلونا كما خذلتهم الحسين وأهل بيته ، فجمع المختار الشيعة وقرأ عليهم الكتاب وقال : هذا صريح أهل البيت يستصرخكم ويستنصركم ، فقام في الناس بذلك وقال : لست أنا بأبي إسحاق إن لم أنصركم نصراً مؤزراً ، وإن لم أرسل إليهم الخليل كالسيل يتأوه السيل ، حتى يحل بابن الكاهلية الويل ، ثم وجه أبا عبد الله الجدلي في سبعين راكباً من أهل القوة ، وظهران بن عمر النخعي في أربعين ، وأبا المعتمر في مائة ، وهاني بن قيس في مائة ، وعمر بن طارق في أربعين ، وكتب إلى محمد بن الحنفية مع الطفيل بن عامر بنو جيه الجند إلى أبيه ، فنزل أبو عبد الله الجدلي بذات عرق حتى تلاحق به نحو من مائة وخمسين فارساً ، ثم سار بهم حتى دخل المسجد الحرام نهراً جهاراً وهم يقولون : يا نارات الحسين ، وقد أهد ابن الزبير الخطب لابن الحنفية وأصحابه ليحرقهم به إن لم يبايعوه ، وقد بقي من الأجل يومان ، فعمدوا - يعني أصحاب

المختار - إلى محمد بن الحنفية فأطلقوه من سجن ابن الزبير ، وقالوا : إن أذنت لنا قاتلنا ابن الزبير ، فقال : إني لا أرى القتال في المسجد الحرام ، فقال لهم ابن الزبير : ليس نبرح وتبرحون حتى يبايع وتبايعوا معه ، فامتنعوا عليه ثم لحقهم بقية أصحابهم فجهلوا يقولون وهم داخلون الحرم : يائزات الحسين فلما رأى ابن الزبير ذلك منهم خافهم وكف عنهم ، ثم أخذوا محمد بن الحنفية وأخذوا من الحجيج مالا كثيراً فسار بهم حتى دخل شعب على ، واجتمع منه أربعة آلاف رجل ، فقسم بينهم ذلك المال . هكذا أورده ابن جرير وفي صحتها نظر والله أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان نائبه بالمدينة أخاه مصعب ونائبه على البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وقد استحوذ المختار على الكوفة ، وعبد الله ابن خازم على بلاد خراسان ، وذكر حروبا جرت فيها لعبد الله بن خازم يطول ذكرها

فصل

قال ابن جرير : وفي هذه السنة سار إبراهيم بن الأشتر إلى عبيد الله بن زياد ، وذلك ثمان بقين من ذي الحجة . وقال أبو مخنف عن مشايخه : ما هو إلا أن فرغ المختار من جبانة السبيع وأهل الكناسة ، فما ترك ابن الأشتر إلا يومين حتى أشخصه إلى الوجه الذي كان وجهه فيه لقتال أهل الشام ، فخرج يوم السبت ثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين ، وخرج معه المختار يودعه في وجوه أصحابه ، وخرج معهم خاصة المختار ، ومعهم كرسى المختار على بغل أشهب ليستنصروا به على الأعداء ، وهم حافون به يدعون ويستصرخون ويستنصرون ويتضرعون ، فرجع المختار بعد أن وصاه بثلاث قال : يا ابن الأشتر اتق الله في شرك وعلايتك ، وأسرع السير ، وعاجل عدوك بالقتال . واستمر أصحاب الكرسى سائرين مع ابن الأشتر ، فجعل ابن الأشتر يقول : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، سنة بني إسرائيل والذي نفسى بيده إذ عكفوا على مجملهم ، فلما جاوز القنطرة هو وأصحابه رجع أصحاب الكرسى .

قال ابن جرير : وكان سبب اتخاذ هذا الكرسى ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شيبويه حدثني أبي ثنا سليمان ثنا عبد الله بن المبارك عن إسحاق بن يحيى بن طلحة حدثني معد بن خالد حدثني طفيل بن جعدة بن هبيرة قال : أعدم مرة من الورق فاني كذلك إذ مررت بباب رجل هو جار لي له كرسى قد ركب وسخ شديد ، فخطر في بالي أن لو قلت في هذا ، فرجعت فأرسلت إليه أن ارسل إلى بالسكسبي ، فأرسل به ، فأتيت المختار فقلت له : إني كنت أكتمك شيئاً وقد بدالى أن أذكره إليك ، قال : وما هو ؟ قال : قلت كرسى كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كأنه كان يرى أن فيه أثره من

علم . قال : سبحانه الله ! فلم أخرت هذا إلى اليوم ؟ أبشبه إلى ، قال فجلست به وقد غسل شرج عودا ناضرا وقد شرب الزيت ، فأمر لى باثنى عشر أنفا ، ثم نودى فى الناس الصلاة جامعة ، قال : نخطب المختار الناس فقال : إنه لم يكن فى الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن فى هذه الأمة مثله ، وإنه قد كان فى بنى إسرائيل قابوت يستنصرون به ، وإن هذا مثله ، ثم أمر فكشف عنه أثوابه وقامت السبائية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثا ، فقام شبيب بن ربى فأنكر على الناس وكاد أن يكفر من يصنع بهذا التابوت هذا التعظيم ، وأشار بأن يكسر ويخرج من المسجد ويرمى فى الخفس ، فشكرها الناس لشبيب ابن ربى ، فلما قيل : هذا عبيد الله بن زياد قد أقبل ، وبعث المختار ابن الأشر ، بعث معه بالمكرسى يحمل على بغل أشهب قد غشى بأثواب الحرير ، عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فلما تواجهوا مع الشاميين كما سيأتى وغلبوا الشاميين وقتلوا ابن زياد . ازداد تعظيمهم لهذا الكرسي حتى بلغوا به الكفر ، قال الطفيل بن جمدة فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وندمت على ما صنعت ، وتسكلم الناس فى هذا الكرسي وكثر عيب الناس له ، فغيب حتى لا يرى بعد ذلك .

وذكر ابن الكلابى أن المختار طلب من آل جمدة بن هيرة الكرسي الذى كان على مجلس عليه فقالوا : ما عندنا شئ مما يقول الأمير ، فألح عليهم حتى علموا أنهم لو جاؤا بأى كرسي كان لقبه منهم ، فحملوا إليه كرسيًا من بعض الدور فقالوا : هذا هو ، فخرجت شيام وشاكر وسائر رؤس المختارية وقد عصبوه بالحرير والديباج . وحكى أبو مخنف أن أول من سدن هذا الكرسي موسى بن أبي موسى الأشعري ، ثم إن الناس عتبوا عليه فى ذلك ، فرفعه إلى حوشب البرسمى ، وكان صاحبه حتى هلك المختار قبضه الله . ويروى أن المختار كان يظهر أنه لا يعلم بما يعظم أصحابه هذا الكرسي ، وقد قال فى هذا الكرسي أعشى همدان : -

شهدت عليكم أنكم سبائية * وأنى بكم يا شرطة الشرك عارف
وأقسم ما كر سيكم بسكينة * وإن كان قد لفت عليه اللغائف
وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعت * شبام حوالبه ونهد وخارف
وإني امرؤ أحببت آل محمد * وتابعت وحيا ضمنته المصاحف
وتابعت عبد الله لما تابعت * عليه قریش شططها والغفار

وقال المتوكل اللبثي

أبلغ أبا إسحاق إن جئت به * أنى بكر سيكم كافر
تنزوا شبام حول أعواده * وتحمل الوحى له شاكر
محرة أعينهم حوله * كأئمن الحص الحادر

قلت : هذا وأمثالهما يدل على قلة عقل المختار وأتباعه ، وضعفه وقلة علمه وكثرة جهله ، وورادة فهمه ، وترويح الباطل على أتباعه وتشبيه الباطل بالحق ليضل به الطغام ، ويجمع عليه جهال العوام [قال الواقدي : وفي هذه السنة وقع في مصر طاعون هلك فيه خلق كثير من أهلها ، وفيها ضرب المدائير عبد العزيز بن مروان بمصر ، وهو أول من ضربها بها . قال صاحب مرآت الزمان : وفيها ابتداء عبد الملك بن مروان ببناء القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى ، وكانت عمارته في سنة ثلاث وسبعين ، وكان السبب في ذلك أن عبد الله بن الزبير كان قد استولى على مكة ، وكان يخطب في أيام منى وعرفة ، ومقام انداس بمكة ، وينال من عبد الملك ويذكر مساوي بني مروان ، ويقول : إن النبي ﷺ لمن الحكم وما نسل ، وأنه طريد رسول الله ﷺ ولعينه ، وكان يدعو إلى نفسه ، وكان فصيحاً ، فإل معظم أهل الشام إليه ، وبلغ ذلك عبد الملك فنع الناس من الحج فضجوا ، فبنى القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشتغلهم بذلك عن الحج ويستعطف قلوبهم ، وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤسهم ، ففتح بذلك على نفسه بأن شنع ابن الزبير عليه ، وكان يشنع عليه بمكة ويقول : ضاهى بها فعل الأكاسرة في إيوان كسرى ، والخضراء ، كما فعل معاوية .

ولما أراد عبد الملك عمارة بيت المقدس وجه إليه بالأموال والعمال ، ووكل بالعمل رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام مولاه ، وجع الصنائع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس ، وأرسل إليه بالأموال الجزيلة الكثيرة ، وأمر رجاء بن حيوة ويزيد أن يفرغا الأموال إفراغا ولا يتوقفا فيه ، فبشوا النفقات وأكثروا ، فبنوا القبة فجاءت من أحسن البناء ، وفرشها بالرخام الملون ، وعمالا للقبة جلالين أحدهما من اليهود الأحمر للشناء ، وآخر من آدم للصيف ، وحفا القبة بأنواع الستور ، وأقاما لها سدة وخداما بأنواع الطيب والمسك والعنبر والمسورد والزعفران ، ويعملون منه غالية ويمخرون القبة والمسجد من الليل ، وجعل فيها من قناديل الذهب والفضة والسلاسل الذهب والفضة شيئاً كثيراً ، وجعل فيها العود القمارى المغلف بالمسك وفرشها والمسجد بأنواع البسط الملونة ، وكانوا إذا أطلقوا البخور شم من مساقم بعيدة ، وكان إذا رجع الرجل من بيت المقدس إلى بلاده توجد منه رائحة المسك والطيب والبخور أياماً ، ويعرف أنه قد أقبل من بيت المقدس ، وأنه دخل الصخرة ، وكان فيه من السدة والقوم القاعين بأمره خلق كثير ، ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبقى من قبة صخرة بيت المقدس ، بحيث إن الناس التهبوا بها عن الكعبة والحج ، وبحيث كانوا لا يلتفتون في موسم الحج وغيره إلى غير المسير إلى بيت المقدس ، واقتن الناس بذلك افتتاحاً عظيماً ، وأتوه من كل مكان ، وقد عملوا فيه من الأشارات والعلامات المكذوبة شيئاً كثيراً مما في الآخرة ، فصوروا

فيه صورة الصراط وباب الجنة ، وقدم رسول الله ﷺ ، ووادي جهنم ، وكذلك في أبوابه ومواضع منه ، فاعتبر الناس بذلك ، وإلى زماننا ، وبالجملة أن صخرة بيت المقدس لما فرغ من بنائها لم يكن لها نظير على وجه الأرض بهجة ومنظرًا ، وقد كان فيها من الفصوص والجواهر والفسيفساء وغير ذلك شيء كثير ، وأنواع باهرة . ولما فرغ رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام من عمارتها على أكل الوجوه فضل من المال الذي أنفقاه على ذلك ستمائة ألف مثقال ، وقيل ثلاثمائة ألف مثقال ، فكتبها إلى عبد الملك يخبرانه بذلك ، فكتب إليهما : قد وهبته مسكًا ، فكتبها إليه : إننا لو استطعنا لردنا في عمارة هذا المسجد من حلي نساءنا ، فكتب إليهما إذ أبيتا أن تقبلانه فأفرغاه على القبة والأبواب ، فما كان أحد يستطيع أن يتأمل القبة مما عليها من الذهب القديم والحديث . فلما كان في خلافة أبي جعفر المنصور قدم بيت المقدس في سنة أربعين ومائة ، فوجد المسجد خرابًا ، فأمر أن يقلع ذلك الذهب والصفائح التي على القبة والأبواب ، وأن يعمروا بها ما تشعث في المسجد ، ففعلوا ذلك . وكان المسجد طويلًا فأمر أن يؤخذ من طوله ويزاد في عرضه ، ولما كمل البناء كتب على القبة مما يلي الباب القبلي : أمر بينائه بعد تشييده أمير المؤمنين عبد الملك سنة اثنتين وستين من الهجرة النبوية ، وكان طول المسجد من القبلة إلى الشمال سبعمائة وخمسة وستون ذراعًا ، وعرضه أربع مائة وستون ذراعًا ، وكان فتوح القدس سنة ستة عشر والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١)

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين ﴾

ففيها كان مقتل عميد الله بن زياد على يدي إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وذلك أن إبراهيم بن الأشتر خرج من الكوفة يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة في السنة الماضية ، ثم استهلكت هذه السنة وهو سائر لقصد ابن زياد في أرض الموصل ، فكان اجتماعهما بمكان يقال له الخازر ، بينه وبين الموصل خمسة فراسخ ، فبات ابن الأشتر تلك الليلة ساهرا لا يستطيع النوم ، فلما كان قريب الصبح نهض فعبى جيشه وكتب كتابه ، وصلى بأصحابه الفجر في أول وقت ، ثم ركب فنهض جيش ابن زياد ، وزحف بجيشه رويدا وهو ماش في الرجالة حتى أشرف من فوق تل على جيش ابن زياد ، فاذا هم لم يتحرك منهم أحد ، فلما رأوهم نهضوا إلى خيلهم وسلاحهم مدهوشين ، فركب ابن الأشتر فرسه وجعل يقف على رايات القبائل فيعرضهم على قتال ابن زياد ويقول : هذا قاتل ابن بنت رسول الله ﷺ ، قد جاءكم الله به وأمكنكم الله منه اليوم ، فعلمكم به فانه قد فعل في ابن بنت رسول الله ﷺ ما لم يفعله فرعون في بني إسرائيل [هذا ابن زياد قاتل الحسين الذي حال بينه وبين ماء الفرات أن يشرب منه هو وأولاده ونساؤه ، ومنعه أن ينصرف إلى بلده أو يأتي يزيد بن معاوية حتى قتله ،

(١) سقط من المصرية

ويحكم !! اشفوا صبوركم منه ، وارووا رماحكم وسيوفكم من دمه ، هذا الذي فعل في آل نبيكم ما فعل ، قد جاءكم الله به ، ثم أكثر من هذا القول وأمثاله ، ثم نزل تحت رايته ^(١) [وأقبل ابن زياد في خيله ورجله في جيش كثيف قد جعل على ميمنته حصين بن نمير وعلى الميسرة ، عمير بن الحباب السلمي - وكان قد اجتمع بابن الأشتر ووعده أنه معه وأنه سينهزم بالناس غدا - وعلى خيل ابن زياد شر حبيل بن الكلاع ، وابن زياد في الرحالة يمشي معهم . فسا كان إلا أن تواقفا الفر يقان حتى حمل حصين بن نمير بالميمنة على ميسرة أهل العراق فهزمها ، وقتل أميرها على بن مالك الجشمي فأخذ رايته من بعده ولده محمد بن علي فقتل أيضاً ، واستمرت الميسرة ذاهبة فجعل الأشتر يناديهم إلى ياشرطة الله ، أنا ابن الأشتر ، وقد كشف عن رأسه ليعرفوه ، فالتاثوا به وانمطفوا عليه ، واجتمعوا إليه . ثم حلت ميمنة أهل الكوفة على ميسرة أهل الشام . [وقيل بل انهزمت ميسرة أهل الشام وانحازت إلى ابن الأشتر ، ثم حمل ابن الأشتر بمن معه وجعل يقول لصاحب رايته : ادخل برايتك فيهم ، وقاتل ابن الأشتر يومئذ قتالا عظيما ، وكان لا يضرب بسيفه رجلا إلا صرعه ، وكثرت القتلى بينهم ، وقيل إن ميسرة أهل الشام ^(٢) ثبتوا وقاتلوا قتالا شديداً بالرماح ثم بالسيوف ، ثم أردف الحلة ابن الأشتر فانهزم جيش الشام بين يديه ، فجعل يقتلهم كما يقتل الحملان ، واتبعهم بنفسه ومن معه من الشجعان ، وثبت عبيد الله بن زياد في موقفه حتى اجتاز به ابن الأشتر فقتله وهو لا يعرفه ، لكن قال لأصحابه : التمسوا في القتلى رجلا ضربته بالسيف فنفتحتني منه ريح المسك ، شرقت يداه وغربت رجلاه ، وهو واقف عند راية منفردة على شاطئ نهر خازر : فالتسموه فاذا هو عبيد الله بن زياد ، وإذا هو قد ضربه ابن الأشتر فقطعه نصفين ، فاحتزوا رأسه وبعثوه إلى المختار إلى الكوفة مع البشارة بالنصر والظفر بأهل الشام ، وقتل من رؤس أهل الشام أيضاً حصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع ، واتبع الكوفيون أهل الشام فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم أكثر من قتل ، واحتازوا مائتي معسكرهم من الأموال والخيول ،

وقد كان المختار بشر أصحابه بالنصر قبل أن يجي الخبر ، فما ندري أكان ذلك تفاؤلا منه أو اتفاقا وقع له ، أو كهانة . وأما على ما كان يزعم أصحابه أنه أوحى إليه بذلك فلا ، فإن من اعتقد ذلك كفر ومن أقرهم على ذلك كفر ، لكن : قال إن الوقعة كانت بنصيبين فأخطأ مكانها ، فانها إنما كانت بأرض الموصل ، وهذا مما انتقده عمر الشعبي على أصحاب المختار حين جاءه الخبر ، وقد خرج المختار من الكوفة ليتلقى البشارة ، فأتى المدائن فصعد منبرها فينما هو يخطب إذ جاءته البشارة وهو هنالك : قال الشعبي : فقال لي بعض أصحابه : أما سمعته بالأمس يخبرنا بهذا ؟ فقلت له : زعم أن الوقعة كانت

بنصيبين من أرض الجزيرة ، وإنما قال البشير : إنهم كانوا بالخازر من أرض الموصل ، فقال : والله لا تؤمن يا شامي حتى ترى العذاب الأليم . ثم رجع المختار إلى الكوفة .

وفي غيبته هذه تمكن جماعة ممن كان قاتله يوم جبانة السبيع والكناسة من الخروج إلى مصعب ابن الزبير إلى البصرة ، وكان منهم شيث بن ربيع ، وأما ابن الأشتر فانه بعث بالبشارة وبرأس ابن زياد وبعث رجلا على نيابة نصيبين واستمر مقيا في تلك البلاد ، وبعث عمالا إلى الموصل وأخذ سنجار ودارا وما ولاها من الجزيرة

وقال أبو أحمد الحاكم : كان مقتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة ست وستين ، والصواب سنة سبع وستين . وقد قال سراق بن مرداس البارقي يمدح ابن الأشتر على قتله ابن زياد

أنا كم غلام من عرانيين مذحج * جرى على الأعداء غير نكول
فيا ابن زياد بؤ بأعظم هالك * وذق حد ماضي الشفرتين صقيل
ضربناك بالعضب الحسام بحده * إذا ما أتانا قتيلا بقتيل
جزى الله خيرا شرطة الله إنهم * شفوا من عبيد الله أمس غليل
﴿ وهذه ترجمة ابن زياد ﴾

هو عبيد الله بن زياد بن عبيد ، المعروف بابن زياد بن أبي سفيان ، ويقال له زياد بن أبيه ، وابن سمية ، أمير العراق بعد أبيه زياد ، وقال ابن معين : ويقال له عبيد الله بن مرجانة وهي أمه ، وقال غيره : وكانت مجوسية ، وكنيته أبو حفص ، وقد سكن دمشق بعد يزيد بن معاوية ، وكانت له دار عند الديماس تعرف بعده بدار ابن عجلان ، وكان مولده في سنة تسع وثلاثين فيما حكاه ابن عساکر عن أبي العباس أحمد بن يونس الضبي ، قال ابن عساکر : وروى الحديث عن معاوية وسعد بن أبي وقاص ومعاقل بن يسار . وحدث عنه الحسن البصري وأبو المليح بن أسامة . وقال أبو نعيم الفضل ابن دكين : ذكروا أن عبيد الله بن زياد حين قتل الحسين كان عمره ثمانيا وعشرين سنة ، قلت : فعلى هذا يكون مولده سنة ثلاث وثلاثين فالله أعلم .

وقد روى ابن عساکر أن معاوية كتب إلى زياد : أن أوفد إلى ابنك ، فلما قدم عليه لم يسأله معاوية عن شيء إلا نفد منه ، حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيئا ، فقال له : ما منعك من تعلم الشعر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إني كرهت أن أجمع في صدري مع كلام الرحمن كلام الشيطان ، فقال معاوية : أغرب فوالله ما منعني من الفرار يوم صفين إلا قول ابن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عفتي وأبي بلائي * وأخذني الحمد بالثمن الربيع
وإعطائي على الأعداء مالى * وإقدامي على البطل المشيع

وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريح
لأدفع عن مآثر صالحات * وأحى بعد عن إنف صحيح
ثم كتب إلى أبيه : أن روه من الشعر ، فرواه حتى كان لا يسقط عنه منه شيء بعد ذلك ، ومن
شعره بعد ذلك : -

سيعلم مروان بن نسوة أنى * إذا التقت الخيلان أطعنها شراً
وإنى إذا حل الضيوف ولم أجده * سوى فرسى أو سعتة لهم نجراً
وقد سأل معاوية يوماً أهل البصرة عن ابن زياد فقالوا : إنه لظريف ولكنه يلحن ، فقال :
أوليس اللحن أظرف له ؟ قال ابن قتيبة وغيره : إنما أرادوا أنه يلحن فى كلامه ، أى يلغز ، وهو
الحن بحجته كما قال الشاعر فى ذلك : -

منطق رائع ويلحن أحياناً * وخير الحديث ما كان لحنا
وقيل إنهم أرادوا أنه يلحن فى قوله لحنا وهو ضد الاعراب ، وقيل أرادوا اللحن الذى هو ضد
الصواب وهو الأشبه والله أعلم . فاستحسن معاوية منه السهولة فى الكلام وأنه لم يكن ممن يتعمق
فى كلامه ويفخمه ، ويتشدد فيه ، وقيل أرادوا أنه كانت فيه لكنة من كلام المعجم ، فإن أمه مرجانة
كانت سيروية وكانت بنت بعض ملوك الأعاجم يزددجرد أو غيره ، قالوا : وكان فى كلامه شيء من
كلام المعجم ، قال يوماً لبعض الخوارج : أهرورى أنت ؟ يعنى أحرورى أنت ؟ وقال يوماً من كاتلنا
كاتلتاه ، أى من قاتلنا قاتلناه ، وقول معاوية ذاك أظرف له ، أى أجود له حيث نزع إلى أخواله ،
وقد كانوا يوصفون بحسن السياسة وجودة الرعاية ومحاسن الشيم .

ثم لما مات زياد سنة ثلاث وخمسين ولى معاوية على البصرة سمرة بن جندب سنة ونصف ثم
عزله وولى عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان بن سبعة ستة أشهر ، ثم عزله وولى عليها ابن زياد سنة
خمس وخمسين . فلما تولى يزيد الخلافة جمع له بين البصرة والكوفة ، فبنى فى إمارة يزيد البيضاء ،
وجعل باب القصر الأبيض الذى كان لكسرى عليها ، وبنى الحمراء وهى على سكة المربد ، فكان
يشقى فى الحمراء ويصيف فى البيضاء ، قالوا : وجاء رجل إلى ابن زياد فقال : أصلح الله الأمير ،
إن امرأتى ماتت ، وإنى أريد أن أتزوج أمها ، فقال له : كم عطاؤك فى الديوان ؟ فقال : سبعمائة ،
فقال : يا غلام حظ من عطائه أربعمائة ، ثم قال له : يكفيك من فقهك هذا ثلاثمائة ، قالوا : وتخاصمت
أم الفجيج وزوجها إليه وقد أحبت المرأة أن تفارق زوجها ، فقال أبو الفجيج : أصلح الله الأمير
إن خير شطرى الرجل آخره ، وإن شر شطرى المرأة آخرها ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقال : إن الرجل
إذا أسن اشتد عقله واستحكم رأيه وذهب جهله ، وإن المرأة إذا أسنت ساء خلقها وقل عقلها وعقم

رحمها واحتمد لسانها ، فقال : صدقت خذ بيدها وانصرف ، وقال يحيى بن معين : أمر ابن زياد لصفوان بن محرز بألفي درهم فسرقت ، فقال : عسى أن يكون خيراً فقال أهله : كيف يكون هذا خيراً ؟ فبلغ ذلك ابن زياد فأمر له بألفين آخرين ، ثم وجد الألفين فصارت أربعة آلاف فكان خيراً . وقيل لهند بنت أسماء بن خارجة - وكانت قد تزوجت بعده أزواجاً من نواب العراق - من أعز أزواجك عندك وأكرمهم عليك ؟ فتأت : ما أكرم النساء أحد إكرام بشير بن مروان ، ولا هاب النساء هيبة الحجاج بن يوسف ، ووددت أن القيامة قد قامت فأرى عبيد الله بن زياد وأشتى من حديثه والنظر إليه - وكان أتى عذارتها - وقد تزوجت بالآخرين أيضاً .

وقال عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال : أول من جهر بالمؤذنين في الصلاة المكتوبة ابن زياد ، قلت : يعنى والله أعلم في الكوفة ، فإن ابن مسعود كان لا يكتبهما في مصحفه وكان فقهاء الكوفة عن كبار أصحاب ابن مسعود يأخذون والله أعلم .

وقد كانت في ابن زياد جرأة وإقدام ومبادرة إلى مالا يجوز ، ومالا حاجة له به ، لما ثبت في الحديث الذي رواه أبو يعلى ومسلم ، كلاهما عن شيبان بن فروخ عن جرير عن الحسن أن عائذ بن عمرو دخل على عبيد الله بن زياد فقال : أى بنى ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن شر الرعاء الخطمة ، فأياك أن تكون منهم » . فقال له اجلس فانما أنت من نخالة أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال : وهل كان فيهم نخالة ؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم . وقد روى غير واحد عن الحسن أن عبيد الله بن زياد دخل على معقل بن يسار يعوده فقال له : إني محدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من رجل استرعه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة » .

وقد ذكر غير واحد أنه لما مات معقل صلى عليه عبيد الله بن زياد ولم يشهد دفنه ، واعتذر بما ليس يجدى شيئاً وركب إلى قصره ، ومن جراءته إقدامه على الأمر باحضار الحسين إلى بين يديه وإن قتل دون ذلك ، وكان الواجب عليه أن يحجبه إلى سؤاله الذى سأل فيه طلب من ذهابه إلى يزيد أو إلى مكة أو إلى أحد الثغور ، فلما أشار عليه شمر بن ذى الجوشن بأن الحزم أن يحضر عندك وأنت تسيره بعد ذلك إلى حيث شئت من هذه الخصال أو غيرها ، فوافق شمر على ما أشار به من إحضاره بين يديه فأبى الحسين أن يحضر عنده ليقضى فيه بما يراه ابن مرجانة . وقد تمس وخاب وخسر ، فليس لابن بنت رسول الله ﷺ أن يحضر بين يدي ابن مرجانة الحديث ، وقد قال محمد ابن سعد : أنبأنا الفضل بن دكين ومالك بن إسماعيل قالا : حدثنا عبد السلام بن حرب عن عبد الملك بن كردوس عن حاجب عبيد الله بن زياد قال : دخلت مع القصر حين قتل الحسين قال

فاضطرم في وجهه ناراً أو كلمة نحوها ، فقال بكه هكذا على وجهه وقال : لا تحدثن بها أحدا ، وقال شريك عن مغيرة قال قالت مرجانة لابنها عبيد الله : يا خبيث قتلتي ابن بنت رسول الله ﷺ ؟ لا ترى الجنة أبداً . وقد قسمنا أن يزيد بن معاوية لما مات بايع الناس في المصرين لعبيد الله حتى يجتمع الناس على إمام ، ثم خرجوا عليه فأخرجوه من بين أظهرهم ، فسار إلى الشام فاجتمع بمروان ، وحسن له أن يتولى الخلافة ويدعو إلى نفسه ففعل ذلك ، وخالف الضحاك بن قيس ، ثم انطلق عبيد الله إلى الضحاك بن قيس فما زال به حتى أخرجه من دمشق إلى مرج راهط ، ثم حسن له أن دعا إلى بيعة نفسه وخلص ابن الزبير ففعل ، فأنحل لظاهه ووقع ما وقع بمرج راهط ، من قتل الضحاك وخلق معه هنالك ، فلما تولى مروان أرسل ابن زياد إلى العراق في جيش فالتقى هو وجيش التوابين مع سليمان بن صرد فكسروهم ، واستمر قاصدا الكوفة في ذلك الجيش ، فتموق في الطريق بسبب من كان يمانه من أهل الجزيرة من الأعداء الذي هم من جهة ابن الزبير . ثم اتفق خروج ابن الأشتر إليه في سبعة آلاف ، وكان مع ابن زياد أضعاف ذلك ، ولمكن ظفر به ابن الأشتر فقتله شر قتلة على شاطئ نهر الخازر قريبا من الموصل بخمس مراحل .

قال أبو أحمد الحاكم : وكان ذلك يوم عاشوراء قتل : وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين ، ثم بعث ابن الأشتر برأسه إلى المختار ومعه رأس حصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع وجماعة من رؤساء أصحابهم ، فسر بذلك المختار ، فقال يعقوب بن سفيان : حدثني يوسف بن موسى بن جرير عن يزيد بن أبي زياد قال : لما جرى برأس ابن مرجانة وأصحابه طرحت بين يدي المختار فجاءت حية رقيقة ثم تخللت الرأس حتى دخلت في فم ابن مرجانة وخرجت من منخره ، ودخلت في منخره وخرجت من فمه ، وجعلت تدخل وتخرج من رأسه من بين الرأس . ورواه الترمذي من وجه آخر بلفظ آخر فقال : حدثنا واصل بن عبد الاعلا بن أبي معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير . قال : لما جرى برأس عبيد الله وأصحابه فنصبت في المسجد في الرحبة ، فأنتهيت إليها وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت ، فاذا حية قد جاءت تخلل الرأس حتى دخلت في منخرى عبيد الله بن زياد ، فحككت هنيئة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا . قال الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح .

وقال أبو سليمان بن زيد : وفي سنة ست وستين قالوا فيها قتل ابن زياد والحصين بن نمير ، ولى قتلها إبراهيم بن الأشتر وبعث برؤسهما إلى المختار فبعث بهما إلى ابن الزبير ، فنصبت بمكة والمدينة . وهكذا حكى ابن عساكر عن أبي أحمد الحاكم وغيره أن ذلك كان في سنة ست وستين ، زاد أبو أحمد في يوم عاشوراء ، وسكت ابن عساكر عن ذلك ، والمشهور أن ذلك كان في سنة سبع

وستين كما ذكره ابن جرير وغيره ، ولكن بعث الرأس إلى ابن الزبير في هذه السنة متعذر لأن العدو كانت قد قويت وتحققت بين المختار وابن الزبير في هذه السنة ، وعما قليل أمر ابن الزبير أخاه مصعباً أن يسير من البصرة إلى الكوفة لحصار المختار وقتاله والله أعلم .

(وهذا ذكر مقتل المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب على يد مصعب بن الزبير وأهل البصرة)
كان عبد الله بن الزبير قد عزل في هذه السنة عن نيابة البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي المعروف بالقباع ، وولاه لأخيه مصعب بن الزبير ، ليكون رداً وقرناً وكفوفاً للمختار ، فلما قدم مصعب البصرة دخلها مثلما فيهم المنبر ، فلما صعد قال الناس : أمير أمير ، فلما كشف اللثام عرفه الناس فأقبلوا إليه ، وجاء القباع فجلس تحته بدرجة ، فلما اجتمع الناس قام مصعب خطيباً فاستفتح القصص حتى بلغ (إن فرعون عسلا في الأرض وجعل أهلها شيعاً) وأشار بيده نحو الشام أو الكوفة ، ثم قال (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض) وأشار إلى الحجاز . وقال : يا أهل البصرة إنكم تلقبون أمراءكم ، وقد سميت نفسي الجزار ، فاجتمع عليه الناس وفرحوا به ، ولما انهزم أهل الكوفة حين خرجوا على المختار فقهرهم وقتل منهم من قتل ، كان لا ينهزم أحد من أهلها إلا قصد البصرة ، ثم خرج المختار ليلتقي بالذي جاء بالرأس والبشارة ، اغتم من بقي بالكوفة من أعداء المختار غيبته فذهبوا إلى البصرة فراراً من المختار لقلة دينه وكفره ، ودعواه أنه يأتيه الوحي ، وأنه قدم الموالي على الأشراف ، واتفق أن ابن الأشتر حين قتل ابن زياد واستقل بتلك النواحي ، فأحرز بلاداً وأقاليم ورساتيق لنفسه ، واستهان بالمختار ، فطمع مصعب فيه وبعث محمد بن الأشعث بن قيس على البريد إلى المهلب بن أبي صفرة ، وهو نائبهم على خراسان ، فقدم في تجمل عظيم ومال ورجال وعدد وعدد وجيش كثيف ، وفرح به أهل البصرة وتقوى به مصعب ، فركب في أهل البصرة ومن اتبعهم من أهل الكوفة فركبوا في البحر والبر قاصدين الكوفة .

[وقدم مصعب بين يديه عباد بن الحصين ، وجعل على ميمته عمر بن عبيد الله بن معمر ، وعلى اليسرة المهلب بن أبي صفرة ، ورتب الأمراء على راياتها وقبائلها ، كما لك بن مسمع ، والأخنف ابن قيس ، وزياد بن عمر ، وقيس بن الهيثم وغيرهم ، وخرج المختار بعسكره فنزل المدار وقد جعل على مقدمته أبا كامل الشاكري ، وعلى ميمته عبد الله بن كامل ، وعلى ميسرته عبد الله بن وهب الجشمي ، وعلى الخيل وزير بن عبد الله الساولي ، وعلى الموالي أبا عمرة صاحب شرطته] (١)

ثم خطب الناس وحثهم على الخروج ، وبعث بين يديه الجيوش ، وركب هو وخلق من أصحابه

وهو يبشرهم بالنصر ، فلما انتهى مصعب إلى قريب الكوفة لقيتهم الكتائب المختارية فحملت عليهم الفرسان الزبيرية ، فما لبثت المختارية إلا يسيراً حتى هربوا على حمية ، وقد قتل منهم جماعة من الأمراء ، وخاب من القراء وطائفة كثيرة من الشيعة الأغبياء ، ثم انتهت الهزيمة إلى المختار .

[وقال الواقدي : لما انتهت مقدمة المختار إليه جاء مصعب فقطع الدجلة إلى الكوفة وقد حصن المختار القصر واستعمل عليه عبد الله بن شداد وخرج المختار بمن بقي معه فنزل حر وراء فلما قرب جيش مصعب منه جهز إلى كل قبيلة كردوساً ، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن منقذ ، وإلى عبد القيس مالك بن منذر ، وإلى العالية عبد الله بن جعدة ، وإلى الأزد مسافر بن سعيد ، وإلى بني تميم سليم بن يزيد الكندي ، وإلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك ، ووقف المختار في بقية أصحابه فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى الليل فقتل أعيان أصحاب المختار وقتل تلك الليلة محمد بن الأشعث وعمر بن علي بن أبي طالب ، وتفرق عن المختار باقي أصحابه ، فقبل له القصر القصر ، فقال : والله ما خرجت منه وأنا أريد أن أعود إليه ، ولكن هذا حكم الله ، ثم ساروا إلى القصر فدخل وجاءه مصعب ففرق القبائل في نواحي الكوفة ، واقتسموا المحال ، وخلصوا إلى القصر ، وقد منعوا المختار المادة والماء ، وكان المختار يخرج فيقال تلهم ثم يعود إلى القصر ، ولما اشتد عليه الحصار قال لأصحابه : إن الحصار لا يزيدنا إلا ضعفاً ، فانزلوا بنا حتى نقاتل حتى الليل حتى نموت كراماً ، فوهنوا فقال أما فوالله لا أعطى بيدي . ثم اغتسل وقطيب وتحنط وخرج فقاتل هو ومن معه حتى قتلوا ^(١)]

وقيل بل أشار عليه جماعة من أساورته بأن يدخل القصر دار إمارته ، فدخله وهو ملوم مذموم ، وعن قريب ينفذ فيه القدر المحتوم ، فحاصره مصعب فيه وجميع أصحابه حتى أصابهم من جهد العطش ما الله به عليم ، وضيق عليهم المسالك والمقاصد ، وانسدت عليهم أبواب الحيل ، وليس فيهم رجل رشيد ولا حليم ، ثم جعل المختار يحيل فكرته ويكرر رويته في الأمر الذي قد حل به ، واستشار من عنده في هذا السبب السيئ الذي قد اتصل سببه بسببه من الموالى والعبيد ، ولسان القدر والشرع يناديه (قد جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) ثم قوى عزمه قوة الشجاعة المركبة فيه ، على أن أخرجه من بين من كان يحالفه ويواليه ، ورأى أن يموت على فرسه ، حتى يكون عليها انقضاء آخر نفسه ، فنزل حمية وغضباً ، وشجاعة وكلباً ، وهو مع ذلك لا يجد مناصاً ولا مفرأً ولا مهرباً ، وليس معه من أصحابه سوى تسعة عشر ، ولعله إن كان قد استمر على ما عاش عليه أن لا يفارقه التسعة عشر الموكلون بسقر ، ولما خرج من القصر سأل أن يخلى سبيله فيذهب في أرض الله فقالوا له : إلا على حكم الأمير . والمقصود أنه لما خرج من القصر تقدم إليه رجلان شقيقان أخوان ،

وهما طرفة وطراف ابنا عبد الله بن دجاجة من بنى حنيفة ، فقتلاه بمكان الزياتين من الكوفة ، واحتزا رأسه وأتيا به إلى مصعب بن الزبير ، وقد دخل قصر الامارة ، فوضع بين يديه ، كما وضع رأس ابن زياد بنى يدى المختار ، وكما وضع رأس الحسين بين يدى ابن زياد ، وكما سيوضع رأس مصعب بين يدى عبد الملك بن مروان ، فلما وضع رأس المختار بين يدى مصعب أمر لهما بثلاثين ألفا .

وقد قتل مصعب جماعة من المختارية ، وأسر منهم خمسمائة أسير ، فضرب أعناقهم عن آخرهم في يوم واحد ، وقد قتل من أصحاب مصعب في الوقعة محمد بن الأشعث بن قيس ، وأمر مصعب بكف المختار فقطعت وسحرت إلى جانب المسجد ، فلم يزل هنالك حتى قدم الحجاج ، فسأل عنها فقبل له هي كف المختار ، فأمر بها فرفعت وانزعمت من هنالك ، لأن المختار كان من قبيلة الحجاج . والمختار هو الكذاب ، والمبير الحجاج ، ولهذا أخذ الحجاج بثأره من ابن الزبير فقتله وصلبه شهوراً ، وقد سأل مصعب أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار عنه فقالت : ما عسى أن أقول فيه إلا مائة ولون أنتم فيه ، فتركها واستدعى بزوجته الأخرى وهى عمرة بنت النعمان بن بشير فقال لها : مائة ولين فيه ؟ فقالت : رحمه الله لقد كان عبداً من عباد الله الصالحين ، فسجنها وكتب إلى أخيه إنبا يقول إنه نبي فكتب إليه أن اخرجها فاقتلها ، فأخرجها إلى ظاهر البلد فغصرت ضربات حتى ماتت ، فقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة الخزومي : —

إن من أعجب العجائب عندي * قتل بيضاء حرة عطبول

قتلت هكذا على غير جرم * إن لله درها من قتييل

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذبول

وقال أبو مخنف : حدثني محمد بن يوسف أن مصعباً لقي عبد الله بن عمر بن الخطاب فسلم عليه فقال ابن عمر : من أنت ؟ فقال : أنا ابن أخيك مصعب بن الزبير ، فقال له ابن عمر : نعم ، أنت المقاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة ؟ عس ما استطعت ، فقال له مصعب : إنهم كانوا كفرة سحرة ، فقال ابن عمر : والله لو قتلت عدلهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً .

وهذه ترجمة المختار بن أبي عبيد الكذاب

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عفرة بن عيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي ، أسلم أبوه في حياة النبي ﷺ ، ولم يره ، فلها لم يذكره أكثر الناس في الصحابة ، وإنما ذكره ابن الأثير في الغابة ، وقد كان عمر بعثه في جيش كثيف في قتال الفرس سنة ثلاث عشرة ، فقتل يومئذ شهيداً وقتل معه نحو من أربعة آلاف من المسلمين ، كما قدمنا ، وعرف ذلك الجسر به ، وهو جسر على دجلة فيقال له إلى اليوم جسر أبي عبيد ، وكان له من الولد صفية بنت أبي

عبيد ، وكانت من الصالحات المأبدات : وهى زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان عبد الله لها مكرماً ومحبباً ، وماتت فى حياته ، وأما أخوها المختار هذا فإنه كان أولاً ناصبياً يبغض علياً بفضاً شديداً ، وكان عند عمه فى المدائن ، وكان عمه نائبها ، فلما دخلها الحسن بن على خذله أهل المراق وهو سائر إلى الشام لقتال معاوية بمقتل أبيه ، فلما أحس الحسن منهم بالخدر فر منهم إلى المدائن فى جيش قليل ، فقال المختار لعمه : لو أخذت الحسن فبعثته إلى معاوية لا تخذت عنده اليد البيضاء أبداً ، فقال له : عمه بئس ما تأمرنى به يا ابن أخى ، فما زالت الشيعة تبغضه حتى كان من أمر مسلم بن عقيل بن أبى طالب ما كان ، وكان المختار من الأمراء بالكوفة ، فجعل يقول : أما لأصبرنه ، فبلغ ابن زياد ذلك فحبسه بعد ضربه مائة جلدة ، فأرسل ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يتشفع فيه ، فأرسل يزيد إلى ابن زياد فأطلقه وسيره إلى الحجاز فى عباءة ، فصار إلى ابن الزبير بمكة فقاتل معه حين حصره أهل الشام قتلاً شديداً ، ثم بلغ المختار ما قال أهل المراق فيه من التخبيط ، فسار إليهم وترك ابن الزبير ، ويقال إنه سأل ابن الزبير أن يكشف له كتابا إلى ابن مطيع نائب الكوفة ففعل ، فسار إليها ، وكان يظهر مدح ابن الزبير فى العلانية ويسبه فى السر ، ويمدح محمد بن الحنفية ويدعو إليه ، وما زال حتى استحوذ على الكوفة بطريق التشيع وإظهار الأخذ بنار الحسين ، وبسبب ذلك اتفقت عليه جماعات كثيرة من الشيعة وأخرج عامل ابن الزبير منها ، واستقر ملك المختار بها ، ثم كتب إلى ابن الزبير يعتذر إليه ويخبره أن ابن مطيع كان مدهانا لبني أمية ، وقد خرج من الكوفة ، وأنا ومن بها فى طاعتك ، فصدق ابن الزبير لأنه كان يدعو إليه على المنبر يوم الجمعة على رؤس الناس ، ويظهر طاعته ، ثم شرع فى تتبع قتلة الحسين ومن شهد الواقعة بكر بلاء من ناحية ابن زياد ، فقتل منهم خلقا كثيراً ، وظفر برؤس كبار منهم ، كعمر بن سعد بن أبى وقاص أمير الجيش الذين قتلوا الحسين ، وشمر بن ذى الجوشن أمير الألف الذين ولوا قتل الحسين ، وسنان بن أبى أنس ، وخولى بن يزيد الأصبحى ، وخلق غير هؤلاء ، وما زال حتى بعث سيف نغمته إبراهيم بن الأشتر فى عشرين ألفا إلى ابن زياد ، وكان ابن زياد حين التقاه فى جيش أعظم من جيشه - فى أضعاف مضاعفة - كانوا ثمانين ألفا ، وقيل ستين ألفا ، فقتل ابن الأشتر ابن زياد وكسر جيشه ، واحتاز ما فى معسكره ، ثم بعث برأس ابن زياد ورؤس أصحابه مع البشارة إلى المختار ، ففرح بذلك فرحاً شديداً ، ثم إن المختار بعث برأس ابن زياد ورأس حصين بن نمير ومن معهم إلى ابن الزبير بمكة ، فأمر ابن الزبير بها فنصبت على عقبة الحجون .

وقد كانوا نصبوها بالمدينة ، وطابت نفس المختار بالملك ، وظن أنه لم يبق له عدو ولا منازع ، فلما تبين ابن الزبير خداعه ومكره وسوء مذهبه ، بعث أخاه مصعباً أميراً على العراق ، فسار إلى البصرة

فجمع العساكر فها تم سرور المختار حتى سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة في جيش هائل فقتله واحتز رأسه وأمر بصلب كفه على باب المسجد ، وبعث مصعب برأس المختار مع رجل من الشرط على البريد ، إلى أخيه عبد الله بن الزبير ، فوصل مكة بعد العشاء فوجد عبد الله يتنفل ، فما زال يصلي حتى أسحر ولم يلتفت إلى البريد الذي جاء بالرأس ، فلما كان قريب الفجر قال : ما جاء بك ؟ فالتقى إليه الكتاب فقرأه ، فقال : يا أمير المؤمنين معي الرأس ، فقال : ألقه على باب المسجد ، فالتقاء ثم جاء فقال : جائزني يا أمير المؤمنين ، فقال : جائزتك الرأس الذي جئت به تأخذه معك إلى العراق ثم زالت دولة المختار كأن لم تكن ، وكذلك سائر الدول ، وفرح المسلمون بزوالها ، وذلك لأن الرجل لم يكن في نفسه صادقاً ، بل كان كاذباً يزعم أن الوحي يأتيه على يد جبريل . قال الامام أحمد : حدثنا ابن نمير حدثنا عيسى القارئ أبو عمير بن السدي عن رفاعه القبابي قال : دخلت على المختار فالتقى لي وسادة وقال : لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك ، قال : فأردت أن أضرب عنقه قال فذكرت حديثاً حدثني أخى عمر بن الحلق ، قال قال رسول الله ﷺ : « أيما مؤمن آمن مؤمناً على دمه فقتله فأنا من القاتل برئ » . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن حماد بن سلمة حدثني عبد الملك بن عمير عن رفاعه بن شداد . قال : كنت أقوم على رأس المختار فلما عرفت كذبه هممت أن أسل سيفي فأضرب عنقه ، فذكرت حديثاً حدثناه عمر بن الحلق . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أمن رجلاً على نفسه فقتله أعطى لواء غد يوم القيامة » . ورواه النسائي وابن ماجه من غير وجه عن عبد الملك بن عمير وفي لفظ لهما : « من أمن رجلاً على دم فقتله فأنا برئ من القاتل ، وإن كان المقتول كافراً » . وفي سند هذا الحديث اختلاف . وقد قيل لابن عمر : إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه ، فقال صدق ، قال تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : قدمت على المختار فأكرمني وأزاني عنده ، وكان يتعاهد مبيتي بالليل قال فقال لي : أخرج فحدث الناس ، قال : فخرجت فجاء رجل فقال : مات قول في الوحي ؟ فقلت الوحي وحيان قال الله تعالى (إنا أوحينا إليك هذا القرآن) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) قال فهموا أن يأخذوني فقلت : ما لكم وذاك ! إني مفتيكم وضيغكم . فتركوني ، وإنما أراد عكرمة أن يعرض بالمختار وكذبه في ادعائه أن الوحي ينزل عليه .

وروى الطبراني من طريق أنيسة بنت زيد بن الأرقم أن أباه دخل على المختار بن أبي عبيد فقال له : يا أبا عامر لو شفت ^(١) رأي جبريل وميكائيل ، فقال له زيد خسرت وأعست ، أنت أهون

على الله من ذلك ، كذاب مفتر على الله ورسوله ، وقال الامام أحمد : حدثنا ابن إسحاق بن يوسف ثنا ابن عوف الصديقي الناجي أن الحجاج بن يوسف دخل عل أسماء بنت أبي بكر الصديقي ، بعد ما قتل ابنها عبد الله بن الزبير فقال : إن ابنك ألد في هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب أليم ، وفعل به وفعل ، فقالت له كذبت ، كان باراً بالوالدين ، صواماً قواماً ، والله لقد أخبرنا رسول الله ﷺ « أنه سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول ، وهو مبير » . هكذا رواه أحمد بهذا السند واللفظ . وقد أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل عن عقبة بن مكرم العمي البصري عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل عن أبي عقرب واسمه معاوية بن سلم عن أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال : « إن في ثقيف كذاباً ومبيراً » . وفي الحديث قصة طويلة في مقتل الحجاج ولدها عبد الله في سنة ثلاث وسبعين كما سيأتي ، وقد ذكر البيهقي هذا الحديث في دلائل النبوة ، وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد ، وكان يظهر التشيع ويطن السكينة ، وأسر إلى أخصائه أنه يوحى إليه ، ولكن ما أدرى هل كان يدعى النبوة أم لا ؟ وكان قد وضع له كرسي يعظم ويحف به الرجال ، ويستتر بالحرير ، ويحمل على البغال ، وكان يضاهي به تابوت بنى إسرائيل المذكور في القرآن ، ولا شك أنه كان ضالاً مضلاً أراح الله المسلمين منه بعد ما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين ، كما قال تعالى (وكنذك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) وأما المبير فهو القتال وهو الحجاج بن يوسف النخعي نائب العراق لعبد الملك ابن مروان ، الذي انتزع العراق من يد مصعب بن الزبير ، كما سيأتي بيانه قريباً .

وذكر الواقدي أن المختار لم يزل مظهرًا موافقاً ابن الزبير حتى قدم مصعب إلى البصرة في أول سنة سبع وستين وأظهر مخالفته فسار إليه مصعب فقاتله وكان المختار في نحو من عشرين ألفاً ، وقد حمل عليه المختار مرة فهزمه ، ولكن لم يثبت جيش المختار حتى جعلوا ينصرفون إلى مصعب ويدعون المختار ، وينقمون عليه ما هو فيه من السكينة والكذب ، فلما رأى المختار ذلك انصرف إلى قصر الامارة فحاصره مصعب فيه أربعة أشهر ، ثم قتله في رابع عشر رمضان سنة سبع وستين ، وله من العمر سبع وستون سنة فيما قيل

فصل

ولما استقر مصعب بن الزبير بالكوفة بعث إلى إبراهيم بن الأشتر ليقدم عليه ، وبعث إليه عبد الملك بن مروان ليقدم عليه ، فخار ابن الأشتر في أمره ، وشاور أصحابه إلى أيهما يذهب ، ثم اتفق رأيهم على الذهاب إلى بلدهم الكوفة ، فقدم ابن الأشتر على مصعب بن الزبير فأكرمه وعظمه

واحترمه كثيراً ، وبعث مصعب المهلب بن أبي صفرة على الموصل والجزيرة وأذر بيجان وأرمينية ، وكان قد استخلف على البصرة حين خرج منها عبيد الله بن عبد الله بن ممر ، وأقام هو بالكوفة ، ثم لم تسلك هذه السنة حتى عزله أخوه عبيد الله بن الزبير عن البصرة وولى عليها ابنه حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وكان شجاعاً جواداً مخلطاً يعطى أحياناً حتى لا يدع شيئاً ، ويمنع أحياناً ما لم يمنع مثله ، وظهرت خفة وطيش في عقله ، وسرعة في أمره ، فبعث الأخنف إلى عبد الله بن الزبير فمزلّه وأعاد إلى ولايتها أخاه مصعباً مضافاً إلى ما بيده من ولاية الكوفة ، قالوا : وخرج حمزة بن عبد الله بن الزبير من البصرة بمال كثير من بيت مالها ، فمرض له مالك بن مسمع : فقال : لا ندعك تذهب بأعطياتنا ، فضمن له عبيد الله بن ممر العطاء فكف عنه ، فلما انصرف حمزة لم يقدم على أبيه مكة ، بل عدل إلى المدينة ، فأودع ذلك المال رجالاً فكلهم غل ما أودعه وجعده ، سوى رجل من أهل المكتاب ، فأدى إليه أمانته . فلما بلغ أباه ما صنع قال : أبعد الله ، أردت أن أباهى به بنى مروان فنكص . وذكر أبو مخنف أن حمزة بن عبد الله بن الزبير ولى البصرة سنة كاملة فآله أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس فيها عبد الله بن الزبير ، وكان عامله على الكوفة أخاه مصعباً ، وعلى البصرة ابنه حمزة ، وقيل بل كان رجع إليها أخوه ، وعلى خراسان وتلك البلاد عبيد الله بن خازم السلمي [من جهة ابن الزبير والله سبحانه أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان الوليد بن عقبة بن أبي معيط . وأبو الجهم ، وهو صاحب الانبجانية المذكورة في الحديث الصحيح . وفيها قتل خلق كثير يطول ذكرهم] (١)

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين ﴾

ففيها رد عبد الله أخاه مصعباً إلى إمرة البصرة ، فأثاها فأقام بها ، واستخلف على الكوفة الحارث ابن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي ، قباع ، واستعمل على المدينة جابر بن الأسود الزهري ، وعزل عنها عبد الرحمن بن الأشعث لكونه ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطاً ، فانه أراد منه أن يبايع لابن الزبير فامتنع من ذلك فضر به ، فمزلّه ابن الزبير . وفيها هلك ملك الروم قسطنطين بن قسطنطين ببلده ، وفيها كانت وقعة الأزارقة .

وذلك أن مصعباً كان قد عزل عن ناحية فارس المهلب بن أبي صفرة ، وكان قاهراً لهم وولاه الجزيرة ، وكان المهلب قاهراً للأزارقة ، وولى على فارس عمر بن عبيد الله بن ممر . فثاروا عليه فقاتلهم عمر بن عبيد الله فقتلهم وكسرهم ، وكانوا مع أميرهم الزبير بن الماجور . فقتلوا بين يديه إلى اصطخر فاتبعهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وقتلوا ابنه ، ثم ظفروا بهم مرة أخرى ثم هربوا إلى بلاد

أصبحان ونواحيها ، فثقفوا هنالك وكثر عسدهم وعددهم ، ثم أقبلوا يريدون البصرة ، ففروا ببعض بلاد فارس وتركوا عمر بن عبيد الله بن معمر وراء ظهورهم ، فلما سمع مصعب بقومهم ركب في الناس وجعل يلوم عمر بن عبيد الله بتركه هؤلاء يجتازون ببلاده ، وقد ركب عمر بن عبيد الله في آثارهم ، فبلغ الخوارج أن مصعباً أمامهم وعمر بن عبيد الله وراءهم ، فعدلوا إلى المدائن فجعلوا يقتلون النساء والولدان ، ويقتلون بطون الخبالي ، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم ، فقصدهم نائب الكوفة الحارث بن أبي ربيعة ومعه أهلها وجماعات من أشرافها ، منهم ابن الأشتر وشبث بن ربعي ، فلما وصلوا إلى جسر الصراة قطعه الخوارج بينه وبينهم ، فأمر الأمير بأعداته ، ففرت الخوارج هاربين بين يديه ، فاتبعهم عبد الرحمن بن مخنف في ستة آلاف فروا على الكوفة ثم صاروا إلى أرض أصبحان ، فأنصرف عنهم ولم يقتلهم ، ثم أقبلوا فحاصروا عتاب بن ورقاء شهراً ، بمدينة جيا ، حتى ضيقوا على الناس فقتلوا إليهم ققاتلهم فكشفوهم وقتلوا أميرهم الزبير بن الماجور وغنموا ما في معسكرهم ، وأمرت الخوارج عليهم فطرى بن الفجاءة ثم ساروا إلى بلاد الأهواز ، فكتب مصعب بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة - وهو على الموصل - أن يسير إلى قتال الخوارج وكان أبصر الناس بقتالهم ، وبعث مكانه إلى الموصل إبراهيم بن الأشتر فأنصرف المهلب إلى الأهواز فقاتل فيها الخوارج ثمانية أشهر قتالاً لم يسمع مثله .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة كان القحط الشديد ببلاد الشام بحيث لم يتمكنوا معه من الغزو لضعفهم وقلة طعامهم وميرتهم . قال ابن جرير : وفيها قتل عبيد الله بن الحر وكان من خبره أنه كان رجلاً شجاعاً تنقلب به الأحوال والأيام والآراء ، حتى صار من أمره أنه لا يطاع لأحد من بني أمية ولا لآل الزبير ، وكان يمر على عامل السكورة من العراق وغيره فيأخذ منه جميع ما في بيت ماله قهراً ويكتب له براءة ويذهب فينقله على أصحابه . وكان الخلفاء والأمراء يبعثون إليه الجيوش فيطردوها ويكسرها قلت أو كثرت ، حتى كاع فيه مصعب بن الزبير وعماله ببلاد العراق ، ثم إنه وفد على عبد الملك بن مروان فبعثه في عشرة نفر وقال : ادخل الكوفة وأعلمهم أن الجنود ستصل إليهم سريعاً ، فبعث في السر إلى جماعة من إخوانه فظهر على أمره فأعلم أمير الكوفة الحارث بن عبد الله فبعث إليه جيشاً فقتلوه في المسكان الذي هو فيه ، وحمل رأسه إلى الكوفة ، ثم إلى البصرة ، واستراح الناس منه .

قال ابن جرير : وفيها شهد موقف عرفة أربع رايات متباينة ، كل واحدة منها لا تأتم بالأخرى الواحدة ل محمد بن الحنفية في أصحابه ، والثانية لنجدة الحروري وأصحابه ، والثالثة لبني أمية ، والرابعة لعبد الله بن الزبير ، وكان أول من دفع رايته ابن الحنفية ، ثم نجدة ، ثم بنو أمية ، ثم دفع ابن الزبير

فدفع الناس معه ، وكان عبد الله بن عمر فيمن انتظر دفع ابن الزبير ، ولكنه تأخر دفعه ، قتال ابن عمر : أشبه بتأخره دفع الجاهلية ، فدفع ابن عمر دفع ابن الزبير ، وتحاجز الناس في هذا العام فلم يكن بينهم قتال . وكان على نيابة المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهري من جهة ابن الزبير ، وعلى المكوفة والبصرة أخوه مصعب ، وعلى ملك الشام ومصر عبد الملك بن مروان ، والله أعلم .

﴿ ومن توفي فيها من الأعيان ﴾

[عبد الله بن يزيد الأوسى ، شهيد الحديبية ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث . وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب المدوي ، ابن أخي عمر بن الخطاب ، أدرك النبي ﷺ ، وتوفي بالمدينة عن نحو سبعين سنة . عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري . عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن أمية القيس ، صحابي جليل ، سكن المكوفة ثم سكن قومه يسيا . زيد بن أرقم بن زيد صحابي جليل] (١)

﴿ وفيها توفي عبد الله بن عباس ترجمان القرآن وابن عم رسول الملك الديان ﴾

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو العباس الهاشمي بن عم رسول الله ﷺ ، حبر هذه الأمة ، ومفسر كتاب الله وترجمانه ، كان يقال له الخبر والبحر ، وروى عن رسول الله ﷺ شيئا كثيرا ، وعن جماعة من الصحابة ، وأخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين ، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله ، رضى الله عنه وأرضاه . وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ، وهو والد الخلفاء العباسيين ، وهو أخو أخوة عشرة ذكور من أم الفضل للعباس ، وهو آخرهم مولداً ، وقد مات كل واحد منهم في بلد بعيد عن الآخر كما سيأتى ذلك . قال مسلم بن خالد الزنجي المسكن عن ابن نجيب عن مجاهد عن ابن عباس . قال : لما كان رسول الله ﷺ في الشعب جاء أبي إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل ، فقال : « لعل الله أن يقر أعينكم » . قال : فلما ولدتنى أتى بي رسول الله ﷺ وأنا في خرقة فحكى بريقه . قال مجاهد : فلا نعلم أحداً حنكه رسول الله ﷺ بريقه غيره ، وفي رواية أخرى قتال رسول الله ﷺ : « لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام » فولدت عبد الله بن عباس ، وعن عمرو بن دينار قال : ولد ابن عباس عام الهجرة ، وروى الواقدي من طريق شعبة عن ابن عباس أنه قال : ولدت قبل الهجرة بثلاث سنين ، ونحن في الشعب ، وتوفي رسول الله ﷺ وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، ثم قال الواقدي : وهذا مالا خلاف فيه بين أهل العلم . واحتج الواقدي بأنه كان قد ناهن اللحم

عام حجة الوداع . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : توفي رسول الله ﷺ وأنا مختون ، وكانوا لا يختنون الغلام حتى يحتلم . وقال شعبة وهشام وابن عوف عن أبي بشر عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال : توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين مختون . زاد هشام : وقد جمعت الحكم على عهد رسول الله ﷺ . قلت : وما الحكم ؟ قال : انفصل . وقال أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي إسحاق عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال : قبض رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون ، وهذا هو الأصح ويؤيده صحة ما ثبت في الصحيحين ، ورواه مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال : أقبلت راكباً على أنان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ، ورسول الله ﷺ يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار ، فررت بين يدي بعض الصف ، فنزلت وأرسلت الأتان ترع ودخلت في الصف ، فلم ينكر على ذلك أحد . وثبت عنه في الصحيح أنه قال : كنت أنا وأمي من المستضعفين ، كانت أُمي من النساء وكنت أنا من الولدان ، وهاجر مع أبيه قبل الفتح ، فاتفق تقياهما النبي ﷺ بالجحفة ، وهو ذاهب لفتح مكة ، فشهد الفتح وحزيناً والطائف عام ثمان ، وقيل كان في سنة تسع وحجة الوداع سنة عشر ، وصحب النبي ﷺ حينئذ ولزمه ، وأخذ عنه وحفظ وضبط الأقوال والأفعال والأحوال ، وأخذ عن الصحابة علماء عظاماً مع الفهم الثاقب ، والبلاغة والفصاحة والجمال والملاحاة ، والاصالة والبيان ، ودعا له رسول الرحمن ﷺ ، كما وردت به الأحاديث الثابتة الأركان ، أن رسول الله ﷺ « دعا له بأن يعلمه التأويل ، وأن يفقهه في الدين » . وقال الزبير ابن بكار : حدثني ساعدة بن عبيد الله المزني عن داود بن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أنه قال : إن عمر كان يدعو عبيد الله بن عباس فيقر به ، ويقول : إني رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوماً فمسح رأسك وتفل في فيك وقال : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » . وبه أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك فيه وانشر منه » . وقال حماد بن سلمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال : بت في بيت خاتني ميمونة فوضعت للنبي ﷺ غسلاً ، فقال : « من وضع هذا قالوا : عبيد الله بن عباس ، فقال : اللهم علمه التأويل ، وفقهه في الدين » . وقد رواه غير واحد عن ابن خثيم بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن بكر بن أبي صفرة أبو يونس عن عمرو بن دينار أن كريماً أخبره أن ابن عباس قال : أتيت رسول الله ﷺ من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فخرني حتى جعلني حذاءه ، فلما أقبل رسول الله ﷺ على صلاته خست فصلى رسول الله ﷺ فلما انصرف من صلاته قال : « ما شأني أجمعك في حديثي فتخنس » ؟ فقلت : يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن يصلي في حديثك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله عز وجل ؟ قال : فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني

علما وفهما ، قال : ثم رأيت رسول الله ﷺ قام حتى سمعت نفضه ، ثم أتاه بلال فقال : يا رسول الله الصلاة ، فقام فصلى ما أعاد وضوءاً .

وقال الامام أحمد وغيره : حدثنا هاشم بن القاسم ثنا ورقاء سمعت عبيد الله بن أبي يزيد يحدث عن ابن عباس قال : « أنى رسول الله ﷺ الخلاء فوضعت له وضوءاً ، فلما خرج قال من وضع ذا ؟ فقيل ابن عباس ، فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » . وقال الثوري وغيره عن ليث عن أبي جهم مولى بن سالم عن ابن عباس أنه رأى جبريل وأن رسول الله ﷺ دعا له بالحكمة ، وفي رواية بالعلم ، مرتين . وقال الدارقطني : حدثنا حمزة بن القاسم الهاشمي وآخرون قالوا : حدثنا العباس بن محمد حدثنا محمد بن مصعب بن أبي مالك النخعي عن أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال : « رأيت جبريل مرتين ، ودعا لي رسول الله ﷺ بالحكمة مرتين » ، ثم قال : غريب من حديث أبي إسحاق السبيعي عن عكرمة تفرد به عنه أبو مالك النخعي عبد الملك بن حسين . وقال الامام أحمد : حدثنا هاشم بن خالد عن عكرمة عن ابن عباس . قال : « ضمنى رسول الله ﷺ وقال : اللهم علمه الحكمة » . ورواه أحمد أيضاً عن إسماعيل بن علية عن خالد الخذاء عن عكرمة عنه قال : « ضمنى إليه رسول الله ﷺ وقال : اللهم علمه الكتاب » . وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث خالد وهو ابن مهران الخذاء عن عكرمة عنه به وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو سعيد ثنا سليمان بن بلال ثنا حسين بن عبد الله بن عكرمة عن ابن عباس . أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل » . تفرد به أحمد ، وقد روى هذا الحديث غير واحد عن عكرمة بنحو هذا ، ومنهم من أرسله عن عكرمة ، والمتصل هو الصحيح ، فقد رواه غير واحد من التابعين عن ابن عباس ، وروى من طريق أمير المؤمنين المهدي عن أبيه عن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عباس . أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم علمه الكتاب وفقهه في الدين » .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو كامل وعفان الممنى قالا : ثنا حماد ثنا عمار بن أبي أعمار عن ابن عباس . قال : « كنت مع أبي عند النبي ﷺ وعنده رجل يناديه ، قال عفان : وهو كالمعرض عن العباس ، فخرجنا من عنده فقال العباس : ألم أر ابن عمك كالمعرض عني ؟ فقلت : إنه كان عنده رجل يناديه ، قال عفان قال عباس : أو كان عنده أحد ؟ قلت : نعم ، فرجع إليه فقال : يا رسول الله هل كان عندك أحد آتفا ؟ فان عبد الله أخبرني أنه كان عندك رجل يناديك ، قال : هل رأيت يا عبد الله ؟ قال : قلت نعم ! قال ذاك جبريل عليه السلام » . وقد روى من حديث المهدي عن

آبائه ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال له : « أما إنك مستصاب في بصرك » . وكان كذلك ، وقد روى من وجه آخر أيضاً والله أعلم .

﴿ ذكر صفة أخرى لرؤيته جبريل ﴾

رواها قتيبة عن الدراوردي عن ثور بن يزيد عن موسى بن ميسرة أن العباس بعث ابنه عبد الله في حاجة إلى رسول الله ﷺ فوجد عنده رجلاً فرجع ولم يكلمه من أجل مكان ذلك الرجل ، فلحق العباس بعد ذلك رسول الله ﷺ ، فقال العباس : يا رسول الله أرسلت إليك ابني فوجد عندك رجلاً فلم يستطع أن يكلمك فرجع وراءه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عم تدري من ذلك الرجل ؟ قال : لا ! قال : ذاك جبريل ، وإن يموت ابنك حتى يذهب بصره ويؤتى علماً » . ورواه سليمان بن بلال عن ثور بن يزيد كذلك ، وله طريق أخرى . وقد ورد في فضائل ابن عباس أحاديث كثيرة منها ما هو منكر جداً أضربنا عن كثير منها صفحاً ، وذكرنا ما فيه منقح وكفاية عما سواه .

وقال البيهقي : أنبأ أبو عبد الله الحافظ أنبأ عبد الله بن الحسن القاضي بمرو ثنا الحارث بن محمد أنبأ يزيد بن هارون أنبأ جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فانهم اليوم كثير ، فقال : يا عجبا لك يا ابن عباس ! ! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم ؟ قال : فترك ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ ، فان كان ليماخني الحديث عن الرجل فأتني بابه وهو قائل فاتوسد ردائي على بابه يسفئ الريح على من التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك ؟ هلا أرسلت إلى فأتيتك ؟ فأقول : لا ! أنا أحق أن آتيتك ، قال : فأسأله عن الحديث ، قال : فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع حولي الناس يسألوني ، فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني » . وقال محمد بن عبد الله الأنصاري : ثنا محمد بن عمرو ابن علقمة ثنا أبو سامة عن ابن عباس قال : وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الخي من الأنصار . إن كنت لأقيل بباب أحدهم ، ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لي ، ولكن أبتغي بذلك طيب نفسه . وقال محمد بن سعد : أنبأ محمد بن عمر حدثني قدامة بن موسى عن أبي سلمة الحضرمي قال سمعت ابن عباس يقول : كنت أزم الأكر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن معاذي رسول الله ﷺ ، وما نزل من القرآن في ذلك ، وكنت لا آتي أحداً منهم إلا سر باتيانني إليه ، لقربي من رسول الله ﷺ ، فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً . وكان من الراسخين في العلم . عما نزل من القرآن بالمدينة ، فقال : نزل سبع وعشرون سورة وسائرهما مكي . وقال أحمد : عن عبد الرزاق عن معمر قال : عامة علم ابن عباس من ثلاثة ، من عمر وعلى وأبي

ابن كعب ، وقال طلوس عن ابن عباس أنه قال : إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد من ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ . وقال مغيرة عن الشعبي قال : قيل لابن عباس : أنى أصبت هذا العلم ؟ قال : بلسان سؤال ، وقلب عقول . وثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة ويقول : نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وكان إذا أقبل يقول عمر : جاء فتي السكحول ، وذو اللسان السئول ، والقلب العقول . وثبت في الصحيح أن عمر سأل الصحابة عن تفسير (إذا جاء نصر الله والفتح) فسكت بعض وأجاب بعض بجواب لم يرتضه عمر ، ثم سأل ابن عباس عنها فقال : أجل رسول الله ﷺ نعى إليه ، فقال : لا أعلم منها إلا بما تعلم ، وأراد عمر بذلك أن يقرر عندهم جلالة قدره ، وكبير منزلته في العلم والفهم . وسأله مرة عن ليلة القدر فاستنبط أنها في السابعة من العشر الأخير فاستحسنه عمر واستجاده كما ذكرنا في التفسير .

وقد قال الحسن بن عرفة : حدثنا يحيى بن اليان عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبيرة عن عمر أنه قال لابن عباس : لقد علمت علماً ما علمناه ، وقال الأوزاعي قال عمر لابن عباس : إنك لأصبح فتياناً وجهاً ، وأحسنهم عقلاً ، وأفقههم في كتاب الله عز وجل . وقال مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال لي أبي : إن عمر يدنيك ويجلسك مع أكابر الصحابة فاحفظ عني ثلاثاً ، لا تفشين له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا يجربن عليك كذباً . قال الشعبي : قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف ، فقال ابن عباس : بل كل واحدة خير من عشرة آلاف .

وقال الواقدي : حدثنا عبد الله بن الفضل بن أبي عبد الله عن أبيه عن عطاء بن يسار أن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيسير مع أهل بدر ، وكان يفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات . قلت : وشهد فتح إفريقية سنة سبع وعشرين مع ابن أبي سرح ، وقال الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه قال : نظر أبي إلى ابن عباس يوم الجمل يمشي بين الصفيين ، فقال : أقر الله عين من له ابن عم مثل هذا ، وقد شهد مع علي الجمل وصفيين وكان أميراً على الميسرة ، وشهد معه قتال الخوارج وكان ممن أشار على علي أن يستنيب معاوية على الشام ، وأن لا يعزله عنها في بادئ الأمر ، حتى قال له فيما قال : إن أحببت عزله فوله شهراً وأعزله دهرًا ، فأبى علي إلا أن يقاتله ، فكان ما كان مما قد سبق بيانه . ولما تروض الفريقان على تحكيم الحكمين طلب ابن عباس أن يكون من جهة علي ليكافي عمر وبن العاص ، فامتنعت مناصح وأهل اليمن إلا أن يكون من جهة علي أبو موسى الأشعري ، وكان من أمر الحكمين ماسئف . وقد استنابه علي على البصرة ، وأقام للناس الحج في بعض السنين فخطب بهم في عرفات خطبة وفسر فيها سورة البقرة ، وفي رواية سورة النور ، قال من سمعه : فسر ذلك تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسدوا . وهو أول من عرف بالناس في البصرة ، فكان

يصعد المنبر ليلة عرفة ويجمع أهل البصرة حوله فيفسر شيئاً من القرآن ، ويذكر الناس من بعد العصر إلى الغروب ، ثم ينزل فيصلي بهم المغرب ، وقد اختلف العلماء بعده في ذلك ، فمنهم من كره ذلك وقال : هو بدعة لم يعملها رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه إلا ابن عباس ، ومنهم من استحب ذلك لأجل ذكر الله وموافقة الجماع .

وقد كان ابن عباس ينتقد على في بعض أحكامه فيرجع إليه على في ذلك ، كما قال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عكرمة أن علياً حرق ناساً ارتدوا عن الاسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم بالنار ، إن رسول الله ﷺ قال : « لا تعذبوا بعدد الله » بل كنت قاتلهم لقول رسول الله ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » . فبلغ ذلك علياً فقال : ويح ابن عباس ، وفي رواية ويح ابن عباس إنه لغواص على الهنات وقد كافأه على فان ابن عباس كان يرى إباحة المتعة ، وأنها باقية ، وتحليل الحر الانسية ، فقال علي : إنك امرؤ تائه ، إن رسول الله ﷺ « نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحر الانسية يوم خير » . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما ، وله ألفاظ هذا من أحسنها والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال البيهقي : أنبأ أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا بكر بن المؤمل يقول سمعت أبا نصر بن أبي ربيعة يقول : ورد صعصعة بن صوحان على علي بن أبي طالب من البصرة فسأله عن ابن عباس - وكان على خلفه بها - فقال صعصعة : يأمر المؤمنين ، إنه آخذ بثلاث وتارك لثلاث ، آخذ بقلوب الرجال إذا حدث ، وبحسن الاستماع إذا حدث ، وبأيسر الأمرين إذا خولف . وترك المراء ومقارنة اللثيم ، وما يعتذر منه . وقال الواقدي : ثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن موسى بن سعيد عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه . قال : ما رأيت أحداً أحضر فهماً ولا ألب لباً ، ولا أكثر علماً ، ولا أوسع حياءً من ابن عباس ، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات ثم يقول : عندك قد جاءتك معضلة ، ثم لا يجاوز قوله ، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار . وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال قال عبد الله بن مسعود : لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد . وكان يقول : نعم ترجمان القرآن ابن عباس ، وعن ابن عمر أنه قال : ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد ﷺ .

وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر حدثني يحيى بن العلاء عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال سمعت جابر بن عبد الله يقول حين بلغه موت ابن عباس وصفق باحدى يديه على الأخرى : مات اليوم أعلم الناس وأحلم الناس ، وقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترقى . وبه إلى يحيى بن العلاء عن عمر بن عبد الله عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . قال : لما مات ابن عباس قال رافع ابن خديج : مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم . قال الواقدي : وحدثني

أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن عمرو بن أبي عمرو : عن عكرمة قال : سمعت معاوية يقول مات والله أفقه من مات ومن عاش ، وروى ابن عساكر عن ابن عباس قال : دخلت على معاوية حين كان الصلح وهو أول ما التقيت أنا وهو ، فاذا عنده أناس فقال : مرحباً بابن عباس ، ما تحاكت الفتنة بيني وبين أحد كان أعز علي بعداً ولا أحب إلى قريباً ، الحمد لله الذي أمات علياً ، فقلت له : إن الله لا يذم في قضائه ، وغير هذا الحديث أحسن منه ، ثم قلت له : أحب أن تعفيني من ابن عمي وأعفيك من ابن عمك ، قال : ذلك لك . وقالت عائشة وأم سلمة حين حج ابن عباس بالناس : هو أعلم الناس بالمناسك . وقال ابن المبارك عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله ﷺ ، قال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد : أتى يداك ؟ فأخرج يديه فقبلهما فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

وقال الواقدي : حدثني داود بن هند عن سميد بن جبير سمعت ابن المسيب يقول : ابن عباس أعلم الناس . وحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عتبة . قال : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال . بعلم ما سبق إليه ، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ونسب ونائل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي ﷺ منه ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأيه منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير القرآن ولا بحساب ولا بفرضة منه ، ولا أعلم فيما مضى ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً ما يذكر فيه إلا التأويل ، ويوماً ما يذكر فيه إلا المنازى ، ويوماً الشعر ، ويوماً أيام العرب ، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له ، ولا وجدت سائلاً سألته إلا وجد عند علما . قال : ورعاً حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً . وقال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت مثل ابن عباس قط . وقال عطاء : ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً ، ولا أعظم هيبة ، أصحاب القرآن يسألونه ، وأصحاب العربية يسألونه ، وأصحاب الشعر عنه يسألونه ، فكلمهم يصدر في واد أوسع . وقال الواقدي : حدثني بشر بن أبي سليم عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان ابن عباس قد يسبق على الناس في العلم كما تسبق النخلة السحوق على الودى الصفار . وقال ليث بن أبي سليم قلت لطاوس : لم لزم هذا الغلام ؟ - يعني ابن عباس - وترك الأكراب من الصحابة ؟ فقال : إني رأيت سبعين من الصحابة إذا تماروا في شيء صاروا إلى قوله ، وقال طاوس أيضاً : ما رأيت أفقه منه ، قال وما خالفه أحد قط فتركه حتى يقررد . وقال علي بن المديني ويحيى بن معين وأبو نعيم وغيرهم عن سفیان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال : ما رأيت مثله قط ، ولقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة - يعني ابن عباس - وقال أبو بكر بن أبي شيبة وغيره عن أبي أسامة عن الأعمش

عن مجاهد . قال : كان ابن عباس أمدهم قامته ، وأعظمهم جفنة ، وأوسعهم علما . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت مجلسا أجمع لكل خير من مجلسه - يعني ابن عباس - الحلال والحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام . وقال مجاهد : ما رأيت أعرب لسانا من ابن عباس ، وقال محمد بن سعد : ثنا عفان بن مسلم ثنا سليم بن أخضر عن سليمان التيمي - وهو ممن أرسله الحكم بن أديب - إلى الحسن سأله عن أول من جمع بالناس في هذا المسجد يوم عرفة ؟ قال : ابن عباس ، وكان رجلا مشجى - أحسب في الحديث - كثير العلم ، وكان يصعد المنبر فيقرأ سورة البقرة ويفسرها آية آية . وقد روى من وجه آخر عن الحسن البصري نحوه ، وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : روى سفيان عن أبي بكر الهنلي عن الحسن قال : كان ابن عباس أول من عرف بالبصرة ، صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفا حرفا . مشجى : قال ابن قتيبة مشجى من الشج وهو السيلان ، قال تعالى (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) وقيل كثيرا بسرعة : وقال يونس بن بكير : حدثنا أبو حمزة الثمالي عن أبي صالح : قال لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر ، لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق ، فما كان أحديقدر أن يجيء ولا أن ينهب ، قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه ، فقال لي : ضع لي وضوءا ، قال : فتوضأ وجلس وقال : اخرج فقل لهم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل . قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فمأسلوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل مأسأله عنه أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، قال فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فمأسلوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها ، فليدخل ، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فمأسلوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والفرس من الكلام فليدخل ، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فمأسلوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم قال : إخوانكم فخرجوا ، قال أبو صالح : فلو أن قريشا كلها فخرت بذلك لكان فخرا ، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس .

وقال طاووس وميمون بن مهران : ما رأينا أروع من ابن عمر ولا أفقه من ابن عباس ، قال ميمون : وكان ابن عباس أفقههما ، وقال شريك القاضي عن الأعشى عن أبي الضمحي عن مسروق قال : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس ، فإذا نطق قلت أفصح الناس ، فإذا تحدث

قلت أعلم الناس . وقال يعقوب بن سفيان ثنا أبو النعمان ثنا سجاد بن زيد عن الزبير بن الحارث عن
عكرمة قال : كان ابن عباس أعلمهما بالقرآن ، وكان علي أعلمهما بالمبهمات ، وقال إسحاق بن راهويه :
إنما كان كذلك لأن ابن عباس كان قد أخذ ما عند علي من التفسير ، وضم إلى ذلك ما أخذه عن أبي
بكر وعمر وعثمان وأبي بن كعب وغيرهم من كبار الصحابة . مع دعاء رسول الله ﷺ له أن يعلمه الله
الكتاب . وقال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : خطب ابن عباس وهو
على الموسم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرأها ويفسرهما فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل
مثله ، لو سمعته فارس والروم لأسلمت . وقد روى أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن
أبي وائل أن ابن عباس حج بالناس عام قتل عثمان فقرأ سورة النور وذكر نحو ما تقدم ، فجعل الأول
كان في زمان علي فقرأ في تلك الحجة سورة البقرة ، وفي فتنة عثمان سورة النور ، والله أعلم .
وقد روينا عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله ، وقال مجاهد :
عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقف عند كل آية فأسأل عنها ، وروى عنه أنه قال : أربع
من القرآن لا أدري ما به جيء ، الأواء ، والحنان ، والرقيم ، والفلسين . وكل القرآن أعلمه إلا هذه
الأربع . وقال ابن وهب وغيره عن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد . قال : كان ابن
عباس إذا سئل عن مسألة فإن كانت في كتاب الله قال بها ، وإن لم تكن وهي في السنة قال بها ، فإن
لم يقلها رسول الله ﷺ ووجدتها عن أبي بكر وعمر قال بها ، وإلا اجتهد رأيته ، وقال يعقوب بن
سفيان : ثنا أبو عاصم وعبد الرحمن بن الشعبي عن كهس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة . قال :
شتم رجل ابن عباس فقال له : إنك لتشتعني وفي ثلاث خصال ، إني لا آتي على الآية من كتاب
الله فأود أن الناس علموا منها مثل الذي أعلم ، وإني لا أسمع بالحاكم من حكام المسلمين يتقضى بالعدل
ويحكم بالقسط فأفرح به وأدعو إليه ، ولعل لا أقاضى إليه ولا أحاكم أبداً وإني لا أسمع بالغيث
يصيب الأرض من أرض المسلمين فأفرح به ومالي بها من سائمة أبداً ، ورواه البيهقي عن الحاكم
عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن يزيد بن هارون عن كهس بن . وقال ابن أبي مليكة : صحبت
ابن عباس من المدينة إلى مكة ، وكان يصلي ركعتين فإذا نزل قام شطر الليل ويرتل القرآن حرفاً حرفاً ،
ويكثر في ذلك من التشجيع والتعجيب ويقرأ (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)
وقال الأصمعي عن المعتمر بن سليمان عن شعيب بن درهم قال : كان في هذا المكان - وأوماً إلى مجرى
الدموع من خديه يعني خدي ابن عباس - مثل الشراك البالي من البكاء . وقال غيره : كان يصوم
يوم الاثنين والخميس ، وقال : أحب أن يرتفع عملي وأنا صائم ، وروى هاشم وغيره عن علي بن
زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن أحب الكلام

إلى الله عز وجل ، ومن أكرم العباد على الله عز وجل ، ومن أكرم الاماء على الله عز وجل ، وعن أربعة فيهم الروح فلم يركضوا في رحم ، وعن قبر سار بصاحبه ، وعن مكان في الأرض لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة ، وعن قوس قزح ما هو ؟ وعن الحجر . فبعث معاوية فسأل ابن عباس عنهن فكتب ابن عباس إليه : أما أحب الكلام إلى الله فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأكرم العباد على الله آدم ، خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء . وأكرم الاماء على الله مريم بنت عمران ، وأما الأربعة الذين لم يركضوا في رحم فأدم وحواء وعصى موسى ، وكبش إبراهيم الذي قدى به إسماعيل . وفي رواية وثيقة صالح ، وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو حوت يونس ، وأما المكان الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فهو البحر لما انفاق لموسى حتى جاز بنوا إسرائيل فيه ، وأما قوس قزح فامان لأهل الأرض من الفرق ، والحجرة باب في السماء ، وفي رواية الذي ينشق منه . فلما قرأ ملك الروم ذلك أعجبه وقال : والله ما هي من عند معاوية ولا من قوله ، وإنما هي من عند أهل النبي ﷺ ، وقد ورد في هذه الاسئلة روايات كثيرة فيها وفي بعضها نظر والله أعلم

فصل

تولى ابن عباس إمامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان بن عفان له وهو محصور ، وفي غيبته هذه قتل عثمان ، وحضر ابن عباس مع علي الجبل ، وكان على الميسرة يوم صفين ، وشهد قتال الخوارج وتأمر على البصرة من جهة علي ، وكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة ، وزيد بن أبي سفيان على الخراج ، وكان أهل البصرة مغبوطين به ، يفقههم ويعلم جاهلهم ، ويعطي مجرمهم ، ويعطي فقيرهم ، فلم يزل عليها حتى مات علي ، ويقال إن علياً عزله عنها قبل موته ، ثم وفد علي معاوية . فأكرمه وقر به واحترمه وعظمه ، وكان يلقي عليه المسائل المعضلة فيجيب عنها سريعاً ، فكان معاوية يقول : ما رأيت أحداً أحضر جواباً منه ، ولما جاء الكتاب بموت الحسن بن علي اتفق كون ابن عباس عند معاوية فعزاء فيه بأحسن تعزية ، ورد عليه ابن عباس رداً حسناً كما قدمنا ، وبعث معاوية ابنه يزيد فجلس بين يدي ابن عباس وعزاه بعبارة فصيححة وجيزة ، شكره عليها ابن عباس ، ولما مات معاوية ورام الحسين الخروج إلى العراق نهاه ابن عباس أشد النهي ، وأراد ابن عباس أن يتعلق بثياب الحسين - لأن ابن عباس كان قد أضر في آخر عمره - فلم يقبل منه ، فلما بلغه موته حزن عليه حزناً شديداً ولزم بيته ، وكان يقول : يا لسان قل خيراً تغتم ، واسكت عن شر أسلم . فانك إن لا تفعل تندم . وجاء إليه رجل يقال له جندب فقال له : أوصني ، فقال : أوصيك

بتوحيد الله والعمل له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فإن كل خير آتية أنت بعد ذلك منك مقبول ، وإلى الله مرفوع ، يا جنبد إنك لن تزد من موتك إلا قرباً ، فصل صلاة مودع . واصبح في الدنيا كأنك غريب مسافر ، فانك من أهل القبور ، وابك على ذنبك وتب من خطيئتك ، ولتكن الدنيا عليك أهون من شمع نعلك ، فكان قد فارقتها وصرت إلى عدل الله ، ولن تنتفع بما خلفت ، وإن ينفعك إلا عملك ، وقال بعضهم : أوصى ابن عباس بكلمات خير من الخيل الدهم ، قال : لا تكلمن فيما لا يعينك حتى ترى له موضعاً ، ولا تمارس فيها ولا حلماً فإن الحلیم يغلبك والسفيه يزدريك ، ولا تذكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذي تحب أن يشكلم فيك إذا تواريت عنه ، واعمل عمل من يعلم أنه مجزى بالاحسان مأخوذ بالاجرام . فقال رجل عنده : يا ابن عباس ! هذا خير من عشرة آلاف . فقال ابن عباس : كلمة منه خير من عشرة آلاف . وقال ابن عباس : تمام المعروف تعجيله وتصغيره وستره - يعني أن تعجل العطية للمعطى ، وأن تصغر في عين المعطى - وأن تسترها عن الناس فلا تظهرها ! فان في إظهارها فتح باب الرياء وكسر قلب المعطى ، واستحياء من الناس . وقال ابن عباس : أعز الناس على جليس لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت ، وقال أيضاً : لا يكفى من أتانى يطلب حاجة فراآنى لها موضعاً إلا الله عز وجل ، وكذا رجل بدانى بالسلام أو أوسع لى فى مجلس أو قام لى عن المجلس ، أو رجل سقانى شربة ماء على ظمأ ، ورجل حفظنى بظهر الغيب . والمأثور عنه من هذه المسكالم كثير جداً وفيما ذكرنا إشارة إلى ما لم نذكره .

وقد عده الهيثم بن عدى فى العميان من الأشراف ، وفى بعض الأحاديث الواردة عنه ما يدل على ذلك ، وقد أصيبت إحدى عينيه فتمحل جسمه ، فلما أصيبت الأخرى عاد إليه لجه ، فقيل له فى ذلك فقال : أصابنى مارأيتم فى الأولى شقة على الأخرى ، فلما ذهبنا اطمأن قلبى . وقال أبو القاسم البغوى : ثنا على بن الجعد ثنا شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أنه وقع فى عينيه الماء فقال له الطبيب : نزعك من عينيك الماء على أن لا تصلى سبعة أيام . فقال : لا ! إنه من ترك الصلاة وهو يقدر عليها لقي الله وهو عليه غضبان ، وفى رواية أنه قيل له : نزيل هذا الماء من عينيك على أن تبقى خمسة أيام ولا تصلى إلا على عود ، وفى رواية إلا مستلقياً ، فقال : لا والله ولا ركعة واحدة ، إنه من ترك صلاة واحدة متعمداً لقي الله وهو عليه غضبان . وقد أنشد المدائنى لابن عباس حين عمى

إن يأخذ الله من عيني نورهما * ففى لسانى وسمعى منهما نور

قلبي ذكى وعقلي غير ذى دخل * وفى فى صارم كالسيف مأثور

ولما وقع الخلاف بين ابن الزبير وبين عبد الملك بن مروان اعتزل ابن عباس ومحمد بن الحنفية الناس ، فدعاهما ابن الزبير ليبياعاه فأبيا عليه ، وقال كل منهما : لا نباعك ولا نخالفك ، فهم بهما

فبعثنا أبا الطفيل عامر بن واثلة فاستنجد لهما من المراق من شيعتهما . فقدم أربعة آلاف فكبروا بمكة تكبيرة واحدة ، وهموا بابن الزبير فهرب فتملق بأستار الكعبة ، وقال : أنا عائذ بالله ، فكفهم عنه ، ثم مالوا إلى ابن عباس وابن الحنفية وقد حمل ابن الزبير حول دورهم الحطب ليحرقهم ، فخرجوا بهما حتى نزلوا الطائف ، وأقام ابن عباس سنتين لم يبايع أحدا كما تقدم .

فلما كان في سنة ثمان وستين توفي ابن عباس بالطائف ، وصلى عليه محمد بن الحنفية ، فلما وضعوه ليدخلوه في قبره جاء طائر أبيض لم ير مثل خلقته ، فدخل في أكفانه والتف بها حتى دفن معه . قال عفان : وكانوا يرون علما وعلمه ، فلما وضع في اللحد تلا تال لا يعرف من هو وفي رواية أنهم سمعوا من قبره (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) هذا القول في وفاته هو الذي صححه غير واحد من الأئمة ، ونص عليه أحمد بن حنبل والواقدي وابن عساکر ، وهو المشهور عند الحفاظ ، وقيل إنه توفي في سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ثلاث وسبعين ، وقيل سنة سبع وستين ، وقيل سنة تسع وستين ، وقيل سنة سبعين . والأول أصح ، وهذه الأقوال كلها شاذة غريبة مردودة والله سبحانه وتعالى أعلم . وكان عمره يوم مات ثنتين وسبعين سنة ، وقيل إحدى وسبعين ، وقيل أربع وسبعين ، والأول أصح والله أعلم .

﴿ صفة ابن عباس ﴾

كان جسيما إذا جلس يأخذ مكان رجلين ، جميلا له وفرة ، قد شاب مقدم رأسه ، وشابت لنته ، وكان يخضب بالحناء وقيل بالسواد ، حسن الوجه يلبس حسنا ويكثر من الطيب بحيث إنه كان إذا مر في الطريق يقول النساء هذا ابن عباس أو رجل معه مسك ، وكان وسيما أبيض طويلا جسيما فصيحاً ، ولما عمى اعترى لونه صفرة يسيرة . وقد كان بنو العباس عشرة ، وهم الفضل ، وعبد الله ، وعبيد الله ، ومعبود ، وقثم ، وعبد الرحمن ، وكثير ، والحارث ، وعون ، وتمام . وكان أصغرهم تمام ، ولهذا كان يحمله ويقول .

تموا بتمام فصاروا عشرة * يارب فاجعلهم كراما بررة * واجعلهم ذكرا وانم الثمرة
فأما الفضل فمات بأجنادين شهيداً ، وعبد الله بالطائف ، وعبيد الله باليمن ، ومعبود وعبد الرحمن بآفريقية ، وقثم وكثير بمصر ، وقيل إن قثم مات بمصر قنصاً ، وقد قال مسلم بن حماد المسكني مولى بني مخزوم : ما رأيت مثل بني أم واحدة أشرف ولدوا في دار واحدة أبعد قبوراً من بني أم الفضل ، ثم ذكر مواضع قبورهم كما تقدم ، إلا أنه قال الفضل مات بالمدينة ، وعبيد الله بالشام .

وقد كان عبد الله بن عباس يلبس الحلة بألف درهم ، وكان له من الولد العباس وعلي ، وكان علي يدعى السجاد لكثرة صلاته ، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض ، وقد قيل إنه كان يصلي كل يوم

ألف ركة ، وقيل في الليل والنهار مع الجمال الشام ، وعلى هذا فهو أبو خلفاء العباسيين ، ففي ولده كانت الخلافة العباسية كما سيأتي ، وكان لابن عباس أيضاً محمد والفضل وعبد الله ، وأمهم زرعة بنت مسرح بن معدى كرب ، وله أسماء وهي لأم ولد ، وكان له من الموالى عكرمة وكريب وأبو عبيد وشعبة ودقيق وأبو عمرة وأبو عبيد . وأسند ألفا وستائة وسبعين حديثاً والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفيهما توفي أبو شريح الخزازي العدوي الكوفي ، اختلف في اسمه على أقوال أصحابها خويلد بن عمرو ، أسلم عام الفتح ، وكان معه أحد ألوية بني كعب الثلاثة ، قال محمد بن سعد : مات في هذه السنة وله أحاديث * وفيها توفي أبو واقد الليثي صحابي جليل اختلف في اسمه وفي شهوده براء ، قال الواقدي توفي سنة ثمان وستين عن خمس وستين سنة ، وكذا قال غير واحد في تاريخ وفاته . وزعم بعضهم أنه عاش سبعين سنة ، مات بمكة بعد ما جاوز بها سنة ودفن في مقابر المهاجرين والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين ﴾

ففيها كان مقتل عمرو بن سعيد الأشدق الأموي قتله عبد الملك بن مروان وكان سبب ذلك أن عبد الملك ركب في أول هذه السنة في جنوده قاصداً قرقيسيا ليحاصر زفر بن الحارث الكلبي الذي أعان سليمان بن صرد على جيش مروان حين قاتلوهم بعين وردة . ومن عزمه إذا فرغ من ذلك أن يقصد مصعب بن الزبير بعد ذلك ، فلما سار إليها استخلف على دمشق عمرو بن سعيد الأشدق ، فتحصن بها وأخذ أموال بيت المال وقيل بل كان مع عبد الملك ولكنه انخدل عنه في طائفة من الجيش وكر راجعاً إلى دمشق في الليل ، ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي ، وزهير بن الأبرد الكلبي ، فأتوها إلى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أم الحكم نائباً من جهة عبد الملك ، فلما أحس بهم هرب وترك البلد فدخلها عمرو بن سعيد الأشدق فاستحوذ على ما فيها من الخزائن ، وخطب الناس فوعدهم العدل والنصف والعطاء الجزيل والثناء الجليل ، ولما علم عبد الملك بما فعله الأشدق كر راجعاً من فوره فوجد الأشدق قد حصن دمشق وعلق عليها الستار والمسوح ، وانحاز الأشدق إلى حصن رومي منيع كان بدمشق فنزله ، فحاصره عبد الملك وقتله الأشدق مدة ستة عشر يوماً ، ثم اصطلمها على ترك القتال ، وعلى أن يكون ولي العهد بعد عبد الملك ، وعلى أن يكون لكل عامل لعبد الملك عامل له ، وكتباً بينهما كتاب أمان ، وذلك عشية الخميس ، ودخل عبد الملك إلى دمشق إلى دار الإمارة على عادته ، وبعث إلى عمرو بن سعيد الأشدق يقول له : رد على الناس أعطيتهم التي أخذتها من بيت المال ، فبعث إليه الأشدق : إن هذا ليس إليك ، وليس هذا البلد لك فاخرج منه ، فلما كان يوم الاثنين بعث عبد الملك إلى الأشدق يأمره بالاتيان إلى منزله بدار الإمارة الخضراء ، فلما جاءه الرسول صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية وهو زوج ابنته أم موسى بنت

الأشدق ، فاستشاره عمرو والأشدق في الذهاب إليه فقبل له : يا أبا سعيد والله لأنت أحب إلى من سمعي وبصري ، وأرى أن لا تأتيه ، فإن تبيهاً الحسيري ابن امرأة كهب الأخبار قال : إن عطياً من عظماء بني إسماعيل يخلق أبواب دمشق فلا يلبث أن يقتل . فقال عمرو : والله لو كنت نائماً ما تخوفت أن يذهبني ابن الزرقاء ، وما كان ليجنريء على ذلك مني ، مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قيصه ، وقال عمرو بن سعيد أبلغه السلام وقل له أنا رايح إليك العشي إن شاء الله . فلما كان العشي - يعني بعد الظهر - لبس عمرو درعا بين ثيابه وتقلد سيفه ونهض فمضى بالبساط فقالت امرأته وبعض من حضره : إنا لا نرى أن لا تأتيه ، فلم يلتفت إلى ذلك ومضى في مائة من مواليه ، وكان عبد الملك قد أمر بني مروان فاجتمعوا كلهم عنده ، فلما انتهى عمرو إلى الباب أمر عبد الملك أن يدخل وأن يحبس من معه عند كل باب طائفة منهم ، فدخل حتى انتهى إلى صرحه المكان الذي فيه عبد الملك ، ولم يبق معه من مواليه سوى وصيف ، فرمى ببصره فاذا مروان عن بكرة أبيهم مجتمعون عند عبد الملك ، فأحس بالشر فالتفت إلى ذلك الوصيف فقال له همساً : ويحك انطلق إلى أخي يحكي قتل له فليأتني ، فلم يفهم عنه وقال له : لبيك ، فاعاد عليه ذلك فلم يفهم أيضاً وقال : لبيك ، فقال : ويحك أغرب عني في حرق الله وناره ، وكان عند عبد الملك حسان بن مالك ابن بحدل ، وقيصة بن ذؤيب ، فأذن لهما عبد الملك بالانصراف ، فلما خرجا غلقت الأبواب واقترب عمرو من عبد الملك فرحب به وأجلسه معه على السرير ، ثم جعل يحديثه طويلاً ، ثم إن عبد الملك قال : يا غلام خذ السيف عنه ، فقال عمرو : إنا لله يا أمير المؤمنين : فقال له عبد الملك : أو تظلم أن تتحدث معي متقلدا سيفك ؟ فأخذ الغلام السيف عنه ، ثم تحدثا ساعة ، ثم قال له عبد الملك : يا أبا أمية ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : إنك حيث خلعتني آليت بيديني إن ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة ، فقالت بنو مروان : ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ، فقال ثم أطلقه ، وما عسيت أن أفعل بأبي أمية ، فقال بنو مروان : برين أمير المؤمنين ، فقال عمرو : بر قسمك يا أمير المؤمنين ، فأخرج عبد الملك من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ثم قال : يا غلام قم فاجمه فيها ، فقام الغلام فجمله فيها ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤس الناس ، فقال عبد الملك : أمكرا يا أبا أمية عند الموت ؟ لاها الله إذا ما كنا لنخرجك في جامعة على رؤس الناس ولما نخرجها منك إلا صمداً ، ثم اجتذبه اجتذابة أصاب فيه السرير فكسر نتيته ، فقال عمرو : أذكرك الله أن يدعوك كسر عظمي إلى ما هو أعظم من ذلك ، فقال عبد الملك : والله لو أعلم أنك إذا بقيت نفي لي وتصلح قریش لأطلقتك ، ولكن ما اجتمع رجالان في بلد قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه ، وفي رواية أنه قال له : أما علمت يا عمر وأنه لا يجتمع فلان

في شرك ؟ فلما تحقق عمرو ما يريد من قتله قال له : أعذراً يا ابن الزرقاء ؟ وأسمعه كلاماً رديئاً بشعاً ، وبينهما هما كذلك إذ أذن المؤذن للعصر ، فقام عبد الملك ليخرج إلى الصلاة ، وأمر أخاه عبد العزيز ابن مروان بقتله ، وخرج عبد الملك وقام إليه عبد العزيز بالسيف فقال له عمرو : أذكرك الله والرحم أن لا تلي ذلك مني ، وليتول ذلك غيرك ، فكف عنه عبد العزيز . ولما رأى الناس عبد الملك قد خرج وليس معه عمرو أرجف الناس بعمرو ، فأقبل أخوه يحيى بن سعيد في ألف عبد لعمرو بن سعيد وأناس معهم كثير ، وأسرع عبد الملك الدخول إلى دار الامارة ، وجاء أولئك فجعلوا يدقون باب الامارة ويقولون : أسمعنا صوتك يا أبا أمية ، وضرب رجل منهم الوليد بن عبد الملك في رأسه بالسيف فجرحه ، فأدخله إبراهيم بن عدي صاحب الديوان بيتاً ، وأحرزه فيه ، ووقعت خبطة عظيمة في المسجد ، وضجت الأصوات ، ولما رجع عبد الملك وجد أخاه لم يقتله فلما به وسبه وسب أمه . ولم تكن أم عبد العزيز أم عبد الملك . فقال له : ناشدني الله والرحم ، وكان ابن عمه عبد الملك بن مروان ، ثم إن عبد الملك قال : يا غلام أتني بالحربة ، فأناه بها فبرزها وضربه بها فلم تغن شيئاً ، ثم ثني فلم تغن شيئاً ، فضرب بيده إلى عضد عمرو فوجد مس الدرع فضحك وقال : أدارع أيضاً ؟ إن كنت معداً ، يا غلام اثنتي بالصمصامة ، فأناه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع ثم جلس على صدره فنبحه وهو يقول : - يا عمرو إلا تدع شئني ومنقصتي * أضربك حتى تقول الطامة اسقوني

قالوا : وانتفض عبد الملك بعد ما ذبحه كما تنتفض القصة برعدة شديدة جداً ، بحيث إنهم مارفوعه عن صدره إلا محمولاً ، فوضعه على سريريه وهو يقول : ما رأيت مثل هذا قط قبله صاحب دنيا ولا آخرة ، ودفع الرأس إلى عبد الرحمن بن أم الحكم فخرج إلى الناس فألقاه بين أظهرهم ، وخرج عبد العزيز بن مروان ومعه البدر من الأموال تحمل ، فأقبت بين الناس فجعلوا يختطفونها ، ويقال : إنها استرجعت بعد ذلك من الناس إلى بيت المال ، ويقال إن الذي ولي قتل عمرو بن سعيد مولى عبد الملك أبو الزعيرة بعد ما خرج عبد الملك إلى الصلاة فأنه أعلم . وقد دخل يحيى بن سعيد - أخو عمرو بن سعيد - دار الامارة بعد مقتل أخيه بمن معه فقام إليهم بنو مروان فاقتتلوا ، وخرج جماعات من الطائفتين ، وجاءت يحيى بن سعيد صخرة في رأسه أشغلته عن نفسه وعن القتال ، ثم إن عبد الملك بن مروان خرج إلى المسجد الجامع فصعد المنبر فجعل يقول : ويحكم ابن الوليد ؟ وأبهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا فأرهم ، فأناه إبراهيم بن عدي الكنانى فقال : هذا الوليد عندي قد أصابته جراحة وليس عليه بأس ، ثم أمر عبد الملك يحيى بن سعيد أن يقتل فتشفع فيه أخوه عبد العزيز ابن مروان ، وفي جماعات آخرين معه كان عبد الملك قد أمر بقتلهم ، فشفعه فيهم وأمر بحبسهم فبس شهماً ، ثم سيره وبنى عمرو بن سعيد وأهلهم إلى العراق فدخلوا على مصعب بن الزبير فأكرمهم

وأحسن إليهم ، ثم لما امتدت الجماعة لعبد الملك بسد مقتل ابن الزبير ، وفدوا عليه فكاد يقتلهم فتلطاف بعضهم في العبارة حتى رق لهم رقعة شديدة ، فقال لهم عبد الملك : إن أباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله ، فاخترت قتله على قتلي ، وأما أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرا بكم وأرعاني لحقكم فأحسن جزائهم وقرهم ، وقد كان عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو بن سعيد أن ابعتي إلى بكتاب الأمان الذي كنت كتبت له امرؤ ، فقالت : إني دفنته معه ليحيا كملك به يوم القيامة عند الله . وقد كان مروان بن الحكم وعد عمرو بن سعيد هذا أن يكون ولي العهد من بعد ولده عبد الملك ، كلاماً مجرداً ، فطامع في ذلك وقويته نفسه بسبب ذلك ، وكان عبد الملك ينفذه بغضاً شديداً من حال الصغر ، ثم كان هذا صنيعه إليه في الكبير . قال ابن جرير : وذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجب منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرته حتى قتلتها ؟ فقال : -

وأدنيته مني ليسكن روعه * فاصول صولة حازم مستمكن
غضباً ونجبة لديني إنه * ليس المسيء سبيله كالحسن

قال خليفة بن خياط : وهذا الشر للضبي بن أبي رافع تمثل به عبد الملك . وروى ابن دريد عن أبي حاتم عن الشعبي أن عبد الملك قال : لقد كان عمرو بن سعيد أحب إلي من دم التواظر ، ولكن والله لا يجتمع فلان في الأبل إلا أخرج أحدهما الآخر ، وإنا لسكا قال أخو بني يربوع : -

أجازي من جزائي الخير خيراً * وجازي الخير يحزى بالنوال
وأجزى من جزائي الشر شراً * كما نخذ النمال على النمال

قال خليفة بن خياط : وأشد أبو اليقظان لعبد الملك في قتله عمرو بن سعيد

صحت ولا تشلل وضرت عدوها * عين أراقت مهبجة ابن سعيد

[وجدت ابن مروان ولا نبيل عنده * شديد ضرير الناس غر بليد

هو ابن أبي العاصي لمروان ينتهي * إلى أسرة طابت له وجدود]^(١)

وكان الواقدي يقول : أما حصار عبد الملك لعمرو بن سعيد الأشد فكان في سنة تسع وستين ، رجع إليه من بطنان فحاصره بدمشق ثم كان قتله في سنة سبعين والله أعلم .

﴿ وهذه ترجمة الأشد ﴾

هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو أمية القرشي الأموي ، المعروف بالأشدق ، يقال إنه رأى النبي ﷺ وروى عنه أنه قال : « ما نحل والد ولداً أحسن من أدب حسن » وحدثنا آخر في العمق ، وروى عن عمر وعثمان وعلي وعائشة ، وحدث عنه بنوه أمية وسعيد

وفوسى وغيرهم ، واستنابته معاوية على المدينة ، وكذلك يزيد بن معاوية بعد أبيه كما تقدم ، وكان من سادات المسلمين ، ومن الكرماء المشهورين ، يعطى الكثير ، ويتحمل المظالم ، وكان وصى أبيه من بين بنيه ، وكان أبوه كما قدمنا من المشاهير الكرماء ، والسادة النجباء ، قال عمرو : ما شتمت رجلاً منذ كنت رجلاً ، ولا كانت من قصدنى أن يسألنى ، لهو آمن على منى عليه ، وقال سعيد بن المسيب : خطباء الناس فى الجاهلية الأسود بن عبد المطلب ، وسهيل بن عمرو ، وخطباء الناس فى الإسلام معاوية وابنه ، وسعيد بن العاص وابنه ، وعبد الله بن الزبير .

وقد قال الأُم أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا حماد ثنا على بن زيد أخبرنى من سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول . « ليرعفن على منبرى جبار من جبابرة بنى أمية حتى يسيل رعاقه » قال : فأخبرنى من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رفع على منبر رسول الله ﷺ حتى سال رعاقه . وهو الذى كان يبعث البعوث إلى مكة بعد وقعة الحرة أيام يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير ، فنهاه أبو شريح الخزاعى وذكر له الحديث الذى سمعه من رسول الله ﷺ فى تحريم مكة ، فقال : نحن أعلم بذلك منك يا شريح ، إن الحرام لا يعين عاصياً ولا فاراً بدم ، ولا فاراً بجزية ، الحديث كما تقدم وهو فى الصحيحين . ثم إن مروان دخل إلى مصر بعد ما دعا إلى نفسه واستقر له الشام ، ودخل معه عمرو بن سعيد ففتح مصر ، وقد كان وعد عمرأ أن يكون ولى العهد من بعد عبد الملك ، وأن يكون قبل ذلك نائباً بدمشق ، فلما قويت شوكة مروان رجع عن ذلك ، وجعل الأمر من بعد ذلك لولده عبد العزيز ، وخلع عمرأ . فما زال ذلك فى نفسه حتى كان من أمره ما تقدم ، فدخل عمرو دمشق وتحصن بها وأجابه أهلها ، فحاصره عبد الملك ثم استنزله على أمان صورى ، ثم قتله كما قدمنا .

وكان ذلك فى هذه السنة على المشهور عند الأكثرين ، وقال الواقدى وأبو سعيد بن يونس سنة سبعين فأنه أعلم . ومن الغريب ما ذكره هشام بن محمد الكلبي بسنده أن رجلاً سمع فى المنام قائلاً يقول على سور دمشق قبل أن يخرج عمرو بالكافية ، وقبل قتله بمدة هذه الأبيات :

ألا يا قوم للسفاهة والوهن * وللغاجر الموهون والرأى الأفن
ولا بن سعيد بينما هو قائم * على قدميه خر للوجه والبطن
رأى الحصن منجاة من الموت فالتجأ * إليه فزارته المنيسة فى الحصن

قال : فأثنى الرجل عبد الملك فأخبره فقال : ويحك سمعها منك أحد ؟ قال : لا ! قال : فضعها تحت قدميك ، قال : ثم بعد ذلك خلع عمرو والطاعة وقتله عبد الملك بن مروان ، وقد قيل إن عبد الملك لما حاصره راسله وقال : أنشدك الله والرحم أن تدع أمر بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة فإن فيما صنعت قوة لابن الزبير علينا ، فارجع إلى بيعتك ولك على عهد الله وميثاقه ،

وحلف له بالإيمان المؤكدة أنك ولي عهدي من بعدى ، وكتبنا بينهما كتاباً ، فأنخدع له عمرو وفتح له أبواب دمشق فدخلها عبد الملك وكان من أمرهما ما تقدم .

﴿ ومن توفى فيها من الأعيان أيضاً ﴾

﴿ أبو الأسود الدؤلى ﴾

ويقال له الديلى . قاضى الشكوفة ، تابعى جليل ، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر ابن جلس بن شبثة بن عدى بن الدؤل بن بكر ، أبو الأسود الذى نسب إليه علم النحو ، ويقال إنه أول من تكلم فيه ، وإنما أخذه عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وقد اختلف فى اسمه على أقوال ، أشهرها أن اسمه ظالم بن عمرو ، وقيل عكسه ، وقال الواقدي : اسمه عويم بن ظويلم ، قال وقد أسلم فى حياة النبى ﷺ ولم يره ، وشهد الجمل وهلك فى ولاية عبد الله بن زياد ، وقال يحيى بن معين وأحمد بن عبد الله العجلي : كان ثقة وهو أول من تكلم فى النحو ، وقال ابن معين وغيره : مات بالطاعون الجارف سنة تسع وستين . قال ابن خلكان : وقيل إنه توفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، وقد كان ابتداءها فى سنة تسع وتسعين . قلت : وهذا غريب جداً . قال ابن خلكان وغيره : كان أول من ألقى إليه علم النحو على بن أبى طالب ، وذكر له أن الكلام اسم وفعل وحرف ، ثم إن أبا الأسود نحى نحود وفرع على قوله ، وسلك طريقه ، فسمى هذا العلم النحو لذلك ، وكان الباعث لأبى الأسود على ذلك تغير لغة الناس ، ودخول اللحن فى كلام بعضهم أيام ولاية زياد على العراق ، وكان أبو الأسود مؤدب بنيه ، فانه جاء رجل يوماً إلى زياد فقال : توفى أبانا وترك بنون ، فأمره زياد أن يضع للناس شيئاً يهتدون به إلى معرفة كلام العرب ، ويقال إن أول ما وضع منه باب التعجب من أجل أن ابنته قالت له ليلة : يا أبة ما أحسن السماء ، قال نجومها ، فقالت : إني لم أسأل عن أحسنها إنما تعجبت من حسنها ، فقال قولى : ما أحسن السماء قال ابن خلكان : وقد كان أبو الأسود يبخل

وكان يقول : أظننا المساكين فى أموالنا لسكننا مثلهم . وعشى ليلة مسكيناً ثم قيده وبيته عنده ومنعه أن يخرج ليلته تلك لئلا يؤذى المسلمين بسؤاله ، فقال له المسكين : اطلقنى ، فقال هيهات ، إنما عشتك لأريح منك المسلمين الليلة ، فلما أصبح أطلقه . وله شعر حسن .

قال ابن جرير : وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وقد أظهر خارجى التحكيم بى قتل عند الحجرة . والنواب فيها هم الذين كانوا فى السنة التى قبلها ﴿ ومن توفى فيها ﴾ جابر بن سمرة ابن جنادة . له صحبة ورواية ولأبيه أيضاً صحبة ورواية ، وقيل توفى فى سنة ست وستين فأن الله أعلم . ﴿ أسماء بنت يزيد ﴾ بن السكن الأنصارية ، بايعت النبى ﷺ وقتلت بعمود خيمتها يوم اليرموك تسعة من الروم ليلة عرسها ، وسكنت دمشق ودفنت بباب الصغير

﴿ حسان بن مالك ﴾ أبو سليمان البجلي قام ببيعة مروان لما تولى الخلافة ، مات في هذه السنة والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبعين من الهجرة ﴾

فيها ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام ، واستضعفهم لما يرون من الاختلاف الواقع بين بني مروان وابن الزبير ، فصالح عبد الملك ملك الروم وهادنه على أن يدفع إليه عبد الملك في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على الشام . وفيها وقع الوباء بمصر فهرب منه عبد العزيز بن مروان إلى الشرقية ، فنزل حلوان وهي على مرحلة من القاهرة ، واتخذها منزلاً واشتراها من القبط بعشرة آلاف دينار ، وبنى بها داراً للامارة وجامعاً ، وأنزلها الجند . وفيها ركب مصعب بن الزبير من البصرة إلى مكة ومعه أموال جزيلة . فأعطى وفرق وأطلق لجماعة من رؤس الناس بالحجاز أموالاً كثيرة .

ومن توفي فيها من الأعيان عاصم بن عمر بن الخطاطب القرشي العدوي ، وأمه جميلة بنت ثابت ابن أبي الأفلح ، ولد في حياة رسول الله ﷺ ، ولم يرو إلا عن أبيه حديثاً واحداً « إذا أقبل الليل من ههنا » الحديث ، وعنه ابنه حفص وعبد الله ، وعروة بن الزبير ، وقد طلق أبوه أمه فأخذته جدته الشموس بنت أبي عامر ، أتى به الصديق وقال سمها ولطفها أحب إليه منك ، ثم لما زوجه أبوه في أيام إمارته أنفق عليه من بيت المال شهراً ، ثم كف عن الاتفاق عليه وأعطاه من ماله وأمره أن يتجر وينفق على عياله . وذكر غير واحد أنه كان بين عاصم وبين الحسن والحسين منازعة في أرض ، فلما تبين عاصم من الحسن الغضب قال : هي لك ، فقال له : بل هي لك ، فتركها ولم يتعرضا لها ، ولا أحد من ذريتهما حتى أخذها الناس من كل جانب ، وكان عاصم رئيساً وقوراً كريماً فاضلاً . قال الواقدي : مات سنة سبعين بالمدينة ﴿ قبيلة بن ذؤيب الخزاعي السكبي ﴾ أبو العلاء من كبار التابعين وهو أخو معاوية من الرضاعة ، كان من فقهاء أهل المدينة وصالحينهم ، انتقل إلى الشام وكان معلماً كتاب

﴿ قيس بن دريج ﴾

المشهور أنه من بادية الحجاز ، وقيل إنه أخو الحسين بن علي من الرضاعة ، وكان قد تزوج لبني بنت الحباب ثم طلقها ، فلما طلقها هاجم لها به من الغرام ، وسكن البادية ، وجعل يقول فيها الأشعار ونحل جسمه ، فلما زاد ما به أتاها ابن أبي عتيق فأخذته ومضى به إلى عبد الله بن جعفر فقال له : فداك أبي وأمي ، اركب معي في حاجة ، فركب واستنهض معه أربعة نفر من وجوه قريش ، فذهبوا معه وهم لا يدرون ما يريد ، حتى أتى بهم باب زوج لبني ، فخرج إليهم فاذا وجوه قريش ، فقال : جعلني الله فداكم ! ما جاء بكم ؟ قالوا : حاجة لابن أبي عتيق ، فقال الرجل : اشهدوا أن حاجته مقضية ، وحكمه جائز ، فقالوا : أخبره بحاجتك ، فقال ابن أبي عتيق : اشهدوا على أن زوجت لبني منه طالق ،

فقال عبيد الله بن جعفر : قبحك الله ، ألهذا جئت بنا ؟ فقال : جعلت فداكم يطاق هذا زوجته ويتزوج بغيرها خير من أن يموت رجل مسلم في هواها صباية ، والله لا أبرح حتى ينتقل متاعها إلى بيت قيس ، ففعلت وأقاموا مدة في أرغد عيش وأطيبه رحمهم الله تعالى .

﴿ يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري ﴾

الشاعر كان كثير الشعر والمهجو ، وقد أراد عبيد الله بن زياد قتله لكونه هجا أباه زياداً ، فنهجه معاوية من قتله ، وقال : أدبه ، فسقاه دواء مسهلاً وأركبه على حمار وطاف به في الأسواق وهو يسلمح على الحمار فقال في ذلك : -

يفسل الماء ما صنعت وشعري * راسخ منك في العظام البوالى

﴿ بشير بن النضر ﴾ قاضى مصر ، كان رزقه في العام ألف دينار ، توفي بمصر ، وولى بعده عبد الرحمن بن حمزة الخولاني ، والله سبحانه أعلم ﴿ مالك بن يخامر ﴾ السكسكى الأثفاني الحمصى تابعى جليل ، ويقال له صحبة فالله أعلم . روى البخارى من طريق معاوية عنه عن معاذ بن جبل في حديث الطائفة الظاهرة على الحق أنهم بالشام ، وهذا من باب رواية الأكبر عن الأصغر ، إلا أن يقال له صحبة ، والصحيح أنه تابعى وليس بصحابى ، وكان من أخص أصحاب معاذ بن جبل رضى الله عنه ، قال غير واحد : مات في هذه السنة ، وقيل سنة اثنتين وسبعين والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ﴾

ففيها كان مقتل مصعب بن الزبير ، وذلك أن عبد الملك بن مروان سار في جنود هائلة من الشام قاصداً مصعب بن الزبير ، فالتقيا في هذه السنة ، وقد كانا قبلها يركب كل واحد ليلتقى بالآخر فيحول بينهما الشتاء والبرد والوحل ، فيرجع كل واحد منهما إلى بلده ، فلما كان في هذا العام سار إليه عبد الملك وبعث بين يديه السرايا ، ودخل بعض من أرسله إلى البصرة فدعا أهبا إلى عبد الملك في السر ، فاستجاب له بمضهم ، وقد كان مصعب سار إلى الحجاز فجاء ودخل البصرة على إثر ذلك ، فأنب الكبراء من الناس وشتهم ولاهمهم على دخول أولئك إليهم ، وإقرارهم لهم على ذلك ، وهدم دور بعضهم ، ثم شخص إلى الكوفة ، ثم بلغه قصد عبد الملك له بجنود الشام فخرج إليه ووصل عبد الملك إلى مسكن ، وكتب إلى مروان الذين استجابوا لمن بعثه إليهم فأجابوه ، واشتروطوا عليه أن يوليهم أصبهان فقال نعم - وهم جماعة كثيرة من الأمراء - وقد جعل عبد الملك على مقدمته أخاه محمد بن مروان ، وعلى ميمنته عبيد الله بن يزيد بن معاوية ، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية ، وخرج مصعب وقد اختلف عليه أهل العراق ، وخذلوه وجعل يتأمل من معه فلا يجدهم يقاومون أعداءه ، فاستنقل وطمعن نفسه على ذلك ، وقال : لى بالحسين بن على أسوة حين امتنع من

إلقائه يده، ومن الذلة لعبيد الله بن زياد، وجعل ينشد ويقول مسلماً نفسه :

وإن الأولى بالطف من آل هاشم * تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وكان عبد الملك قد أشار عليه بعض أصحابه أن يقيم بالشام وأن يبعث إلى مصعب جيشاً ، فأبى وقال : لعلني إن بعثت رجلاً شجاعاً كان لا رأى له ، ومن له رأى ولا شجاعة له ، وإني أجده من نفسي بصيراً بالحرب وشجاعة ، وإن مصعباً في بيت شجاعة ، أبوه أشجع قرشي ، وأخوه لا تجهل شجاعته ، وهو شجاع ومعه من يخالفه ولا علم له بالحرب ، وهو يحب الدعة والصفح ، ومعنى من ينصح لي ويوافقني على ما أريد ، فسار بنفسه فلما تقارب الجيشان بعث عبد الملك إلى أمراء مصعب يدعوهم إلى نفسه ويعددهم الولايات ، فجاء إبراهيم بن الأشر بن الأشر إلى مصعب فألقى إليه كتاباً مخنوماً وقال : هذا جاءني من عبد الملك ، ففتحه فإذا هو يدعوهم إلى الالتئان إليه وله نيابة العراق ، وقال لمصعب : أيها الأمير ! إنه لم يبق أحد من أمرائك إلا وقد جاءه كتاب مثل هذا ، فإن أعطيتني ضربت أعناقهم . فقال له مصعب : إني لو فعلت ذلك لم ينصحننا عشائريهم بعدد ، فقال : فابعثهم إلى أبيض كسرى فاسجنهم فيه ، فإن كانت لك النصره ضربت أعناقهم ، وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك . فقال له : يا أبا النعمان ، إني لفي شغل عن هذا ، ثم قال مصعب : رحم الله أبا بجر - يعني الأحنف - أن كان ليحذرني غدر أهل العراق ، وكأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه الآن . ثم توجه الجيشان بدير الجائلين من مسكن ، فحمل إبراهيم بن الأشر - وهو أمير المقدمة العراقية لجيش مصعب - على محمد بن مروان - وهو أمير مقدمة الشام - فأزالهم عن موضعهم ، فأردفه عبد الملك بعبد الله بن يزيد بن معاوية ، فحملوا على ابن الأشر ومن معه فطحنوه ، وقتل ابن الأشر رحمه الله وعفا عنه ، وقتل معه جماعة من الأمراء ، وكان عتاب بن ورقاء على خيل مصعب فهرب أيضاً ولجأ إلى عبد الملك بن مروان ، وجعل مصعب بن الزبير وهو واقف في القلب ينهض أصحاب الرايات ويحث الشجعان والأبطال أن يتقدموا إلى أمام القوم ، فلا يتحرك أحد ، فجعل يقول : يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم ، وتفاقم الأمر واشتد القتال ، وتخاذلت الرجال ، وضاق الحال ، وكثر النزال . قال المدائني : أرسل عبد الملك أخاه إلى مصعب يعطيه الأمان فأبى وقال : إن مثلي لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالباً أو مغلوباً . قالوا : فنادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب فقال : يا ابن أخي لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مصعب : قد أمنتك عنك فامض إليه ، فقال : لا يتحدث نساء قریش أني أسلمتك للقتل ، فقال له : يا بني فاركب خيل السبق فالحق بعمك فأخبره بما صنع أهل العراق فاني مقتول ههنا ، فقال : والله إني لا أخبر عنك أحداً أبداً ، ولا أخبر نساء قریش بمصرعك ، ولا أقتل إلا معك ولكن إن شئت ركبت خيلك وسرنا إلى البصرة فانهم على الجماعة ، فقال : والله لا يتحدث قریش

بأنى فرت من القتال ، فقال لابنه : تقدم بين يدي حتى أحسبك ، فتقدم ابنه فقاتل حتى قتل ، وأثنى مصعب بالرحى فنظر إليه زائدة بن قدامة وهو كذلك فحمل عليه فطعنه وهو يقول : يا ثارات المختار ، ونزل إليه رجل يقال له عبيد الله بن زياد بن ظبيان النخعي فقتله وحرز رأسه وأتى به عبيد الملك بن مروان ، فسجد عبد الملك وأطلق له ألف دينار فأبى أن يقبلها وقال : لم أقتله على طاعتك ولكن بثأر كان لي عنده ، وكان قد ولي له عملاً قبل ذلك فعزله عنه وأهانته .

قالوا : ولما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال عبد الملك : لقد كان بيني وبين مصعب صحبة قديمة ، وكان من أحب الناس إلي ، ولكن هذا الملك عقيم ، وقال : لما تفرق عن مصعب جموعه قال له ابنه عيسى : لو اعتصمت ببعض القلاع وكأنت من بعد عنك مثل المهلب بن أبي صفرة وغيره فقدموا عليك ، فإذا اجتمع لك ما تريد منهم لقيت القوم ، فانك قد ضعفت جداً فلم يرد عليه جواباً ، ثم ذكر ما جرى للحسين بن علي وكيف قتل كريماً ولم يلق بيده ، ولم يجد من أهل العراق وفاء ، وكذلك أبوه وأخوه ، ونحن ما وجدنا لهم وفاء ، ثم انهزم أصحابه وبقي في قليل من خواصه ، ومال الجميع إلى عبد الملك ، وقد كان عبد الملك يحب مصعباً حباً شديداً ، وكان خليلاً له قبل الخلافة ، فقال لأخيه محمد : اذهب إليه فأمنه ، فجاءه فقال له : يا مصعب قد أمنك ابن عمك على نفسك وولدك ومالك وأهلك ، فاذهب حيث شئت من البلاد ، ولو أراد بك غير ذلك لكان ، فقال مصعب : قضى الأمر ، إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً ، فتقدم ابنه عيسى فقاتل ، فقال محمد بن مروان : يا ابن أخي لا تقتل نفسك . ثم ذكر من قوله ما تقدم ، ثم قاتل حتى قتل رحمه الله ، ثم ذكر من قتل منهم بعده كما تقدم ، قال : ولما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك بكى وقال : والله ما كنت أقدر أن أصبر عليه ساعة واحدة من حيي له حتى دخل السيف بيننا ، ولكن الملك عقيم . ولقد كانت الحبة والخمرة بيننا قديمة ، متى تلد النساء مثل مصعب ؟ ثم أمر بمواراته ودفنه هو وابنه وإبراهيم بن الأشتر في قبور بمسكن بالقرب من الكوفة . قال المدائني : وكان مقتل مصعب بن الزبير يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادى الأولى أو الآخرة من سنة إحدى وسبعين في قول الجمهور وقال المدائني : سنة ثنتين وسبعين والله أعلم .

قالوا : ولما قتل عبد الملك مصعباً ارتحل إلى الكوفة فنزل النخيلة فوفدت عليه الوفود من رؤساء القبائل وسادات العرب ، وجعل يخاطبهم بفصاحة وبلاغة واستشهاد بأشعار حسنة وبأيامه أهل العراق وفرق العملات في الناس ، وولى الكوفة قطن بن عبد الله الحرى أربعين يوماً ، ثم عزله وولى أخاه بشر بن مروان عليها . وخطب عبد الملك يوماً بالكوفة فقال في خطبته : إن عبد الله بن الزبير لو كان خلفية كما يزعم لخرج فأسى بنفسه ولم يغرز ذنبه في الحرم ، ثم قال لهم : إني قد استخلفت عليكم

أخى بشر بن مروان وأمرته بالاحسان إلى أهل الطاعة ، وبالشدة على أهل المعصية ، فاسمعوا له وأطيعوا .
وأما أهل البصرة فاتهم لما بلغهم مقتل مصعب تنازع في إمارتها أبان بن عثمان بن عفان ،
وعبيد الله بن أبي بكر ، فغلبه أبان عليها ، فباعه أهلها فكان أشرف الرجلين ، قال أعرابي : والله
لقد رأيت رداء أبان مال عن عاتقه يوما فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه على منكميه ،
وقال غيره : مدَّ أبان يوما رجله فابتدرها معاوية وعبيد الله بن عامر أيهما يغمزها ، قال : فبعث
عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد واليا عليها - يعني على البصرة - فأخذها من أبان
واستتاب فيها عبيد الله بن أبي بكر ، وعزل أبانا عنها . قالوا : وقد أمر عبد الملك بطعام كثير
فعمل لأهل الكوفة فأكوا من سمطه ومعه يومئذ على السرير عمرو بن حريث ، فقال له عبد الملك :
ما ألد عيشتنا لو أن شيئا يدوم ؟ ولكن كما قال الأول

وكل جديد يا أميم إلى البلى * وكل امرئ يوما يصير إلى كان

فلما فرغ الناس من الأكل نهض فنادى في القصر وجعل يسأل عمرو بن حريث عن أحوال القصر
ومن بنى أما كنه وبيوته ثم عاد إلى مجلسه فاستلقى وهو يقول :

اعمل على مهل فانك ميت * واكدهج لنفسك أيها الانسان
فكان ما قد كان لم يك إذ مضى * وكأن ما هو كائن قد كان

قال ابن جرير : وفيها رجع عبد الملك كما زعم الواقدي إلى الشام ، وفيها عزل ابن الزبير جابر
ابن الأسود عن المدينة وولى عليها طلحة بن عبد الله بن عوف ، وكان هو آخر أمراءه عليها ،
حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان من جهة عبد الملك . وفيها حج بالناس عبيد الله بن
الزبير ولم يبق له ولاية على العراق . قال الواقدي : وفيها عقد عبيد المزين بن مروان نائب مصر
لحسان العائى على غزو إفريقية فسار إليها في عسدد كثير ، فافتتح قرطاجنة وكان أهلها روما عباد
أصنام . وفيها قتل نجدة الحرورى الذى تغلب على اليمامة ، وفيها خرج عبد الله بن نود فى اليمامة .
﴿ وهذه ترجمة مصعب بن الزبير رحمه الله ﴾

وهو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، أبو
عبد الله القرشى ، ويقال له أبو عيسى أيضا الأسدى ، وأمه كرمات بنت أنيف الكلبية ، كان من
أحسن الناس وجها ، وأشجعهم قلبا . وأسخام كفا ، وقد حكى عن عمر بن الخطاب ، وروى عن أبيه
الزبير وسعد وأبي سعيد الخدرى ، وروى عنه الحكم بن عيينة وعمر بن دينار الجمحى ، وإسماعيل
ابن أبي خالد ، ووفد على معاوية ، وكان ممن يجالس أبا هريرة ، وكان من أحسن الناس وجها ، حكى
الزبير بن بكار أن جميلا نظر إليه وهو واقف بعرفة فقال : إن ههنا فقى أكره أن تراه بثينة ، وقال

الشعبي : ما رأيت أميراً على منبر قط أحسن منه ، وكذا قال إسماعيل بن خالد . وقال الحسن هو
أجل أهل البصرة ، وقال الخطيب البغدادي : ولي إمرة المراقين لأخيه عبد الله حتى قتله عبد الملك
بمسكن بموضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجائليق ، وقبره إلى الآن معروف هناك . وقد
ذكرنا صفة مقتله المختار بن أبي عبيد ، وأنه قتل في غداة واحدة من أصحاب المختار سبعة آلاف ، قال
الواقدي : لما قتل مصعب المختار طلب أهل القصر من أصحاب المختار من مصعب الأمان فأمهم ، ثم
بعث إليهم عباد بن الحصين فجعل يخرجهم ملتفين ، فقال له رجل : الحمد لله الذي نصركم علينا وابتلانا
بالأسر ، يا ابن الزبير من عنا عنا الله عنه ، ومن عاقب لا يأمن القصاص ، نحن أهل قبلكم وعلى ملتكم
وقد قدرت فاسمح واعف عنا ، قال : فرق لهم مصعب وأراد أن يخلي سبيلهم ، فقام عبد الرحمن بن
محمد بن الأشعث وغيره من كل قبيلة فقالوا : قد قتلوا أولادنا وعشائرنا وجرحوا منا خلقاً ، اخترنا
أو اخترهم ، فأمر حينئذ بقتلهم ، فنادوا بأجمعهم : لا تقتلنا واجعلنا مقدمتك في قتال عبد الملك بن
مروان ، فإن ظفرنا فلکم ، وإن قتلنا لا تقتل حتى تقتل منهم طائفة ، وكان الذي تريد ، فأبى ذلك
مصعب ، فقال له مسافر : اتق الله يا مصعب ، فإن الله عز وجل أمرك أن لا تقتل نفساً مسلمة بغير
نفس ، وإن (من قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً
عظيماً) فلم يسمع له بل أمر بضرب رقابهم جميعهم وكانوا سبعة آلاف نفس ، ثم كتب مصعب إلى
ابن الأشتر أن أجبني فلك الشام وأعنة الخيل ، فسار ابن الأشتر إلى مصعب . وقيل إن مصعباً لما
قدم مكة أتى عبد الله بن عمر فقال : أي عم : إني أسألك عن قوم خلعوا الطاعة وقتلوا حتى غلبوا
تحصنوا وسألوا الأمان فأعطوه ثم قتلوا بعد ذلك . فقال : وكم هم ؟ فقال : خمسة آلاف ، فسبح ابن
عمر واسترجع وقال : لو أن رجلاً أتى ماشية الزبير فذبح منها خمسة آلاف ماشية في غداة واحدة
أأنت تسمه مسرفاً ؟ قال : نعم : قال : أفترأه إسرافاً في البهائم ولا ترأه إسرافاً في من ترجو توبته ؟
يا ابن أخي أصب من الماء البارد ما استطعت في دينك . ثم إن مصعباً بعث برأس المختار إلى أخيه بمكة
وتمكن مصعب في العراق تمكننا زائلاً ، فقرر بها الولايات والعمال ، وحظى عنده ابن الأشتر فجعله
على الوفاة ، ثم رحل مصعب إلى أخيه بمكة فأعلمه بما فعل فأقره على ما صنع ، إلا ابن الأشتر لم يرض
له ما جعله عليه ، وقال له : أتراني أحب الأشتر وهو الذي جرحني هذه الجراحة ، ثم استدعى بمن
قسم مع مصعب من أهل العراق فقال لهم : والله لوددت أن لي بكل رجلين منكم رجلاً من أهل
الشام . فقال له أبو حازم الأسدي - وكان قاضي الجماعة بالبصرة - إن لنا ولكم مثلاً قد مضى
يا أمير المؤمنين وهو ما قال الأعشى :

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً * غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

قلت كما قيل أيضاً : -

جننا بليلي وهي جنت بغيرنا * وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

علائقك يا أمير المؤمنين وعلقت أهل الشام وعلق أهل الشام إلى مروان ، فسا عسينا أن نصنع ؟ قال الشعبي : ما سمعت جواباً أحسن منه ، وقال غيره : وكان مصعب من أشد الناس محبة للنساء وقد أمضى من ذلك شيئاً كثيراً كما روى أنه اجتمع عند الحجر الأسود جماعة منهم ابن عمر ومصعب بن الزبير ، فقالوا : ليقم كل واحد منكم وليسأل من الله حاجته ، فسأل ابن عمر المغفرة ، وسأل مصعب أن يزوجه الله سكينه بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة ، وكاننا من أحسن النساء في ذلك الزمان ، وأن يعطيه الله إمرة العراقين ، فأعطاه الله ذلك ، تزوج بعائشة بنت طلحة ، وكان صداقها عليه مائة ألف دينار ، وكانت باهرة الجمال جداً ، وكان مصعب أيضاً جميلاً جداً ، وكذلك بقية زوجاته ، قال الأصمعي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : اجتمع في الحجر مصعب وعروة وابن الزبير وابن عمر ، فقال عبد الله بن الزبير : أما أنا فأتني الخلافة ، وقال عروة : أما أنا فأتني أن يؤخذ عني العلم ، وقال مصعب ، أما أنا فأتني إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينه بنت الحسين . وقال عبد الله بن عمر : أما أنا فأتني المغفرة . قال : فقالوا كلهم ما آمنوا ، ولعل ابن عمر قد غفر الله له .

وقال عامر الشعبي : بينما أنا جالس إذ دعاني الأمير مصعب بن الزبير فأدخلني دار الإمارة ثم كشف فاذا وراءه عائشة بنت طلحة ، فلم أر منظرأ أبهى ولا أحسن منها ، فقال : أتدري من هذه ؟ فقلت : لا فقال : هذه عائشة بنت طلحة ، ثم خرجت فقالت : من هذا الذي أظهرتني عليه ؟ قال : هذا عامر الشعبي ، قالت : فأطلق له شيئاً ، فأطلق لي عشرة آلاف درهم . قال الشعبي : فكان أول مال ملكته ، وحكى الحافظ ابن عساكر أن عائشة بنت طلحة تغضبت مرة على مصعب ففرضها بأربعمائة ألف درهم ، فأطلقها هي للمرأة التي أصلحت بينهما ، وقيل إنه أهديت له فخلعة من ذهب ثمارها من صنوف الجواهر المضمنة ، فقومت بألفي ألف دينار ، وكانت من متاع الفرس فأعطاه لعائشة بنت طلحة .

وقد كان مصعب من أجود الناس وأكثرهم عطاء ، لا يستكثر ما يعطى ولو كان ماعساه أن يكون فكانت عطاياه للقوى والضعيف ، والوضيع والشريف متقاربة ، وكان أخوه عبد الله يميل . وروى الخطيب البغدادي في تاريخه أن مصعباً غضب مرة على رجل فأمر بضرب عنقه ، فقال له الرجل : أعز الله الأمير ما أقبح بمنلى أن يقوم يوم القيامة فيتعلق بأطرافك هذه الحسنة ، وبوجهك هذا الذي يستضاء به ، فأقول : يارب سل مصعباً فيم قتلنى . فعفا عنه ، فقال الرجل : أعز الله الأمير إن

رأيت ما وهبتي من حيائي في عيش رضى ، فأطلق له مائة ألف ، فقال الرجل إني أشهدك أن نصفها لابن قيس الرقيات حيث يقول فيك :-

إن مصعبا شهاب من الله * تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء
يتقى الله في الأمور وقد * أفلح من كان همه الاتقاء

وفي رواية أنه قال له : أيها الأمير قد وهبتي حياة ، فإن استطعت أن تجعل ما قد وهبتي من الحياة في عيش رضى وسمة فافعل ، فأمر له بمائة ألف .

وقال الامام أحمد : حدثنا حماد بن سلمة ثنا علي بن يزيد قال : بلغ مصعبا عن عريف الأنصاري شئ ففهم به ، فدخل عليه أنس بن مالك فقال له : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « استوصوا بالأنصار خيرا » - أو قال مبروفا - اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » . فألقى مصعب نفسه عن سريره وأصق خده بالبساط وقال : « أمر رسول الله ﷺ على الرأس والعين » فتركه . ومن كلام مصعب في التواضع أنه قال : العجب من ابن آدم كيف يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين . وقال محمد بن يزيد المبرد : سئل القاسم بن محمد عن مصعب فقال : كان نبيلاً رئيساً تقياً أنيساً . وقد تقدم أنه لما ظهر على المختار قتل من أصحابه في غداة واحدة خمسة آلاف ، وقيل سبعة آلاف ، فلما كان بعد ذلك لقي ابن عمر فسلم عليه فلم يعرفه ابن عمر ، لأنه كان قد انصرف في عينيه ، فتعرف له فعرفه ، قال : أنت الذي قتلت في غداة واحدة خمسة آلاف من يوحد الله ؟ فاعتذر إليه بأنهم بايعوا المختار ، فقال : أما كان فيهم من هو مستكره أو جاهل فينظر حتى يتوب ؟ أرايت لو أن رجلاً جاء إلى غنم الزبير فنحر منها خمسة آلاف في غداة واحدة ، أما كان مسرفاً ؟ قال : بلى ! قال : وهي لا تعبد الله ولا تعرفه كما يعرفه الآدمي ، فكيف بمن هو موحد ؟ ثم قال له : يا بني تمتع من الماء البارد ما استطعت ، وفي رواية أنه قال له : عش ما استطعت .

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الحسن عن زفر بن قتيبة عن الكلابي قال قال عبد الملك ابن مروان يوماً لجلسائه : من أشجع العرب وأنوم ؟ قالوا شبيب ، وقال آخر : قطري بن الفجاءة وفلان وفلان . فقال عبد الملك : إن أشجع الناس لرجل جمع بين سكيكة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وأمه الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كريز ، وابنه ريان بن أنيف الكلابي ، سيد ضاحية العرب وولي العراقين خمس سنين فأصاب ألف ألف ، وألف ألف ، وألف ألف ، مع ما لنفسه من الأموال ومالك غير ذلك من الأثاث والدواب والأموال ما لا يحصى ، وأعطى مع هذا الأمان وأن يسلم هذا له جميعه مع الحياة فزهد في هذا كله وأبى واختار القتل على مقام ذل ، ومفارقة هذا كله ومشى

بسيفه فقاتل حتى مات ، وذلك بعد خذلان أصحابه له ، فذلك مصعب بن الزبير رحمه الله ، وليس هو كمن قطع الجسور مرة ههنا ومرة ههنا . فهنا هو الرجل وهذا هو الزهد . قالوا : وكان مقتله يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة ثنتين وسبعين .

وقال الزبير بن بكار : حدثني فليح بن إسماعيل وجعفر بن أبي بشير عن أبيه . قال : لما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال : -

لقد أردى الفوارس يوم عبس * غلام غير مناع المناع
ولا فرح بخير إن أتاه * ولا هلع من الحدثان لراع
ولا رقابة والخليل تمدو * ولا خال كانبوب اليراع

فقال الرجل الذي جاء برأسه : والله يا أمير المؤمنين لو رأيته والرمح في يده تارة والسيف تارة يفرى بهذا ويطن بهذا ، لرأيت رجلاً يملأ القلب والعين شجاعة ، لكنه لما تفرقت عنه رجاله وكثر من قصده وبقي وحده ما زال ينشد : -

وإني على المكروه عند حضوره * أكذب نفسي والجفون فلم تغض
وما ذاك من ذل ولكن حفيظة * أذب بها عند المسكارم عن عرضي
وإني لأهل الشر بالشر مرصد * وإني لذي سلم أذل من الأرض

فقال عبد الملك : كان والله كما وصف به نفسه وصدق ، ولقد كل من أحب الناس إلى ، وأشدهم لي ألفة ومودة ، ولكن الملك عقيم . وروى يعقوب بن سفيان عن سليمان بن حرب عن غسان بن مضر عن سميد بن يزيد أن عبيد الله بن زياد بن ظبيان قتل مصعباً عند دير الجائلين على شاطئ نهر يقال له دجيل ، من أرض مسكن ، واحتز رأسه فذهب به إلى عبد الملك فسجد شكراً لله ، وكان ابن ظبيان فاتكاً رديئاً وكان يقول : ليتني قتلت عبد الملك حين سجد يومئذ فأكون قد قتلت ملكي العرب ، قال يعقوب : وكان ذلك سنة ثنتين وسبعين فأن الله أعلم . وحكى الزبير بن بكار في عمره يوم قتل ثلاثة أقوال ، أحدها خمس وثلاثون سنة والثاني أربعون سنة ، والثالث خمس وأربعون سنة فأن الله أعلم .

وروى الخطيب البغدادي أن امرأته سكينه بنت الحسين كانت معه في هذه الوقعة فلما قتل طلبته في القتلى حتى عرفته بشامة في خده فقالت : نعم بعلى المرأة المسلمة ، كنت أدركك والله ما قال عنتر

وخليل غانصة تركت مجندلاً * بالقاع لم يعهد ولم يتسلم
فهتكت بالروح الطويل إهابه * ليس الكريم على القنا بمحرم

قال الزبير : وقال عبد الله بن قيس الرقيات يرى مصعب بن الزبير رحمه الله تعالى : -

لقد أوثق المصريين حزنا وذلة * قتيل بدر الجائليق مقيم
فما نصحت لله بكر بن وائل * ولا صدقت يوم اللقاء تميم
ولو كان بكريا يطف حوله * كتائب يبتقى حرها ويدوم
ولكنه ضاع الندام ولم يكن * بها مضى يوم ذاك كريم
جزى الله كوفيا هناك ملامة * وبصرهم إن الملام ملوم
وإن بنى الملات أخلوا ظهورنا * ونحن صريح بينهم وصميم
فان نحن لا يبقى أولئك بعدنا * لذي حرمة في المسامين حريم

وقد قال أبو حاتم الرازي : ثنا يحيى بن مصعب الكلبي ثنا أبو بكر بن عياش عن عبد الملك بن عمير قال : دخلت القصر بالكوفة فإذا رأس الحسين بن علي على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد وعبيد الله على السرير ، ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس عبيد الله بن زياد على ترس بين يدي المختار ، والمختار على السرير ، ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس المختار على ترس بين يدي مصعب بن الزبير ، ومصعب على السرير ، ثم دخلت القصر بعد حين فرأيت رأس مصعب بن الزبير على ترس بين عبد الملك ، وعبيد الله على السرير . وقد حكى ذلك الامام أحمد وغير واحد عن عبد الملك بن عمير . [وقال عبد الله بن قيس الرقيات يرى مصعبا أيضا

نعت السحائب والغمام بأسرها * جعداً بمسكن عارى الأوصال
تمسى عوائده السباع وداره * بتنازل أطالهن بوالى
رحل الرفاق وغادروه ثاوياً * للريح بين صبا وبين شمال

فصل

وكان لمصعب من الولد عكاشة وعيسى الذى قتل معه وسكينه وأمههم فاطمة بنت عبد الله بن السائب ، وعبد الله ومحمد ، وأمهما عائشة بنت طلحة ، ^(١) وأمهما أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وجعفر ومصعب وسعيد وعيسى الأصغر والمنذر لأمهات شتى ، والرباب وأمهها سكينه بنت الحسين ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وعنهم ^(٢)

قال ابن جرير . وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد بن يحيى حدثني مصعب بن عثمان قال : لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قتل أخيه مصعب قام في الناس خطيباً فقال : الحمد لله الذى له الخلق والأمر يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء وينزل من يشاء ، بيده ^(١) كذا بنسخة طوب قبو بالأستانة وهو ساقط من النسخة المصرية كما يرى ^(٢) سقط من المصرية

الخير وهو على كل شيء قدير ، ألا وإنه لم يبدل الله من كان الحق معه وإن كان فرداً وحده ، وإن يفلح من كان وليه الشيطان وحزبه ولو كان معه الأنام طراً ، ألا وإنه أتانا من العراق خير أحرصنا وأفرحنا ، أتانا قتل مصعب فأحرصنا فأما الذي أفرحنا فعلنا أن قتلته له شهادة ، وأما الذي أحرصنا فإن الحميم لفراقه لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوى من بعدها ، وفو الرأي جميل الصبر كريم العزاء ، ولئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بالزبير قبله ، وما أنا من عثمان بخلو مصيبة ، وما مصعب إلا عبد من عبيد الله ، وعون من أعوانى ، ألا وإن أهل العراق أهل الفدر والتفائق أسلموه وباعوه بأقل الثمن ، فإن يقتل فانا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبى العاص ، والله ما قتل منهم رجل فى زحف فى الجاهلية ولا فى الاسلام . وما نموت إلا بأطراف الرماح أو تحت ظل السيوف ، فإن بنى أبى العاص يجمعون الناس بالرغبات والرهبات ، ثم يقاتلون بهم أعداءهم ممن هو خير منهم وأكرم ولا يقاتلون تابعيهم زحفاً ، ألا وإن الدنيا عارية من الملك الأعلى الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه ، فإن تقبل الدنيا لا أخذها أخذ الأشر البطر ، وإن تدبر لا أبكى عليها بكاء الحزين الأسف المهين ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

﴿ ومن توفى فيها من الأعيان إبراهيم بن الأشتر ﴾

كان أبوه من قام على عثمان وقتله ، وكان إبراهيم هذا من المعروفين بالشجاعة وله شرف ، وهو الذى قتل عبيد الله بن زياد كما ذكرنا

﴿ عبد الرحمن بن غسيلة ﴾ أبو عبد الله المرادى الصنابحي ، كان من الصلحاء ، وكان عبد الملك يجلسه معه على السرير ، وكان عالماً فاضلاً ، توفى بدمشق .

﴿ عمر بن سلمة ﴾ الخزومي المدني ربيب النبي ﷺ ولد بأرض الحبشة

﴿ سفينة مولى رسول الله ﷺ ﴾

أبو عبد الرحمن كان عبداً لأُم سلمة فأعتقه وشرطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ ، فقال : أنا لا أزال أخدم رسول الله ﷺ لو لم تعتقني ماعشت ، وقد كان سفينة بأل رسول الله ﷺ أليفاً ، وبهم خليطاً ، وروى الطبراني أن سفينة سئل عن اسمه لم سمي سفينة ؟ قال : سماني رسول الله ﷺ سفينة ، خرج مرة ومعه أصحابه فقتل عليهم متاعهم ، فقال لى رسول الله ﷺ : « ابسط كساءك فبسطته فجعل فيه متاعهم ، ثم قال لى : احمل ما أنت إلا سفينة ، قال فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو خمسة أو ستة ما ثقل على » . وروى محمد بن المنكدر عن سفينة قال : ركبت مرة سفينة فى البحر فانكسرت بنا فركبت لوحاً منها فطرحنى البحر إلى غيضة فيها الأسد فجاءنى فقلت : يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ ، فطأ رأسه وجعل يدفعنى بجنبه أو بكفه حتى وضعنى

على الطريق ، ثم همهمهمهم فظننت أنه يودعني . وقال حماد بن سلمة : ثنا سعيد بن جهمان عن سفينة أن رسول الله ﷺ « دخل بيت فاطمة فرأى في ناحية البيت قرما مضروبا فرجع ولم يدخل ، فقالت فاطمة لعل : سل رسول الله ﷺ ما الذي رده ؟ فسأله فقال : ليس لي ولا لبي أن يدخل بيتا مرفوقا » .

﴿ عمر بن الخطاب ﴾ أبو زيد الأنصاري الأعرج غزا مع النبي ﷺ ثلاث عشرة غزوة
﴿ يزيد بن الأسود الجرشى السكوني ﴾ كان عابدا زاهدا صالحا ، سكن الشام بقرية زيبدين ، وقيل بقرية جرين ، وكانت له دار داخل باب شرقي ، وهو مختلف في صحبته ، وله روايات عن الصحابة ، وكان أهل الشام يستسقون به إذا قحطوا ، وقد استسقى به معاوية والضحاك بن قيس ، وكان يجلسه معه على المنبر ، قال معاوية : قم يزيد اللهم إنا نتوسل إليك بخيارنا وصلاحنا ، فيستسقى الله فيسقون ، وكان يصلي الصلوات في الجامع بدمشق ، وكان إذا خرج من القرية يريد الصلاة بالجامع في الليلة المظلمة يضيء له إبهام قدمه ، وقيل أصابع رجله كلها حتى يدخل الجامع ، فإذا رجع أضاءت له حتى يدخل القرية . وذكروا أنه لم يدع شجرة في قرية زيبدين إلا صلى عندها ركعتين ، وكان يمشي في ضوء إبهامه في الليلة المظلمة ذاهبا إلى صلاة العشاء بالجامع بدمشق وآتيا إلى قريته ، وكان يشهد الصلوات بالجامع بدمشق لا تفوته به صلاة . مات بقرية زيبدين أو جرين من غوطة دمشق رحمه الله .
﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ﴾

ففيها كانت وقعة عظيمة بين المهلب بن أبي صفرة وبين الأزارقة من الخوارج بمكان يقال له سولاق ، مكثوا نحواً من ثمانية أشهر متواقفين ، وجرت بينهم حروب يطول بسطها ، وقد استقصاها ابن جرير ، وقتل في أثناء ذلك من هذه المدة مصعب بن الزبير ، ثم إن عبد الملك أقر المهلب بن أبي صفرة على الأهواز وما معها ، وشكر سميته وأثنى عليه ثناء كثيراً ، ثم تواقع الناس في دولة عبد الملك بالأهواز فكسر الناس الخوارج كثرة فظيعة ، وهربوا في البلاد لا يلبثون على أحد ، واتبعهم خالد بن عبد الله أمير الناس ودواد بن محمد فطردوهم ، وأرسل عبد الملك إلى أخيه بشر بن مروان أن يمدهم بأربعة آلاف ، فبعث إليه أربعة آلاف عليهم عتاب بن ورقاء فطردوا الخوارج كل مطرد ، ولكن لقي الجيش جهدا عظيما وماتت خيولهم ولم يرجع أكثرهم إلا مشاة إلى أهلهم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الحارثي وهو من قيس بن ثعلبة ، وغلب على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحارثي ، فبعث إليه خالد بن عبد الله أمير البصرة أخاه أمية ابن عبد الله في جيش كثيف ، فمزهمهم أبو فديك وأخذ جارية لأمية واصطفها لنفسه ، وكتب خالد أمير البصرة إلى عبد الملك يعلمه بما وقع ، واجتمع على خالد هذا حرب أبي فديك وحرب

الأزارقة أصحاب قطري بن النجاة بالأهواز .

قال ابن جرير : وفيها بعث عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثاني إلى عبد الله بن الزبير ليحاصره بمكة ، قال : وكان السبب في بعثه له دون غيره ، أن عبد الملك بن مروان لما أراد الرجوع إلى الشام بعد قتله مصعبا وأخذه العراق ، ندب الناس إلى قتال عبد الله بن الزبير بمكة فلم يحبه أحد إلى ذلك ، فقام الحجاج وقال : يا أمير المؤمنين أنا له ، وقص الحجاج على عبد الملك مناهجاً زعم أنه رآه ، قال : رأيت يا أمير المؤمنين كأنني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته ، فابعث بي إليه فاني قاتله ، فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام وكتب معه أماناً لأهل مكة إن هم أطاعوه ، قالوا : نخرج الحجاج في جهاد من هذه السنة ومعه ألفا فارس من أهل الشام ، فسلك طريق العراق ولم يعرض للمدينة حتى نزل الطائف ، وجعل يبعث البعوث إلى عرفة ، ويرسل ابن الزبير الخيل فيلتقيان فيهزم خيل ابن الزبير وتظفر خيل الحجاج ، ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم ومحاصرة ابن الزبير ، فانه قد كلت شوكته ، وملت جماعته ، وتفرق عنه عامة أصحابه ، وسأله أن يمدد برجال أيضاً ، فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه بالحجاج ، وارتحل الحجاج من الطائف فنزل بئر ميمونة ، وحصر ابن الزبير بالمسجد ، فلما دخل ذو الحجة حج بالناس الحجاج في هذه السنة وعليه وعلى أصحابه السلاح وهم وقوف بعرفات ، وكذا فيما بعدها من المشاعر ، وابن الزبير محصور لم يتمكن من الحج هذه السنة ، بل نحر بدنا يوم النحر ، وهكذا لم يتمكن كثير ممن معه من الحج ، وكذا لم يتمكن كثير ممن مع الحجاج وطارق بن عمرو أن يطوفوا بالبيت ، فبقوا على إحرامهم لم يحصل لهم التحلل الثاني ، والحجاج وأصحابه نزول بين الحجون وبئر ميمونة فانا لله وإنا إليه راجعون .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم أمير خراسان يدعوه إلى بيعته ويقطعه خراسان سبع سنين ، فلما وصل إليه الكتاب قال للرسول : بعثك أبو الذبان ؟ والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك ، ولكن كل كتابه فأكله ، وبعث عبد الملك إلى بكير بن وشاح نائب ابن خازم على مرو يعمده بأمره خراسان إن هو خلع عبد الله بن خازم ، فخلعه ، فجاء ابن خازم فقاتله فقتل في المعركة عبد الله بن خازم أمير خراسان ، قتله رجل يقال له وكيع بن عميرة ، لكن كان قد ساعده غيره ، فجلس وكيع على صدره وفيه رمق ، فذهب لينوء فلم يتمكن من ذلك ، وجعل وكيع يقول : يا نارات دويلة - يعني أخاه - وكان دويلة قد قتله ابن خازم ، ثم إن ابن خازم تنعم في وجه وكيع قال وكيع : لم أر أحداً أكثر ريقاً منه في تلك الحال ، وكان أبو هريرة إذا ذكر هذا يقول : هذه والله هي البسالة ، وقال له ابن خازم : ويحك أتقتلني بأخييك ؟ لعنك الله ، أتقتل كبش مصر بأخيائك

الملج ؟ وكان لا يساوى كفا من تراب - أو قال من نوى - قال : فاحتز رأسه وأقبل بكبير بن وشاح
فأراد أخذ الرأس ففهم منه بجير بن ورقاء بمود وقيده ، ثم أخذ الرأس ثم بعثه إلى عبد الملك بن
مروان وكتب إليه بالنصر والظفر ، فسر بذلك سروراً كثيراً ، وكتب إلى بكبير بن وشاح بأقراره
على نيابة خراسان . وفي هذه السنة أخذت المدينة من ابن الزبير واستناب فيها عبد الملك طارق
ابن عمرو ، الذى كان بعثه مدداً للحجاج .

﴿ وهذه ترجمة عبد الله بن خازم ﴾

هو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمى أبو صالح البصرى أمير خراسان أحد الشجعان المذكورين ،
والفرسان المشكورين ، قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى فى تهذيبه : ويقال له صحبة ، روى عن
النبي ﷺ فى الهامة السوداء ، وهو عند أبى داود والترمذى والنسائى لكن لم يسجوه ، وروى عنه
سعد بن عثمان الرازى وسعيد بن الأزرى . روى أبو بشير الدولابى أنه قتل فى سنة إحدى وسبعين ،
وقبل : فى سنة سبع وثمانين ، وليس هذا القول بشئ . انتهى ما ذكره شيخنا ، وقد ذكره أبو الحسن
ابن الأثير فى الغابة فى أسماء الصحابة ، فقال : عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب بن
حارثة بن هلال بن سمالك بن عوف بن امرئ القيس بن نهم بن سليم بن منصور ، أبو صالح السلمى ،
أمير خراسان ، شجاع مشهور ، وبطل مذكور ، وروى عنه سعيد بن الأزرى ، وسعد بن عثمان ،
قيل إن له صحبة ، وفتح سرخس ، وكان أميراً على خراسان أيام فتنة ابن الزبير ، وأول ما وليها سنة
أربع وستين بعد موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية ، وجرى له فيها حروب كثيرة حتى تم أمره
بها ، وقد استقصينا أخباره فى كتاب الكامل فى التاريخ ، وقتل سنة إحدى وسبعين . وهكذا حكى
شيخنا عن الدولابى ، وكذا رأيت فى التاريخ لشيخنا الذهبى . والذى ذكره ابن جرير فى تاريخه أنه
قتل سنة ثنتين وسبعين ، قال : وزعم بعضهم أنه قتل بعد مقتل عبد الله بن الزبير ، وأن عبد الملك
بعث برأس ابن الزبير إلى ابن خازم بخراسان ، وبعث يدعو إلى طاعته وله خراسان عشر سنين ،
وأن ابن خازم لما رأى رأس ابن الزبير حلف لا يعطى عبد الملك طاعة أبداً ، ودعا بطست ففصل
رأس ابن الزبير وكفنه وطيبه وبعث به إلى أهله بالمدينة ، ويقال بل دفنه عنده بخراسان والله أعلم .
وأطعم الكتاب للبريد الذى جاء به وقال : لولا أنك رسول لضررت عنقك ، وقال بعضهم : قطع
يديه ورجليه وضرب عنقه .

﴿ ومن توفى فيها من الأعيان الأحنف بن قيس ﴾

أبو معاوية بن حصين التميمى السعدى أبو بحر البصرى ابن أخى صعصعة بن معاوية ، والأحنف
لقب له ، وإنما اسمه الضحاك ، وقيل صخر ، أسلم فى حياة النبي ﷺ ولم يره ، وجاء فى حديث أن

رسول الله ﷺ دعا له ، وكان سيده شريفا مطاعا مؤمنا ، عليم اللسان ، وكان يضرب بحمله المثل وله أخبار في حمله سارت بها الركبان ، قال عنه عمر بن الخطاب : هو مؤمن عليم اللسان . وقال الحسن البصري : ما رأيت شريف قوم أفضل منه ، وقال أحمد بن عبد الله العجلي : هو بصرى تابعي ثقة ، وكان سيده قومه ، وكان أعور أحيى الرجلين ذميا قصيرا كوسجباله بيضة واحدة ، احتبسه عمر عن قومه سنة يختبره ، ثم قال : هذا والله السيد - أو قال السؤدد - وقيل إنه خطب عند عمر فأعجبه منطقه ، قيل ذهبت عينه بالجدري ، وقيل في فتح سمرقند ، وقال يعقوب بن سفيان : كان الأحنف جوادا حليما ، وكان رجلا صالحا ، أدرك الجاهلية ثم أسلم ، وذكر للنبي ﷺ فاستغفر له ، وقال : كان ثقة مأمونا قليل الحديث [وكان كثير الصلاة بالليل ، وكان يمسح المصباح ويصلي ويبيكي حتى الصباح ، وكان يضع أصبعه في المصباح ويقول : حس يا أحنف ، ما حملك على كذا ؟ ما حملك على كذا ؟ ويقول لنفسه : إذا لم تصبر على المصباح فكيف تصبر على النار الكبرى ؟ وقيل له : كيف سودك قومك وأنت أردتهم خاتمة ؟ قال : لو عاب قومي الماء لما شربته ، كان الأحنف من أمراء على يوم صفين ، وهو الذي صالح أهل بلخ على أر بمائة ألف دينار في كل سنة ، وله وقائع مشهودة مشهورة ، وقتل من أهل خراسان خلقا كثيرا في القتال بينهما ، وانتصر عليهم]^(١) وقال الحاكم : وهو الذي افتتح مرو الروذ ، وكان الحسن وابن سيرين في جيشه ، وهو الذي افتتح سمرقند وغيرها من البلاد ، وقيل إنه مات سنة سبع وستين ، وقيل غير ذلك ، عن سبعين سنة ، وقيل عن أكثر من ذلك .

ومن كلامه وقد سئل عن الحلم ما هو ؟ فقال : الذل مع الصبر ، وكان إذا تعجب الناس من حمله يقول : والله إنني لأجد ما يجنون ، وليكن صبور . وقال : وجدت الحلم أنصر لي من الرجال [وقد انتهى إليه الحلم والسؤدد ، وقال : احبي معروفك بأمانة ذكره ، وقال عجبت لمن يجري مجرى البول مرتين كيف يتكبر ؟ وقال : ما أتيت باب أحد من هؤلاء إلا أن أدعى ، ولا دخلت بين اثنين إلا أن يدخلاني بينهما ، وقيل له : هم سدت قومك ؟ قال : بتركي من الأمر مالا يعني ، كما عنك من من أمري مالا يعنيك . وأغلظ له رجل في الكلام وقال : والله يا أحنف إن قلت لي واحدة لتسمن بدنها عشرا ، فقال له : إنك إن قلت لي عشرا لا تسمع مني واحدة ، وكان يقول في دعائه : اللهم إن تعذبني فأنا أهل لذلك ، وإن تغفر لي فأنت أهل لذلك]^(٢) وقد كان زياد بن أبيه يقر به ويدنيه ، فلما مات زياد وولى ابنه عبيد الله لم يرفع به رأسا ، فتأخرت عنده منزلته ، فلما وفد برؤساء أهل العراق على معاوية أدخلهم عليه على مراتبهم عنده ، فكان الأحنف آخر من أدخله عليه ، فلما رآه معاوية أجله وعظمه ، وأدناه وأكرمه ، وأجلسه معه على الفراش ، ثم أقبل عليه يحادثه دونهم ،

ثم شرع الحاضرون في الشئاء على ابن زياد والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : مالك لا تتكلم ؟ قال : إن تكلمات خالفتمهم ، فقال معاوية : أشهدكم أني قد عزلته عن العراق ، ثم قال لهم : انظروا لكم نائبا ، وأجلهم ثلاثة أيام ، فاختلفوا بينهم اختلافا كثيرا ، ولم يذكر أحد منهم بعد ذلك عبيد الله ، ولا طلبه أحد منهم ، ولم يتكلم الأحنف في ذلك كلمة واحدة مع أحد منهم ، فلما اجتمعوا بعد ثلاث أفاضوا في ذلك الكلام ، وكثر اللفظ ، وارتفعت الأصوات والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : تكلم ، فقال له : إن كنت تريد أن تولى فيها أحدا من أهل بيتك فليس فيهم من هو مثل عبيد الله ، فإنه رجل حازم لا يسد أحد منهم مسده ، وإن كنت تريد غيره فأنت أعلم بقرابتك ، فردّه معاوية إلى الولاية ، ثم قال له بينه وبينه : كيف جهلت مثل الأحنف ؟ إنه هو الذي عزلك وولاك وهو ساكت ، فعمّمت منزلة الأحنف بعد ذلك عند ابن زياد جدا .

توفي الأحنف بالكوفة وصلى عليه مصعب بن الزبير ، ومشي في جنازته ، وقد تقدمت له حكاية ، ذكر الواقدي أنه قدم على معاوية فوجده غضبان على ابنه يزيد ، وأنه أصلح بينهما بكلام ، قال فبعث معاوية إلى يزيد بمال جزيل وقماش كثير ، فأعطى يزيد نصفه للأحنف والله سبحانه أعلم .

(البراء بن عازب) بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن أوس الأنصاري الحارثي الأوسي . صحابي جليل ، وأبوه أيضا صحابي ، روى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة ، وحدث عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ، وعنه جماعة من التابعين وبعض الصحابة . وقيل إنه مات بالكوفة أيام ولاية مصعب بن الزبير على العراق (عبيدة السلماني القاضي) وهو عبيدة بن عمرو ويقال ابن قيس بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي . وسلمان بطان من مراد ، أسلم عبيدة في حياة النبي ﷺ وروى عن ابن مسعود وعلي وابن الزبير . وحدث عنه جماعة من التابعين ، وقال الشعبي : كان يوازي شريحا في القضاء ، قال ابن تيمر : كان شريحا إذا أشكل عليه أمر كتب إلى عبيدة فيه ، وانتهى إلى قوله ، وقد أثنى عليه غير واحد ، وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل سنة ثلاث وقيل أربع وسبعين لله أعلم . وقد قيل إن مصعب بن الزبير قتل فيها بالله أعلم . [ومن توفي فيها أيضا عبد الله بن السائب بن صيفي الخزومي ، له صحبة ورواية ، وقرأ على أبي بن كعب ، وقرأ عليه مجاهد وغيره (عطية بن بشر) المازني له صحبة ورواية (عبيدة بن فضالة) أبو معاوية الخزازي الكوفي مقرئ أهل الكوفة ، مشهور بالخير والصالح ، توفي بالكوفة في هذه السنة (عبد الله بن قيس الرقيات) القرشي العامري أحد الشعراء ، مدح مصعبا وابن جعفر (عبد الله بن حمام) أبو عبد الرحمن الشاعر الساولي هجاء بني أمية بقوله : -

شربنا الغيض حتى لو سقيناه * دماء بني أمية ما رونا

ولو جاؤا برملة أو بهند * لبأيمنا أمير المؤمنين
وكان عبدة السملاني أعوراً، وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يقتلون الناس . توفي بالكوفة [(١)]
(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين)

فيها كان مقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه على يدي الحجاج بن يوسف الثقفي المبير قبحه الله
وأخزاه ، قال الواقدي : حدثني مصعب بن نائب عن نافع مولى بني أسد - وكان عالماً بفتنة ابن الزبير -
قال : حصر ابن الزبير ليلة هلال الحجة سنة ثنتين وسبعين وقتل لسبع عشر ليلة دخلت من جمادى
الأول سنة ثلاث وسبعين ، فكان حصر الحجاج له خمسة أشهر وسبع عشرة ليلة . وقد ذكرنا فيما
تقدم أن الحجاج حج بالناس في هذه السنة الخارجة ، وكان في الحج ابن عمر ، وقد كتب عبد الملك
إلى الحجاج أن يأتيه ابن عمر في المناسك كم ثبت ذلك في الصحيحين ، فلما استهلته هذه السنة
استهلت وأهل الشام محاصرون أهل مكة ، وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة ليحصر أهلها حتى
يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك [وكان مع الحجاج الحبشة ، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقاً
كثيراً ، وكان معه خمس مجانيق فألق عليها بالرمي من كل مكان ، وحبس عنهم الميرة والماء ، فكانوا
يشربون من ماء زمزم ، وجعلت الحجارة تقع في السكبة ، والحجاج يصيح بأصحابه : يا أهل الشام
الله في الطاعة ، فكانوا يحملون على ابن الزبير حتى يقال إنهم أخذوه في هذه الشدة ، فيشد عليهم
ابن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب بني شيبه ، ثم يكرن عليه فيشد عليهم ، فمل ذلك
مراراً ، وقتل يومئذ جماعة منهم وهو يقول : هذا وأنا ابن الحواري . وقيل لابن الزبير ألا تكلمهم
في الصلح ! فقال : والله لو وجدوكم في جوف السكبة لذبحوكم جميعاً والله لا أسألهم صلحاً أبداً [(٢)]
وذكر غير واحد أنهم لما رموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود حتى جعلت تملأ أصواتها
على صوت المنجنيق ، ونزلت صاعقة فأصاب من الشاميين اثني عشر رجلاً فضعفت عند ذلك قلوبهم
عن المحاصرة ، فلم يزل الحجاج يشجعهم ويقول : إني خير بكم هذه البلاد ، هذه بروق تهامة ورعودها
وصواعقها ، وإن القوم يصيبهم مثل الذي يصيبكم ، وجاءت صاعقة من الغد فقتلت من أصحاب
ابن الزبير جماعة كثيرة أيضاً ، فجعل الحجاج يقول : ألم أقل لكم إنهم يصابون مثكم [وأنتم على
الطاعة وهم على المخالفة ، وكان أهل الشام يرتجزون وهم يرمون بالمنجنيق ويقولون : مثل الفتيق المزبد *
نرمي بها أعواد هذا المسجد * فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته ، فتوقف أهل الشام عن
الرمي والمحاصرة فخطبهم الحجاج فقال : ويحكم ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا
فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم ؟ فلو أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته ، فعادوا إلى المحاصرة [(٣)]

(١ ، ٢ ، ٣) سقط من المصرية

وما زال أهل مكة يخرجون إلى الحجاج بالأمان ويتركون ابن الزبير حتى خرج إليه قريب من عشرة آلاف ، فأمنهم وقل أصحاب ابن الزبير جنأ ، حتى خرج إلى الحجاج حمزة وخبيب ابنا عبد الله ابن الزبير ، فأخذوا أنفسهم أماناً من الحجاج فأمنهما ، ودخل عبد الله بن الزبير على أمه فشكا إليها خذلان الناس له ، وخر وجههم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله ، وأنه لم يبق معه إلا اليسير ، ولم يبق لهم صبر ساعة ، والقوم يطولوني ماشئت من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت : يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وتدعو إلى حق فاصبر عليه فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت تعلم أنك إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك ، وإن كنت على حق فما وهن الدين وإلى كم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن . فدنا منها فقبل رأسها وقال : هذا والله رأيي ، ثم قال : والله ما ركنيت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمة ، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتني بصيرة مع بصيرتي ، فانظري يا أماء فاني مقتول في يومى هذا فلا يشتد حزنك ، وسلمى لأمر الله ، فان ابنك لم يتعمد إتيان منكرك ، ولا عمل بفاحشة قط ، ولم يجز في حكم الله ، ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلعن ظلم عن عامل فرضيته بل أنكرته ، ولم يكن عندي آثر من رضى ربى عز وجل ، اللهم إني لا أقول هذا تزكية لنفسى ، اللهم أنت أعلم بى ومن غيرى ، ولكنى أقول ذلك تمزية لأسمى لتساو عني . فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسناً ، إن تقدمتنى أو تقدمتك ، ففي نفسى اخرج يا بني حتى أنظر ما يصير إليه أدرك ، فقال جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعى الدعاء قبل وبعد . فقالت : لا أدعه أبداً لمن قتل على باطل فلقد قتلت على حق ، ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام وذلك النحيب والظما في هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبى ، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فقابلى فى عبد الله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين . ثم أخذته إليها فاحتضنته لتودعه واعتنقها ليودعها . وكانت قد أضرت فى آخر عمرها . فوجدته لا بسا درعا من حديد فقالت : يا بني ما هذا لباس من يريد ما تريد من الشهادة !! فقال : يا أماء إنما البسته لأطيب خاطر وأسكن قلبك به ، فقالت : لا يا بني ولكن انزع فترعه وجعل يلبس بقمية ثيابه ويتشددها وهي تقول : شمر ثيابك ، وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قتل ، وجمعات تذكره بأبيه الزبير ، وجده أبى بكر الصديق ، وجدته صفية بنت عبد المطلب ، وخالته عائشة زوج رسول الله ﷺ وترجيه القدوم عليهما إذا هو قتل شهيدا ، ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها رضى الله عنهما وعن أبيه وأبيها

قالوا : وكان يخرج من باب المسجد الحرام وهناك خمسمائة فارس وراجل فيحمل عليهم فيتفرقون

عنه يمينا وشمالا ، ولا يثبت له أحد وهو يقول : -

إني إذا أعرف يوحى أصبر * إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

وكانت أبواب الحرم قد قل من يحرسها من أصحاب ابن الزبير ، وكان لأهل حصص حصار الباب الذي يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق باب بني شيبه ، ولأهل الأردن باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب بني جحج ، ولأهل قنسرين باب بني سهم ، وعلى كل باب قائد ومعه أهل تلك البلاد ، وكان الحجاج وطارق بن عمرو في ناحية الأبطح ، وكان ابن الزبير لا يخرج على أهل باب إلا فرقههم ويهدد شملهم ، وهو غير ملمس | حتى يخرجهم إلى الأبطح ثم يصيح لو كان قرني واحداً كفيته ، فيقول ابن صفوان وأهل الشام أيضاً : إني والله وألف رجل ، ولقد كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا ينزعج بذلك ، ثم يخرج إليهم فيقاتلهم كأنه أسد ضاري ^(١) حتى جمل الناس يتمحبون من إقدامه وشجاعته ، فلما كان ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة بات ابن الزبير يصلي طول ليلته ثم جلس فاحتبى بحميلة سيفه فأغفى ثم انتبه مع الفجر على عادته ، ثم قال : أذن يا سعد ، فأذن عند المقام ، وتوضأ ابن الزبير ثم صلى ركعتي الفجر ، ثم أقيمت الصلاة فصلى الفجر ، ثم قرأ سورة ن حرفاً حرفاً ، ثم سلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اكشفوا وجوهكم حتى أنظر إليكم ، فكشفوا وجوههم وعليهم المعافر ، فخرضهم وخثيم على القتال والصبر ، ثم نهض ثم حل وحملوا حتى كشفوهم إلى الحجون فجاءته آجرة فأصابته في وجهه فارتعش لها ، فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه تمثل بقول بعضهم : -

ولسنا على الأعقاب ندعى كلومنا * ولسكن على أقدامنا تقطر الدما

ثم سقط إلى الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه رضي الله عنه ، وجهوا إلى الحجاج فأخبروه فخر ساجداً فبجحه الله ، ثم قام هو وطارق بن عمرو حتى وقفما عليه وهو صريع ، فقال طارق : ما ولت النساء أذكرك من هذا ، فقال الحجاج : تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! هو أعذر لأننا محاصروه وليس هو في حصن ولا خندق ولا منعة ينتصِف منها ، بل يفضل علينا في كل موقف ، فلما بلغ ذلك عبد الملك ضرب طارقاً . وروى ابن عساکر في ترجمة الحجاج أنه لما قتل ابن الزبير ارتجت مكة بكاء على عبد الله بن الزبير رحمه الله ، فخطب الحجاج الناس فقال : أيها الناس ! إن عبد الله بن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازعها أهلها وألحد في الحرم فأذاقه من عذابه الأليم ، وإن آدم كان أكرم على الله من ابن الزبير ، وكان في الجنة ، وهي أشرف من مكة ، فلما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التي نهى عنها أخرجه الله من الجنة ، قوهوا إلى صلاتكم

يرحمكم الله ، | وقيل إنه قال : يا أهل مكة إكباركم واستعظامكم قتل ابن الزبير ، فإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الدنيا ونازع الخلافة أهلها ، فخلع طاعة الله وألحد في حرم الله ، ولو كانت مكة شيئاً يمنع القضاء لمنعت آدم حرمة الجنة وقد خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته . وعلمه أسما كل شيء ، فلما عصاه أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، وإن ابن الزبير غير كتاب الله . فقال له عبد الله بن عمر : لو شئت أن أقول لك كذبت لقلت ، والله إن ابن الزبير لم يغير كتاب الله ، بل كان قواماً به صواماً عاملاً بالحق ^(١) ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك بما وقع ، وبمث برأس ابن الزبير مع رأس عبد الله بن صفوان وعمارة بن حزم إلى عبد الملك ، ثم أمرهم إذا مروا بالمدينة أن ينصبوا الرؤوس بها ، ثم يسيروا بها إلى الشام ، ففعلوا ما أمرهم به ، وأرسل بالرؤوس مع رجل من الأزد فأعطاه عبد الملك خمسمائة دينار ، ثم دعا بمعارض فأخذ من ناصيته ونواصي أولاده فرحاً بمقتل ابن الزبير ، عليهم من الله ما يستحقون . ثم أمر الحجاج بجثة ابن الزبير فصلبت على ثنية كذا عند الحجون ، يقال منكسة ، فما زالت مصلوبة . حتى مر به عبد الله بن عمر فقال : رحمة الله عليك يا أبا خبيب ، أما والله لقد كنت صواماً قواماً ، ثم قال : أما أن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فبمث الحجاج فأنزل عن الجذع ودفن هناك . ودخل الحجاج إلى مكة فأخذ البيعة من أهلها إلى عبد الملك بن مروان ، ولم يزل الحجاج مقيماً بمكة حتى أقام للناس الحج عامه هذا أيضاً وهو على مكة واليمامة واليمن .

(وهذه ترجمة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه)

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، أبو بكر . ويقال له أبو خبيب القرشي الأسدي ، أول مولود ولد بعد الهجرة بالمدينة من المهاجرين ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، ذات النطاقين ، هاجرت وهي حامل به تم فولدته بقبا أول مقدمهم المدينة وقيل إنما ولدته في شوال سنة ثنتين من الهجرة ، قاله الواقدي ومصعب الزبيري وغيرهما ، والأول أصح لما رواه أحمد عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بمكة قالت : فخرجت به وأنا تم فأثيت المدينة فنزلت بقبا فولدته ، ثم أثيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ثم دعا بسمرة فمضعها ثم نفل في فيه ، فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ ، قالت : ثم حنكه ثم دعا له وتبرك عليه ، فكان أول مولود ولد في الاسلام . وهو صحابي جليل ، روى عن النبي ﷺ أحاديث ، وروى عن أبيه وعمر وعثمان وغيرهم . وعنه جماعة من التابعين ، وشهيد الجمل ^(٢) مع أبيه وهو صغير ، وحضر خطبة عمر بالجابية ، ورواها عنه بطولها [ثبت ذلك من غير وجه . وقدم

(١) سقط من المصرية (٢) كذا وفي المصرية : حضر اليرموك . وهو إلى الصواب أقرب .

دمشق لغزو القسطنطينية ، ثم قدمها مرة أخرى وبيع بالخلافة أيام يزيد بن معاوية لما مات معاوية ابن يزيد ، فكان على الحجاز واليمن والعراقين ومصر وخراسان وسائر بلاد الشام إلا دمشق ، وتمت البيعة له سنة أربع وستين وكان الناس بخير في زمانه [(١) وثبت من غير وجه عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها خرجت بعبد الله من مكة مهاجرة وهي حبلى به فولدته بقبا أول مقدمهم المدينة ، فأتت به رسول الله ﷺ فحنكه وسماه عبد الله ودعاه ، وفرح المسلمون به لأنه كانت اليهود قد زعموا أنهم قد سحروا المهاجرين فلا يولد لهم في المدينة ، فلما ولد ابن الزبير كبر المسلمون ، وقد سمع عبد الله بن عمر جيش الشام حين كبروا عند قتله ، فقال : أما والله للذين كبروا عند مولده خير من هؤلاء الذين كبروا عند قتله ، وأذن الصديق في أذنه حين ولد رضى الله عنهما ، ومن قال إن الصديق طاف به حول الكعبة وهو في خرقة فهو واهم والله أعلم . وإنما طاف الصديق به في المدينة ليشتهر أمر ميلاده على خلاف ما زعمت اليهود . وقال مصعب الزبيري : كان عارضا عبد الله خفيفين ، وما اتصلت لحيته حتى بلغ ستين سنة ، وقال الزبير بن بكار : حدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح عن سالم بن عبد الله بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ كلم في غلظة ثرعرعوا منهم عبد الله ابن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، وعمر بن أبي سلمة ، فقيل يارسول الله لو بايعتهم فتصيبهم بركتك ويكون لهم ذكر ، فأتى بهم إليه فكأنهم تكلموا واقتحم عبد الله بن الزبير ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « إنه ابن أبيه وبايعه » . وقد روى من غير وجه أن عبد الله بن الزبير شرب من دم النبي ﷺ ، « كان النبي ﷺ قد احتجم في طست فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه فشر به فقال له لا تمسك النار إلا تحلة القسم ، وويل لك من الناس وويل للناس منك » [وفي رواية أنه قال له : « يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهريقه حيث لا يراك أحد ، فلما بعد عمد إلى ذلك الدم فشر به ، فلما رجع قال : ما صنعت بالدم ؟ قال : إني شربته لأزداد به علما وإيمانا ، وليكون شئ من جسد رسول الله ﷺ في جسدي ، وجسدي أولى به من الأرض ، فقال : ابشر لا تمسك النار أبدا . وويل لك من الناس وويل للناس منك »] (٢)

وقال محمد بن سعد : أنبا مسلم بن إبراهيم ثنا الحارث بن عبيد ثنا أبو عمران الجوني أن نوحا كان يقول : إني لأجد في كتاب الله المنزل أن ابن الزبير فارس الخلفاء . وقال حماد بن زيد عن ثابت البناني قال : كنت أمر بعبد الله بن الزبير وهو يصلي خلف المقام كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك . وقال الأعمش عن يحيى بن وثاب : كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لا تراه إلا جندم حائط . وقال غيره : كان ابن الزبير يقوم ليله حتى يصبح ، ويركع إليه حتى

يصبح ، ويسجد ليله حتى يصبح . وقال بعضهم : ركع ابن الزبير يوماً فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه . وقال عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء : كنت إذا رأيت ابن الزبير يصلي كأنه كهب راسب ، وفي رواية ثابت . وقال أحمد : تعلم عبد الرزاق الصلاة من ابن جريج ، وابن جريج من عطاء ، وعطاء من ابن الزبير ، وابن الزبير من الصديق ، والصديق من رسول الله ﷺ . وقال الحميدي عن سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن ابن المنكدر قال : لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنه غصن شجرة يصقها الريح ، والمنجنيق يتع هاهنا وهاهنا . قال سفيان : كأنه لا يبالي به ولا يعده شيئاً . وحكى بعضهم لعمر بن عبد العزيز أن حجراً من المنجنيق وقع على شرفة المسجد فطارت فلقته منه فمرت بين لحية ابن الزبير وحلقه ، فما زال عن مقامه ولا عرف ذلك في صورته ، فقال عمر بن عبد العزيز : لا إله إلا الله ، جاء ما وصفت . وقال عمر بن عبد العزيز يوماً لابن أبي مليكة : صف لنا عبد الله بن الزبير ، فقال : والله ما رأيت جليلاً قط ركب على لحم ولا جما على عصب ولا عصبا على عظم مثله ، ولا رأيت نفسا ركبت بين جنبين مثل نفسه ، ولقد مرت آجرة من رمي المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ما خشع ولا قطع لها قراءته ، ولا ركع دون ما كان يركع ، وكان إذا دخل في الصلاة خرج من كل شيء إليها ، ولقد كان يركع فيكاد الرخم أن يقع على ظهره ويسجد فكأنه ثوب مطروح .

وقال أبو القاسم البغوي عن علي بن الجعد عن شعبة عن منصور بن زاذان قال : أخبرني من رأى ابن الزبير يسرب في صلاته وكان ابن الزبير من المصلين . [وسئل ابن عباس عن ابن الزبير فقال : كان قارئاً لكتاب الله ، متبعاً لسنة رسول الله ، قانتاً لله صائماً في الهواجر من مخافة الله ، ابن حوارى رسول الله ، وأمه بنت الصديق ، وخالته عائشة حبيبة حبيب الله ، زوجة رسول الله ، فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله] ^(١) وروى أن ابن الزبير كان يوماً يصلي فسقطت حية من السقف فطوقت على بطن ابنه هاشم فصرخ النسوة وانزعج أهل المنزل واجتمعوا على قتل تلك الحية فقتلوها ، وسلم الولد ، فعلموا هذا كله وابن الزبير في الصلاة لم يلتفت ولا درى بما جرى حتى سلم . وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك الخزامي وعبد الملك بن عبد العزيز ومن لا أحصى كثرة من أصحابنا أن ابن الزبير كان يواصل الصوم سبعا ، يصوم يوم الجمعة ولا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى ، ويصوم بالمدينة ولا يفطر إلا بمكة ، ويصوم بمكة فلا يفطر إلا بالمدينة ، وكان إذا أفطر أول ما يفطر على لبن لقمحة وسمن وصبر ، وفي رواية أخرى فأما اللبن فيعصمه ، وأما السمن فيقطع عنه العطش ، وأما الصبر فيفتق الامعاء . وقال ابن معين عن روح عن حبيب بن الشهيد عن ابن أبي مليكة قال : كان ابن

الزبير يواصل سبعة أيام ويصبح في الثامن وهو أليثنا . وروى مثله من غير وجه . وقال بعضهم : لم يكن يأكل في شهر رمضان سوى مرة واحدة في وسطه . وقال خالد بن أبي عمران : كان ابن الزبير لا يفطر من الشهر إلا ثلاثة أيام . ومكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره . وقال ليث عن مجاهد : لم يكن أحد يطيق ما يطيقه ابن الزبير من العبادة رضي الله عنه . ولقد جاء سيل مرة فطبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة ، وقال بعضهم : كان ابن الزبير لا ينزع في ثلاث ، في العبادة والشجاعة والفصاحة . وقد ثبت أن عثمان جملة في نفر الذين نسخوا المصاحف مع زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وذكره سعيد بن المسيب في خطباء الاسلام مع معاوية وابنه وسعيد بن العاص وابنه ، وقال عبد الواحد بن أيمن : رأيت على ابن الزبير رداءً يمانية عدنيا يصلي فيه ، وكان صبيحاً إذا خطب تجاوبه الجبلان أبو قبيس وزروراء [وكان آدم نحيفاً ليس بالطويل ، وكان بين عينيه أثر السجود كثير العبادة مجتهداً شهماً فصيحاً صواماً قواماً شديد البأس ذا أنفة له نفس شريفة وهمة عالية ، وكان خفيف اللحية ليس في وجهه من الشعر إلا قليلاً] ^(١) وكانت له حمة وكان له لحية صفراء . وقد ذكرنا أنه شهد مع ابن أبي سرح قتال البربر وكانوا في عشرين ومائة ألف ، والمسلمون عشرون ألفاً ، فأحاطوا بهم من كل جانب ، فما زال عبد الله بن الزبير يحتمل حتى ركب في ثلاثين فارساً ، وسار نحو ملك البربر وهو منفرد وراء الجيش ، وجواريه يظلمه بريش النعام ، فساق حتى انتهى إليه والناس يظنون أنه ذاعب برسالة إلى الملك ، فلما فهمه الملك ولى مدبراً فلحقه عبد الله فقتله واحتز رأسه وجمعه في رأس رمح وكبره المسلمون ، وحملوا على البربر فهزموهم بين أيديهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا أموالاً وغنائم كثيرة جداً ، وبث ابن أبي سرح بالبشارة مع ابن الزبير فقص على عثمان الخبر وكيف جرى ، فقال له عثمان : إن استطعت أن تؤدى هذا للناس فوق المنبر ، قال : نعم ! فصعد ابن الزبير فوق المنبر فخطب الناس وذكر لهم كيفية ما جرى ، قال عبد الله : فالتفت فاذا أبي الزبير في جملة من حضر ، فلما تبينت وجهه كاد أن يرجع على في الكلام من هيئته في قلبي ، فومزني بعينه وأشار إلى ليحصى ، فضيت في الخطبة كما كنت ، فلما نزلت قال : والله لكأني أسمع خطبة أبي بكر الصديق حين سمعت خطبتك يا بني . وقال أحمد بن أبي الخوارى : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : خرج ابن الزبير في ليلة دتمرة على راحلة له فنزل في تبوك فالتفت فاذا على الراحلة شيخ أبيض الرأس واللحية فشد عليه ابن الزبير فتمنح عنها فركب ابن الزبير راحلته ومضى ، قال فناداه : والله يا ابن الزبير لو دخل قلبك الليلة دنى شعرة نخلتلك ، قال : ومنك أنت يالعين يدخل قلبى شيء ؟ وقد روى لهذه الحكاية شواهد من وجوه أخرى جيدة ، وروى عبد الله بن المبارك عن إسحاق بن يحيى عن عامر بن عبد الله بن الزبير

قال : أقبل عبد الله بن الزبير من العمرة في ركب من قریش فلما كانوا عند اليناصب أبصروا رجلا عند شجرة ، فتقدمهم ابن الزبير ، فلما انتهى إليه سلم عليه فلم يعبأ به ورد رداً ضعيفاً ، ونزل ابن الزبير فلم يتحرك له الرجل ، فقال له ابن الزبير : تنح عن الظل ، فأنحاز متكارها ، قال ابن الزبير : فجلست وأخذت بيده وقلت : من أنت ؟ فقال : رجل من الجن ، فما عدا أن قالها حتى قامت كل شعرة مني فاجتذبتني وقلت : أنت رجل من الجن وتبندو إلى هكذا ؟ وإذا له سفلة وانكسر ونهرته وقلت : إلى تقبدا وأنت من أهل الأرض ، فذهب هاربا وجاء أصحابي فقالوا : أين الرجل الذي كان عندك ؟ فقلت : إنه كان من الجن فهرب . قال : فما منهم رجل إلا سقط إلى الأرض عن راحلته ، فأخذت كل رجل منهم فشددته على راحلته حتى أثبت بهم الحج وما يملكون . وقال سفيان بن عيينة قال ابن الزبير : دخلت المسجد ذات ليلة فاذا نسوة يطنن بالببيت فأعجبني ، فلما قضين طوافهن خرجن فخرجت في أثرهن لأعلم أين منزلهن ، فخرجن من مكة حتى أتيت العقبة ثم انحدرن حتى أتيت فجاء فدخلن خربة فدخلت في أثرهن . فاذا مشيخة جالوس فقالوا : ما جاء بك يا ابن الزبير ؟ فقلت : أشتهي رطباً ، وما بمكة يومئذ من رطبة ، فأتوني برطب فأكلت ثم قالوا : احمل ما بقي معك ، فجلت به المنزل فوضعت في سبط وجعلت السبط في صندوق ، ثم وضعت رأسي لأنام ، فبينما أنا بين النوم واليقظان إذ سمعت جلبة في البيت ، فقال بعضهم لبعض أين وضعه ؟ قالوا : في الصندوق ، ففتحوه فاذا هو في السبط داخله ، فهموا بفتحه فقال بعضهم : إنه ذكر اسم الله عليه ، فأخذوا السبط بما فيه فذهبوا به ، قال . فلم آسف على شيء أسفئ كيف لم أنب عليهم وهم في البيت . وقد كان عبد الله بن الزبير من حاجف عن عثمان يوم الدار ، وجرح يومئذ بضعة عشرة جراحة ، وكان على الراجلة يوم الجمل وجرح يومئذ تسعة عشرة جراحة أيضاً ، وقد تبارز يومئذ هو ومالك بن الحارث بن الأشتر ، فاتحدا فصرع الأشتر ابن الزبير فلم يتمكن من القيام عنه ، بل احتضنه ابن الزبير وجعل ينادي : اقتلوني ومالكا ، واقتلوا مالكا معي ، فأرسلها مثلاً . ثم تفرقا ولم يقدر عليه الأشتر ، وقد قيل إنه جرح يومئذ بضعة وأربعون جراحة ، ولم يوجد إلا بين القتلى وبه رمق ، وقد أعطت عائشة لمن بشرها أنه لم يقتل عشرة آلاف درهم وسجدت لله شكراً ، وكانت تحبه حباً شديداً ، لأنه ابن أختها ، وكان عزيزاً عليها ، وقد روى عن عروة أن عائشة لم تكن تحب أحداً بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر مثل حبها ابن الزبير ، قال : وما رأيت أبي وعائشة يدعوان لأحد من الخلق مثل دعائهما لابن الزبير .

وقال الزبير بن بكار : حدثني أخى هارون بن أبي بكر عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان بن محمد عن يحيى بن عروة عن عمه عن عبد الله بن عروة قال ألحمت السنة نابغة بنى جمعة فدخل على عبد الله بن الزبير المسجد الحرام فأنشد هذه الأبيات : -

حكيت لنا الصديق لما وليتها * وعثمان وفاروق فارتاح ممدوم
وسويت بين الناس في الحق فاستووا * فعماد صباحا طالك اللون مظلم
أناك أبو ليلى يجوب به الدجا * دجى الليل جواب الفلاة غشمشم
لتجبر منه جائئاً غدرت به * صروف الليالي والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير : هون عليك أبا ليلى ، فان الشمر أهون رسائك عندنا ، أما صفوه فما لنا فالل
الزبير ، وأما عفوه فان بنى أسد يشغلها عنك وتما ، ولكن لك في مال الله حقان ، حق لرؤيتك
لرسول الله ﷺ ، وحق لشركتك أهل الاسلام في فيهم ، ثم أخذ بيده فأدخله دار النعم فأعطاه
قلائص سبعة وجملا وخيلا ، وأقر له الزكاب برأ وتقرأ وثيابا ، فجعل النابغة يستعمل ويأكل الحب
صرفا ، فقال له ابن الزبير : ويح أبا ليلى ، لقد بلغ الجهد . فقال النابغة : أشهد اسمعت رسول الله
ﷺ يقول : « ما وليت قریش وعدلت ، واسترحمت فرحت وحدثت فصدقت ، ووعدت خيرا
فأنجزت ، فأنا والنبليون فرط انماصفين »

وقال محمد بن مروان صاحب كتاب المجالسة : أخبرني خبيب بن نصير الأزدي ثنا محمد بن
دينار الضبي ثنا هشام بن سليمان الخزومي عن أبيه قال : أذن معاوية للناس يوما فدخلوا عليه
فاحتفل المجلس وهو على سريره ، فأجال بصره فيهم فقال : أنشدوني لقدماء العرب ثلاثة أبيات
جامعة من أجمع ما قالتها العرب ، ثم قال : يا أبا خبيب فقال : مهم ، قال أنشد ذلك ، فقال : نعم
يا أمير المؤمنين بثلاثمائة ألف كل بيت بمائة ألف ، قال : نعم إن ساوت ، قال أنت بالخيار ، وأنت
واف كاف ، فأنشده للأفوه الأزدي : -

بأوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال فقال معاوية صدق
ولم أرفى الخطوب أشد وقعا * وكيدا من معادات الرجال فقال معاوية صدق
وذقت مرارة الأشياء طرا * فهاشي أمر من السؤال فقال صدق

ثم قال معاوية : هيه يا خبيب ، قال : إلى ههنا انتهى ، قال : فدعا معاوية بثلاثين عبداً على عنق
كل واحد منهم بدرة ، وهي عشرة آلاف درهم ، فروا بين يدي ابن الزبير حتى انتهوا إلى داره .
وروى ابن أبي الدنيا عن أبي يزيد السميري عن أبي عاصم النبيل عن جويرية بن أسماء أن
معاوية لما حج تلقته الناس وتخلف ابن الزبير ثم جاءه وقد حلق رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين
ما أكبر حجرة رأسك !! فقال له اتق أن لا يخرج عليك منها حية فتقتلك ، فلما أفاض معاوية طاف
معه ابن الزبير وهو أخذ بيده ثم استدناه إلى داره ومنازله بقميعة ، فذهب معه إليها ، فلما خرجا
قال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون جاء معك أمير المؤمنين إلى دوره ومنازله ففعل معك ماذا ، لا والله

لا أدعك حتى تعطيني مائة ألف ، فأعطاه فجاء مروان فقال : والله يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلك ، جاءك رجل قد سعى بيت مال الديوان وبيت الخلافة ، وبيت كذا ، وبيت كذا ، فأعطيته مائة ألف ، فقال له : ويحك كيف أصنع بابن الزبير ؟ وقال ابن أبي الدنيا : أخبرني عمر بن بكير عن علي بن مجاهد بن عروة قال : سأل ابن الزبير معاوية شيئاً فنهقه ، فقال : والله ما أجهل أن أترم هذه البنية فلا أشتم لك عرضاً ولا أقصم لك حساباً ، ولكنني أسدل عما متي من بين يدي ذراعاً ، ومن خلفي ذراعاً في طريق أهل الشام وأذكر سيرة أبي بكر الصديق وعمر فيقول الناس : من هذا ؟ فيقولون ابن حواري رسول الله ﷺ وابن بنت الصديق ، فقال معاوية : حسبك بهذا شرفاً ، ثم قال : مات حوائجك . وقال الأصمعي : ثنا غسان بن نصر عن سعيد بن يزيد . قال : دخل ابن الزبير على معاوية فأمر ابنه صغيراً فلطمه لطمه دوخ منها رأسه ، فلما أفاق ابن الزبير قال للصبي : ادن مني ، فدنا منه ، فقال له : الطم معاوية ، قال : لا أفعل ، قال : ولم ؟ قال لأنه أبي ، فرفع ابن الزبير يده فلطم الصبي لطمه جعل يدور منها كما تدور الدوامة ، فقال معاوية : تفعل هذا بغلام لم تجز عليه الأحكام ؟ قال : إنه والله قد عرف ما يضره مما ينفعه ، فأحببت أن أحسن أدبه . وقال أبو الحسن علي بن محمد المصائفي عن عبد الله بن أبي بكر قال : لحق ابن الزبير معاوية وهو سائر إلى الشام فوجده وهو ينص على راحته ، فقال له : أنتعس وأنا معك ؟ أما تخاف مني أن أقنك ؟ فقال : إنك لست من قتال الملوك ، إنما يصيد كل طائر قدره . قال لقد سرت تحت لواء أبي إلى علي بن أبي طالب ، وهو من تلمذه ، فقال : لا جرم قتلكم والله بشماله . قال : أما إن ذلك كان في نصرة عثمان ، ثم لم يجز بها . فقال : إنما كان لبغض علي لالنصرة عثمان ، فقال له ابن الزبير : إنا قد أعطيناك عهداً فنحن وافون لك به ما عشت ، فسيعلم من بعدك ، فقال : أما والله ما أخافك إلا على نفسك ، وكأني بك قد خبطت في الحبال واستحكمت عليك الأنشودة ، فذكرتني وأنت فيها ، فقلت ليت أبا عبد الرحمن لها ، ليتني والله لها ، أما والله لأحلتك رويداً ، ولأطلقك سريماً ، ولبئس الولي أنت تلك الساعة . وحكي أبو عبد الله نحو هذا ، وقد تقدم أن معاوية لما مات وجاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة انشمر منها ابن الزبير والحسين بن علي فقصدا مكة فأقاما بها ، ثم خرج الحسين إلى العراق وكان من أمره ما تقدم ، وتفرد بالرياسة والسود بمكة ابن الزبير ، ولهذا كان ابن عباس ينشد : -

يا لك من قبيرة بتمعري * خلالك الجور فيمضي واصفري * ونقرى ما شئت أن تنقرى
يعرض بابن الزبير . وقيل إن يزيد بن معاوية كتب إلى ابن الزبير يقول : إني قد بعثت إليك
بسلسلة من فضة وقيد من ذهب وجامعة من فضة وحلفت لتأتيني في ذلك فأبر قسحى ولا تشق

العصا ، فلما قرأ كتابه ألقاه من يده وقال : -

ولا ألبس لغير الحق أسأله * حتى تدلن لضرر الماضح الخبير

فلما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده قريبا ، استنحل أمر عبد الله بن الزبير جدا ، وبويع له بالخلافة في جميع البلاد الإسلامية ، وباع له الضحاك بن قيس بدمشق وأعمالها ، ولكن عارضه مروان بن الحكم في ذلك وأخذ الشام ومصر من نواب ابن الزبير ، ثم جهز السرايا إلى العراق ، ومات وتولى بعده عبد الملك بن مروان فقتل مصعب بن الزبير بالعراق وأخذها ، ثم بعث إلى الحجاج فحاصر ابن الزبير بمكة قريبا من سبعة أشهر حتى خاف به في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين .

وكانت ولاية ابن الزبير في سنة أربع وستين ، وحج بالناس فيها كلها ، وبني الكعبة في أيام ولايته كما تقدم ، وكساها الحرير ، وكانت كسوتها قبل ذلك الانطاع والمسوح ، وكان ابن الزبير عالما عابدا مهيبا وقورا كثير الصيام والصلاة ، شديد الخشوع جيد السياسة ، قال أبو نعيم الأصبهاني : حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق الثقفي ثنا أحمد بن سعيد الدارمي ثنا أبو عاصم عن عمر بن قيس . قال : كان لابن الزبير مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة غير لغة الآخر ، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته ، وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياء قلت : هذا رجل لم يرد الله والدار الآخرة طرفة عين ، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت : هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين . وقال الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى قال : رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأس مال ، وكان يطيب الكعبة حتى كان يوجد ريحها من مسافة بعيدة . وقال ابن المبارك عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : دخل ابن الزبير على امرأته بنت الحسن فرأى ثلاثة مثل - يعني أفرشة - فقال : هذا لي وهذا لابنة الحسن ، وهذا للشيطان فأخرجوه . وقال الثوري عن عبد الله بن أبي بشير عن عبد الله بن مساور . قال : سمعت ابن عباس يعاتب ابن الزبير على البخل ويقول : قال رسول الله ﷺ : « ليس بالمؤمن من يبيت شعبان وجاره إلى جنبه جائع » . وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن أبان الوراق ثنا يعقوب بن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبي رزق عن عثمان بن عفان . قال قال له عبد الله بن الزبير حين حصر : إن عندي نجائب قد أعددتها لك . فهل لك أن تتحول إلى مكة فيأتيك من أراد أن يأتيك ؟ قال : لا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يلحد كبش من قريش اسمه عبد الله ، عليه مثل أوزار الناس » . وهذا الحديث منكر جدا وفي إسناده ضعف ، ويعقوب هذا هو القمي وفيه تشيع ، ومثل هذا لا يقبل تفردة به ، وبتقدير صحته فليس هو بعبد الله ابن الزبير ، فانه كان على صفات حميدة ، وقيمه في الامارة إنما كان لله عز وجل ، ثم هو كان الامام

بعد موت معاوية بن يزيد لاجالة ، وهو أرشد من مروان بن الحكم ، حيث نازعه بعد أن اجتمعت الحكامة عليه ، وقامت البيعة له في الآفاق وانتظم له الأمر والله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ثنا إسحاق بن سعيد ثنا سعيد بن عمرو قال : أتى عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير وهو في الحجر جالس فقال : يا ابن الزبير إياك والاحاد في حرم الله ، فاني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحملها وتحمل به رجل من قريش ، لو وزفت ذنوبه بذنوب النقلين لوزنتها » . فانظر أن لا تكونه ، فقال له : يا ابن عمر فانك قد قرأت الكتب وصحبت النبي ﷺ ، قال فاني أشهد أن هذا وجهي إلى الشام مجاهداً . وهذا قد يكون رفعه غلطاً ، وإنما هو من كلام عبد الله بن عمر ، وما أصابه من الزاملتين يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب ، والله أعلم . وقال وكيع عن الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن حبشي الكناني عن عليم الكندي عن سلمان الفارسي . قال : « ليعرقن هذا البيت على يدي رجل من آل الزبير » . وقال أبو بكر بن أبي خيشمة عن يحيى بن ميمون عن أبي فضيل ثنا سالم بن أبي حفصة عن مندر الثوري قال قال ابن الحنفية : اللهم إنك تعلم أنني كنت أعلم مما علمتني أن ابن الزبير لا يخرج منها إلا قتيلاً يطاف برأسه في الأسواق . وقد روى الزبير بن بكار عن هشام بن عروة قال : إن أول ما فصيح به عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف السيف ، فكان لا يضعه من فيه ، وكان الزبير إذا سمع ذلك منه يقول له : أما والله ليكون لك منه يوم ويوم وأيام ، وقد تقدم كيفية مقتله ، وأن الحجاج صلبه على جذع فوق الثنية ، وأن أمه جاءت حتى وقفت عليه فدعت له طويلاً ولا يقطر من عينها دمة ثم انصرفت ، وكذلك وقف عليه ابن عمر فدعا له وأثنى عليه ثناء كثيراً جداً . وقال الواقدي : حدثني نافع بن ثابت عن عبد الله مولى أسماء قال : لما قتل عبد الله خرجت إليه أمه حتى وقفت عليه وهي على دابة ، فأقبل الحجاج في أصحابه فسأل عنها فأخبر بها ، فأقبل حتى وقف عليها فقال : كيف رأيت نصر الله الحق وأظهره ؟ فقالت : ربما أدب الباطل على الحق وأهله ، وإنك بين فرثها والجنة ، فقال إن ابنك ألد في هذا البيت ، وقد قال الله تعالى (ومن يرد فيه بالحاد بظلم ندقه من عذاب أليم) وقد أذاقه الله ذلك العذاب الأليم ، قالت : كذبت ، كان أول مولود ولد في الاسلام بالمدينة ، وسره به رسول الله ﷺ وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحاً به ، وقد فرحت أنت وأصحابك بمقتله ، فمن كان فرح يومئذ بمولده خير منك ومن أصحابك ، وكان مع ذلك براً بالوالدين صواماً قواماً بكتاب الله ، معظماً لحرم الله ، يبغيض من يعصى الله عز وجل ، أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير » وفي رواية : « سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول وهو مبير » فانكسر الحجاج

وانصرف ، فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه يولمه في مخاطبته أسماء ، وقال : مالك ولا بنت الرجل الصالح ؟ وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه : ثنا عقبة بن مكرم حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي أنبأ الأسود بن شيبان عن أبي نوفل . قال : رأيت عبد الله بن الزبير على ثنية الحجون مصلوباً فجعلت قریش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال : السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، أما والله لقد كنت أنهلك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهلك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهلك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهلك عن هذا ، صواماً قواماً وصولاً للرحم ، أما والله لامة أنت شرها لامة خير ، ثم بعد عبد الله بن عمر . فبلغ الحجاج وقوف ابن عمر عليه وقوله ما قال ، فأرسل إليه فأنزله عن جذعه وألقى في قبور اليهود ، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر فأبت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول لتأتيني أولاً بعش إليك من يسحبك من قرونك ، فأبت وقالت : والله لا آتيه حتى يبعث إلى من يسحبني بقروني ، فقال الحجاج : أروني سبتي فأخذ نعليه ثم انطلق ينودف حتى دخل عليها فقال : كيف رأيتني صنعت بعد والله ؟ قالت رأيتك فسدت عليه دنياه ، وأفسدت عليك آخرتك ، بلغني أنك تقول : يا ابن ذات النطاقين ، أنا والله ذات النطاقين ، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر ، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغنى عنه ، أما إن رسول الله حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه . قال : فقام عنها ولم يراجعها . انفراد به مسلم . وروى الواقدي أن الحجاج لما صلب ابن الزبير على ثنية الحجون بعثت إليه أسماء تدعو عليه ، وطلبت منه أن يدفن فأبى عليها ، حتى كتب إلى عبد الملك في ذلك فكتب إليه أن يدفن فدفن بالحجون ، وذكروا أنه كان يشتم من عند قبره ريح المسك .

وكان الحجاج قد قدم من الشام في أثنى فارس والنضاف إليه طارق بن عمرو في خمسة آلاف ، وروى محمد بن سعد وغيره بسنده أن الحجاج حاصر ابن الزبير ، وأنه اجتمع معه أربعون ألفاً : وأنه نصب المنجنيق على أبي قبيس ليرمي به المسجد الحرام ، وأنه أمن من خرج إليه من أهل مكة ونادى فيهم بذلك ، وقال : إنما نأت لقتال أحد سوى ابن الزبير ، وأنه خير ابن الزبير بين ثلاث إما أن يذهب في الأرض حيث شاء ، أو يبعثه إلى الشام مقيداً بالحديد ، أو يقاتل حتى يقتل . فشاور أمه فأشارت عليه بالثالث فقط ، وروى أنها استدعت بكفن له وبخرته وشجعت على القتل ، فخرج بهذه النية فقاتل يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين قتالاً شديداً فجاءته آجرة ففلقت رأسه فسقط على وجهه إلى الأرض ، ثم أراد أن ينهض فلم يقدر ، فاتسكأ على مرققه الأيسر وجعل يحكم بالسيف من جاءه ، فأقبل إليه رجل من أهل الشام فضربه فقطع رجله ، ثم

تسكأروا عليه حتى قتأوه واحتزوا رأسه ، وكان مقتله قريباً من الحجون ، ويقال : بل قتل وهو متملق بأستار السكمة فآله أعلم . ثم صلبه الحجاج منكساً على ثنية كذا عند الحجون ، ثم لما أنزله دفنه في مقابر اليهود كأرواه مسلم ، وقيل دفن بالحجون بالمكان الذى صلب فيه ، فآله أعلم . وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال قال عبد الله بن الزبير لما جىء برأس المختار : ما كان يحدثنا كعب الأخبار شيئاً إلا وجدناه إلا قوله إن فقى ثقيف يقتلنى ، وهذا رأسه بين يدى ، قال ابن سيرين : ولم يشعر أنه قد خبيء له الحجاج . وروى هذا من وجه آخر . قلت : والمشهور أن مقتل الزبير كان فى سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى ، وقيل الآخرة منها ، وعن مالك وغيره أن مقتله كان على رأس اثنين وسبعين ، والمشهور الصحيح هو الأول ، وكانت بيعته فى سابع رجب سنة أربع وستين ، وكان مولده فى أول سنة إحدى من الهجرة ، وقيل فى شوال سنة ثنتين من الهجرة ، فمات وقد جاوز السبعين قطعاً وآله أعلم .

وأما أمه فأنها لم تعش بعده إلا مائة يوم ، وقيل عشرة أيام ، وقيل خمسة ، والأول هو المشهور وستأتى ترجمتها قريباً رضى الله عنها وعن أبيها وابنها ، وقد رثى ابن الزبير وأخوه مصعب عمراى كثيرة حسنة بليغة ، من ذلك قول معمر بن أبى معمر الدهلى يرثيها بأبيات : -

لمرك ما أبقيت فى الناس حاجة * ولا كنت ملبوس الهنى متذبذباً
غداة دعانى مصعب فأجبتنه * وقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً
أبوك حوارى الرسول وسيدى * فأنت بحمد الله من خيرنا أبا
وذاك أخوك المهتدى بضياؤه * بمكة يدعوننا دعاء مثوباً
ولم أك ذا وجهين وجهه لمصعب * مريض ووجه لابن مروان إذ صبا
وكنت امرأ ناصحته غير مؤثر * عليه ابن مروان ولا متقرباً
إليه بما تقضى به عين مصعب * ولسكنفى ناصحت فى الله مصعباً
إلى أن رمته الحادثات بسهمها * فيا لله سهماً ما أسد وأصوباً
فان يك هذا الدهر أردى بمصعب * وأصبح عبد الله شلوا ملحياً
فكل امرئ حاس من الموت جرعة * وإن حاد عنها جهده وتببها

وقيل : إن عبد الله بن الزبير غسلته أمه أسماء بعد أن قطعت مفاصيله وحنطته وطيبته وكفنته وصلت عليه وحملته إلى المدينة ، فدفنته بدار صفية بنت حيي ، ثم إن هذه الدار زينت فى مسجد النبى ﷺ فهو مدفون فى المسجد مع النبى ﷺ وأبى بكر وعمر ، وقد ذكر ذلك غير واحد فآله أعلم . وقد روى الطبرانى عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه أن النبى ﷺ أعطاه دم

محاكمه يهرقه فحساه ، فلما رجع إلى النبي ﷺ ، قال : « ما صنعت يا عبد الله بالدم ؟ قلت : جعلته في مكان ظننت أنه خاف على الناس ، قال : فلمالك شربته ؟ قلت نعم ! قال : ومن أمرك أن تشرب الدم ؟ وويل لك من الناس ، وويل للناس منك » . ودخل سلمان الفارسي مرة على النبي ﷺ فاذا عبد الله بن الزبير قائم في الدهليز ومعه طست يشرب منه ، فدخل سلمان ودخل عبد الله على رسول الله ﷺ ، قال له : « فرغت ؟ قال : نعم : قال سلمان : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : أعطيته غسلته محاسني يهرق ما فيها ، قال سلمان : شربها والذي بمك بالحق ، قال شربته ؟ قال : نعم ! قال : لم ؟ قال : أحببت أن يكون دم رسول الله ﷺ في جوفى ، فقال بيده على رأس ابن الزبير : وقال : وويل لك من الناس ، وويل للناس منك ، لا تمسك النار إلا تحلة القسم » . ولما بعث يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير ذلك القيد من ذهب وسلسلة من فضة وجماعة من فضة وأقسم لتأنيبي فيها ، فقالوا له : بر قسم أمير المؤمنين فقال :

ولا ألبس لغير الحق أسأله * حتى تلين لضر من الماضى الحجر

ثم قال : والله لضربة بسيف بمر ، أحب إلى من ضربة بسوط في ذل ، ثم دعا إلى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية . وروى الطبراني أن ابن الزبير دخل على أمه فقال : إن في الموت لراحة ، وكانت أمه قد أتت عليها مائة سنة لم تستطع لها سن ، ولم يفسد لها بصر ، فقالت : ما أحب أن أموت حتى آتى على أحد طرفيك ، إما أن تملك فتقر عيني ، وإما أن تقتل فأحتسبك ، ثم خرج عنها وهو يقول : -

ولست بمبتاع الحياة بسبة * ولا بهريق من خشية الموت سلما

ثم أقبل على آل الزبير يعظهم ويقول ليكن أحدكم سيفه كما وجهه فيدفع عن نفسه بيده كأنه أمراه ، والله ما بقيت زحفا قط إلا في الرعيل الأول ، وما ألت جرحاً إلا ألم الدواء ، ثم حمل عليهم ومعه سفيان ، فأول من لقيه الأسود فضربه بسيفه حتى أطن رجله ، فقال له الأسود : أخ يا ابن الزانية ، فقال له ابن الزبير : أخاً يا ابن حاتم وأساء زانية ؟ ثم أخرجهم من المسجد ، وكان على ظهر المسجد جماعة من أعوانه يرمون أعداءه بالآجر ، فأصابته آجرة من أعوانه من غير قصد في مفرق رأسه ففلقت رأسه فوقف قائماً وهو يقول : لو كان قرني واحداً كفيتني ويقول : -

ولسنا على الأعقاب تدمي كلومنا * ولكن على أقدامنا يتقطر الدم

ثم وقع فأكب عليه موليان له وهما يقولان : العبد يحمي ربه ويحتمى . ثم أرسلوا إليه فخرؤا رأسه . وروى الطبراني أيضاً عن إسحاق بن أبي إسحاق قال : أنا حاضر مقتل عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام ، يوم قتل جعلت الجيوش تدخل من أبواب المسجد ، وكلما دخل قوم من باب حمل

عليهم حتى يخرجهم ، فبينما هو على تلك الحال إذ جاءت شرفة من شرفات المسجد ، فوقعت على رأسه فصرعته ، وهو يمثل بهذه الآيات : -

أسماء أسماء لا تبكيني * لم يبق إلا حسبي وديني

* وصارم لانت به يميني *

وقد روى أن أمه قالت للحجاج : أما أن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فقال الحجاج : ابنك المنافق ، فقالت : والله ما كان منافقا ، إن كان لصواما قواما وصولا للرحم ، فقال : انصرفي يا عجوز ، فانك قد خرفت ، فقالت والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبهر ، فأما الكذاب فقد رأيته ، وأما المبهر فأنت » . وقال بجاهد : كنت مع ابن عمر فمر على ابن الزبير فوقف فترحم عليه ثم التفت إلى وقال : أخبرني أبو بكر الصديق أن رسول الله ﷺ قال : « من يعمل سوءاً يجز به » . وروى سفيان عن ابن جريج عن أبي مليكة قال : ذكرت ابن الزبير عند ابن عباس قال : كان عفيفا في الاسلام ، قارئا للقرآن ، صواما قواما ، أبوه الزبير ، وأمهم أسماء ، وجده أبو بكر ، وعمته خديجة ، وجدته صفية ، وخالته عائشة : والله لأحاسن له بنفسى محاسبة لم أحاسبها لأبي بكر ولا لعمر . وقال الطبراني : حدثنا زكريا الناجي ثنا حوثة بن محمد ثنا أبو أسامة ثنا سعيد ابن المرزبان أبو سعيد العبسي ثنا محمد بن عبد الله الثقفي قال : شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم قلبي بأحسن تلبية سمعتها قط ، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فأنكم جئتم من آفاق شتى وفودا إلى الله عز وجل ، فحق على الله أن يكرم وفده ، فمن كان منكم يطلب ما عند الله فإن طالب ما عند الله لا يخيب فصدقوا قولكم بفعل ، فإن ملاك القول الفعل والنية النية ، والقلوب القلوب ، الله الله في أيامكم هذه فانها أيام تغفر فيها الذنوب ، جئتم من آفاق شتى في غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجونها هاهنا ، ثم لي ولي الناس ، فما رأيت باكيا أكثر من يومئذ . وروى الحسن بن سفيان قال : ثنا حيان بن موسى ثنا عبد الله بن المبارك ثنا مالك بن أنس عن وهب بن كيسان قال : كتب إلى عبد الله بن الزبير بموعظة : أما بعد فإن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم ، صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وكظم الغيظ ، وصبر على البلاء ورضى بالقضاء ، وشكر للنعماء ، وذل لحكم القرآن ، وإعلاء الأيام كالسوق ما نفق فيها حمل إليها ، إن نفق الحق عنده حمل إليه وجاءه أهله . وإن نفق الباطل عنده حمل إليه وجاءه أهله .

وقال أبو معاوية : ثنا هشام بن عروة عن وهب بن كيسان قال : ما رأيت ابن الزبير يعطى سله قط لرغبة ولا لرغبة سلطان ولا غيره . وبهذه الاسنادات أهل الشام كانوا يعيرون ابن الزبير ويقولون له : يا ابن ذات النطاقين . فقالت له أسماء : يا بني إنهم يعيرونك بالنطاقين وإنما كان لي

نطاق واحد شققته نصفين فجعلت في سفرة رسول الله ﷺ أحدهما وأوكيت قربته بالأخر لما خرج هو وأبو بكر يريدان الهجرة إلى المدينة . فكان ابن الزبير بعد ذلك إذا عيروه بالنطاقين يقول : إنها والله تلك شكاة ظاهرها عنك عارها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن قتل مع ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين بمكة من الأعيان

﴿ عبد الله بن صفوان ﴾

ابن أمية بن خلف الجمعي أبو صفوان المكي ، وكان أكبر ولد أبيه ، أدرك حياة النبي ﷺ وروى عن عمر وجماعة من الصحابة ، وحدث عنه خلق من التابعين ، وكان ميماً شريفاً مطاعاً حليماً يحتمل الأذى ، لوسبه عبد أسود ما استنكف عنه ، ولم يقصده أحد في شيء فردّه خائباً ، ولا سمع بمفازة إلا حفر بها جباً أو عمل فيها بركة ، ولا عقبه إلا سهلها . وقيل إن المهلب بن أبي صفرة قدم على ابن الزبير من العراق فأطال الخلوة معه ، فجاء ابن صفوان فقال : من هذا الذي شغلك منذ اليوم ؟ قال : هذا سيد العرب من أهل العراق ، فقال : ينبغي أن يكون المهلب . فقال المهلب لابن الزبير : ومن هذا الذي يسأل عني يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا سيد قریش بمكة ، فقال : ينبغي أن يكون عبد الله بن صفوان ، وكان ابن صفوان كريماً جديراً .

وقال الزبير بن بكار بسنده : قدم معاوية حاجاً فتلقيه الناس فكان ابن صفوان في جملة من تلقاه ، فجعل يسأله معاوية وجعل أهل الشام يقولون : من هذا الذي يسأله أمير المؤمنين ؟ فلما انتهى إلى مكة إذا الجبل أبيض من الغنم ، فقال : يا أمير المؤمنين هذه غنم أجزتكم ، فإذا هي ألفا شاة ، فقال أهل الشام : ما رأينا أكرم من ابن عم أمير المؤمنين . كان ابن صفوان من جملة من صبر مع ابن الزبير حين حصره الحجاج ، فقال له ابن الزبير : إني قد أقتلك بيعتي فاذهب حيث شئت ، فقال إني إنما قاتلت عن ديني . ثم صبر نفسه حتى قتل وهو متعلق بأستار الكعبة في هذه السنة ، رحمه الله وأكرمه .

﴿ عبد الله بن مطيع ﴾

ابن الأسود بن حارثة القرشي العدوي المدني ، ولد في حياة رسول الله ﷺ وحنسكه ودناله بالبركة ، وروى عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يقتل قرشي بعد اليوم صبراً إلى يوم القيامة » . وعنه ابنه إبراهيم ومحمد والشعبي وعيسى بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن أبي موسى . قال الزبير بن بكار : كان ابن مطيع من كبار رجال قریش جليلاً وشجاعاً ، وأخبرني عمي مصعب أنه كان على قریش أميراً يوم الحرة ثم قتل مع ابن الزبير بمكة وهو الذي يقول :

أنا الذي فررت يوم الحرة * والشيخ لا يفر إلا مره * لا جبرت فرة بكره رحمه الله

﴿ عوف بن مالك رضى الله عنه ﴾

هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي النبطاني صحابي جليل، شهد موته مع خالد بن الوليد والامراء قبله، وشهد الفتح وكانت منه راية قومه يومئذ، وشهد فتح الشام، وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث، وروى عنه جماعة من التابعين وأبو هريرة، وقد مات قبله، وقال الواقدي وخليفة ابن خياط وأبو عبيد وغير واحد: توفي سنة ثلاث وسبعين بالشام
﴿ أسماء بنت أبي بكر الصديق ﴾

والدة عبد الله بن الزبير، يقال لما ذات النبطيين، وإنما سميت بذلك عام الهجرة حين شقت لها قبلها فربطت به سفرة النبي ﷺ وأبى بكر حين خرجا حامدين إلى المدينة، وأما قبيلة وقيل قبيلة بنت عبد المزي من بني عامر بن لؤي. أسلمت أسماً قديماً وهم بمكة في أول الاسلام، وهاجرت هي وزوجها الزبير وهي حامل بتم ولدها عبد الله فوضعتة بقبا أول مقدمهم المدينة، ثم ولدت للزبير بعد ذلك عروة والمنذر. وهي آخر المهاجرين والمهاجرات موتاً، وكانت هي وأختها عائشة وأبوها أبو بكر الصديق وجدها أبو عتيق وابنها عبد الله وزوجها الزبير صحابين رضى الله عنهم، وقد شهدت اليرموك مع ابنها وزوجها، وهي أكبر من أختها عائشة بعشر سنين. وقيل إن الحجاج دخل عليها بعد أن قتل ابنها فقال: يا أمه إن أمير المؤمنين أو صاني بك فهل لك من حاجة؟ فقالت: لست لك بأمر، إنما أنا أم المصابوب على الثنية، ومالي من حاجة، ولمكن أحدثك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يخرج من تقيف كذاب ومبير » فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا أراك إلا إياه. فقال: أنا مبير المنافقين. وقيل إن ابن عمر دخل معه عليها وابنها مصابوب فقال لها: إن هذا الجسد ليس بشيء وإنما الأرواح عند الله فاتق الله واصبري، فقالت: وما يمنعني من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بني من بغايا بني إسرائيل؟. وقيل إنها غسلته وحنطته وكفنته وطيبته وصالت عليه ثم دفنته، ثم ماتت بعده بأيام في آخر جمادى الآخرة، ثم إن الزبير لما كبرت طلقها، وقيل بل قال له عبد الله ابنه: إن مثلي لا توطأ أمه، فطلقتها الزبير، وقيل: بل اختصمت هي والزبير فجاء عبد الله ليصلح بينهما فقال الزبير: إن دخلت فهي طالق، فدخلت فبانت فأنه أعلم. وقد عمرت أسماء دهرًا صالحًا وأضرت في آخر عمرها، وقيل بل كانت صحيحة البصر لم يسقط لها سن. وأدركت قتل ولدها في هذه السنة كما ذكرنا، ثم ماتت بعده بخمسة أيام، وقيل بمشرة، وقيل بعشرين، وقيل بضع وعشرين يوما، وقيل عاشت بعده مائة يوم وهو الأشهر، وبلغت من العمر مائة سنة. ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل ربحها الله. وقد روت عن النبي ﷺ عدة أحاديث طيبة مباركة رضى الله عنها ورحمها.

قال ابن جرير : وفي هذه السنة - يعني سنة ثلاث وسبعين - عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وأضافها إلى أخيه بشر بن مروان مع الكوفة ، فأرحل إليها واستخلف على الكوفة عمرو ابن حريث . وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة فهزم الروم . وقيل إنه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية أرمينية ، وهو في أربعة آلاف ، والروم في ستين ألفا فهزمهم وأكثرت القتلى فيهم . وأقام للناس الحج في هذه السنة الحجاج وهو على مكة واليمن والحجاز ، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة . وعلى إمرة خراسان بكير بن وشاح ، يعني الذي كان نائبا لعبد الله بن خازم والله أعلم .

﴿ ومن توفي فيها من الأعيان غير من تقدم ذكره مع ابن الزبير ﴾

عبد الله بن سعد بن جهم الأنصاري له صحبة وشهد اليرموك ، وكان كثير العبادة والفره .

﴿ عبد الله بن أبي حنيفة الأسلمي ﴾ أبو محمد له صحبة ورواية توفي بالمدينة .

﴿ مالك بن مسمع بن غسان البصري ﴾ كان شديد الاجتهاد في العبادة والزهادة .

﴿ ثابت بن الضحاك الأنصاري ﴾

له صحبة ورواية توفي بالمدينة ، يقال له أبو زيد الأشمالي وهو من أهل البصرة تحت الشجرة . قال يحيى بن أبي كثير : أخبرني أبو قلابة أن ثابت بن الضحاك أخبره أنه بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة وأن رسول الله ﷺ قال : « من قذف مؤمنا بكفر فهو كفيل »

﴿ زينب بنت أبي سلمة الخزومية ﴾ ربيعة النبي ﷺ ، ولدتها أمها بالحيرة ، ولها رواية وصحبة .

﴿ توبة بن الصمة ﴾

وهو الذي يقال له مجنون ليلي ، كان توبة يشن الغارات على بني الحارث بن كعب ، فرأى ليلي فهوأها وتهتك بها وهام بها محبة وعشقا ، وقال فيها الأشعار الكثيرة القوية الرائقة ، التي لم يسبق إليها ولم يلحق فيها لكثرة ما فيها من الممانى والحكم ، وقد قيل له مرة : هل كان بينك وبين ليلي ربيعة قط ؟ فقال : برئت من شفاعته محمد ﷺ ، إن كنت قط حلت سراويلي على محرم . وقد دخلت ليلي على عبد الملك بن مروان تشكو ظلامه فقال لها : ماذا رأى منك توبة حتى عشقت هذا العشق كله ؟ فقالت : والله يا أمير المؤمنين لم يكن بيني وبينه قط ربيعة ولا خنا ، وإنما العرب تمسك وتعف وتقول الأشعار فيمن تهوى وتحب مع العفة والضيافة لأنفسها عن الدنات . فأزال ظلامتها وأجازها . توفي توبة في هذه السنة وقيل إن ليلي جاءت إلى قبره فبكت حتى ماتت والله أعلم .

﴿ تم الجزء الثامن من كتاب البداية والنهاية ويليه الجزء التاسع وأوله سنة أربع وسبعين

من الهجرة وما فيها من الحوادث . نسأل الله التوفيق والأعانة على إتمامه ﴾

فهرس المجلد الثامن من البداية والنهاية

صفحة	صفحة
٧١	٢
سنة خمس وخمسين ومن توفى فيها وذكر	فصل في ذكر شئ من سيرة أمير المؤمنين
تراجهم	على بن أبي طالب
٧٨	١١
سنة ست وخمسين	غريبة من الغرائب وآبدة من الأوابد
٨١	١٤
سنة سبع وخمسين وثمان وخمسين	خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب
٨٢	١٧
ما وقع في هذه السنة من الحوادث ومن	سنة إحدى وأربعين
توفى فيها .	١٩
٨٨	٢٠
ومنهم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق	ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان ومملكه
٩١	٢٢
عائشة أم المؤمنين زوج الرسول وبنت	فضل معاوية بن أبي سفيان
أبي بكر وذكر فضائلها	خروج طائفة من الخوارج عليه . من توفى
٩٤	٢٤
سنة تسع وخمسين	من الأعيان في هذا العام
٩٧	٢٤
ذكر من توفى فيها من المشاهير	سنة ثنتين وأربعين وثلاث وأربعين
١٠٣	٢٧
ومنهم أبو هريرة وذكر فضائله	سنة أربع وأربعين
١١٥	٢٩
سنة ستين من الهجرة وفيها توفى معاوية	سنة خمس وأربعين
ابن أبي سفيان	٣٠
١١٧	٣١
ترجمة معاوية وما ورد في مناقبه وفضائله	سنة ست وأربعين ومن توفى فيها .
١٤٤	٣٢
ذكر زوجات معاوية وأولاده الذكور	سنة سبع وأربعين
والإناث	٣٣
١٤٥	٣٣
فصل في ذكر قضاة معاوية ومن توفى في هذا العام	ذكر من توفى فيها من الأعيان وأولهم
١٤٦	الحسن بن علي
إمارة يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه	سنة خمسين وما فيها من الحوادث ومن
من الحوادث والفتن	توفى فيها من الأعيان
١٤٨	٤٩
قصة الحسين بن علي وسبب خروجه إلى	سنة إحدى وخمسين وكان فيها مقتل حجر
العراق وكيفية مقتله وتاريخ حياته	ابن عدي، وذكر من توفى فيها من الأعيان
١٥٩	٥٨
صفة مخرج الحسين إلى العراق وما جرى	سنة ثنتين وخمسين وما وقع فيها من
له بعد ذلك	الحوادث ومن توفى فيها
١٧٢	٦١
سنة إحدى وستين وذكر مقتل الحسين .	سنة ثلاث وخمسين ومن توفى فيها وذكر
١٩٨	تراجهم كل منهم .
فصل في ذكر اليوم الذي قتل فيه الحسين	سنة أربع وخمسين
على التحقيق	٦٧
	ذكر من توفى فيها من الأعيان

صحيفة	صحيفة
٢٠٣ ذكر الخلاف في موضع قبر الحسين	٢٠٣
٢٠٤ ذكر موضع رأس الحسين . ذكر شئ من فضائله	٢٠٤
٢٠٩ فصل في ذكر شئ من أشعاره التي رويت عنه	٢٠٩
٢١٢ ذكر من توفي من الأعيان في ذلك العام	٢١٢
٢١٤ ومنهم أم سلمة أم المؤمنين وترجمة حياتها	٢١٤
٢١٥ سنة ثنتين وستين وما فيها من الحوادث	٢١٥
٢١٦ من توفي فيها من الأعيان	٢١٦
٢١٧ سنة ثلاث وستين . ذكر وقعة الحرة	٢١٧
٢٢٤ سنة أربع وستين وفيها سار مسلم بن عقبة لقتال ابن الزبير بمكة	٢٢٤
٢٢٥ وفاة مسلم بن عقبة ويزيد بن معاوية	٢٢٥
٢٢٦ ترجمة يزيد بن معاوية	٢٢٦
٢٣٦ ذكر أولاد يزيد بن معاوية وعددهم	٢٣٦
٢٣٧ إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية	٢٣٧
٢٣٨ إمارة عبد الله بن الزبير	٢٣٨
٢٣٩ ذكر بيعة مروان بن الحكم .	٢٣٩
٢٤١ وقعة مرج راهط ومقتل الضحاك بن قيس	٢٤١
٢٤٤ مقتل النعمان بن بشير	٢٤٤
٢٤٦ من توفي في هذه الوقعة من المشاهير والأعيان	٢٤٦
٢٥٠ ذكر هدم الكعبة وبنائها في أيام عبد الله ابن الزبير	٢٥٠
٢٥١ سنة خمس وستين وفيها كان اجتماع الناس على سليمان بن صرد للأخذ بشار الحسين ابن علي	٢٥١
٢٥٣ وقعة عين وردة	٢٥٣
٢٥٦ وفاة مروان بن الحكم وسببها وأيام ولايته	٢٥٦
٢٥٧ ترجمة مروان بن الحكم	٢٥٧
٢٦٠ خلافة عبد الملك بن مروان	٢٦٠
٢٦٣ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان	٢٦٣
٢٦٤ سنة ست وستين . وفيها كان وثوب المختار بن أبي عبيد الله في الكذاب ليأخذ بشار الحسين	٢٦٤
٢٦٨ فصل ثم شرع المختار يقتبع قتلة الحسين	٢٦٨
٢٧٠ ذكر مقتل شمر بن ذي الجوشن أمير السرية التي قتلت الحسين	٢٧٠
٢٧٢ مقتل خولي بن يزيد الذي احتز رأس الحسين	٢٧٢
٢٧٣ مقتل عمر بن سعد أمير الجيش الذين قتلوا الحسين	٢٧٣
٢٧٦ فصل في ذكرى ماجرى بين المختار وعبيد الله بن الزبير	٢٧٦
٢٧٨ فصل في مسير إبراهيم بن الأشتر إلى عبد الله بن زياد	٢٧٨
٢٨١ سنة سبع وستين . وفيها كان مقتل عبيد الله ابن زياد	٢٨١
٢٨٣ ترجمة ابن زياد	٢٨٣
٢٨٧ مقتل المختار بن أبي عبيد الله في الكذاب على يد مصعب بن الزبير	٢٨٧
٢٨٩ ترجمة المختار بن أبي عبيد الله في الكذاب	٢٨٩
٢٩٢ في بعث مصعب بن الزبير إلى إبراهيم ابن الأشتر	٢٩٢
٢٩٣ سنة ثمان وستين	٢٩٣
٢٩٥ من توفي فيها من الأعيان . ومنهم عبد الله ابن عباس ترجمان القرآن وابن عم رسول الله ﷺ	٢٩٥
٢٩٨ حفة رؤيا ابن عباس لجبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم	٢٩٨

صحيفة	صحيفة
٣٣٠ عبد الله بن الزبير يستشير أمه في القتال	٣٠٠ ماورد من الأحاديث في فضل ابن عباس
أو الصلح فتشير عليه بالقتال حتى الموت	٣٠٣ فصل في تولية ابن عباس الحج
٣٣١ كيفية قتل ابن الزبير	٣٠٦ صفة ابن عباس
٣٣٢ ترجمة أمير المؤمنين عبيد الله بن الزبير	٣٠٧ سنة تسع وستين وفيها كان مقتل عمرو
رضي الله عنه	ابن سعيد الأشدق
٣٣٣ ماورد من الأخبار في خشوع ابن الزبير	٣١٠ ترجمة الأشدق
في صلاته	٣١٢ ذكر من توفي فيها من الأعيان .
٣٣٧ ما حدث بين ابن الزبير ومعاوية بن أبي	٣١٣ سنة سبعين من الهجرة . وذكر من توفي
سفيان وقد أنشده ابن الزبير ثلاثة أبيات	فيها من الأعيان
من كلام العرب بثلاثمائة ألف	٣١٤ سنة إحدى وسبعين . وفيها كان مقتل
٣٤١ كيفية قتله والمكان الذي دفن فيه ومارثى	مصعب بن الزبير
به مصعب وعبيد الله ابنا الزبير	٣١٧ ترجمة مصعب بن الزبير
٣٤٤ ماورد من الأحاديث في أن عبد الله بن	٣٢٢ فصل وكان لمصعب بن الزبير من الولد أخ
الزبير شرب دم محاجم النبي ﷺ وقول	من توفي في هذه السنة من الأعيان منهم
النبي له : « لا تمسك النار إلا تحلة القسم »	إبراهيم بن الأشتر . وسفينة مولى رسول الله
٣٤٥ من قتل مع عبد الله بن الزبير في هذه	صلى الله عليه وسلم
الوقعة . وأشهرهم عبد الله بن صفوان بن	٣٢٤ سنة ثنتين وسبعين . وفيها كان حرب بين
أمية المكي : وعبد الله بن مطيع . وعوف	المهلب بن أبي صفرة والأزارقة
ابن مالك .	٣٢٥ مقتل عبد الله خازم
٣٤٦ ومن أشهر من توفي في هذه السنة السيدة	٣٢٦ ترجمة عبد الله بن خازم .
أسماء بنت أبي بكر الصديق أم عبد الله	وفاة الأحنف بن قيس
ابن الزبير	٣٢٩ سنة ثلاث وسبعين . وفيها كان حصار
٣٤٧ ذكر من توفي في هذه السنة غير من	عبد الله بن الزبير في الكعبة وقتله وصلبه
تقدم ذكرهم .	على ثنية الحجون على يدى الحجاج
﴿ تم الفهرس ﴾	الثقي المبير

تاريخ بغداد

أومد بنبذة السلام

للمحافظ أبي بكر الخياط البغدادي

وضعه في أزهي عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام ٤٦٣ هـ

﴿ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ﴾

تشرف باعلان الجمهور بأنها أتمت طبع كتاب (تاريخ بغداد أو مدينة السلام) للمحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ وهو في ١٤ مجلدًا زهاء ٧٠٠٠ صفحة يشتمل على ٧٨٣١ ترجمة .

صدره بمقدمة تشتمل على وصفها وبنائها وتخطيطها ومحاسنها موصولاً بفتح المدائن ومن كان بها من الصحابة إلى صحيفة ٢١٤ من المجلد الأول . ثم شرع في المقصود من الكتاب فذكر ساكنيها من الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والعلماء من القراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء والأخباريين والكتاب والشعراء الخ .

مرتبا جميع ذلك على الحروف ثم ختمه بذكر فضليات النساء . والكتاب أحد أمهات التاريخ الاسلامي وضعه في أزهي عصور الاسلام من خلافة أبي جعفر المنصور إلى خلافة القائم بأمر الله العباسي في مدة (٣١٥) سنة .

وقد قال فيه المحافظ السخاوي : إنه تاريخ الدنيا لتناوله تراجم كل من دخلها من أهل العلم للاستفادة أو الافادة .

وقد جعلنا ثمنه كالآتي : ورق (بدون تجليد) ١٧٠ مائة وسبعين قرشاً صاغاً ويطلب من مطبعة السعادة الكائنة بجوار محافظة مصر

حليسة الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني وهو يقع في عشرة أجزاء في القطع المتوسط « القلبين الجوز » على ورق أبيض ناعم . طبع منه سبعة أجزاء وجاري الطبع في الثامن ، وثمن الجزء الواحد ١٠ عشرة قروش صاغ . ﴿ ونسأل الله التوفيق إنه على كل شيء قدير ﴾